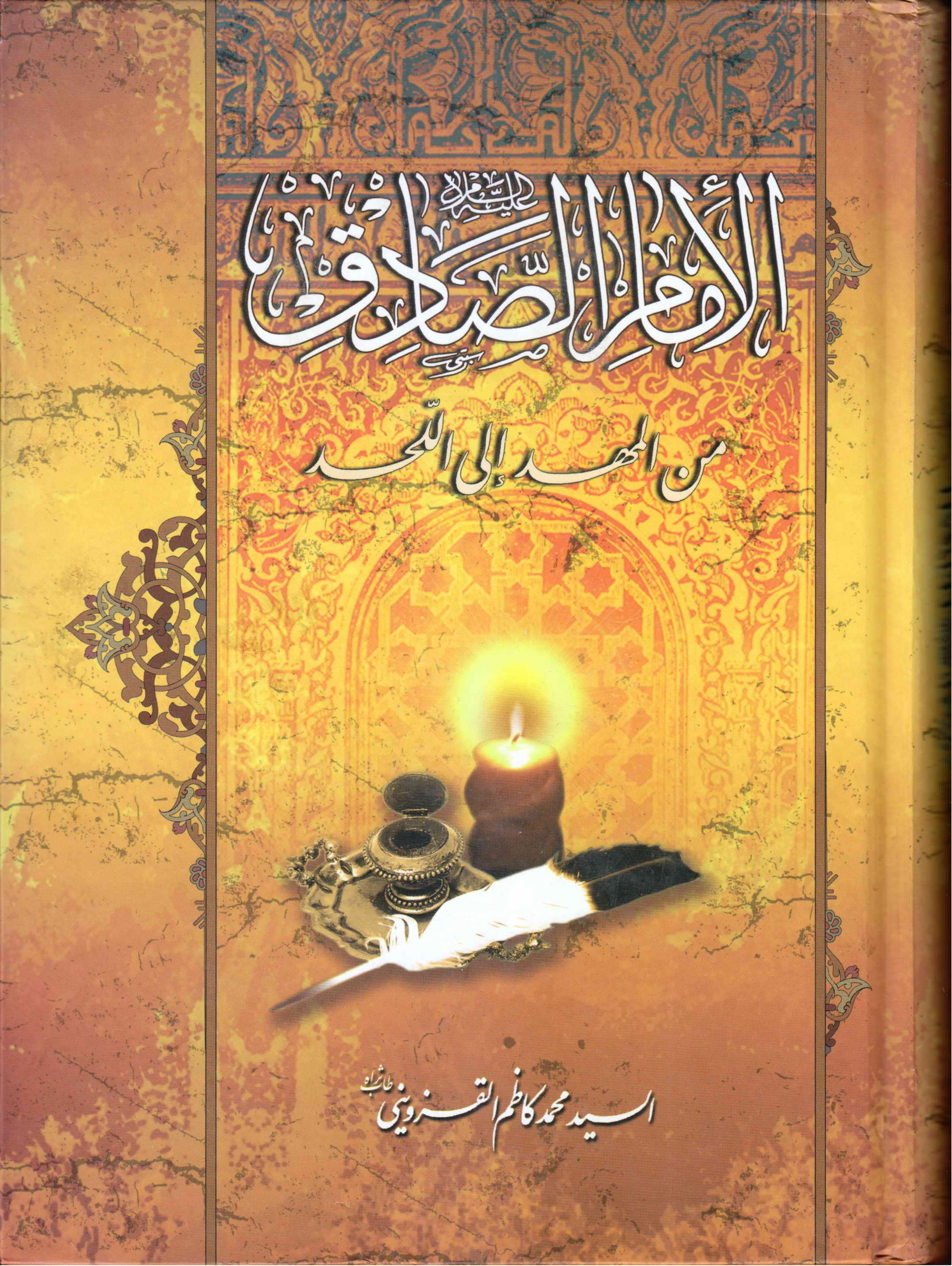
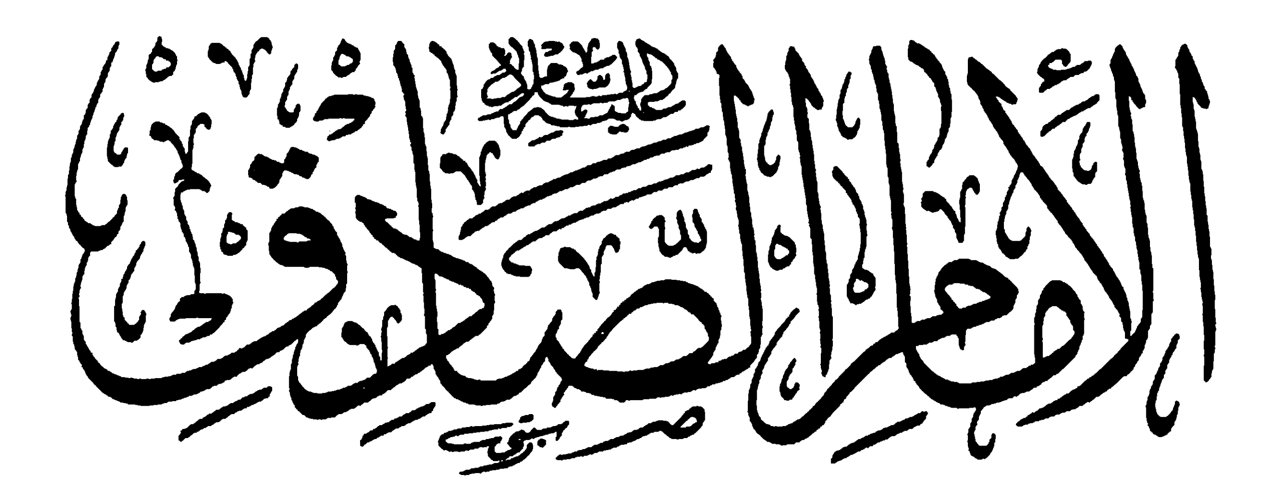

الإمام الصادق عليه السلام
من المهد إلى اللحد
السيد محمد كاظم القزويني طاب ثراه



من المهد إلى اللحد

تأليف

السيد محمد كاظم القزويني

« رضوان الله عليه »

الطبعة الأولى
جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر
ولايحق لأي شخص أو مؤسسة طباعته إلا بأذن خطي من الناشر
١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م

الكتاب: الامام الصادق عليه السلام من المهد إلى اللّحد
المؤلف: السيّد محمّد كاظم القزويني (طاب ثراه)
الناشر: دار الأنصار
المطبعة: سيّد الشهداء عليه السلام
الاخراج الفني: كومبيوتر المجتبى عليه السلام
العدد: ١٠٠٠ نسخة
الشابك: ٩ ـ ٣٩ ـ ٨٩٥٦ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨





للطباعة والنشر

مراكز التوزيع:
مكتبة دار الأنصار: إيران ـ قم المقدّسة ـ گذرخان ـ تلفن: ٠٢٥١/٧٧٤٢٥٩٩
دار العلوم: لبنان ـ بيروت ـ حارة حريك ـ شارع السيد عباس الموسوي
تلفاكس: ٠١/٥٤٥١٨٢ - ٠٣/٤٧٣٩١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى سيِّدنا ومولانا وإمامنا الحجَّة ابن الحسن المهدي (صلوات اللّه وسلامه عليه، وعجَّل اللّه تعالى فَرَجَهَ).

أُهدي هذا الكتاب الذي هو جُهد المُقلّ، وبضاعة مزجاة، وكُلّي أمل ورجاء ان تقع هذه الخدمة الضئيلة موقع الرضا والقبول من اللّه تعالى ومن أوليائه المقرَّبين.

وان يكون نبراساً يزداد به المهتدون هُدىً، ومشعلاً وهّاجاً ينير الدرب لروّاد الحق والحقيقة، ويكشف لهم الغطاء عن الأبصار كي يلتحقوا بركب السعداء، وقوافل المتَّقين، إن ربّي قريب مُجيب.

محمّد كاظم القزويني

صلاة ودعاء

اللهم صلِّ على جعفر بن محمّد الصادق، خازن العلم، الداعي اليك بالحق، النور المبين.

اللهم وكما جعلتَه معدنَ كلامك ووَحْيك، وخازنَ علمك، ولسانَ توحيدك، ووليَّ أمرك، ومُستحفَظ دينك، فصلِّ عليه أفضلَ ماصلَّيت على أحدٍ من أصفيائك وحُجَجِك، إنك حَميد مَجيد[1].

الامام الحسن العسكري (عليه السّلام)

١ـ مصباح المتهجّد للشيخ الطوسي: ص٤٠٣.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿الحمدُ للّه وسلام على عباده الذين اصطفى﴾[1] .

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا اللّه وكونوا مع الصادقين﴾[2] .

﴿اولئك هم خيرُ البريّة﴾[3] .

﴿التّائبونَ العابدونَ الحامدونَ السائحونَ الرّاكعونَ الساجدونَ الآمرون بالمعروف والنّاهُون عن المنكر والحافظون لحدود اللّه﴾[4] .

﴿قُلْ يا أيُّها الناس قد جاءكم الحق من ربّكم فَمَن اهتدى فانّما يَهتدي لنفسه ومَن ضلَّ فانّما يَضِلُّ عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾[5] .

﴿أفَمن يَهدي الى الحق أحقُّ أن يتَّبَع أمَّن لايَهِدِّي إلاّ أن يُهدى﴾[6] .

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾[7] .

صدق اللّه العلي العظيم

١ـ سورة النمل آية ٥٩ .

٢ـ سورة التوبة آية١١٩ .

٣ـ سورة البيّنة آية٧ .

٤ـ سورة التوبة آية١١٢ .

٥ـ سورة يونس آية١٠٨ .

٦ـ سورة يونس آية٣٥ .

٧ـ سورة الزمر آية٩ .

مقدّمة التحقيق:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يفوق حمد الحامدين، والصلاة على سيد الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطيِّبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

وبعد: فقد كان المرحوم السيد الوالد (رضوان الله عليه) يرغب في الكتابة عن المعصومين الأربعة عشر (صلوات الله عليهم أجمعين) من المهد إلى اللَّحد.. وحالفه التوفيق الالهي فكتب:

١ـ الامام علي (عليه السّلام) من المهد الى اللَّحد

٢ـ فاطمة الزهراء (عليها السّلام) من المهد الى اللَّحد

وبدأ بالكتابة عن الامام الحسين (عليه السّلام).

وبعد فترة رأى في المنام من يقول له: يقول لك الامام الرضا (عليه السّلام): أُكتب عن الأئمة الأربعة من بعدي.

وفرح السيد الوالد (طيَّب الله ثراه) بهذه الرؤيا، حيث شملتْه عناية الامام الرضا من خلال الأمر بالكتابة عن الأئمة الأربعة من بعده..

ونظراً لأهميَّة موضوع الامام المهدي المنتظر (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف) فقد بدأ بالكتابة عنه (عليه السّلام) ثم كتب عن الأئمة الثلاثة الذين قبله.. وصدرت الكتب الأربعة كالتالي:

١ـ الامام الجواد (عليه السّلام) من المهد الى اللَّحد.

٢ـ الامام الهادي (عليه السّلام) من المهد الى اللَّحد.

٣ـ الامام العسكري (عليه السّلام) من المهد الى اللَّحد.

٤ـ الامام المهدي (عليه السّلام) من المهد الى الظهور.

وبعدها فكَّر في تأليف موسوعة واسعة حول الامام الصادق (عليه

السّلام) يجمع فيها ما يتعلّق بحياة الامام وأصحابه وأحاديثه وإنجازاته ومايدور في هذا الفَلك.

وبالفعل.. بدأ العمل وقضى السنوات السبع الأخيرة من حياته المباركة في تأليف هذه الموسوعة وإعدادها.

والى جانبها كَتَب كتاب: زينب الكبرى (عليها السّلام) من المهد الى اللَّحد.

وموسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) موسوعة واسعة جداً، ويُقدَّر أنْ تبلغ ستين مجلَّداً، وقد صدرت منها ـ حتى الآن ـ مايقارب الثلاثين مجلَّداً، وسوف تصدر المجلَّدات الأُخرى تباعاً إنْ شاء الله تعالى.

وهذا الكتاب هو خلاصة منتَخَبة من الأجزاء الثلاثة الاولى من موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) مع تنقيحات واضافات كثيرة.. وخاصة مايتعلّق بوفاته (عليه السّلام) حيث لم يُطبع من قبل.

ويتحدث هذا الكتاب عن حياة الامام الصادق (عليه السّلام) وسيرته الطيِّبة ومكارم اخلاقه ومعجزاته وعلومه وإمامته وظروفه وحكّام زمانه والظروف الصعبة التي مرَّ بها (عليه السّلام) في حكومة الطغاة الغاصبين.. وغيرها من الامور التي لايستغني عنها كلُّ من أراد التعرُّف على هذا الامام العظيم وحياته المباركة.

وقد جاء هذا الكتاب ليسُدَّ الفراغ المتعلِّق بالامام الصادق (عليه السّلام) في سلسلة: من المهد إلى اللَّحد.

واسأل الله تعالى أنْ يتغمَّد السيد الوالد المؤلّف برحمته الواسعة وأن يتفضَّل عليه بالمزيد من الدرجات ببركة مؤلَّفاته النافعة وكُتُبه القيِّمة.. إنه ذو الفضل العظيم.

كَتَبه وَلدُه:

محمد ابراهيم الموحِّد القزويني

في ٢٠/٤/١٤٢٨هـ

المقدَّمة

كان البشر ـ قبل الاسلام ـ يعيش في متاهات الجهل والبؤس ، والانحراف والشذوذ الفكري والعقائدي، والتجرّد عن العاطفة البشرية واصول الإنسانية وغيرها .

قال اللّه تعالى: ﴿واذكروا نعمةَ اللّه عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّفَ بينَ قلوبكم فأصبحتُم بنعمتِه إخواناً وكنتم على شَفَا حُفرة من النار فأنقذكم منها﴾[1] .

ومن الناحية الأخلاقية قال تعالى عنهم:

﴿واذا بُشّر أحدُهم بالأُنثى ظَلَّ وجهه مُسوداً وهو كظيم * يَتوارى من القوم من سُوءَ مابُشِّر به أيُمسكُه على هُونٍ أم يدسُّه في التراب ألا سَاءَ ما يحكمون﴾[2] .

﴿واذا الموؤدة سُئلتْ * بأيّ ذنب قُتلت﴾[3] .

﴿واذكُروا إذْ أنتم قليلٌ مُستضعَفون في الأرض تخافون أن يتخطَّفكُم الناس﴾[4] .

١ـ سورة آل عمران آية١٠٣ .

٢ـ سورة النحل آية ٥٨ و ٥٩ .

٣ـ سورة التكوير آية ٨ و٩ .

٤ـ سورة الأنفال آية ٢٦ .

وقال الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) : «وأهل الأرض - يومئذ - مِلَلٌ متفرّقة وأهواء منتشرة، وطرائق متشتّتة، بين مُشبِّهٍ لِله في خَلقه، أو مُلحدٍ في اسمه، أو مُشيرٍ الى غيره. . .»[١].

وقال (سلام الله عليه): «أرسَله على حين فترة من الرُسل[٢]، وطُولِ هَجعةٍ من الأمم، واعتزامٍ من الفِتن وانتشارٍ من الامور، وتَلَظٍّ من الحروب[٣]، والدنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرارٍ من ورقها، وإياسٍ من ثَمَرها، واغورار من مائها[٤]، قد دَرَسَتْ منار الهدى[٥]، وظهرت أعلام الرّدى، فهي مُتَجهِّمةٌ لأهلها[٦]، عابسة في وجه طالبها، ثمرُها الفتنة[٧]، وطعامها الجيفة[٨] وشعارها الخوف[٩]، ودثارها السيف[١٠]. . .»[١١].

١ـ نهج البلاغة/الخطبة الأولى.

٢ـ الفترة: مابين كل رسولين من رُسُل اللّه (عزّوجلّ) من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة (أقرب الموارد).

٣ـ تلظّ: تلهُب (أقرب الموارد).

٤ـ غار الماء: ذهب في الارض (مجمع البحرين).

٥ـ المنار: علم الطريق (مجمع البحرين). أي انطمست وذهبت أعلام الهداية والحق، وظهرت اعلام الضلال والباطل.

٦ـ تجهَّمه: استقبله بوجه كريه. (أقرب الموارد).

٧ـ اي ليست لها نتيجة سوى الفتنة.

٨ـ إشارة الى أنّ أكل العرب. . كان الميتة من شدّة الإضطرار.

٩ـ الشعار: ماتحت الدثار من اللباس وهو مايلي شعر الجسد (مجمع البحرين).

١٠ـ الدثار: الذي هو فوق الشعار. (مجمع البحرين).

١١ـ نهج البلاغة/الخطبة ٨٩.

وقال (عليه السّلام) أيضاً: «إن اللّه بَعَثَ محمداً (صلى اللّه عليه وآله) نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وانتم ـ معشر العرب ـ على شرِّ دينٍ، وفي شرِّ دار، مُنيخون[١] بين حجارة خُشْنٍ وحيّات صُم[٢]، تشربون الكَدَر، وتأكلون الجَشب[٣]، وتَسفكون دماءكم، وتقطَعون ارحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة[٤]...»[٥].

وقالت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) ـ في خطبتها وحديثها عن العهد الجاهلي ـ:

«فرأى [النبي] الأمم فِرَقاً في أديانها، عُكَّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، مُنكِرة لِله مع عرفانها... وكنتم على شفا حُفرة من النار، مُذقةَ الشارب، ونُهزة الطامع، وقَبْسَة العَجْلان ومَوطىء الأقدام، تَشْربون الطَرَق، وتَقتاتُون القدَّ والورق، أذلَّةً خاسئين تخافون أن يتخطَّفكم الناس من حولكم...»[٦].

ولمّا بعث اللّه نبيّه محمداً (صلى اللّه عليه وآله) ودعا الناس الى اللّه كان جزاؤه من ذلك المجتمع أن قالوا له: «تبّاً لك! شاعر! ساحر! مجنون! كذّاب، كاهن».

﴿قالوا إنما أنت مُفترٍ﴾[٧].

١ـ أناخ فلان بالمكان: أقام به (أقرب الموارد).

٢ـ الحيّات الصُمّ التي لاتنزجر بالاصوات وكأنها لاتسمع، وهي اخبثها.

٣ـ الجشب: الطعام الغليظ الخشن والذي ليس معه ادام (مجمع البحرين).

٤ـ عَصَب الشيء: شدَّه (أقرب الموارد) ومعصوبة: أي مشدودة.

٥ـ نهج البلاغة/الخطبة ٢٦.

٦ـ بحار الانوار: ج٤٣.

٧ـ سورة النحل آية١٠١.

﴿إن تتَّبعون إلاّ رجلاً مسحوراً﴾[١] .

﴿هل هذا إلاّ بَشرٌ مثلكم أفتأتون السِّحر وانتم تُبصرون﴾[٢] .

﴿بل قالوا أضغاثُ أحلام بل افتراهُ بل هو شاعر﴾[٣] .

﴿ويقولون أءنّا لَتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾[٤] .

﴿ام يقولون شاعرٌ نتربَّص به رَيبَ المنون﴾[٥] .

﴿وقالوا ما هذا إلاّ إفكٌ مُفترى وقالَ الذين كفروا لِلحقِّ لمّا جاءهم إنْ هذا إلاّ سِحْرٌ مبين﴾[٦] .

﴿وقال الكافرون هذا ساحرٌ كذّاب﴾[٧] .

﴿ءألقي عليه الذكر من بيننا بل هو كذّاب أشِر﴾[٨] .

﴿وقالوا يا أيُّها الذي نُزِّل عليه الذِّكرُ إنك لمجنون﴾[٩] .

وحاربوا رسولَ اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلَّم) محاربة عَلَنية يوم كان في مكّة، ورموه بالحجارة، وكتبوا الصحيفة القاطعة ضدّ بني هاشم، واضطرّ سيّدُنا أبو طالب (عليه السّلام) الى أن ينقل عائلته مع النبي وعائلته إلى الشِّعب ـ وهو أرض في طريق الجبل ـ وقضَوا هناك ثلاث سنين في جوّ

١ـ سورة الإسراء آية ٤٧ .

٢ـ سورة الأنبياء آية٣ .

٣ـ سورة الأنبياء آية٥ .

٤ـ سورة الصافات آية ٣٦ .

٥ـ سورة الطور آية ٣٠ .

٦ـ سورة سبأ آية ٤٣ .

٧ـ سورة (ص) آية ٤ .

٨ـ سورة القمر آية٢٥ .

٩ـ سورة الحجر آية ٦ .

من الارهاب وأزمة الموادّ الغذائية، يتوقّعون هجوم العدوّ عليهم ليلاً ونهاراً.

وفي خلال ثلاث عشرة سنة آمن به من أهل مكّة عددُ لايتجاوز مائة وخمسين إنساناً، وكانوا يعانون من الضرب وانواع التعذيب الوحشي من المشركين حتى مات بعضهم تحت التعذيب.

وبعد ذلك إتّفقت كلمة المشركين وأجمعوا على قتل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فخرج من مكّة إلى الغار بعد أن أبات خليفته الامام علياً (عليه السّلام) على فراشه، ومنه هاجر إلى المدينة، وعاش في المدينة المنوّرة عشر سنوات، تتخلّلها حروب وغزوات، من غزوة بدر إلى أُحد، إلى الأحزاب الى حنين الى خيبر، إلى مؤتة، إلى تبوك وغيرها.

فهناك الضحايا والأرامل والأيتام، والآهات والدموع والمصائب.

وفي خلال ثلاث وعشرين سنة انتشر الاسلام، فأسلم مَن أسلم، وآمن مَن آمن، حتى وصل الأمر إلى: ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين اللّه أفواجا﴾[١].

وفي خلال هذه الفترة ـ وهي من المبعث الى الهجرة، الى الوفاة والشهادة ـ كانت حياة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كلّها مشاكل ومآسي، حتى قال: «ماأُوذي نبيّ مثل ما أُوذيت»[٢].

ونزلت الآيات تخبر بوفاة النبي (صلى اللّه عليه وآله) وإنقلاب الأمور بعده:

١ـ سورة النصر آية ٢.

٢ـ بحار الأنوار: ج٣٩ ص٥٦.

﴿إنك ميّتٌ وإنهم ميّتون﴾[١].

﴿وما محمّد إلاّ رسولٌ قد خَلَتْ مِن قبله الرُسل أفإن ماتَ أو قُتل انقلبتم على أعقابكم﴾[٢].

وكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يخبر عن مستقبل أُمّته فيقول: «... وستفترق أُمّتي من بعدي على ثلاث وسبعين فرقةً، فرقةٌ في الجنة والباقون في النار»[٣].

ويُخبر عن موقف بعض أصحابه في يوم القيامة[٤].

ثم إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) خاتم النبيين فلانبيَّ بعده الى يوم القيامة، وشريعته آخر الشرائع فلاشريعة بعدها، والقرآن آخر الكتب السّماويّة، فلاكتاب بعده.

إذن، فلابُدَّ وأن تكون شريعته مُكمِّلة لجميع الشرائع، وأن يبيّن الرسول لامَّته كلَّ ما يحتاجون إليه من الأحكام الشرعية ـ من الواجبات والمحرّمات وغيرهما ـ ويوضِّح لهم كلَّ ما أُشكل عليهم من المسائل العقائدية سواءً في التوحيد أم النبوّة أم المعاد أم غير ذلك.

فهل ساعدته الظروف على ذلك؟

وهل أمهله الأجل لأداء هذا الواجب الإلهي كما ينبغي؟

إنّ كُتُب الحديث تشهد أن كثيراً من الصحابة كانوا يجهلون الأحكام الشرعية التي يكثر الإبتلاء بها والحاجة إليها، فهل أهمل النبي بيان تلك الأحكام؟

١ـ سورة الزمر آية٣٠.

٢ـ سورة آل عمران آية١٤٤.

٣ و٤ـ سنذكر مصادر هذين الحديثين في المستقبل القريب.

أم بيّنها لأُمّته فنسوها؟

في الاجابة على هذا السؤال نقول: كلاّ، لم يقصِّر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في تبليغ الأحكام الاسلامية طرفة عين، ولكنّ الأحكام الاسلاميّة لم تكن آحاداً أو عشرات أو مئات أو ألوفاً، بل أكثر وأكثر.

إننا نجد أن الشريعة الاسلامية ـ التي تنحصر في العقائد والأحكام ـ تحتاج إلى عشرات الآلاف من الأحاديث، لكثرة أبواب الفقه، وتعدّد فروعها.

فكيف يمكن للرسول (صلى اللّه عليه وآله) ـ في تلك المدّة القصيرة من هجرته إلى وفاته ـ أن ينشر هذه التعاليم والأحكام في مجتمع تغلب عليه الأُمّيّة، ونسبة الذين يعرفون الكتابة فيهم ضئيلة جدّاً؟

فهل كان من الممكن لهم ضبط تلك الأحاديث والأحكام؟

وهل يمكن الإعتماد على القوّة الحافظة والذاكرة في هذه الامور العظيمة مع إحتمال السهو والنسيان، والزيادة والنقصان؟!

وبعد هذا كلّه: هل يجوز لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ـ وهو أعقل أهل العالم، وأكثرهم حكمةً وحنكة ـ أن يترك أُمّته بلاوالٍ ولاراعٍ ولاإمام، وبِلا خليفة يقوم مقامه، وقائدٍ يليق بالقيادة قد توفّرت فيه جميع المؤهّلات، ولوازم القيادة؟!!

أما كان الشرع والعقل والتاريخ يعاتب النبي الأقدس لو لم يعيّن مِن بعده مَن يقوم بأمور المسلمين؟!!

أيها القارئ الكريم: إنّ الإجابة على هذه الأسئلة تتطلّب تأليف مجلّدات عديدة من الكتب لاستيعاب البحث والتحقيق.

وقد قام علماؤنا (رضوان اللّه عليهم) ـ خلال القرون الماضية الى

يومنا هذا ـ بأداء هذه المسؤولية، وألّفوا تآليف كثيرة قيّمة بشتّى اللّغات، ومختلَف المستويات، وبذلوا جهوداً عظيمة في استقراء المصادر التاريخية، وجمع الموادّ، وتنظيم الأدلّة والشواهد، بحيث ما ترك الأول للآخر[١].

ونحن ـ هنا ـ رعاية للإختصار نشير إلى بعض تلك الأدلّة والبراهين بصورة موجزة.. فنقول:

آية الإنذار

قد يصعب استيعاب أقوال المفسّرين والمحدّثين والمؤرّخين الذين ذكروا هذه الواقعة لكثرة أسانيدها، وتَواتُر طُرقها.

وإليك الواقعة:

لّما نزلت آية: ﴿وانذِر عشيرتك الأقربين﴾[٢] في مبدأ الدعوة الإسلامية، وقبل إنتشار الاسلام في مكّة، دعا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) عشيرته إلى دار عمّه أبي طالب، وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلا أو ينقصون، وفيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب، وفي آخر ذلك الإجتماع قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): «يابني عبدالمطلب! إني ـ واللّه ـ ما أعلم شابّاً في العرب، جاء قومَه بأفضل ممّا جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة؛ وقد أمرني اللّه أن أدعوكم إليه، فأيُّكم يؤازرني على أمري هذا؟

فقال عليّ (وكان أحدثَهم سنّاً): «أنا، يانبي اللّه! أكون وزيرك

١ـ وعلى سبيل المثال راجع الجزء الأول من موسوعة الغدير لشيخنا العلاّمة الاميني (رضوان اللّه عليه).

٢ـ سورة الشعراء آية ٢١٤.

عليه».

فـأخـذ رسـول اللّه بِرَقَبَة عـليّ وقـال: «إن هذا أخي، ووصـيّي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا».

فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيع[1].

النُّصوص على خلفاء الرسول

وبعد الهجرة الى المدينة كان الرسول الأقدس (صلى اللّه عليه وآله) ينتهز كلَّ فرصة لينصَّ على خلفائه من بعده، وخاصّة الامام علي بن أبي طالب (عليه السّلام).

فالنصوص الواردة عن الرسول حول الخلافة قد تجاوزت حدود التواتر، هذا عدا ما ضيَّعته السياسات الحاكمة، أو حرَّفته الأيدي الأثيمة، أو فسَّرته القلوب المريضة.

وتلك النصوص بعضها مُجملة، وبعضها مُفصَّلة، وبعضها خاصّة، وبعضها عامّة، ونذكر ـ هنا ـ بعض تلك النصوص:

١ـ «الأئمة بعدي إثنا عشر كلّهم من قريش»[2].

٢ـ «بعدي إثنا عشر خليفة كلّهم من بني هاشم»[3].

٣ـ «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتي»[4].

١ـ راجع كتاب الغدير: ج١.

٢ـ بحار الانوار: ج٣٦ ص٣٢٢.

٣ـ ينابيع المودّة: ص٣٥٨ وص٤٤٥.

٤ـ بحار الانوار: ج٣٦ ص٣٣١.

٤ـ «من كنت مولاه فعليّ مولاه»[1] .

٥ـ «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لانبيّ بعدي»[2] .

٦ـ « . . . إنّ وصيّي والخليفة من بعدي: علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي: الحسن والحسين، تتلوه تسعة من صُلب الحسين أئمة أبرار . . . إذا مضى الحسين فابنه: علي، فاذا مضى علي فابنه: محمد، فاذا مضى محمد فابنُه: جعفر، فاذا مضى جعفر فابنه: موسى، فاذا مضى موسى فابنه: علي، فاذا مضى علي فابنه: محمد، فاذا مضى محمد فابنه: علي، فاذا مضى علي فابنه: الحسن فاذا مضى الحسن فبعده ابنه الحجّة بن الحسن بن علي . . »[3] .

وملخّص القول: أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) عيَّن عليّاً إماماً وخليفةً ووصيّاً ووليّاً للمؤمنين من بعده، ونصَّ على إمامة الأئمة الأحد عشر من وُلده، وخلافتهم ووصايتهم وولايتهم، كما وقد نصَّ كلُّ واحدٍ منهم على الذي بعده، أو على كلِّ مَن يأتي بعده .

الانقلاب على الأعقاب

ولاتسأل عمّا جرى بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) من انقلاب الامور، فانّ الإمام علياً كان مشغولاً بتغسيل رسول اللّه، وإذا بجماعة يجتمعون في مكان في المدينة يقال له: سقيفة بني ساعدة، وبعد محاورات

١ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص١٠٨ باب أخبار الغدير .

٢ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص٢٥٥ باب أخبار المنزلة .

٣ـ بحار الأنوار: ج٣٦ ص٢٨٤ .

ومحاولات مُريبة نَصبوا أبا بكر خليفة وبايعوه، وكانت بيعته فلتة ـ كما قال عمر بن الخطاب ـ[1]، ودامت حكومته سنتين وشهوراً، وعقد ابو بكر الخلافة من بعده لعمر بن الخطاب، وكانت أيام حكمه عشر سنوات وشهوراً ثم جعلها عمر شورى ـ حسب التفاصيل المذكورة في كتب التاريخ ـ فصار عثمان خليفة.

وقام معه بنو أبيه يخضمون مال اللّه خَضْم الإبل نبتةَ الربيع، وصدرتْ منه أعمال منافية لصميم الإسلام، من التلاعب بأموال المسلمين، وتسفير أجلاّء الصحابة، وضَرْبهم وشتمهم وتسليط الفُسّاق على رقاب المسلمين، والإستهانة بالمقدسات الاسلامية، وغير ذلك ـ ممّا هو مذكور في محلِّه ـ .

وثار المسلمون ضدّ عثمان، وسخطوا عليه، وكانت عائشة وطلحة وغيرهما في طليعة المحرِّضين على قتل عثمان، وكانت عائشة تشبِّه عثمان برجل يهودي اسمه: نَعثل، فتقول: اقتلوا نعثلاً قَتَله اللّه.

الى أن قُتل عثمان، وكانت ايام حكومته اثني عشرة سنة وشهوراً.

وفي خلال خمسة وعشرين سنة ـ وهي أيام حكومة هؤلاء الثلاثة ـ كان خليفة رسول الله الشرعي: الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) مسلوب الامكانيّات، ممنوعاً من التصرُّف في شؤون الاسلام والمسلمين.

عودة السلطة الى صاحبها الشرعي

وبعد مقتل عثمان.. اجتمع المسلمون والحُّوا واصرّوا على الامام عليّ (عليه السّلام) للموافقة على تولّي السلطة واستلام زمام المسلمين،

١ـ بحار الأنوار: ج٣٠ ص٤٤٣.

ولكن الامام كان يعلم ان وراء هذه البيعة ماوراءها، من الفتن والمحن والمآسي والمشاكل، بسبب تصرّفات مَن سَبَقه من الحكّام، ولهذا رفض السلطة قائلاً: «دعوني والتمسوا غيري».

ولكنّ المسلمين ازدحموا عليه ووضعوه أمام المسؤولية الشرعيَّة، فوافَق ـ في النهاية ـ على قبول السلطة وتسلُّم مهامّ القيادة الاسلاميّة. .
وقال ـ في الخطبة الشقشقيَّة ـ :

«أما والذي فَلَق الحبَّة وبَرأ النَسَمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر وَما اَخذ الله على العلماء ان لايقارّوا على كِظة ظالم ولاسَغب مظلوم لألقيتُ حَبلها على غاربها ولسقيتُ آخرها بكأس أوَّلها، ولألفيتم دنياكم هذه ازهدَ عندي من عَفطة عنز»[١].

وأخيراً. . بايعَه المسلمون في جَوٍّ من الحريّة والديمقراطيّة الكاملة، دون عُنفٍ أو إكراه أو إجبار، أو تهديدٍ بالإحراق بالنار. !!!

الناكثون والقاسطون والمارقون

ولم يمض شهرٌ من البيعة حتى ثارت عائشة ـ ومعها طلحة والزبير وعبدالله بن الزبير، ونظراؤهم ـ ضدّ الإمام، وذهبوا الى البصرة يطالبون بدم عثمان ـ مع العلم أن عثمان قُتِل في المدينة لافي البصرة، وبينهما مسافة طويلة ـ و نكثوا البيعة وخرجوا من طاعة الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام).

وسار الإمام من المدينة المنوّرة الى البصرة ليمنعهم من الفساد والإفساد، وبذل (عليه السّلام) محاولات وجهوداً كثيرة كي لاتقع الحرب،

١ـ نهج البلاغة / الخطبة الشقشقيَّة.

ولكنَّ العصابة كانت مُصِرَّة على القتال، فاشتعلت نار الحرب أوّل الظُهر، وخمدت قبل المغرب بانتصار الامام وعلى الأرض خمسة وعشرون ألف قتيل من الطَرفين!!

وانقضت فترة قصيرة، وقامت الفئة الباغية وعلى رأسها معاوية بن آكلة الأكباد ضدّ الإمام (عليه السّلام) واقامت المجزرة الكبرى في منطقة صِفّين وكانت ضحاياها تسعين ألف قتيل أو أكثر!!

ثم أعقبتها واقعة النهروان، وقُتل فيها أربعة آلاف!!

وأخيراً قتلوا الامامَ علياً أمير المؤمنين (عليه السّلام) في محراب مسجد الكوفة وهو في حال الصلاة.

مؤامرات الظالمين ضد الأئمة الطاهرين

وكما تقدّم الكلام: لقد نصَّ الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله) على إمامة سبطيه: الامام الحسن والامام الحسين (عليهما السّلام).

ولكن معاوية ـ الذي حارب الامام علياً ـ حارب الامام الحسن أيضاً.

وتخاذل بعض أصحاب الامام الحسن عنه، فاضطرَّ إلى إيقاف القتال والموافقة على الهدنة حقناً لدماء من بقي من أصحابه وأهل بيته.

وعاش الامام الحسن (عليه السّلام) في جوٍّ من الإضطهاد والضغط حتّى دسَّ معاوية اليه السُّم، ومضى (عليه السّلام) مسموماً مظلوماً.

وعاش الامام الحسين (عليه السّلام) بعد أخيه عشر سنوات ـ وهي البقيّة من سنوات حكم معاوية ـ حتى مات معاوية واستولى إبنه يزيد على منصّة الحكم.

واستنكف المسلمون أن يدخلوا تحت قيادة رجلٍ متجاهر بالفجور،

وأن يعترفوا بخلافة رجل قضى حياته بين كؤوس الخمور، واللِّعب بالقمار والكلاب والقِرَدة، ومَن كان يحمل عقيدة الإلحاد والزندقة.

فطلب أهل الكوفة من الامام الحسين (عليه السّلام) أن يتوجّه الى العراق لينقذهم من ذلك النظام الفاسد، ووعدوه بأنْ ينصروه، فلمّا لبّى طلبهم، وقصد بلادهم إنقلبوا ضدّه، وكانت تلك الفاجعة العظمى المروّعة التي لاتبرد حرارتها الى يوم يُبعثون وحُرقتها لاتفارق القلوب.

وكانت الحكومة الامويّة في تلك السنوات في أوج قُدرتها، وقمّة شموخها، ولم يستطع أئمة أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) أن يمارسوا أعمالهم القيادية في تلك العصور السوداء.

فالامام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السّلام) ـ الذي هو الامام الرابع المنصوص عليه بالإمامة من جدّه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ـ لم يستطع أن يُعلن خلافته وإمامته، خوفاً من تكرار فاجعة كربلاء، ولم يؤمن بإمامته إلاّ عددٌ قليل.

وفارق الامام زين العابدين الحياة، وقام إبنه الامام محمد الباقر (عليه السّلام) بأعباء الإمامة، واستطاع أن ينشر شيئاً من الأحكام الشرعيَّة في مجتمعه، لأنّ الظروف كانت قد تبدّلت نسبِيّاً.

وفارق الامام الباقر (عليه السّلام) الحياة، ونهض إبنه الامام جعفر الصادق (عليه السّلام) بمسؤوليّة الامامة.

وهذا الكتاب يدور حول هذه الشخصية الالهيّة.

وأسأل اللّه تعالى أن يتفضَّل عليَّ بالتوفيق للقيام ببعض الواجب وأداء بعض المسؤوليَّة. . وأن يُسدِّدني للصواب بمنِّه وكرمه. إنه وليُّ التوفيق وهو حسبُنا ونعم الوكيل.

الهدف من تأليف الكتاب

دواعي كثيرة، وأهداف عديدة كانت وراء تأليف هذا الكتاب.

منها: نشر الشريعة الاسلامية، خدمة للدين، وتقرّباً الى اللّه تعالى.

ومنها: نفض الغبار، ورفع الستار عن بعض جوانب شخصية الإمام الصادق (عليه السّلام) وعرض بعض عطائه العلمي والديني للملأ الإسلامي، وانجازاته المقدسة في سبيل نشر المعارف، وتهذيب النفوس، وتطهير القلوب، وايجاد الوعي فيمن يقبل كلامه من المسلمين.

ومنها: جلب إنتباه الطائفة الشيعيَّة للتعرّف على عظمة إمام من أئمّتهم الطاهرين، الذي لم تساعده الظروف لنشر علومه وبثّ معارفه سوى فترة قصيرة من حياته المباركة، لم تتأتّ هذه الفرصة لغيره من الأئمة (عليهم السّلام) فكان هذا العطاء.

وكلُّ محتويات هذا الكتاب هو بعض ماورد حول شخصيته العظيمة، ووَعَته القلوب، وتناقَلَته الألسُن والأقلام، وحدَّث به المحدِّثون، وسجّلته الكتب والمصنفات.

ومن القطع واليقين انّ الذي فاتنا من تلك الآثار أكثر وأكثر بكثير من

هذا الموجود، فان أصحاب الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) ألّفوا آلاف الكتب في خلال مُعاصَرتهم للأئمة، ولكن لم يبق منها إلاّ واحد بالمائة، والبقية تلفت.

فكيف لو كانت الإمكانات تحت تصرّف الإمام الصادق (عليه السّلام) وكانت الظروف مؤاتية، والموانع مرتفعة وكانت تلك الكتب المصنّفة موجودة؟

إذن، لملأ العالَم الاسلامي بالحقائق والعلوم الدينية والمعارف الاسلامية والقيم الاخلاقية، وكانت ثروة فكريَّة علميَّة وكنوز ثقافية لايمكن تثمينها ولاتقييمها.

وإذن لكان العالَم ـ اليوم ـ غير ما هو عليه ـ الآن ـ مائة بالمائة، وكانت الحياة على خلاف حياتنا اليوم من جميع النواحي والحيثيّات.

وإنما خصَّصتُ الطائفة الشيعية بالذّكر دون غيرها، لأن بقية المذاهب لم ولن يتّفقوا معنا في بعض معتقداتنا، ولعلّ بعضهم لايُعجبه وجودنا في هذا الكون!

فمنذ اربعة عشر قرناً والهجمات تتوالى على الشيعة والتشيّع من الحكومات والشعوب بالسيوف والأقلام.

ومنذ اربعة عشر قرناً والشيعة تقدّم ضحايا بالنفوس والأموال.

وفي خلال هذه القرون أُريقت أطنان الدماء، وزَهَقت ملايين النفوس، وهُتكت آلاف الأعراض، وشُرِّدت مئات الآلاف من العوائل، تُرافقها الآهات والدموع، والارامل والأيتام.

وأمّا أموالهم ـ المنقولة وغير المنقولة ـ التي سُلبت ونُهبت، وصُودرت وسُرِقت، أو هُدِّمت ودُمِّرت فلايعلم عددها وقيمتها إلاّ اللّه تعالى.

ومن المستحيل إحصاءُ تلك الفجائع والجرائم، بسبب تباعد الزمان، ووقوعها في مقاطع عديدة من الدهر.

ومنذ أربعة عشر قرناً والشيعة تدافع عن معتقداتها بالمنطق السليم، والحجّة الواضحة والبرهان القاطع، ولكن أين الأُذُن الواعية؟!! واين الضمائر الحُرّة؟ وأين مَن يستمع الى نداء ضميره ووجدانه؟!

وفي خلال هذه القرون يعلم اللّه تعالى كم كُتِبَ وأُلِّفَ من مجلّدات الكتب، والمصنفات العديدة ـ بشتّى اللغات ـ ضدّ الشيعة والتشيّع، سوى المحاضرات والخطب التي أُلقيتْ في صلوات الجمعة وغيرها، وكلُّها كذب وتُهَم بلاحساب.

وبعض تلك الكتب لم تكتفِ بالإساءة الى هذه الطائفة المضطَهَدة فقط، بل وحتى أئمة أهل البيت ـ آل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) من أوّلهم الى آخرهم ـ لم تسلم ساحاتهم من تلك الأقلام التائهة.

لقد انقضى قرنان ونصف من يوم وفاة رسوَل اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الى يومِ وفاة الامام الحادي عشر من أئمة أهل البيت: الامام الحسن العسكري (عليه السّلام) والأمويّون والعباسيّون كانوا يبذلون كلَّ ما يملكون من جهود وطاقات ضدَّ الأئمة المعصومين (عليهم السّلام) وضدَّ من ينتمي إليهم بِنَسَبٍ أو عقيدة.

بدءً من السقيفة وتوابعها ومضاعفاتها.. الى الإضطرابات الداخلية والحروب الطاحنة التي أجَّجها المناوئون ضد خليفة رسول اللّه: الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام)..، الى المجازر التي قام بها الأمويُّون، والمذابح التي أقامها العباسيّون ولطّخوا بها صفحات التاريخ.. والى يومك هذا.

وهذا يعكس مَدى المعاناة، وقسوة الحكم، وزيغ الحكّام و...

ولم يمت أحد من الأئمة الطاهرين حتف أنفه، وانما قُتلوا بالسيف أو السُّمّ.

سوى ما كانوا يعانونه من الإهانة والسبّ والشتم، وتشويه السمعة، والمسّ بكراماتهم، والحطّ من درجاتهم، واستعمال الضغط والكبت عليهم في حدود الإمكان.

وفي هذا القرن ـ بالذّات ـ تضاعفت تلك الكتب المعادية، وأكثرها تستقي من كُتُب الأوائل، وكلٌّ واحدٍ ـ من اولئك الكُتّاب ـ كالغريق يتشبّث بكلّ حشيش، واحتجاجاتهم واستدلالاتهم كلّها مغالطة وتهريج أو إدّعاءات باطلة، منبعثة عن الأهواء يتجلّى فيها إحقاق الباطل، وإبطال الحق.

مع العلم أن تلك الشبهات التي يحتجّون بها قد أجاب عنها علماء الشيعة منذ قرون، وزيّفوها بأقوى دليلٍ مقبول عند الطرفين، ولكن القوم لهم آذان لايسمعون بها، وأعينُ لايبصرون بها، وقلوب لايفقهون بها ﴿وجَحدوا بها واستيقنتْها أنفسُهم﴾.

وحينما نريد أن ندافع عن أنفسنا بتزييف تلك الشبهات، أو الإجابة على تلك الانتقادات نُواجه جماعة تطلب منّا السكوت وضبط النفس!! رعاية للوحدة والإتحاد!!

ويعتبرون دفاعنا ـ عن مذهبنا ـ نعرات طائفية، ونشاطات رجعيّة!

الوحدة التي لم تتحقق منذ اربعة عشر قرناً يريد هؤلاء تحقيقها!!

وأنّى لهم! وكيف؟!

والمضحك المبكي أنهم يطلبون من الشيعة ـ فقط ـ المحافظة على الوحدة المفقودة، وأمّا غير الشيعة فلهم حريّة القلم وحرية الكلام، والحريّة

لجميع التصرّفات، وليسوا مأمورين بالمحافظة على الوحدة!!

وبين كل فترة وأُخرى تقوم جهات حكوميَّة وغيرها بطبع أو تجديد تلك الكتب المسمومة بكمّيّات هائلة، وترجمتها الى شتّى اللغات، وتوزيعها بصورة مجانيّة.

ولايُسمح للكتب الشيعيَّة أن تُطبع أو تُنشر، أو تدخل في بعض البلاد، وفي نفس الوقت يُسمح للكتب الفاسدة ـ أمثال الكتب الشيوعية أو الوجودية أو النشرات المسيحية المضادّة للإسلام والمسلمين ـ أن تدخل البلاد الاسلامية.

وفي بعض البلاد الاسلامية يُسمح ببناء الكنائس، ولايُسمح ببناء المساجد للشيعة.

ومن المؤسف أن بعض الشيعة تُسلب منهم غيرة الدين وحميّة المذهب، وشرف الإستقلال، وفضيلة الأصالة، ويذوبون في أجواء السياسة، ويثبتون عدم إلتزامهم بالمبدأ، واللامبالاة بالمعتقدات والمقدّسات.

هؤلاء ـ واللّه ـ أضرُ على الطائفة الشيعية من كل فرقة وجماعة.

وبعض الجماعات الشيعية والحزبيّة ـ المجهولة الاتجاه ـ قد أثبتوا إنسلاخهم عن المذهب، وتجرّدهم عن القيم، وعدم احتوائهم للشخصية، وكأنهم شعب بلاقائد ولاقيادة، ولاأُسُس دينية، ولامبادىء مذهبية.

ومنذ عشرات السنين ونحن نعيش أفكارهم وآراءهم واتجاهاتهم.

فَهُم يتذرَّعون باسم الدين لضرب الدين، ويخدعون الشُّبّان البسطاء بِدعاياتهم الشيطانية، ويُوقعونهم في الفخّ، وسرعان ما تنكشف الحقيقة لبعض اولئك السّذّج، فيتخلّصون من تلك الألعاب، ويهربون من ذلك الجحيم، ويتَّضح لهم أن هناك مصالح شخصية، ونوايا خلْف الستار،

والباطن يخالف الظاهر مائة بالمائة. فلاتقوى ولاورع ولادين ولاعقيدة، وانّما اتجاهات مشبوهة.

فالمنكرات المنتشرة في البلاد ـ من الخمور إلى السفور إلى القمار إلى الربا إلى الزنا إلى غيرها من المعاصي ـ لامانع منها ولارادع، ولامكافحة ولامحاربة ضدّها.

والشيء الوحيد الذي يجب القضاء عليه عندهم ـ بكلِّ وسيلة ـ هي الشعائر الحسينيّة من المجالس ومواكب العزاء واللطم على الصدور، وزيارة المشاهد المشرّفة، وكلّ ما يتعلق بهذه الامور.

وبعضهم يستسلمون للأباطيل، وينخدعون بالأضاليل بسبب الفراغ العقائدي الموجود عندهم، فتكون النتيجة أنهم يقدّمون أنفسهم كبش الفداء، فداءً لكراسي أسيادهم.

واأسفاه عليهم!! ولاأسف على الإنسان الذي يسلّم زمامه الى الآخرين يُسَيِّرونه كيف شاؤوا، فكأنَّ ذلك المسكين بهيمة لاحول لها ولاقوّة، ولاكرامة، ولاتملك لنفسها نفعاً ولاضرّاً!!

وكأنَّه موجود لايحقّ له أن يُبدي رأيه، أو يحكّم عقله.

وكأنَّه عبد مملوك لايقدر على شيء.

هذا منطق تلك الجماعات الذي رأيناه وسمعناه منذ عشرات السنين.

وقبل أربعين سنة قمتُ ـ في العراق ـ بإصدار نشرة فَصليَّة، وسمّيتها (صوت الشيعة) وذكرت فيها بعض الجوانب الإيجابية للمذهب الشيعي، ولكن ـ مع كلّ الأسف ـ طلبوا منّي أن أغيِّر اسم النشرة من (صوت الشيعة) الى (صوت الاسلام)!!

وكأنّ صوت الشيعة ليس من صوت الاسلام، وكأنَّ مبادىء المذهب

الشيعي تناقض المبادىء الاسلامية!!

قالوا: هذا الاسم حسّاس! يولّد الحسّاسيَّة!!

لاأعلم ما معنى الحسّاس والحسّاسيّة؟!

وما المقصود منهما؟

أليس التشيّع من صميم الاسلام أيّها الشيعة؟

أليس رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) هو غارس بذرة التشيّع؟

أليس هو القائل ـ للامام علي بن أبي طالب (عليه السّلام): «أنت وشيعتك» و«هذا وشيعته» ممّا هو مذكور في محلّه؟

فلماذا لم يُراع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) هذه الحسّاسيّة؟!

ولماذا صدرت منه النعرات الطائفية؟!

ولماذا قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»؟

ولماذا صدرت المئات من الأحاديث عن الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله) في فضائل الامام علي والأئمة من وُلده (عليهم السّلام)؟

فهل يُعتبر ـ هذا الكلام ـ تطرّفاً من الرسول الأقدس؟!

ولماذا لم يُراعِ النبي الأطهر (صلى اللّه عليه وآله) الوحدة؟!

فان كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) طائفيّاً! (حسب مقياسكم) فلماذا لانتأسّى بالرسول، واللّه تعالى يقول: ﴿لقد كان لكم في رسول اللّه أُسوة حسنة﴾[1].

نعم.. أيّها القارئ الكريم.. هذه مآسي وآلام، ومصائب ابتليت بها الشيعة من الداخل والخارج، فكيف يرجى للطائفة الشيعية السيادة

١ـ سورة الاحزاب آية ٢١.

والاستقلال، والمجد والكرامة، وهؤلاء بعض أبنائها؟؟

يقول الشاعر:

قَومـي هُمُ قتلوا أُميـم أخـي   فاذا رميتُ يُصيبني سَهمي

ويقول الآخر:

ولكلّ شيءٍ آفـةٌ مِـن جنسهِ   حتى الحديد سطا عليه المِبْردُ

منهجنا في هذا الكتاب

لقد اخترنا في تأليف هذا الكتاب ـ بعد ذكر المقدمة ـ أن نفتتح كلامنا بحديث الثقلين، ثم نذكر بعض الأحاديث المرويَّة حول امامة الأئمة الإثني عشر إثباتاً لإمامة الامام الصادق (عليه السّلام) المنصوصة (العامة والخاصة)، ثم نتحدَّث عن مولده ووالديه وما يختص به (عليه السّلام) وذكر زوجاته وأولاده وبناته.

ثمّ نتحدَّث عن جوانب من حياة الإمام: العائلية والتربوية، والإقتصادية، والعلمية والإجتماعية، والأخلاقية، وعصره ومذَهبه ومدرسته والمعاجز التي صدرت منه.

ثمّ استلامه مقاليد الإمامة، وقيامه بأعباء القيادة الدينية، وحياته السياسية وموقفه تجاه الحكومتين: الأمويّة والعباسية.

وهكذا موقفه مع الغلاة والزنادقة والمذاهب المعاصرة له، وما هناك من صراعات عقائديَّة، وغيرها.

ونختم الكتاب بذكر شهادته (عليه السّلام) ووفاته مظلوماً صابراً محتسباً مسموماً بأمر المنصور الدوانيقي اللَّعين، ونذكر مدفنه وماجرى على قبره الشريف من الهدم والتخريب بمعاول النواصب الظالمين.

كلمة في البداية

أيها القارىء الحُرّ الذكي!

نحن على أعتاب رحلة طويلة ، دينيَّة ، عقائديَّة ، روحيَّة ، علميَّة ، ثقافيَّة، فقهيَّة ولايخلو طريقنا من شيء من صُعوبة الإدراك ، ووعورة الفكر.

وقبل كلِّ شيء: يجب أن تعلم بأنني لستُ خرافيّاً، ولاساذجاً عارياً عن الفهم، ولاأعتنق ما لايُصدّقه العقل السليم، ولاأركض وراء الترَّهات والأفكار التائهة.

إذن، فلاتحمل كلامي على الغلوّ والمبالغة، ولاتعتبرني شاذّاً في الفكر والعقيدة.

إننا نسير في رحاب شخصية مظلومة، مجهولة القَدر، في ذروة الشرف وقمّة العظمة، ولكنْ لم يسلم شرفه الرفيع من الأذى.

فالرجاء أن تمهلني في هذه المسيرة، ولاتعجل، ولاتحكم عَلَيَّ حُكماً غيابيّاً قبل أن نكمل هذه الرحلة.

هل صادفتَ في حياتك أن وقفتَ على ساحل بحر؟

تنظر الى البحر، فلاتعلم أبعاده ـ طُولاً وعرضاً وعمقاً ـ ولامحتوياته، ولاالكائنات التي تعيش في غمرات مياهه، ولاالعجائب من المخلوقات التي تَسْبح في طبقاته.

فأنت ترى البحر ولاترى باطنه ولاتعرف عن أعماقه شيئاً، وحتى إذا أُتيحت لك غوّاصة فركبتها، ونزلتَ الى كيلومترات تحت الماء، فأنت لاتزال تغوص في جزءٍ صغيرٍ من البحر، فهل تستطيع أن تستوعب البحر كلَّه بما فيه؟!

وهل رأيتَ ـ نفسك ـ يوماً أمام جَبَل شاهق، قد ارتفع فوق السُحُب؟

فهل تعلم ما احتواه ذلك الجبل من المعادن والموادّ، من قمَّته الى تخوم الأرض؟

فاذا قيل لك: إن في هذا الجبل عشرات المعادن، وآلاف الموادّ المتنوِّعة المُودَعة في بطون التراب، فهل تصدّق هذا القول أم تكذّبه؟

فكيف تصدّق وكيف تكذّب؟

من الممكن أن تصدّق هذا القول لأنه ممكن غير مستحيل، وكيف تكذّب شيئاً لاتعلمه؟

فهل الجهل بالشيء يصير سبباً لإنكار الشيء؟

انّ الشخصية ـ الذي يعتبر هذا الكتاب مِرآةً تنعكس عليها نبذة مما يتعلَّق بها من أعمال وصفات، ورُواة وأقوال، وحِكم وأحكام، وحوادث وأحداث ـ من نوادر الدهر، ومن أعاجيب الكون.

فلانبالغ إذا قلنا: بأننا لانجد في تراجم عظماء التاريخ هذه الكميّة من المزايا سوى في عظماء أهل البيت النبوي الطاهر (صلوات اللّه عليهم أجمعين).

ولانحيد عن الواقع اذا اعتبرنا هذه الشخصية أُعجوبة من أعاجيب القدرة الإلهيّة، تلك القدرة التي تجلّت في تطهير نفوس اولياء اللّه، وتزكية أرواحهم وتنزيهها عن الشوائب.

وهل من الممكن أن يبلغ البشر هذه المراتب من الفضائل والكمالات؟!!

وهل يمكن أن تكون روح الإنسان أطهر من ماء السماء، وأصفى من المرآة؟

وهل يمكن للبشر أن يحمل قلباً واسعاً تتلاطم فيه أمواج الصبر والإيمان، والنصيحة وحُبّ الخير للآخرين، ويتفايض علماً وفهماً وحكمة، وينشرح صدره، ولايضيق أمام المكاره والشدائد التي تُشيب النواصي؟

إنه الإمام جعفر الصادق، بن الامام محمد الباقر، بن الامام زين العابدين، بن الامام الحسين السبط، بن الامام علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بنت سيد الأنبياء والمرسلين: محمد (صلى اللّه عليه وعليهم أجمعين).

هذا نَسَبه الأصيل العريق الأطهر الأرفع الأقدس.

ماهي الرابطة بيننا وبين الامام الصادق (عليه السّلام)؟

وقبل أن ندخل في البحث عن ترجمة حياته نقول:

إن الإمام الصادق (عليه السّلام) عالمُ من علماء هذه الأُمّة، وعظيم من عظماء التاريخ، وشخصية لامعة في سماء المعرفة.

فهل ترتبط حياتنا الدينية العقائدية الفقهيَّة بهذا الرجل؟

وهل يجب علينا أن نعترف به؟

وهل هناك حُكم يفرض علينا ويلزمنا ـ شرعاً ـ الاقتداء به؟

و هل يجوز لنا أن نتجاهله ولانقبل أقواله وأحكامه؟

إن العلماء ـ في هذا العالَم ـ كثيرون، والعظماء في التاريخ يصعب استيعابهم ولكنْ لاصلة بيننا وبينهم، ولارابط يربطنا بهم، ولاعلاقة لنا بهم، ولانستفيد من مطالعة تراجمهم سوى الإطلاع على القضايا التاريخية فحسب، وليست أقوالهم وأفعالهم علينا حُجة من اللّه تعالى، ولايجب علينا الخضوع لأحكامهم، وقبول أقوالهم.

فهل الإمام الصادق هكذا؟

للإجابة على هذه الأسئلة نقول:

نحنُ بِصفتنا مسلمين، ومن أُمّة محمد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ونعتقد بالقرآن الكريم بأنّه كتاب سماوي نزل من عند اللّه تعالى على رسوله الأعظم (صلى اللّه عليه وآله) لابُدَّ لنا من إطاعة اوامره والانقياد لأحكامه، والتسليم لأقواله، حتى ولو خالفتْ أحكامه أهواءنا وآراءنا، واتجاهاتنا، ورغباتنا وتعصُّباتنا، وإلاّ فكيف نكون مسلمين مؤمنين؟!!

يقول تعالى: ﴿فلاوربِّك لايؤمنون حتى يحكّموكَ فيما شَجَرَ بينهم، ثم لايجدوا في أنفسهم حَرَجاً ممّا قضَيتَ ويُسلّموا تسليماً﴾[1].

ومعنى الآية ـ واللّه العالم ـ أن اللّه تعالى أقسم بِذاته المقدّسة أن طائفة من الناس لايكونون مؤمنين، ولايدخلون في الإيمان حتى يجعلوك حَكَماً فيما تنازعوا وتخاصَموا، ثم لايجدوا في قلوبهم ضيقاً او شكّاً فيما قلته وحكمت به، ويُسلّموا وينقادوا لحكمك، إذعاناً لك وخضوعاً لأمرك.

١ـ سورة النساء آية٦٥.

وهناك آيات أُخرى تؤكِّد على هذه الحقيقة وهي وجوب طاعة الرسول وأنَّ طاعته طاعة اللّه تعالى.

إقرأ هذه الآيات البيّنات:

﴿مَن يُطع الرسولَ فقد أطاع اللّه﴾[1].

﴿إنّما كانَ قول المؤمنين اذا دُعوا الى اللّه ورسوله ليحكم بينهم أنْ يقولوا سَمعنا وأطعنا﴾[2].

﴿وإنْ تطيعوا اللّه ورسوله لايلِتْكم من أعمالكم شيئاً﴾[3].

﴿قل أطيعوا اللّه واطيعوا الرسولَ، فان تولَّوا فانّما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم وانْ تطيعوه تَهتدوا﴾[4].

﴿ومَن يُطع اللّهَ ورسولَه يُدخلْه جنّات تجري من تحتها الأنهار﴾[5].

﴿ومَن يُطعِ اللّه والرسولَ فأولئك مع الّذينَ أنعمَ اللّه عليهم﴾[6].

﴿ومَن يُطعِ اللّه ورسولَه ويخْشَ اللّه ويَتَّقْه فأولئك هم الفائزون﴾[7].

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضُهم أولياء بعض.... ويُطيعون اللّه ورسولَه أولئك سَيرحَمُهم اللّه﴾[8].

﴿ومَن يطع اللّه ورسولَه فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[9].

١ـ سورة النساء آية٨٠.

٢ـ سورة النور آية٥١.

٣ـ سورة الحجرات آية١٤.

٤ـ سورة النور آية٥٤.

٥ـ سورة النساء آية١٣.

٦ـ سورة النساء آية٦٩.

٧ـ سورة النور آية٥٢.

٨ـ سورة التوبة آية٧١.

٩ـ سورة الأحزاب آية٧١.

﴿قل أطيعوا اللّه والرسول﴾[١] .

﴿وأطيعوا اللّه والرسولَ لعلَّكم تُرحَمون﴾[٢] .

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمر منكم﴾[٣] .

﴿وأطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول واحذروا﴾[٤] .

﴿وأطيعوا اللّه ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا﴾[٥] .

هذه نبذة من الآيات القرآنية التي توجب علينا اطاعة الرسول التي هي إطاعة اللّه تعالى.

والآن نسأل: هل أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أُمَّته أن يأخذوا معالم دينهم ـ سواء في أُصول الدين أم فروعه ـ من أحد من بعده؟

الجواب: نَعم، إنَّ حكمة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فرضتْ عليه أن يبذل كلَّ اهتمامه وجهوده من أجل تأمين الحياة الدينية لأُمَّته، وضمان حفظها من كلّ شذوذ وانحراف.

ومن أُولى سنوات بعثته إلى آخر يوم ـ بل آخر ساعة من حياته ـ كان يركِّز على هذا الموضوع، لأهمّيته القصوى.

كيف لا؟ والنبي أحرص الناس على بقاء الدين الاسلامي وامتداده إلى أن ينقرض البشر، وهو الدين الذي بذل النبي لأجله كلَّ غالٍ ونفيس

١ـ سورة آل عمران آية٣٢.

٢ـ سورة آل عمران آية١٣٢ .

٣ـ سورة النساء آية٥٩ .

٤ـ سورة المائدة آية٩٢ .

٥ـ سورة الأنفال آية٤٦ .

عنده، وتحمَّل كلَّ أذى ومكروه.

والأحـاديث المرويَّة عنه (صلى اللّه عليـه وآله وسلّم) في هذا المجـال كثيرة جداً، قد تجاوزت حدود التواتر.

ونقتطف حديثاً واحـداً من أحاديثه (صلى اللّه عليه وآله) ونتحدّث حـوله لعلّنا نستطيع ـ ان شاء اللّه ـ أن نؤدّي بعض ما يتطلّبه هذا الحـديث الشريف من الشرح والتفصيل.. واليك الحديث:

حديث الثقلين

يُعتبر حديث الثقَلين من أصحّ الأحاديث المرويّة عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأكثرها تواتراً في كُتُب الفريقين، وقد ورد ذكر هذا الحديث في مؤلَّفات أهل السُنّة بكميّة وكيفيّة لانظير لهما، مع إختلاف يسير في كلمات الحديث، مثل قوله (صلى اللّه عليه وآله): «إني تارك» أو: «تركتُ» أو: «إني مُخلِّفٌ» أو: «إني خلَّفتُ» أو في بقيّة كلمات الحديث من الإجمال والتفصيل.. وإليك إحدى نصوص الحديث:

قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلَّم): «إني تاركٌ فيكم الثقَلين: كتاب اللّه وعترتي: أهل بيتي، ما إن تمسَّكتم بِهما لن تضلّوا بعدي أبداً، ألا وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عَلَيَّ الحوض»[1].

١ـ يُعتبر هذا الحديث ـ عند الشيعة ـ من الأحاديث الصحيحة التي لامجال للشكّ فيها، وقد روي هذا الحديث عن ائمة أهل البيت (صلوات اللّه عليهم) في مؤلّفات الشيعة بطرق كثيرة. وأمّا مصادر هذا الحديث من طرق العامَّة ـ سواء في الصحاح أم في كتب الحديث أم اللُّغة أم التفسير وغيرها ـ فكثيرة جداً.

وقد جَمع ماتيسَّر له من تلك المصادر المرحوم البحّاثة العظيم العلاّمة الجليل السيد ميرحامد حسين الهندي (طاب ثراه) في موسوعته: عَبَقات الأنوار، وقد لخَّص تلك المصادر وترجمَها صَديقنا المفضال العلاّمة السيد علي الميلاني في مجلّدين.

لماذا رواة حديث الثقلين قليلون؟!

إن من القطع واليقين أن الذين سمعوا هذا الكلام من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) هم عشرات الآلاف من الصحابة، لأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لم يكتفِ بذكر هذه الكلمات مرّة واحدة في حياته بل ذكرها كرّات ومرّات، وفي مواطن عديدة ومناسبات متعدّدة، كلّما اقتضته الحكمة النبويّة، لأن الموضوع في غاية الأهميّة القصوى، فهو يُعتبر الشريان الحيويَ للإسلام، والقلب النابض ـ الذي لايسكن ـ للشريعة الغرّاء، لأنه مصدر التشريع الاسلامي، والمنبع العذب لأحكام اللّه تعالى وضمان للأُمَّة الاسلامية من كلّ ضلال وانحراف واختلاف الى يوم يبعثون، وامتداد للحقّ المحض الذي لايشوبه باطل أبداً، وإرشاد الى الصراط المستقيم الذي لااعوجاج فيه ولاإنحراف.

بعد هذه المقدّمة الموجزة.. نتساءل: لماذا يُروى هذا الحديث عن نيّف وثلاثين صحابيّا فقط وفقط؟ بينما كان المفروض أن يُروى عن آلاف الصحابة؟!

لماذا تقلَّص هذا العدد، وهَبط من الآلاف الى العشرات؟!!

الإجابة على هذا السؤال تتطلّب منّا الدخول في حديث مُرٍّ المذاق، مُزعج، مؤسف، يملأ القلب قيحاً، ويشحن الصدر غيظاً!

نعم، كان المفروض أن يروي أكثر الصحابة هذا الحديث وعشرات الآلاف من الأحاديث النبويَّة الصحيحة الأخرى، ولكنّ السلطة الحاكمة حكمت على رواة تلك الأحاديث بالسجن والخنق والدفن، والإعدام الجماعي.

وكلُّ ما رُوي من الأحاديث النبويَّة الصحيحة ـ التي تناقَلتْها الألسن والاقلام ـ إنما هي من الأحاديث الهاربة من ذلك الحكم القاسي، أو المتحدِّية للنظام، أو التي ظهرت بعد زوال تلك الموانع وبعد أن مات أكثر حَمَلة أحاديث الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من الصحابة، أو قُتِلوا في الحروب والمغازي، وبعد أن فُقد أكثر المنابع والمصادر.

وإليك شيئاً من التفصيل:

من الواضح الذي لاشكَّ فيه أن الرسول الصادق المصدَّق (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)نوَّه بفضائل أهل بيته المعصومين (عليهم السّلام) وأشاد بمزاياهم وخصائصهم ـ التي لايشاركهم فيها سواهم ـ طيلة نيّف وعشرين سنة.

ويمكن أن نقول: إن بدء هذا الأمر كان من يوم نزول قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ يومَ جمَع النبي (صلى اللّه عليه وآله) بني عبد مناف في وليمة . . . كما تقدّم الكلام عنه.

ومن ذلك اليوم إلى آخر يوم من حياته المباركة كان (صلى اللّه عليه وآله) ينتهز كلَّ فرصة تمرُّ به لذكر فضائل أهل بيته المعصومين، من النصوص على إمامتهم وخلافتهم وولايتهم، وذكر مآثرهم ومناقبهم عند اللّه تعالى، والدرجات العُلى في الآخرة.

فاجتمعت عند المسلمين موادّ عظيمة من تلك الأحاديث التي سمعوها أكثر من مرّة.

وتلك الأحاديث تنقسم الى قسمين: **الأول**: الأحاديث التي تتطرَّق إلى عظمة أهل البيت (عليهم السّلام) بصورة عامّة، كقوله (صلى اللّه عليه وآله): «أهل بيتي» أو «عترتي» أو «ذريتي» أو «الأئمة من بعدي».

الثاني: الأحاديث التي تصرّح بفضائل كلّ واحد من أهل البيت

بصورة خاصّة، كالأحاديث المرويّة عنه (صلّى اللّه عليه وآله) في فضائل السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) والامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) والامام الحسن والامام الحسين سيدي شباب أهل الجنّة، والأئمة الذين هم من صُلب الامام الحسين (عليهم السّلام) وخاصّة: الامام المهدي (عليه السّلام) أو الأحاديث التي تتحدَّث عن الشفاعة في يوم القيامة، وغيرها.

ومن الطبيعي أن تلك الأحاديث أوجدت رصيداً عظيماً لأهل البيت (عليهم السّلام) في قلوب المسلمين رجالاً ونساءً.

وبعد وفاة الرسول الأقدس (صلى اللّه عليه وآله) انقلبت الامور ضدّ أهل البيت، بدءً من يوم السقيفة الى يومنا هذا، فان الحبل لايزال ممدوداً حتى هذه الساعة وما بعدها والى يوم يعلمه اللّه تعالى.

ومما لاشك فيه: أن تلك الأحاديث كانت معياراً ومقياساً عند المسلمين، يعرفون بها الحق من الباطل، ولكن السلطة ـ يومذاك ـ أوجدت الذبذبة والتشويش والتشكيك في تلك المعايير والمقاييس، فاختلّت عند الناس ـ إلاّ من كان قلبه مطمئناً بالإيمان ـ وذلك بأساليب متنوعة، منها:

المنع من رواية الأحاديث النَبويَّة

لقد صدَر الحكم بالمنع الباتّ عن التحدث بأحاديث رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كما في (تذكرة الحفاظ) للذهبي، قال: إن الصِّديق [ابا بكر] جَمع الناس بعد وفاة نبيّهم فقال:

«إنكم تُحدِّثون عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ إختلافاً، فلاتحدِّثوا عن رسول اللّه

شيئاً، فمن سألكم فقولوا: «بيننا وبينكم كتاب اللّه» فاستحِلّوا حلاله، وحرِّموا حرامه»[١].

وانت ترى أن قوله: «لاتحدِّثوا عن رسول اللّه شيئاً» هو النهي عن عموم الأحاديث النبويَّة.

وعن عائشة قالت: جَمع أبي الحديث فكانت خمسمائة حديث فبات يتقلّب، فقلت: يتقلَّب لشكوى[٢] أو لشيء بَلَغه، فلمّا أصبح قال: أي بُنيَّة هلمِّي بالأحاديث التي عندك، فجئته بها فأحرقها!!![٣].

هذا، بالرغم من الأحاديث الواردة عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) والتي تأمر برواية أحاديثه وتبليغها الى الآخرين، مثل قوله (صلى اللّه عليه وآله): «نضّر اللّه إمرءاً سمع مقالتي فوَعاها وأدّاها، فَرُبَّ حامل فقه الى من هو أفقه منه...»[٤].

وقوله: «مَثَل الذي يتعلّم علماً ثم لايحدّث به مَثَل رجل رزَقَه اللّه مالاً فكنَزه، فلم يُنفق منه»[٥].

وقوله: «من رغب عن سُنّتي فليس مني»[٦].

وسار عمر بن الخطاب على منهاج أبي بكر، ومنع عن تدوين الحديث عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فمنع ابا هريرة وابن مسعود وابا مسعود وابا موسى الأشعري وحبس جماعة من أصحاب النبي منهم:

١ـ تذكرة الحفاظ: ج١ ص٣.

٢ـ اي لمرض أو علّة.

٣ـ كنز العمال: ج٥ ص٢٣٧. البداية والنهاية. تذكرة الحفاظ: ج١ ص٥.

٤ـ مسند أحمد: ج١ ص٤٣٧ وسنن ابن ماجة: ج١ ص٤.

٥ـ الجامع لأخلاق الراوي والسامع.

٦ـ الفقيه والمتفقه للخطيب: ج١ ص١٤٤.

ابو الدرداء وابو ذرّ وابن مسعود، وقال لهم: قد أكثرتم الحديث عن رسول اللّه، أو: ما هذا الحديث عن رسول اللّه؟[١].

وخطب عمر بن الخطاب يوماً فقال: ألا لايبقينّ أحد عنده كتاباً إلاّ أتاني به فأرى فيه رأيي، فظنّوا أنه يريد النظر فيها ليقومها على أمر لايكون فيه اختلاف. فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار[٢].

وكتَبَ الى الأمصار: من كان عنده شيء فليمْحُهُ[٣].

وتبع عثمان طريق سَلَفيه، قال محمود بن لبيد: «سمعت عثمان على المنبر يقول: لايحلّ لأحد يروي حديثاً عن رسول اللّه لم اسمع به في عهد ابي بكر، ولاعهد عمر»[٤].

وسار معاوية على سيرة هؤلاء ولحقه الحجاج بن يوسف الثقفي!!

ولو أردنا الدخول في هذا البحث، لطال بنا الكلام، وتجاوز حدود المقدّمة، ولكننا نقول:

باللّه عليك! أليس من أعجب الأعاجيب، وأفظع الفجائع انّ المدَّعين لخلافة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يمنعون الناس عن نقل أقوال نبي الاسلام؟!!

وهل بقيت كرامة لرسول اللّه ولأقواله وأوامره ونواهيه وأحكامه بعد هذا الحكم الجائر القاسي؟!

إذن فما هي فائدة بعثة رسول اللّه اذا كانت أحاديثه وأقواله غير

١ـ الإلماع للقاضي عياض: ص٢١٧ وتذكرة الحفاظ: ج١ ص٧.

٢ـ طبقات ابن سعد: ج٥ ص١٨٨. والخطيب البغدادي في تقييد العلم.

٣ـ جامع بيان العلم لابن عبدالبر.

٤ـ طبقات ابن سعد: ج٢ ص٢ ومسند أحمد: ج١ ص٢.

معترف بها؟!

وما هو المبرّر من حرمان المسلمين من بركات تعاليم الرسول الأطهر؟!

إن الذين قاموا بهذه الأعمال زعموا أن الأحاديث النبوية تُشتَبه بالقرآن الكريم، ويلتبس الأمر على المسلمين، بحيث لايفرّقون بين القرآن والحديث!!

سبحان اللّه!! أما عرف رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) هذا الخطر الذي يصطدم بالقرآن؟

فلماذا حدَّث أُمَّته بتلك الأحاديث؟

ولماذا لم يَحْدث هذا الإلتباس في حياة الرسول؟

أماكان المسلمون يقرؤن القرآن في عهد الرسول، ويسمعون حديثه؟

فهل إلتبس القرآن بالحديث؟

واين قوله تعالى: ﴿أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول﴾ وقوله تعالى: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾؟

وهل القرآن والحديث في مستوى واحد من البلاغة والأُسلوب والبيان؟!!

أليس هناك فرق بين كلام الخالق وكلام المخلوق حتى يلتبس الكلامان على الناس؟!!

فليفرح الكفار والمشركون بهذا التعتيم على معارف الاسلام.

وليُصفّق اليهود والنصارى سروراً وابتهاجاً بهذه الخسارة التي أصابت المسلمين، وحِرمانهم من تلك الثروات الدينية والعلمية والفكرية.!

خلاصة البحث حول حديث الثقلين

أيُّها القارئ الكريم: ان الامام جعفر الصادق (عليه السّلام) هو أحد أفراد العترة النَبويَّة الطاهرة التي جعلها رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أحد الثقلين وعِدلَ القرآن، ولهذا فحديثه حديثُ رسول اللّه وطاعتهُ طاعة رسول اللّه ومخالفته مخالفةٌ لرسول اللّه وولايتُه ولاية رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ولهذا يجب علينا ـ بصفتنا مسلمين ومؤمنين ـ أن نؤمن بامامة الامام الصادق (عليه السّلام) وولايتِه المفروضة من اللّه ورسوله.

وكما أن اللّه تعالى جعل رسول اللّه اسوةً حسنةً لمن كان يرجو اللّه واليوم الآخر، كذلك جَعل الامامَ الصادق قدوةً حَسنة لكلّ مؤمن ومؤمنة يؤمن باللّه ورسوله.

اذن: يجب علينا ان نتعرَّف على حياة هذا الامام العظيم وأن نتّخذه قدوة لنا في الحياة لنسعد في الدنيا والآخرة.

وهكذا عرفتَ ـ أيها القارئ الكريم ـ الرابطة التي تربطنا بالامام الصادق (عليه السّلام).

والآن.. ننتقل الى ذِكر بعض مايتعلّق بشخصيّته الكريمة وحياته الشريفة.

كلمات عن شخصيته الكريمة

١ـ قال الشيخ المفيد:

(كان الصادق جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين (عليهم السّلام) ـ من بين إخوته ـ خليفة أبيه محمّد بن عليّ (عليهما السّلام) ووصيَّه القائم بالإمامة من بعده، وبرز على جماعتهم بالفضل، وكان أنبهَهُم ذكراً، وأعظمَهم قَدراً، وأجلَّهم في العامّة والخاصّة، ونَقَل النّاس عنه من العلوم ما سارت به الرّكبان وانتشر ذِكْره في البلدان و لم يُنقل عن أحدٍ من أهل بيته العلماء ما نُقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار ولانقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبدالله (عليه السّلام) فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرّواة عنه من الثّقات ـ على اختلافهم في الآراء والمقالات ـ فكانوا أربعة آلاف رجل، وكان له (عليه السّلام) من الدّلائل الواضحة في إمامته مابهرت القلوب، وأخرست المخالف عن الطّعن فيها بالشّبهات)[1].

١ـ الارشاد: ص٢٧٠.

٢ـ وقال الشيخ الطبرسي:

(كان أعلمَ أولاد رسول اللّه في زمانه بالإتّفاق وأنبههم ذِكْراًوأعلاهم قَدراً وأعظمهم مقاماً عند العامّة والخاصّة، ولم يُنقل عن أحد من سائر العلوم ما نُقل عنه، وأنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسامي الرّواة عنه من الثقات على اختلافهم في المقالات والدّيانات فكانوا أربعة آلاف رجل)[1].

٣ـ وقال الشيخ الإربلي:

(قال كمال الدّين محمد بن طلحة (رحمه اللّه): هو من عظماء أهل البيت وساداتهم (عليهم السّلام)، ذو علوم جمّة وعبادة موفورة، وأوراد متواصلة، وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة، يتتبّع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسّم أوقاته على أنواع الطّاعات بحيث يحاسِب عليها نفسه، رؤيته تذكِّر الآخرة، واستماع كلامه يزهّد في الدّنيا، والإقتداء بهداه يورث الجنّة، نورُ قَسَماته شاهد أنّه من سلالة النبوّة، وطهارة أفعاله تَصْدع بأنّه من ذريّة الرسالة، نَقَل عنه الحديثَ واستفاد منه العلم جماعة من الأئمّة وأعلامهم، مثل يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريح، ومالك بن أنس، والثّوري، وابن عيينة و...)[2].

٤ـ وقال الشيخ مصطفى رشدي:

(الإمام جعفر الصادق (عليه السّلام) كان فارس ميدان العلوم، غوّاص بحرَي المنطوق والمفهوم، نقل عنه أكثر الناس على اختلاف مذاهبهم من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذِكره في سائر الأقطار

١ـ اعلام الورى: ص١٦٥، منه حلية الأبرار: ج٢ ص١٤٥ والعوالم: ج٢٠ ص١٠٢ ح٦.

٢ـ مطالب السئول: ص٨١، منه كشف الغمة: ج٢ ص١٥٤.

والبلدان، وقد جُمع أسماء من يروي عنه فكانوا أربعة آلاف رجل)[١].

٥ـ وفي كتاب الموسوعة العربيّة الميسَّرة:

(جعفر الصادق، أبو عبدالله (٦٩٩ ـ ٧٦٥) سادس أئمّة الشيعة الإماميّة، وُلد بالمدينة وعاش زمناً طويلاً في العراق، عاصر الدولة الأموية والعباسية ولكنّه سلم من اضطهادهما[!!!]، ساق الإسماعيليّة الإمامة من بعده إلى ابنه إسماعيل المتوفّى في حياته، وساقها الإثنا عشرية إلى ابنه موسى....

كان عالماً حكيماً زاهداً متبحّراً في علوم الدين، وممّا عُرف مِن مبادئه أنّ الأصل في الأشياء الإباحة حتى يَردَ فيها نهي، وأنّه يجوز نقل الحديث بالمعنى.... وكان أُستاذاً لجابر بن حيّان)[٢].

٦ـ وفي مناقب آل أبي طالب: يُنقل عن الصادق (عليه السّلام) من العلوم ما لاينقل عن أحد، وقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة من الثقاة على اختلافهم في الآراء والمقالات، وكانوا أربعة آلاف رجل.

بيان ذلك: أنّ ابن عُقدة مصنّف كتاب الرجال لأبي عبدالله (عليه السّلام) عدَّدهم فيه.

وكان حفص بن غياث إذا حدَّث عنه قال: حدَّثني خير الجعافر جعفر بن محمّد.

وكان عليُّ بن غراب يقول: حدَّثني الصادق جعفر بن محمّد[٣].

١ـ الروضة الندية ـ للشيخ مصطفى رشدي المتوفّى بعد سنة ١٣٠٩ هـ: ص١٢. ط الخيرية بمصر، منه احقاق الحق: ج١٢ ص٢١٨.

٢ـ الموسوعة العربية الميسّرة: ج١ ص٦٣٤.

٣ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٤٧. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٧.

وفيه أيضاً عن حلية أبي نعيم: إنّ جعفر الصادق (عليه السّلام) حدّث عنه من الائمة والأعلام: مالك بن أنس، وشعبة بن الحجّاج، وسفيان الثوري، وابن جريح، وعبدالله بن عمرو، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن بلال، وإسماعيل بن جعفر، وحاتم بن إسماعيل، وعبدالعزيز بن المختار، ووهب[١] بن خالد، وإبراهيم بن طحّان[٢] وآخرين قال: وأخرج عنه مسلم في صحيحه محتجّاً بحديثه[٣].

وفيه أيضاً: وقال غيره: وروى عنه مالك، والشافعي، والحسن بن صالح، وأبو أيّوب السجستاني[٤]، وعمرو بن دينار، وأحمد بن حنبل.

وقال مالك بن أنس: ما رأتْ عين ولا سمعت أُذنٌ ولا خطر على قلب بَشَر أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً[٥].

١ـ في بحار الأنوار: وهيب.

٢ـ في بحار الأنوار: طهمان.

٣ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٤٧. منه بحار الانوار: ج٤٧ ص٢٧.

٤ـ في بحار الأنوار: السختياني.

٥ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٤٨. منه بحار الانوار: ج٤٧ ص٢٨.

النصوص العامة على إمامته

النصوص: جمع نصّ، وهو الكلام الذي لايقبل التأويل، والنص في اصطلاح أهل العلم: هو اللفظ الدال على معنى غير محتمل للنقيض بحسب الفهم[1].

والنص: ما ازداد وضوحاً على الظاهر بمعنى في المتكلم. وهو سَوق الكلام لأجل ذلك المعنى[2].

ونصُّ القرآن والسُّنة: ما دلَّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام[3].

هذه تعاريف لُغويّة لكلمة (النص) وهناك تعاريف اخرى متقاربة مما ذكرنا.

بعد هذا نقول: ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) نصَّ على الائمة من بعده بصورة عامّة وبصورة خاصة.

وقد كتبنا بحثاً حول الامامة وذكرنا الأحاديث المرتبطة بها في المجلد

١ـ مجمع البحرين.

٢ـ أقرب الموارد.

٣ـ لسان العرب.

السابع والثامن من موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) المباركة.

ولأجل أن يعلم غيرنا بأن الشيعة لم تنفرد بالاعتقاد بالأئمة الإثني عشر (عليهم السّلام) نذكر هذا الحديث النبويّ أولاً، ثم نذكر اسماء بعض المصادر الموجودة في كتب العامة ثانياً.

حديث «الائمة اثنا عشر»

قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله): «الأئمة بعدي اثنا عشر، كلُّهم من قريش» أو «من بني هاشم».

لقد ورد هذا الحديث في الصّحاح والمسانيد بصُوَر مختلفة، ومن المحتمل صدور الحديث في ازمنة متعددة بألفاظ مختلفة، أو أن الأيدي الخائنة تلاعبت بألفاظ الحديث لأسباب يعلمها اللّه تعالى.

وقد ورد هذا الحديث بصورة مُجملة، وبصورة مفصَّلة[1].

١ـ وإليك اسماء بعض ائمة الحديث والتاريخ والتفسير، ممّن ذكر هذا الحديث:

١ـ الحافظ مسلم بن حجاج القشيري في «صحيحه» ج٦ص٣ ـ٤ـ ٦

٢ـ الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» ص٥٦.

٣ـ الحافظ ابن كثير الدمشقي في« البداية والنهاية» ج٦ ص٢٤٨ و«تفسير القرآن» ج٧ ص١١٠ و«قصص الانبياء» ج١ ص٣٠١.

٤ـ الحافظ أحمد بن حنبل في «مسنده» ج٥ ص٩٧.

٥ـ بدر الدين أبو محمود بن أحمد العيني في «شرح البخاري» ج٢٤ ص٢٨١.

٦ـ الشيخ ابراهيم الجويني في «فرائدالسمطين» ج٢ ص١٤٧ ـ ١٥٤.

٧ـ أبو عوانه في «المسند» ج٤ ص٣٩٥.

٨ـ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» ج١٣ ص١٧٩.

٩ـ الشيخ محمود أبو رية المصري في «أضواء على السنة المحمدية» ص٢١٠.

١٠ـ الحافظ محمد بن عيسى الترمذي في «صحيحه» ج٩ ص٦٦.

←

ومن الواضح أن الامام الصادق (عليه السّلام) هو أحد افراد

← ١١ـ البخاري في «صحيحه» ج٩ ص٨١ و«التاريخ الكبير» ج١ قسم١ ص٤٤٦.

١٢ـ الحافظ ابن الأثير الجزري في «جامع الاصول» ج٤ ص٤٤٠.

١٣ـ أبو الحَجّاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف المزي في «تحفة الاشراف لمعرفة الاطراف» ج٢ ص١٤٨.

١٤ـ أبو بكر البغدادي في «تاريخ بغداد» ج١٤ ص٣٥٣ و«الكفاية في علم الدراية» ص٧٣.

١٥ـ الحافظ ابن حجر الهيثمي في« الصواعق المحرقة» ص١٨٧.

١٦ـ المناوي في «كنوز الحقائق» ـ حرف الياء ـ.

١٧ـ القندوزي في «ينابيع المودة» ص٤٤٤.

١٨ـ الحافظ أبو نعيم في «حلية الأولياء» ج٤ ص٣٣٣.

١٩ـ أبو داود السجستاني في «سننه» ج٤ ص١٥٠.

٢٠ـ السيوطي في «الحاوي للفتاوى» ص٨٥ و«تاريخ الخلفاء» ص٧ و«ذيل اللئالي» ص٦٠.

٢١ـ القسطلاني في« ارشاد الساري» ج١٠ ص٣٢٨.

٢٢ـ أبو داود الطيالسي في «المسند» ص١٠٥ ح٨٦٧.

٢٣ـ الحافظ نور الدين بن أبي بكر الهيثمي في« مجمع الزوائد» ج٥ ص١٩٠.

٢٤ـ الحافظ ابن الصبّاغ المالكي في «الفصول المهمّة» ص٢٣٢.

٢٥ـ الخطيب الخوارزمي في «مقتل الحسين (عليه السّلام)» ص٩٤.

٢٦ـ أبو سعيد الخركوشي النيسابوري في «شرف النبي (صلى اللّه عليه وآله)» ص٢٨٧.

٢٧ـ أبو بكر الحضرمي في «رشفة الصادي» ص١٧.

٢٨ـ الطيالسي في «مسنده» ص٢٥٩.

٢٩ـ محبّ الدّين الطبري في «ذخائر العقبى» ص١٧.

أيها القارئ الكريم: نكتفي بهذا العدد من المصادر، مع العلم ان المصادر لهذا الحديث المذكورة في ملحقات كتاب (إحقاق الحق) قد بلغت مائة مصدر.

ولولا خوف الملل من الإطناب والإسهاب لذكرنا اكثر من هذا.

ومصاديق هذا الحديث الشريف لأنه الامام السادس من ائمَّة أهل البيت (عليهم السّلام).

أهميَّة منصب الامامة

ومن الممكن ان يقول قائل: ما هو الداعي الى هذا التفصيل حول هذا البحث؟ وما الفائدة في ذلك؟

نجيب على ذلك: ان منصب الامامة يتلو منصب النبوّة في الأهميّة، ولنا مجال واسع في التحدُّث عن أهميّة منصب الإمامة في بحث (النصوص الخاصة) على إمامة الامام الصادق (عليه السّلام) في الفصل القادم ان شاء اللّه.

لماذا لايعترف علماء العامَّة بامامة الائمة الاثني عشر؟

وقد يسأل سائل فيقول: إذا كان هذا العدد من علماء العامة قد ذكروا حديث (الأئمة بعدي اثنا عشر) في مؤلَّفاتهم من الصحاح والسنن وغيرهما، فلماذا لايعترفون بإمامة هؤلاء، ولايقتدون بهم؟

ونحن نقول في الجواب:

يجب توجيه هذا السؤال اليهم أنفسهم. ومن الواضح انه لاجواب لهم على ذلك.

بالاضافة الى ان بعض علماء السوء ـ الذين رووا هذا الحديث ـ رأوا أنه يفرض عليهم اعتناق مذهب أهل البيت لا المذاهب الأربعة، وهذا لايعجبهم طبعاً ولهذا قاموا بمحاولات فاشلة في توجيه الحديث وتأويله، وتطبيقه على حُكام بني أُميّة أو بني العباس، فرأوا أن هذا العدد لاينطبق

على حكام بني أُميّة لأنهم أقَلّ من ذلك، ولاعلى بني العباس لأنهم أكثر من هذا العدد.

فقاموا بألعاب شيطانية، فحذفوا سيد العترة، وأبا الأئمة الامام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) من قائمة الأئمة، وهكذا إبنه الامام الحسن المجتبى (عليه السّلام) ونصبوا مكانهما معاوية ويزيد، ثم آل مروان، ومع ذلك لم ينطبق العدد عليهم!!

والى هذا المعنى اشار أحد علماء العامَّة الحنفيَّة ـ وهو القندوزي ـ حيث قال في كتابه (ينابيع المودة):

(قال بعض المحققين: إن الأحاديث الدالَّة على كَون الخلفاء بعده (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) اثنا عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان وتصريف الكون والمكان عُلم ان مراد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من حديثه هذا: الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لايمكن ان يُحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لِقلّتهم عن اثني عشر، ولايمكن ان تَحمله على الملوك الأمويَّة لزيادتهم على اثني عشر، ولظلمهم الفاحش إلاّ عمر بن عبدالعزيز، ولكونهم غير بني هاشم، لأن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: «كلُّهم من بني هاشم» في رواية عبدالملك عن جابر، واخفاء صوته (صلى اللّه عليه وسلّم) في هذا القول يرجِّح هذه الرواية، لانهم لايحسنون خلافة بني هاشم، ولايمكن ان يحمله على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور ولقلّة رعايتهم الآية ﴿قل لاأسألكم عليه أجراً إلاّ المودَّة في القُربى﴾ وحديث الكساء.

فلابدَّ من أن يُحمل هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته (صلى اللّه عليه وسلّم) لانهم كانوا أعلم أهل زمانهم، وأجلّهم

وأورعهم واتقاهم وأعلاهم نَسَباً وأفضلهم حَسَباً وأكرمهم عند اللّه، وكان علومهم عن آبائهم متّصلةً بجدِّهم (صلى اللّه عليه وسلّم) وبالوراثة واللَّدنيَّة، كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق وأهل الكشف والتوفيق.

ويؤيِّد هذا المعنى ـ أي ان مراد النبي (صلى اللّه عليه وسلّم) الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته ـ ويشهد ويرجِّحه حديث الثقلين. . .) إلى آخره[1].

التصريح النَبوي بأسماء الائمة الاثني عشر

اقول: وتوجد في الأحاديث النبوية ـ المرويّة في كتب العامَّة ـ تصريحات بأسماء الأئمة الإثني عشر، ونقتطف منها حديثين فقط:

في كتاب ينابيع المودة للقندوزي الحنفي:

في المناقب عن واثلة بن الأسفع بن قرخاب، عن جابر بن عبداللّه الأنصاري قال: دخل جندل بن جنادة بن جبير اليهودي على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلّم) فقال: يامحمد اخبرني عمّا ليس للّه وعمّا ليس عند اللّه وعمّا لايعلمه اللّه.

فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): أمّا ما ليس للّه فليس للّه شريك، وأمّا ما ليس عند اللّه فليس عند اللّه ظلمٌ للعباد، وأمّا ما لايعلمه اللّه فذلك قولكم يامعشر اليهود: ان عزيراً إبن اللّه. واللّه لايعلم انه له ولد بل يعلم انه مخلوقه وعبده.

فقال: أشهد ان لا إله إلاّ اللّه وانك رسول اللّه حقاً وصدقاً.

ثم قال: اني رأيت البارحة في النوم موسى بن عمران فقال: ياجندل اَسْلم على يد محمد خاتم الأنبياء واستمسك بأوصيائه من بعده فقلت: فللّه

١ـ ينابيع المودة: ج٣ ص١٠٦.

الحمد اسلمت وهداني بك.

ثم قال: أخبرني يارسول اللّه مَن اوصيائك من بعدك لاتمسَّك بهم؟

قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): أوصيائي الاثنا عشر.

قال جندل: هكذا وجدناهم في التوراة. وقال: يارسول اللّه سَمِّهم لي.

فقال: أوّلهم: سيد الأوصياء أبو الأئمة علي، ثم ابناه الحسن والحسين فاستمسك بهم ولايغرَّنك جهلُ الجاهلين، فإذا وُلد علي بن الحسين زين العابدين يقضي اللّه عليك ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه.

فقال جندل: وجدنا في التوراة وفي كُتب الانبياء: ايليا وشبراً وشبيراً، فهذه اسماء علي والحسن والحسين، فمَن بعدَ الحسين وما اسماؤهم؟

قال: اذا انقضت مُدَّة الحسين فالامام ابنه علي ويلقَّب بزين العابدين، فبَعده ابنهُ محمد يُلقَّب بالباقر، فبعده ابنه جعفر يُدعى بالصادق، فبعده ابنه موسى يُدعِى بالكاظم، فبعده ابنه علي يُدعى بالرضا، فبعده ابنه محمد يُدعى بالتقيّ والزكيّ، فبعده ابنه علي يُدعى بالنقيّ والهادي، فبعده ابنه الحسن يُدعى بالعسكريّ، فبعده ابنه محمد يُدعى بالمهدي والقائم والحجَّة، فيغيب ثم يخرج فإذا خرج يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جَوراً وظلماً، طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محبَّتهم، اولئك الذين وَصَفهم اللّه في كتابه وقال: ﴿هُدىً للمتَّقين * الذين يؤمنون بالغيب﴾[١] ثم قال تعالى: ﴿اولئك حزبُ اللّه ألا إنّ حزبَ اللّه همُ

١ـ سورة البقرة آية ٢ و ٣.

المفلحون﴾[١].

فقال جندل: الحمد للّه الذي وفّقني لمعرفتهم.

ثم عاش الى ان كانت ولادة علي بن الحسين فخرج الى الطائف ومرض وشرب لبناً وقال: أخبَرني رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ان يكون آخر زادي من الدُّنيا شربة لبن، ومات ودُفن بالطائف بالموضع المعروف بالكوزارة[٢].

وفي كتاب (فرائد السمطين) للجويني الشافعي، بسنده عن ابن عباس، قال:

«قَدِم يهوديّ على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلّم) يقال له: نعثل، فقال له: يامحمد إني اسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فان اجبتني عنها أسلمتُ على يدك.

قال: سل يا ابا عمارة!

... الى أن قال: فأخبِرني عن وصيّك من هو؟ فما من نبيّ إلاّ وله وصيّ وإن نبيَّنا موسى بن عمران أوصى الى يوشع بن نون.

فقال: نعم، إن وصيّي والخليفة من بعدي: علي بن أبي طالب وبعده سبطاي: الحسن ثم الحسين، يتلوه تسعة من صُلب الحسين، أئمة أبرار.

قال: يامحمد! فَسَمِّهم لي.

قال: نعم، اذا مضى الحسين فابنه علي، فاذا مضى عليّ فابنه محمد، فاذا مضى محمد فابنه جعفر، فاذا مضى جعفرفابنه موسى، فاذا مضى موسى فابنه علي، فاذا مضى علي فابنه محمد، ثم ابنه علي، ثم ابنه

١ـ سورة المجادلة آية ٢٢

٢ـ ينابيع المودة: ج٣ ص١٠٠.

الحسن، ثم الحجّة بن الحسن، فهذه اثنا عشر أئمة، عدد نقباء بني اسرائيل..» الى آخره[1].

وختاماً لهذا البحث نقول:

إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ الذي كان أشرف الكائنات، وأفضل المخلوقين وأطهر الموجودات، وسيد الأنبياء والمرسلين، وأقرب الخلائق الى الله (عزّوجلّ) ـ ينبغي أن يكون خلفاؤه وأوصياؤه أيضاً يمتازون عن غيرهم من الناس، سواءً من ناحية القداسة والنزاهة والتقوى، أم العلم والأخلاق أم غيرهما من الفضائل، لأنهم يمثّلون صاحب الشريعة الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله) ويقومون مقامه، وينوبون منابه.

ولاأظن أن عقول العقلاء ترضى وتقبل أن يكون الناس العاديّون يمثّلون الرسول الأقدس، فهل ترضى أن يكون الخمّارون الأنجاس، والزنّاؤون الأرجاس، وسفّاكوا الدماء المحرّمة، والجبابرة الطغاة، والخَونة الجُناة والجهلة الأغبياء، والذين يحملون عقيدة الإلحاد يمثّلون الرسول الأطهر (صلى الله عليه وآله) في قيادة الامة الاسلامية ديناً ودُنياً وعقيدة؟!!

إنني استطيع أن أحلف بجميع مقدّساتي ـ يميناً لاحنث فيها ـ ان التاريخ لم يسجّل لأولئك الغاصبين شيئاً من الصفات اللاّزمة الضروريَّة للإمامة والخلافة، وان كنتَ لاتصدِّق كلامي فهذه كتب التاريخ والحديث والتراجم قد ملأت الأسواق والمكتبات.

وقلَّ أن تجد في تاريخ الحكّام الأمويين أو العباسيين من كان يتورّع عن شرب الخمور، بل إن بعضهم كان أكثر أوقاته سكرانا!

١ـ فرائد السمطين للجويني الشافعي: ج٢ ص١٣٣ طبع بيروت.

وقصور اولئك الذين اعتبروا أنفسهم خلفاء رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كانت بؤرة لأنواع المنكرات، وكأنَّها حانات الخمّارين، أو مكاناً لحفلات غنائية ساهرة.

هذا سوى إراقة الدماء، ونهب الأموال، وامتصاص دماء الشعوب الفقيرة وغير ذلك.

ثم تعال وانظر الى الجانب الآخر . . الى حياة أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) خلال قرنين ونصف، من يوم شهادة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الى شهادة الامام الحسن العسكري (عليه السّلام) سنة ٢٦٠ هجرية.

فانك لاتجد في تراجم حياتهم زلَّة واحدة، أو خطيئة ولو صغيرة، أو جهلاً في الحكم، أو نقصاً في العلم، أو سوءً في الخُلُق، أو ضعفاً في الدِّين، أو بُخلاً بالمال، أو جُبناً في النفس أو كسَلاً في العبادة، أو أيّ عيب أو نقص أو صفة ذميمة، بالرغم من مراقبة الأعداء لهم في حركاتهم وسكناتهم وجميع تصرّفاتهم؛ علَّهم يجدوا في أقوالهم أو أفعالهم عيباً أو نقصاً.

وأمّا سماسرة الحديث، الكذّابون الوضّاعون فلم تَسْلَم ساحة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) من أقوالهم وأقلامهم فكيف بساحة الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) مع كثرة حسّادهم من فاقدي الورع والتقوى والضمير والوجدان؟!

﴿اولئكَ الذينَ اشتروُا الضلالةَ بالهُدى فما رَبحتْ تجارتُهم وما كانوا مهتدين﴾[1].

١ـ سورة البقرة آية ١٦.

مواقف عدائية تجاه الامام الصادق (عليه السّلام)

أيها القارىء النبيه!

بعد أن ذكرنا بعض ما يتعلَّق بحديث الثقلين، وبعض مصادر حديث: «الأئمة بعدي اثنا عشر» تبيَّن لنا ـ بكلّ وضوح ـ ان الامام الصادق (عليه السّلام) هو أحد افراد العترة الذين جعَلهم الرسول الأطهر (صلى اللّه عليه وآله) أحد الثقلين.

وان الامام الصادق هو أحد الأئمة الاثني عشر الذين نصَّ عليهم الرسول الأقدس (صلى اللّه عليه وآله).

وهناك أقوال ذكرناها في موسوعتنا (موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام)) عن بعض مشاهير المحدِّثين والحفاظ (من العامّة) ـ خلال إثني عشر قرناً ـ حول شخصية الامام الصادق ورواياتهم عنه، تحت عنوان (الامام الصادق في كتب العامَّة).

وكان الهدف من سرد تلك الأقوال والأحاديث هو أن نثبت ان الامام الصادق (عليه السّلام) ليس رجلاً مجهولاً، خاملاً، يحتاج الى الإشادة بفضائله، بل كان من أشهر الشخصيات في الأوساط العلمية والدينية،

ولهذا روى غير الشيعة عنه عدداً غير قليل من الأحاديث، وأثنوا عليه بمقدار ما وصل إليه إدراكهم.

بعد هذا كلّه، أجلب انتباه القارىء الذكي الى الموقف المتطرّف الذي اختاره بعض المحدّثين والمؤرِّخين تجاه هذا الإمام العظيم وغيره من أئمّة أهل البيت (عليهم السّلام).

فمنهم: البخاري، صاحب الصحيح المعروف، فانه لم يحتج بأحاديث الامام الصادق والأئمة الطاهرين من أهل البيت (عليهم السّلام).. إلاّ بأحاديث معدودة عن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) فقط.

قال العلاّمة البحّاثة المرحوم السيد عبدالحسين شرف الدين (رحمه اللّه) في كتاب (المراجعات):

(..... ولايضرّه [ابان بن تغلب] عدم احتجاج البخاري، فانّ له أُسوة بأئمة أهل البيت: الصادق والكاظم والرضا والجواد التقي، والهادي النقي، والحسن العسكري، إذ لم يحتجَّ بهم، بل لم يحتجَّ بالسبط الأكبر سيد شباب أهل الجنّة [الامام الحسن المجتبى].

نعم، إحتجَّ بمروان بن الحكم، وعمران بن حطّان، وعكرمة البربري، وغيرهم من أمثالهم)[1].

وجاء في كتاب (النصائح الكافية): (إحتجّ السُّنّة في صحاحهم بجعفر الصادق إلاّ البخاري، على انه إحتجَّ بمن قدَّمنا ذكرهم (يعني مروان بن الحَكَم، وعمران بن حطّان، وحريز بن عثمان الرحبي وغيرهم) فقد ذكر ـ قبل ذلك ـ أن من رواة الصحاح: مروان بن الحَكَم، القائل ـ للحسين

١ـ المراجعات ١١٠.

بن علي ـ : «إنكم أهل بيت ملعونون!!».

وعمران بن حطّان الخارجي، القائل الأبيات المشهورة يثني بها على ابن ملجم، ويثلب الامام علي بن أبي طالب.

وحريز بن عثمان الرحبي الذي نقل عنه صاحب التهذيب انه كان ينتقص علياً وينال منه، ثم قال:

وأمثال هؤلاء الرواة كثيرون، ولكن هؤلاء الثلاثة ـ مروان وعمران وعثمان ـ عنوان ومثال، لأنهم من رواة صحيح البخاري الذي قالوا عنه: إنه أصحّ كُتُب الحديث.

قال: وقد قيل في هذا المعنى:

قضيّة أشبه بالمرزئة ... هذا البخاري إمام الفئة
بالصادق الصِّدِّيق ما احتجَّ في ... صحيحه، واحتجَّ بالمرجئة
بمثل عمران بن حطّان، أو ... مروان، وابن المرأة المخطئة
مُشكلةٌ ذات عوار، إلى ... حيرة ارباب النُّهى مُلجئة
وحَقِّ بيتٍ يَممتّه الورى ... مُغذَّة بالسير أو مُبطئة
إن الامامَ الصادق المجتبى ... بِفضله الآيُ أتَت مُنبئة
أجلُّ مَن في عصره رتبةً ... لم يقترف في عُمره سيِّئة
قلامة من ظفر إبهامه ... تعدل من مثل البخاري مئة

أقول: وما أدري هل رضي وجدان البخاري بهذا التطرُّف المكشوف المتعمَّد؟

وهل ارتاح ضميره بالرواية عن جماعة من مشاهير الفسّاق أمثال المغيرة بن شعبة (أزنى ثقيف)؟ ومعاريف الكذابين أمثال أبي هريرة الذي كان مَصنعاً للحديث؟!

مع إعراضه عن أحاديث الامام الصادق (عليه السّلام)؟

وما أدري كيف اختلّت المقاييس وانقلبت الموازين عند يحيى بن سعيد الذي جعل نفسه من أئمة الجرح والتعديل فقال: «مُجالد أحبُّ إليّ منه، في قلبي منه شيء»؟[1]

وأيّ شيء كان في قلب يحيى تجاه الامام الصادق؟

لعلّ الجواب: «في قلوبهم مَرض فزادهم اللّه مرضا»!!

وهل يقتدي البخاري بيحيى بن سعيد في كلِّ ما قاله ورآه؟

ومَن هو مجالد وماهي مزاياه حتّى يكون احَبَّ الى يحيى بن سعيد من الامام الصادق؟!

اقرأ ما ذكره علماء الرجال فيه:

قال الذهبي: «مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني مشهور، صاحب حديث، على لينٍ فيه.

قال ابن معين: لايُحتجُّ به. وقال محمد: يَرفع كثيراً ممن لايرفعه الناس، ليس بشيء.

وقال النسائي: ليس بالقَويّ.

وقال الدارقطني: ضعيف.

وقال البخاري: كان يحيى بن سعيد يضعِّفه. وكان ابن مهدي

١ـ قال الذهبي في (الكاشف والتهذيب) والعسقلاني في (تهذيب التهذيب): ج٢ ص١٠٣، قال: سُئل يحيى القطّان عن جعفر بن محمد؟ فقال: «في نفسي منه شيء».

وقال الذهبي في (المغني في الضعفاء) ج١ ص١٣٤: «جعفر بن محمد ثقة، ولم يُخرِّج له البخاري، وقد وثّقه ابن معين وابن عدي، وأمّا القطّان فقال: «مجالد أحبَّ إليَّ منه».

لا يروي عنه.

وقال الفلاس: سمعت يحيى بن سعيد يقول: لو شئتُ أن يجعلها لي مُجالد كلّها عن الشعبي عن مسروق عن عبدالله، فَعَلَ، وقيل لخالد الطحّان: دخلتَ الكوفة، فَلِمَ لَم تكتب عن مجالد؟ قال: لأنه كان طويل اللحية»[1].

١ـ ميزان الاعتدال: ج٣ ص٤٣٨، وطولُ اللحية كناية عن نقصان العقل.

كلمة موجزة حول الإمامة

تُعتبر الإمامة الأصل الرابع من أُصول الدين أو المذهب عند الشيعة الإمامية، والمقصود من الإمامة هي الولاية العظمى التي تتلو مرتبة النبوَّة والرسالة.

وقبل أن ندخل في صميم البحث، نذكر ما تيسَّر حول كلمة: (الامام):

الإمام: مصدر مثل قيام وصيام، يقال: أمَّ إماماً مثل قام قياماً، وصام صياماً، والمراد به المعنى الإسمي لا المصدري، مثل إزار: لما يُتَّزر به. أو: قوام للذي يقوم به الأمر، فيكون معنى الإمام هو المتبوع والمقصود والمُقتدى.

وقد يُطلق هذا الاسم على إمام الجماعة، لأنه المتَّبَع في الصلاة، وهكذا إطلاقه على الدين والشريعة والكتب السماوية كما قال تعالى: ﴿وكلَّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾[1] وقوله: ﴿ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة﴾[2].

١ـ سورة يس آية ١٢.

٢ـ سورة الاحقاف آية ١٢.

ويُطلق على الزعيم الديني لأنه المقتدى به لقومه.

وفي (تاج العروس): «الإمام ـ بالكسر ـ : كلّ مَن إئتُمّ به، من رئيس أو غيره، كانوا على الصراط المستقيم، أو ضالّين، ومنه قوله تعالى: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾[1] والإمام: قَيِّمُ الأمر، المصلح له، والقرآن، والنبي، والخليفة لأنه إمام الرعيّة ورئيسهم».

وأمّا الإمامة الكبرى التي هي الولاية العظمى، فلاتتحقق لأحد إلاّ بتعيين من اللّه تعالى، إستمع إلى هذه الآيات الكريمة:

﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾[2].

﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾[3].

﴿إنّي جاعلك للناس إماماً﴾[4].

﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾[5].

﴿واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي﴾[6].

وغيرها من الآيات المشتملة على كلمة: «جعلنا، واجعلنا، وجعلناهم» مما يدلّ بكل صراحة على أن تعيين الإمام الحق يكون من عند اللّه ونصبه.

والامامة ـ بالمعنى المذكور ـ هي مفترق الطُرُق، ومعترك الآراء، ومن هنا حصل الإنشقاق والإختلاف بين المسلمين، وجالت الأقلام،

١ـ سورة التوبة آية ١٢.

٢ـ سورة ص آية ٢٦.

٣ـ سورة الأنبياء آية٧٣.

٤ـ سورة البقرة آية ١٢٤.

٥ـ سورة الفرقان آية ٧٤.

٦ـ سورة طه آية ٢٩و ٣٠.

واضطربت الأقـوال، وتكوّنت المذاهب، ووصـل أمـر المسلمين الـى مـا هو عليه اليوم!

وهذا الإختـلاف ليس ولـيد اليـوم حتى يمكن القـضـاء عـليه، بل له جذور وعـروق منذ اربعة عشر قـرناً، والتفرقـة غُرست بذورها من يوم وفاة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وآتت أُكلها كل حين.

ومن الواضح: ان رقـعـة الخلاف والإخـتـلاف إتَّسعـت خـلال هذه القرون إتساعاً مؤلماً مؤسفاً.

ويعلم اللّه تعـالى مـضاعـفـات هذا الإختـلاف طيلة هذه القـرون، من الضحايا في الحروب، وعمليات الإغتيال، والدماء التي أُريقت، والنفوس التي زهقت، والنشـاطات التي بُذلت من بعض الفئات مما زادت في التنافـر والتباغض بين المسلمين.

وفي طليعـة تلك الفئات التي سعت في إشعال النار والنفخ فيهـا أكثر وأكثر، هم الأمـويُّون والعبـاسيّون، ومَن كـان يدور في فَلكهم، ويـتقـرَّب إليهم بما يُرضيهم.

وانقرضت تلك الحكومات، واعقبتها حكومات وحكومات، وساروا على ذلـك المنوال وكـأنهم تواصـوا بذلك كي لاينقطع حـبل الـتـفـرقـة والإختلاف بين الأُمَّة الإسلامية.

فـالإمـامـة عند الشـيـعـة حُلَّةٌ نُسجت خيـوطهـا من القـداسـة والنزاهة والطهارة، ومَرتبة عالية، ودرجة سامية، تالية مرتبة النبوة.

ومن الصـحيح أن نقـول: إنّ المذهب الشيـعي يعـتبـر العدالة حـتى في إمـام الجـمـاعـة الذي يقـتـدي به الناس في الـصلاة فـقط، ولاتجوز الصـلاة ـ عندهم ـ خَلف إنسان لم تحرَز عدالته.

فأين هذا من قول غيرنا: الذين يُجوّزون الصلاة خلف كل بَرٍّ وفاجر؟!

واين هذا عن قول ابن تيميّة الذي لايشترط في الخليفة سوى الشهادتين فقط؟!!

إن ابن تيمية في (منهاج السُّنّة) وأمثاله لم يشترطوا في الخليفة اكثر من الاسلام فقط، فأوجبوا طاعته.

فلامانع ـ عند ابن تيميّة ـ ان يكون الخليفة طليقاً، خمّاراً، قمّاراً، زنّاءاً، لوّاطاً، سفّاكاً للدماء المحرّمة، ظالماً، كذّاباً، جاهلاً بالأحكام، مستهزئاً بالمقدسات الاسلامية، يصرّح بالإلحاد والزندقة، قائلاً:

لعبتْ هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

أو يمزّق القرآن، ويفتخر مخاطباً للقرآن:

تُهدّدني بجبّار عنيد فها انا ذاك جبّار عنيدُ

اذا ما جئتَ ربَّك يوم حشرٍ فَقُل: يارب مزّقني الوليدُ!

أو الذي أراد أن يشرب الخمر مع جاريته المغَنِّيَة فوق سطح الكعبة تحدّياً لمقدسات الاسلام والمسلمين، ومحاربة علانية للّه تعالى، وهتكاً لحرماته!!

أو الذي قدَّم جاريته في محراب المسجد لتصلّي بالمسلمين صلاة الصبح وهي في حال الجنابة! واقتدى بها وهو سكران جُنُب، وأمر المسلمين أن يقتدوا بها في صلاتهم.

أو الذي كان يَسْبح في بِركة من الخمر، يسبح ويشرب، فاذا خرج من البِركة ظهر أثر نقص الخمر في البركة!!

وأمثالهم ونظراؤهم من بني أُمية وبني العباس، كما هو مشهور

ومذكور في كتب التاريخ.

نعم، إنّ الشيعة تعتقد في الإمام العصمة من الخطايا والذنوب، والتنزُّه عن كلّ رذيلة أخلاقيّة، والتجرُّد عن كلّ ما ينافي المروءة، والإبتعاد عن كلّ رجس وشينٍ وعيب.

والإشتمال علٰى كل فضيلة أخلاقية، بل يجب أن يكون الإمام أكثر أهل زمانه علماً وعبادةً وفضائل ومكارم أخلاقية.

فالأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) صرّحت وأوجبت وفرضت هذه الشروط في الإمامة، بل هي العلائم القطعيَّة التي يُميَّز بها إمام الحق من إمام الباطل، وقد ذكرنا مصادر كثيرة ـ للأحاديث الواردة حول هذا الموضوع بالذات ـ في غضون مجلّدات الموسوعة[١].

فالإمامة ـ بهذا المعنى ـ مَجمع لجميع الفضائل، فلاتجد فضيلة تتبادر الى الذهن والفكر إلاّ وجدتَها متوفّرة في الإمام، وهكذا يجب أن يكون الإمام، وإلاّ فليس بإمام!

وأمّا كلمة(الامام) المستعملة في غير الأئمة المعصومين(عليهم السّلام) فهي بمعنى آخر، فمثلاً يقال: فلان إمام في اللغة أو النحو أو الحديث، أو كما يُعَبَّر عن بعض الفقهاء بالامام أو إمام الجماعة أو الجمعة وأمثال ذلك، فالمقصود بذلك: المقتدى بأقواله وآرائه، وليس المقصود أنه صاحب الولاية العُظمى، والإمامة الكبرى التي هي منصب إلهيّ يتلو منصب النبوّة.

فان هذه الإمامة تثبت بالنصّ من الرسول الأقدس (صلّى اللّه عليه وآله) ومن الامام السابق على الامام اللاحق.

ويمكن أن يقال: إن غير الشيعة لايعتمدون على الأحاديث المرويَّة عن

١ـ موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام): ج٧ و٨.

أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) حول الإمامة وشروطها.

ونحن حينما نذكر هذه الأحاديث لانريد أن نفرض عقائدنا على غيرنا ولايحقُّ لنا أن نُكره أحداً على اعتناق معتقداتنا ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ﴾[1].

وانما نقصد استعراض احاديثنا مع ما فيها من الأدلّة القاطعة، والبراهين الواضحة الدالّة على مدى قيمتها سواءً في مقام التشريع، أم لبيان الحقائق في شتّى المجالات.

والقارىء له حريَّة القبول اذا ثبت عنده صدق هذه الأقوال، واقتنع بصدور هذه الحقائق من مصادرها الصحيحة ومنابعها العذبة ﴿وهديناه النَّجدَين﴾[2] ﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾[3].

وممّا يُهوِّن الخطب، ويُسهِّل التفاهم: أن معتقدات الشيعة في الأصول، واحكامهم في الفروع كلّها أُمور متسلسلة ومرتبطة تنتهي الى النبي الأقدس (صلّى اللّه عليه وآله) والقرآن الكريم.

وليست أفكاراً متولّدة، وآراء متجدّدة، وعقائد مستورَدة، ودعاوى سخيفة، يضطرب أصحابها في تصحيحها وتأويلها، والدفاع عنها بشتّى الحِيَل، والتشبُّث بأنواع المغالطة والتزوير.

بل كلُّها واضحة ناصعة، مشفوعة بالدليل القطعي، والبرهان الصحيح، والحجَّة القاطعة التي لاتقبل الشك عند المنصف، البعيد عن التعصُّب الجاهلي، أو العناد البغيض الذي يحول دون قبول الحق.

١ـ سورة البقرة آية ٢٥٦.

٢ـ سورة البلد آية ١٠.

٣ـ سورة الانسان آية ٣.

النصوص الخاصَّة
على امامة الامام الصادق (عليه السّلام)

كلمة في البداية

لقد ذكرنا في كثير من مؤلَّفاتنا: انه كان من الواجب على كل إمام أن ينصَّ على الامام الذي من بعده، ويعرّفه لشيعته، إتماماً للحُجَّة، وكشفاً للحقيقة، ولئلاّ يقع الناس في ظُلمة الجهالة، وحيرة الضلالة.

وكيف يمكن إهمال هذا التكليف الشرعي، أو الاستخفاف بهذا الحكم الإلهي الذي عليه مدار الحق أو الباطل والإيمان والكفر، وعليه الثواب والعقاب، والجنّة والنار؟!!

لأنَّ (مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّة) كما ورد في الحديث الصحيح عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

وقد وَرد هذا الحديث ـ في كتب العامَّة ـ عن سبعة من الصحابة، وقد وردت اسماؤهم في الصحاح الستّة، ممّا يدلّ على صحة رواياتهم عند أصحاب الصحاح، وهم:

١ـ زيد بن أرقم.

٢ـ عامر بن ربيعة.

٣ـ عبداللّه بن عباس.

٤ـ عبداللّه بن عمر بن الخطّاب.

٥ـ عويمر بن مالك المعروف بأبي الدرداء.

٦ـ معاذ بن جبل.

٧ـ معاوية بن أبي سفيان.

وقد وردت رواياتهم كما يلي:

عن عبداللّه بن عمر قال: سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلّم) يقول: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»[1].

وعن معاوية، مرفوعاً: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»[2].

وفي لفظ آخر: «من مات ولا إمام له مات ميتة جاهلية»[3].

وفي لفظ آخر: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[4].

وقال الشيخ علي القاري في (خاتمة الجواهر المضيئة): وقوله (عليه السّلام) في صحيح مسلم: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»معناه: من لم يعرف من يجب عليه الإقتداء والإهتداء به في أوانه[5].

١ـ مسند أبي داود ـ سليمان بن داود الطيالسي المتوفّى ٢٠٤ هـ ـ ص٢٥٩.

٢ـ مسند احمد بن حنبل: ج٤ ص٩٦.

٣ـ صحيح مسلم: ص٢٩.

٤ـ جامع المقاصد للتفتازاني ج٢ ص٢٧٥، الجمع بين الصحيحين تأليف محمد بن فتوح الحميدي ـ المتوفى ٤٨٨ هـ ـ، البريقة المحموديّة لابي سعيد الحنفي ـ المتوفّى ١١٦٨ هـ ـ ج١ ص١١٦.

٥ـ الجواهر المضيئة: ج٢ ص٤٥٧.

وفي لفظ آخر: «مَن مات ولم يعرف امام زمانه فليمُتْ انْ شاء يهودياً وإن شاء نصرانيّاً»[١].

وفي لفظ آخر: «مَن مات بغير إمام مات ميتةً جاهلية»[٢].

وفي لفظ آخر: «مَن مات وليس عليه امام فميتتُه جاهلية» عن ابن عباس[٣].

وعن معاوية بن أبي سفيان: «من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهليّة»[٤].

وفي كنز العمّال: «من مات ولابيعة عليه مات ميتةً جاهليّة»[٥].

أقــــول: لقد ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة في أكثر من سبعين مصدراً من مصادر أهل السنة، ورواة الحديث ـ كما ذكرنا ـ من الصحابة المتَّفق على قبول كلامهم عند العامة.

أيُّها القارئ الكريم: بعد أن عرفت شيئاً من أهمية الاعتقاد بالامامة، وأن مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية، أي ميتةَ كفرٍ وضلال، أما ينبغي لنا ان نطيل الكلام حول هذا الموضوع؟!!

وقد مرَّ عليك فيما مضى ان الامامة باقية ومستمرة الى يومنا هذا، وأن الامام في عصرنا الحاضر هو الامام المهدي المنتظر (عليه السّلام) الذي سيظهر في يوم يعلمه اللّه ويملأ الأرض قسطاًوعدلاًبعدأن تُملأظلماً وجوراً.

١ـ المسائل الخمسون تأليف محمد بن فخرالرازي ـ المتوفّى ٦٠٦ هـ ـ مسألة ٤٧ ص٣٨٤.

٢ـ شرح نهج البلاغة للمعتزلي ـ المتوفّى٦٥٦ هـ ـ ج٩ ص١٥٥، وج١٣ ص٢٤٢، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٥ ص٢١٨ عن معاوية بن ابي سفيان.

٣ـ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٥ ص٢٢٤.

٤ـ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٥ ص٢٢٥.

٥ـ كنز العمّال للمتّقي الهندي ـ المتوفّى ٩٧٥ هـ ـ: ج٣ ص١٠٣.

وإنما أطَلنا الكلام حول مصادر هذا الحديث من كُتُب العامَّة، توضيحاً للحق، ولعلَّ بعض المسلمين لم يعلم بهذه الأحاديث، ولم يطَّلع على هذه المصادر الكثيرة التي لايمكن تكذيبها وتزييفها إلاّ للمعاند الجاحد للحق الذي تشمله هذه الآية ﴿وإن يروا كلّ آية لايؤمنوا بها﴾[1].

وليت شعري ما يكون موقف أهل السُّنَّة تجاه هذه الأحاديث؟

فهل لهم إمام في زمانهم يعرفونه ويعترفون به؟

ومن هو ذلك الامام؟!!

وحاشا نبيّ العظمة (صلى اللّه عليه وآله) أن يقصد من كلمة: «إمام زمانه» حُكّام بني أُميّة الطواغيت، أو فراعنة بني العباس.

وهل الحكّام الذين يحكمون ـ اليوم ـ على البلاد، هم الأئمة الذين مَن مات ولم يعرفهم، مات ميتة جاهلية؟

لاأظنّ أن مسلماً عاقلاً يعتقد هذا.

أمّا عند الشيعة فيُعتبر هذا الحديث من الأحاديث الثابتة التي لايشكُّون في صحَّتها، ولهذا كانوا يبذلون جهوداً كثيرة في سبيل معرفة إمام زمانهم وخاصَّة بعد وفاة كلِّ إمام فانهم كانوا يبحثون عن الامام الذي بعده، حتى لايموتوا ميتة جاهليّة.

وأمَّا اليوم: فالشيعة الاثنا عشرية يعتقدون بوجود الامام المهدي (عليه السّلام) ويعتبرونه إمام زمانهم.

وقد ذكرنا بعض ما يتعلَّق بهذا الموضوع في كتاب (الامام المهدي من المهد إلى الظهور).

١ـ سورة الأعراف آية ١٤٦.

النصوص الخاصَّة

أيها القارئ الكريم: اليك الآن بعض النصوص الخاصة التي تنصُّ على امامة الامام الصادق (عليه السّلام) وأنه الامام والخليفة بعد أبيه الامام الباقر (عليه السّلام):

١ـ عن سدير الصيرفي قال: سمعتُ أبا جعفر [الباقر] (عليه السّلام) يقول: «إنّ من سعادة الرجل أن يكون له الولد، يَعرف فيه شَبَهَ خَلقه وخُلقه وشمائله، وإني لأعرف من إبني هذا شَبه خَلقي وخُلقي وشمائلي» يعني أبا عبداللّه (عليه السّلام)[1].

٢ـ وعن أبي الصباح الكناني، قال: نظر أبو جعفر [الباقر] (عليه السّلام) إلى أبي عبداللّه (عليه السّلام) يمشي فقال: «ترى هذا؟ هذا من الذين قال اللّه (عزّوجلّ): ﴿ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾[2].

وروى الشيخ المفيد هذا الحديث أيضاً في الارشاد ص٢٧١.

٣ـ وعن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر [الباقر] (عليه السّلام) قال: سُئل عن القائم (عليه السّلام) فضرب بيده على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقال:

«هذا ـ واللّه ـ قائم آل محمد (صلى اللّه عليه وآله)».

قال عنبسة: فلما قُبِض أبو جعفر (عليه السّلام) دخلتُ على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فأخبرته بذلك، فقال: صَدَق جابر.

---

١ و٢ـ الكافي ج١ ص٣٠٦، والآية في سورة القصص آية ٥.

ثم قال: لعلّكم ترون أن ليس كلّ امام هو القائم بعد الامام الذي كان قبله؟![1].

٤ـ وروى هشام بن سالم، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سئل أبو جعفر (عليه السّلام) عن القائم بعده؟ فضرب بيده على أبي عبداللّه (عليه السّلام) وقال: هذا واللّه قائم آل محمد (صلى اللّه عليه وآله)[2].

٥ـ وعن محمد بن مسلم قال: كنتُ عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السّلام) إذ دخل إبنه جعفر، وعلى رأسه ذؤابة وفي يده عصا يلعب بها، فأخذه الباقر (عليه السّلام) وضمَّه إليه ضمّاً، ثم قال: بأبي أنت وأمّي! لاتلهو ولاتلعب. ثم قال لي: يامحمد! هذا إمامك بعدي. فاقتَدِ به، واقتبِس من علمه، واللّه انه لَهُو الصادق، الذي وصَفَه لنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): أن شيعته منصورون في الدنيا والآخرة واعداءه ملعونون في الدنيا والآخرة على لسان كلِّ نبي.

فضحك جعفر (عليه السّلام) واحمرَّ وجهه، فالتفت إليّ أبو جعفر وقال لي: سَلهُ.

قلت له: يابن رسول اللّه من أين الضحك؟

قال: يامحمد! العقل[3] من القلب، والحزن من الكبد، والنَّفَس من الرية، والضحك من الطحال.

فَقُمت وقبّلت رأسه[4].

١ـ الكافي: ج١ ص٣٠٧ ح٧.

٢ـ الإرشاد ص٢٧١.

٣ـ وفي نسخة: الفعل.

٤ـ كفاية الأثر: ص٢٥٣. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٠.

٦ـ وعن همام بن نافع، قال: قال أبو جعفر الباقر (عليه السّلام) لأصحابه يوماً: «إذا افتقدتموني فاقتدوا بهذا، فانه الامام والخليفة بعدي» وأشار الى إبنه جعفر (عليه السّلام)[١و٢].

٧ـ وعن يونس بن عبدالرحمن، عن عبدالأعلى، عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: إنّ أبي (عليه السّلام) استودعني ما هناك[٣] فلمّا حضرته الوفاة قال: أُدعُ لي شهوداً، فدعوتُ له أربعة من قريش، فيهم نافع مولى عبدالله بن عمر فقال: اكتب: «هذا ما أوصى به يعقوب بنيه[٤] ﴿يابَنيَّ ان الله اصطفى لكم الدين فلاتموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾[٥] وأوصى محمد بن علي الى جعفر بن محمد، وأمره أن يكفِّنه في بُرده الذي كان يصلّي فيه الجمعة وأن يُعمِّمه بعمامته، وأن يُربِّع قبره، ويرفعه أربع أصابع، وأن يحلّ عنه أطماره عند دفنه».

ثم قال ـ للشهود ـ: إنصرفوا، رحمكم الله.

فقلت له: يا أبت ـ بعدما انصرفوا ـ ما كان في هذا بأن تُشهد عليه؟[٦]

فقال: يابُني! كرهتُ أن تُغلب، وأن يقال: إنه لم يوصِ إليه، فأردت أن تكون لك الحُجّة[٧].

١ـ في بحار الانوار: وأشار الى أبي عبدالله (عليه السّلام).

٢ـ كفاية الأثر: ص٢٥٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٥.

٣ـ أي استودعني من مواريث الأنبياء ومن الكتب والصحف وغيرها.

٤ـ وفي (إعلام الورى): اكتب: «اوصيك بما أوصى به يعقوب بنيه».

٥ـ سورة البقرة آية ١٣٢.

٦ـ أي ما هي الحاجة وما هو الداعي الى هذا الاستشهاد؟

٧ـ الكافي: ج١ ص٣٠٧، وذكره الشيخ المفيد في الارشاد: ص٢٧١ مع اختلاف يسير، وفي إعلام الورى: ص٢٧٤ مع تغيير يسير.

٨ـ وعن علي بن الحَكَم، عن طاهر، قال: كنت عند أبي جعفر [الباقر] (عليه السّلام) فأقبل جعفر (عليه السّلام) فقال أبو جعفر (عليه السّلام): «هذا خير البريّة» أو «أخْيَر»[١].

١ـ الكافي: ج١ ص٣٠٦ و٣٠٧.

نَسبه الشريف

لقد تلخَّص مما ذكرنا ـ من النصوص العامَّة والخاصَّة ـ أن الامام الصادق (عليه السّلام) من العترة، والعترة أحد الثقلين الذَين تركهما وخلّفهما رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) من بعده، وانه أحد الأئمة الإثني عشر الذين نصَّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) على إمامتهم وخلافتهم ووصايتهم.

وقد تمهَّد لنا الطريق لندخل في الحديث عن تاريخ حياة هذا الامام ـ الذي لُقّب من قِبَل جده رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) بـ (صادق آل محمد)ـ ونبدأ بذكر نَسبه الشريف وما يختص به (عليه السّلام):

والده:

الامام أبو جعفر محمد الباقر، بن الامام زين العابدين علي بن سيد شباب أهل الجنّة، سبط رسول اللّه، الامام أبي عبداللّه الحسين بن الامام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب (عليهم صلوات اللّه وسلامه).

وما أجدرَ بالامام الصادق (عليه السّلام) أن يفتخر بهذا النَسب الأرفع الأقدس ويترنّم بقول الفرزدق الشاعر:

اولئك آبائي فجئني بمثلهمْ اذا جَمعتنا ـ ياجريرُ ـ المجامعُ

ومن الواضح أن التعرُّف على بعض الجوانب من عظمة كلٍّ من آبائه الكرام (عليهم السّلام) يحتاج الى موسوعة تشتمل على آيات عظمتهم، وتحتوي على مواهبهم ومزاياهم وخصائصهم التي لايشاركهم فيها غيرهم.

وعسى اللّه أن يوفّقنا لأداء هذا الواجب وهذه الخدمة، انه وليّ التوفيق.

والدته:

السيدة المكرّمة المعظّمة الجليلة: فاطمة، وتكنّى أم فروة، بنت القاسم ابن محمد بن أبي بكر، وأمّها: اسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر، وكانت سيدة عالمة فاضلة عارفة بالدّين وأحكام الشريعة، وقد روي عن عبدالأعلى قال: رأيت أُمَّ فروة تطوف بالكعبة عليها كساء متنكّرة فاستلمت الحَجَر بيدها اليسرى فقال لها رجل ممّن يطوف: يا أمة اللّه أخطأتِ السُّنّة، فقالت: إنّا لأغنياء عن علمك[1].

وقد أثنى الامام الصادق عليها ثناءً بليغاً في كلمات موجزة حيث قال:

«.. وكانت أُمّي ممّن آمنت واتّقت وأحسنت واللّه يحب المحسنين».

قال: وقالت أُمّي: قال أبي [الامام الباقر]:

«يا أمّ فروة! إني لأدعو اللّه لمذنبي شيعتنا في اليوم والليلة الف مرّة، لأنّا نحن ـ فيما ينوبنا من الرزايا ـ نصبر على مانعلم من الثواب، وهم يصبرون على ما لايعلمون»[2].

١ـ الكافي: ج٤ ص٤٢٨.

٢ـ الكافي: ج١ ص٤٧٢.

ميلاد الامام الصادق (عليه السّلام)

ممّا لاشك فيه أن الامام الباقر (عليه السّلام) كان يعيش قمّة الفرح والسرور يوم ولادة ولده الامام جعفر الصادق (عليه السّلام) وخاصَّةً وأنه كان يعلم ـ من عند اللّه تعالى ـ أن هذا المولود هو الامام من بعده وأنه الحلقة السادسة في سلسلة الأئمة الاثني عشر (عليهم السّلام) وأنه سوف يقوم باحياء دين جدّه المصطفى (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ونشْر علومه وآثاره، على نطاق واسع جداً.

ويَعلم اللّه تعالى مدى الفرحة التي كانت تغمر قلب السيدة أُم فروة والدة الامام الصادق (عليه السّلام) وخاصة اذا كان الامام الباقر قد اخبرها بمستقبل هذا المولود ومالَه من المنزلة الرفيعة والدرجة الكبيرة عند اللّه سبحانه.

أمّا عن تاريخ ميلاد الامام الصادق (عليه السّلام) فقد اختلف المؤرّخون في سنة الولادة وشهرها ويومها اختلافاً شديداً، وما ادري هل هذا الاختلاف مقصود ومتعمَّد، جاءبقصد التشويش على هذه الشخصيّة الفذّة؟!

ام أنه غير مقصود . ؟ . .

وعلى كلّ تقدير . . فالمشهور بين الشيعة أن ولادته (عليه السّلام) كانت في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول، وهو اليوم الذي وُلد فيه جدُّه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) .

وهذا هو الثابت عند ائمة أهل البيت (عليهم السّلام) وأهلُ البيت ادرى بما في البيت .

فكما أن اللّه تعالى اختار يوم السابع عشر من شهر ربيع الأول لولادة نبيِّه العظيم (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كذلك اختار اللّه ذلك اليوم لولادة الامام الصادق (عليه السّلام) الذي كان أكثر الأئمة نشراً لدين جدِّه ـ كما ذكرنا ـ واكبر مُدافع عن شريعته الخالدة، في ذلك العصر وكلّ العصور .

أمّا تاريخ سنة ولادته (عليه السّلام) فالمشهور بين المؤرّخين الشيعة ـ وأكثر العامَّة ـ أنها كانت سنة ثمانين للهجرة، وقيل : سنة ثلاث وثمانين . واللّه العالِم .

إسمه وألقابه وكُناه

إسمه: جعفر.

وقد روي أن الامام الصادق (عليه السّلام) قال ـ لِضَريس الكناسي ـ: لِمَ سمّاك أبوك ضريساً؟

قال: كما سمّاك أبوك جعفراً.

قال: إنما سمّاك أبوك ـ ضريساً ـ بجهل، لأن لإبليس إبناً يقال له ضريس، وإنّ أبي سمّاني ـ جعفراً ـ بِعلم، على أنّه إسم لنهر في الجنّة.

أما سمعتَ قول ذي الرُّمة:

أبكي الوليد أبا الوليد   أخا الوليد فتى العشيره

قد كان غيثاً في السنين   وجعفراً غدقاً وميره[1]

ويُلقّب الامام بالصادق، ولم يُلقّبه بهذا اللَّقب أحد من الناس، بل لقَّبه بذلك جدُّه الصادق المصدَّق: رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الذي ﴿ما ينطق عن الهوى * إنْ هوإلاّ وحيٌ يوحى﴾.

١ـ مناقب آل ابي طالب: ج٤ ص٢٧٧.

فقد روي عن الامام علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه (عليهم السّلام) قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): «إذا وُلد إبني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فَسمُّوه: الصادق. فانه سيكون في وُلده سَمِيٌّ له، يدّعي الإمامة بغيرحقّها ويسمّى كذّابا»[١].

وروي عن أبي خالد الكابلي أنه قال: قلت لِعليّ بن الحسين (عليه السّلام): مَن الإمام بعدك؟

قال: محمد إبني، يبقر العلم بَقْراً، ومِن بعد محمد: جعفر، إسمه عند أهل السماء: الصادق.

قلت: كيف صار إسمه الصادق؟ وكلّكم الصادقون؟

قال: حدَّثني أبي، عن أبيه أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: «إذا وُلد إبني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. فسمّوه الصادق، فانّ الخامس من وُلده ـ الذي اسمه جعفر ـ يدّعي الإمامة إجتراءً على اللّه، وكذباً عليه، فهو عند اللّه: جعفر الكذاب، المفتري على اللّه».

ثم بكى علي بن الحسين (عليهما السّلام) فقال: «كأنّي بجعفر[٢] وقد حَمَل طاغيةَ زمانه على تفتيش أمر وليّ اللّه، والمغيَّب في حفظ اللّه».

فكان كما ذكر[٣].

أقول: المقصود من جعفر الذي ادّعى الإمامة كذباً هو جعفر الكذاب ابن الامام الهادي (عليه السّلام) وقد ذكرنا بعض ما يتعلّق به في كتاب

١ـ علل الشرائع: ص٢٣٤.

٢ـ اي: المدَّعي للامامة كذباً.

٣ـ الخرائج والجرائح: ج١ ص٢٦٨ ح١٢.

(الامام المهدي من المهد الى الظهور).

وللامام الصادق (عليه السّلام) ألقاب أُخرى وإن كانت غير مشهورة، وهي: الفاضل والطاهر والقائم والكافل والمنجي...[١].

كنيته:

ويكنّى: أبا عبدالله، وأبا اسماعيل، وأبا اسحاق. ولكن الكنية الأولى هي اشهر كناه (عليه السّلام) وأكثرها وروداً في الروايات والأحاديث.

ولعلّ ذكر الامام بغير كنيته المشهورة كان بدافع التقيَّة، لأن الظروف الصعبة التي مرَّت في فترة من حياة الامام الصادق (عليه السّلام) ما كانت تسمح بالتصريح باسمه وكنيته المشهورة، ولهذا كان بعض الشيعة يستعمل بعض الكنى غير المشهورة، رعايةً للظروف.

شمائله:

كان الامام الصادق (عليه السّلام) ربع القامة[٢] ازهر الوجه، حالك[٣] الشَعر جعد، أشمّ الأنف[٤] انزع رقيق البشرة، دقيق المسربة[٥] على خدّه خال أسود، وعلى جسده خيلان حمرة[٦]و[٧].

١ـ المناقب لابن شهراشوب: ج٤ ص٢٨١.

٢ـ الرَبْعَة: الوسيط القامة (أقرب الموارد).

٣ـ الحالك: الشديد السواد (أقرب الموارد).

٤ـ الشَمَم: ارتفاع قصبة الأنف وحسنها، واستواء اعلاها، وانتصاب الارنبة. (أقرب الموارد).

٥ـ المسربة ـ بفتح الميم وضمّ الراء ـ: الشّعر وسط الصدر الى البطن. (أقرب الموارد).

٦ـ خيلان: جمع خال: الشامة في البدن. (أقرب الموارد).

٧ـ المناقب لابن شهراشوب: ج٤ ص٢٨١.

أقـول: قد صدر كتاب حول الامام الصادق (عليه السّلام) باللُّغة الأجنبيّة اشترك في تأليفه عدد من الشخصيات الغربية، وتُرجم الكتاب الى اللغة الفارسيَّة والعربية باسم: (الامام الصادق عند علماء الغرب) وفي ذلك الكتاب شرح وافٍ حول شمائل الامام (عليه السّلام) وقد تفرّد ذلك الكتاب بذكر أشياء كثيرة، ولكنها غير مُدعَمة بذكر المصادر فلااعتبار بها.

نقش خاتمه:

نقش خاتمه: «اللّه خالق كلِّ شيء»[١].

روي عن الامام الرضا (عليه السّلام) أنه قال: قاوَمُوا[٢] خاتم أبي عبداللّه (عليه السّلام) فأخذه أبي بِسبعة.

قال [الراوي]: قلت: سبعة دراهم؟

قال: سبعة دنانير[٣].

وروي عن صفوان قال: أُخرج إلينا خاتم أبي عبداللّه (عليه السّلام) وكان نقشه: «أنت ثقتي فاعصِمْني مِن خَلقك»[٤].

وعن اسماعيل بن موسى قال: كان خاتم جدِّي: جعفر بن محمد (عليهما السّلام) فضّة كلّه، وعليه: «ياثقتي قِني شرّ جميع خلقك» وانه بلغ في الميراث خمسين ديناراً، زايَدَ أبي على عبداللّه بن جعفر، فاشتراه أبي[٥].

١ـ مصباح الكفعمي: ص٥٢٣

٢ـ قاوموا: قدّروا قيمته.

٣ـ مكارم الاخلاق: ص٨٥.

٤ـ مكارم الاخلاق: ص٨٩.

٥ـ مكارم الاخلاق: ص٩١.

وروي عن يونس بن ظبيان وحفص بن غياث، انّهما قالا للامام الصادق (عليه السّلام): جُعلنا فداك! أيُكره أن يكتب الرجل في خاتمه غير اسمه واسم أبيه؟

فقال: في خاتمي مكتوب: «اللّه خالق كلِّ شيء» وفي خاتم أبي محمد بن علي (عليهما السّلام) ـ وكان خيرَ محمديّ رأيتُه بِعَيني ـ : «العزّة للّه» وفي خاتم علي بن الحسين (عليهما السّلام): «الحمد للّه العليِّ العظيم» وفي خاتم الحسن والحسين (عليهما السّلام): «حسبي اللّه» وفي خاتم أمير المؤمنين (عليه السّلام): «اللّه الملك»[1].

وعن ابراهيم بن عبدالحميد قال: مرَّ بي معتَّب ومعه خاتم، فقلت له: أي شيء هذا؟ فقال: خاتم أبي عبداللّه (عليه السّلام) فأخذتُ لأقرأ ما فيه، فاذا فيه: «اللهم أنت ثقتي فَقِني شرَّ خَلقك»[2].

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: كنت عند أبي الحسن الرضا (عليه السّلام) فأخرج إلينا خاتم أبي عبداللّه (عليه السّلام) وخاتم أبي الحسن [الكاظم] (عليه السّلام) وكان على خاتم أبي عبداللّه (عليه السّلام): «أنت ثقتي فاعصِمْني من الناس» ونقش خاتم أبي الحسن (عليه السّلام): «حسبي اللّه» وفيه وردة وهلال في أعلاه[3].

وقيل: كان نقش خاتمه: «ما شاء اللّه لا قوّة إلاّ باللّه، استغفر اللّه»[4].

١ـ الكافي: ج٦ ص٤٧٣ ح٢.

٢ـ الكافي: ج٦ ص٤٧٣ ح٣.

٣ـ الكافي: ج٦ ص٤٧٣ ح٤.

٤ـ الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي: ص٢٢٣.

أقــول: لايبعد أنَّ تَعدُّد الروايات والأقوال حول نقْش خاتم الامام الصادق (عليه السّلام) يعود الى تعدُّدِ خواتيمه، أو أن تلك الكلمات كلّها كُتبت في فُصٍّ واحد، والإحتمال الاول أقرب، واللّه العالِم.

جوانب من حياة الامام الصادق (عليه السّلام)

كان الامام الصادق (عليه السّلام) يعيش في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ونحن الآن في أوائل القرن الخامس عشر، ويفصل الزمان بيننا أكثر من إثني عشر قرناً ونصف، ومع هذا الفاصل الزمني كيف يمكن لنا أن ندرس حياة الامام ونحيط بها علماً؟!

وما هي الطُرق والوسائل للوصول الى معرفة هذه الشخصيّة بقدر الإمكان؟!

من الواضح ان التراث العلمي والفكري الذي تركه الامام الصادق (عليه السّلام) في موسوعات الأحاديث، والموادّ التاريخية الموجودة في بطون كتب التواريخ، قد انعكست عليها جوانب من شخصية الامام الصادق ونفسيَّته ومواهبه ومزاياه، ومن هذا المنظار ننظر إلى حياة الامام الصادق (عليه السّلام) وما رافقها من الأحداث، وما تعلَّق بها من الامور.

ولا أُبالغ اذا قلت: ان الأقلام تعجز والألسن تكلّ، والعقول تضعف عن الإحاطة بشخصية الامام الصادق (عليه السّلام) واستيعابها.

وكلٌّ من كَتَب أو يكتب، وكلُّ ما كُتِب أو يُكتَب فهو بمقدار ما أدركه

الكاتب، وبمقدار ما استوعبه عقله وفكره.

وهكذا كُلّ من تحدّث أو يتحدّث عن تلك الشخصية فهو ينظر من روزنة ضيّقة ويتحدّث في حدود إدراكه لا إدراك الواقع كله.

ومؤلّف هذا الكتاب أحد اولئك الكُتّاب أو المتحدّثين عن هذه الشخصيّة، فهذه الصفحات هي حصيلة جُهد إنسان لم تساعده الظروف كما يجب، ولم تتوفّر عنده المصادر كما ينبغي، فالعجز في إدراك النكات العلمية، وقصور اداة التفكير، وضعف القلم والبيان آلام يشعر بها الكاتب ولاتفارقه.

فما أصنع؟ فقد قيل: ما لايُدرَك كلّه لايُترك كله.

أقول ـ واللّه المستعان ـ :

إستلم الإمام الصادق (عليه السّلام) مقاليد الإمامة، ونهض بأعباء الزعامة والولاية الكبرى، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة، وبإمكاننا أن نضع شخصيته على طاولة المطالعة والدراسة والتحليل، في حدود القدرة والإمكان.

وهناك نواحي عديدة يمكن لنا أن ننظر من كل ناحية أو زاوية الى تلك الشخصية، على ضوء الحقيقة والواقع، لا الوهم والخيال:

١ـ ناحية النسب:

من أوضح الواضحات أن الامام الصادق (عليه السّلام) ينحدر من أشرف أُسرة على وجه الأرض، وأطهر سلالة عرفها التاريخ، فهو ابن الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين: علي، ابن سيد شباب أهل الجنّة، سيد الشهداء، الامام أبي عبداللّه الحسين، ابن أمير المؤمنين، سيد العترة الامام أبي الحسن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء، سيدة نساء

العالمين، بنت سيد الأنبياء محمد رسول اللّه (صلوات اللّه عليهم أجمعين).

فهل تعرف في الكون نسباً أشرف وأطهر من هذا النسب؟!

وهل تتصوّر سيادة أو عظمة أفخر وأعلى من هذه السيادة؟!

وبناءً على قانون الوراثة الذي له كلُّ الأثر في تكوين الإنسان وتوجيهه، فاننا نجد أشرف عوامل الوراثة وأزكاها في نسَب الامام الصادق (عليه السّلام).

ومن هذا المنطلق أو من هذه الناحية تنكشف لنا ناحية أُخرى من العوامل في تكوين الإنسان، وهو البيت الذي يفتح الإنسان فيه عينه، وينمو ويكبر.

٢ـ البيت المقدَّس:

فان البيت الذي فتح الإمام الصادق (عليه السّلام) عينه فيه كان بمنزلة المعبد المغمور بالروحانيّة والنورانيّة، بسبب أنواع العبادة وأخلصها، من صلاة ومناجات وتهليلات وتسبيحات، وخشوع وخضوع للّه سبحانه، وتلاوة القرآن التي كانت تؤثّر في الجمادات فكيف بذوي الأرواح؟!!

فينطبق على ذلك البيت ـ كلَّ الإنطباق ـ قوله تعالى: ﴿في بيوت أذن اللّه أن تُرفع ويذكر فيها اسمه * يُسبِّح له فيها بالغدُوِّ والآصال رجال لاتلهيهم تجارةٌ ولابيعٌ عن ذكر اللّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلَّبُ فيه القلوبُ والأبصار﴾[1].

في بيوت كانت لياليها مشرقة متلألأة بالتهجد والبكاء والتضرّع بين

١ـ سورة النور آية ٣٦ و٣٧.

يدي الخالق الذي عَظُم في أنفسهم، فصغُر ما دونه في أعينهم.

وكيف لايكونون كذلك؟ وهم أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، وقد أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً؟

وفي النهار كان ذلك البيت مَحَطّ آمال المسلمين، ومَعْقد أمانيِّهم، تتزاحم على بابه كافّة الطبقات، من ارباب الحوائج، وروّاد الفضيلة، وهواة العلم والمعرفة، وطلاّب الهداية، فيجدون ضالَّتهم المنشودة، وتتحقَّق أمانيُّهم المقصودة، فيرجعون بنفوس مطمئنّة، وقلوب صافية زاكية وأفكار مستقيمة، وآراء صائبة، قد وجدوا الحَلَّ لمعضلات المسائل، والجواب الصحيح لمهمّات القضايا والامور الدينية والدنيويّة والأُخرويّة، قد ارتووا من نمير علمٍ تطفح ضفَّتاه، ولايترتَّق جانباه.

٣ـ ناحية التربية:

واذا نظرنا الى شخصيَّة الامام من ناحية التربية ـ التي هي إحدى العوامل في تكوين الإنسان وتوجيهه ـ فلاأراني بحاجة الى التحدّث عن هذا الموضوع، فان الامام الصادق، بل وجميع الأئمة (عليهم السّلام) في غنى عن التربية والمربّي، فان اللّه تعالى أفاض عليهم الكمال، فلامكان للنقص فيهم حتى يتمَّ ذلك النقص بالتربية!

وفيما يلي نذكر بعض الجوانب ـ من حياة الامام ـ العائلية والتربويَّة والاقتصاديَّة والعلميَّة والسياسيَّة وغيرها.

حياة الامام الصادق (عليه السّلام) العائلية

في عصر الامام زين العابدين (عليه السّلام)

أدرك الامام الصادق (عليه السّلام) خمسة عشر سنة من حياة جدّه الامام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السّلام)[1].

ومن الطبيعي انه سمع الشيء الكثير من جدّه الامام السجاد.

ومنها ـ كما ورد في مقدمة الصحيفة السجادية ـ . . . ان الامام الصادق (عليه السّلام) قال ـ لابنه اسماعيل ـ : «قم يا اسماعيل! فأتني بالدعاء الذي أمرتُك بحفظه وصَونه».

فقام اسماعيل، فأخرج صحيفة كأنَّها الصحيفة التي دفَعها إليَّ يحيى بن زيد، فقبّلها ابو عبداللّه، ووضعها على عينيه وقال:

«هذا خطّ أبي، وإملاء جدّي (عليهما السّلام) بمشهد مني . . .».

مما يستفاد أنه كان يحضر مجلس جدّه الامام زين العابدين (عليه السّلام) ويستمع الى أحاديثه وأماليه.

١ـ بناءً على ولادة الامام الصادق سنة ٨٠ ووفاة الامام السجاد سنة ٩٥ من الهجرة.

وقد ذكرنا أحاديث الامام الصادق (عليه السّلام) المرويَّة أو المسندة أو المتعلِّقة بالامام زين العابدين (عليه السّلام) في البحث عن الائمة (صلوات الله عليهم) في الجزء العاشر من الموسوعة .

في عصر الامام محمد الباقر (عليه السّلام)

إن شخصية الامام محمد الباقر (عليه السّلام) تستحقُّ كلَّ تقدير وإكبار، كما تستحقُّه شخصيّات الأئمة الطاهرين (سلام اللّه عليهم أجمعين) .

وتستحقُّ تلك الشخصية أن يؤلَّف عنها موسوعة كما كتبنا موسوعة عن ابنه الامام الصادق (عليه السّلام) .

ونسأل اللّه العليَّ القدير أن يوفّقنا لتحقيق هذه الأمنيَّة، وتأليف موسوعة عن الامام الباقر (عليه السّلام) خدمة للدين، ونشراً للمعرفة .

عاش الامام الصادق (عليه السّلام) تحت ظلّ والده الامام الباقر أربعاً وثلاثين سنة، وكما هو المفروض: ان الامام اللاّحق يكون صامتاً مع وجود الامام السابق، ولايتصرَّف في شيء من الشؤون الخاصة بتصرّف الامام، وكذلك كان الامام الصادق (عليه السّلام) .

وقد روى الامام الصادق عن والده أحاديث كثيرة جدّاً ذكرناها في طيات اجزاء موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) .

كما ذكرنا للامام الباقر (عليه السّلام) مواعظ ونصائح خاصة موجّهة الى ولده الامام الصادق (عليه السّلام) .

وكان الامام الصادق (عليه السّلام) يرافق أباه في حَلَّه وترحاله، في سَفَره وحَضَره.

وقد نصَّ الامام الباقر (عليه السّلام) على إمامة ولده الامام الصادق (عليه السّلام) وقد ذكرنا بعضها في بداية الكتاب.

وترشدنا الأحاديث الى ان الامام الصادق (عليه السّلام) كان يرافق أباه الامام الباقر (عليه السّلام) كما يرافق التلميذ استاذه، وكثيراً مّا كان الوالد يُهدي الى الولد أفضل المواعظ، وأغلى النصائح، وأشرف التجارب وأحسن دروس الحِكَم والمعرفة.

وليس معنى ذلك ان الامام الصادق (عليه السّلام) كان يجهل تلك الامور، فقد يكون سرد المواعظ والنصائح من إمام الى آخر من قبيل: «إياك أعني فاسمعي ياجارة».

وقد ورد في الحديث ان النبي (صلّى اللّه عليه وآله) قال لجبرئيل: «عِظني» مع العلم ان النبي كان أعلم من جبرئيل، ولم يكن بحاجة إلى أن يسمع من جبرئيل أشياء بديهية واضحة، كقول جبرئيل له: «عِش ما شئت فانك ميِّت، واحبب من شئت فانك مفارقه، واعمل ما شئت فانك لاقيه»[1] فهذه قضايا وامور يعلمها كلُّ أحد.

ولكن الحكمة تقتضي ان لايستنكف رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ـ وهو الرجل الكامل ـ من الاستماع الى المواعظ والنصائح، حتى لايستنكف غيره من قبول موعظة أو نصيحة يسمعها أو يقرؤها.

١ـ الكافي: ج٣ ص٢٥٥ ح١٧.

حياة الامام الصادق (عليه السّلام) التربوية

إنّ المعلِّمين والمدرِّسين والأساتذة الذين يُدرِّسون في المدارس والكلّيّات لايهتمّون ـ على الأكثر ـ إلاّ بِتدريس المواد التي كُلِّفوا بتدريسها، كالعلوم والرياضيّات، والتاريخ والجغرافيا والكيمياء والفيزياء وأمثال ذلك، ولايهتمّون بالنواحي المعنوية وتزكية النفوس، وبَثّ روح الأخلاق والفضيلة في الطلاّب.

وانما يقوم بهذه الامور الرجال الإلهيّون، الذي يؤمنون باللّه وباليوم الآخر، ويعملون للّه، وطلباً لمرضاته، لا للراتب، ولا إسقاطاً للتكليف، ولا رئاءً ولاسمعة.

ومن الواضح أن المربّي يجب أن يكون عارفاً بأُصول التربية وفنونها، وان يكون له إلمام كبير بِعلم النفس، والبلاغة، حتى يورد الكلام بما يقتضي الحال، فتكون النتيجة قطعية ومضمونة اذا كانت النفس مستعدّة للقبول، واذا لم يكن هناك مانع نفسي كالعناد والجحود وأمثال ذلك من موجبات الضلالة والإنحراف.

بعد هذه المقدّمة الوجيزة نقول:

ان الامام الصادق (عليه السّلام) كان يرى أنّ من وظائف الامام الشرعية هي تربية المجتمع البشري بصورة عامة، والمجتمع الاسلامي بصورة خاصة، والمجتمع الشيعي بصورة أخص.

فاذا كان الامام لايجد آذانا صاغية واعية إلاّ عند شيعته ـ المعتقدين بامامته المحسوبين عليه بسبب إنتمائهم إليه ـ فان ذلك كان يدفعه الى تضاعف الإهتمام بأداء الواجب الديني والأخلاقي المقدّس الملقى على عاتقه، تجاه الخط الموالي له، المتجاوب معه.

وكما لايخفى ان التدريس قد يكون علمياً وقد يكون عملياً، وبعبارة أُخرى: قد يكون التعليم باللسان والبيان، وقد يكون بتجسيم الموضوع في الأفعال.

فقد يأمر الاستاذ تلميذه بُحسن الخلق، ويذكر له شرف هذه الفضيلة عند اللّه وعند الناس، في الدُّنيا وفي الآخرة.

وقد يعلّم الاستاذ حُسن الخلق عملياً، فتظهر من الاستاذ الأخلاق الطيِّبة، والصفات الكريمة في لقاءاته مع الأفراد، من السلام الحارّ، وبشاشة الوجه، ورحابة الصدر، والإحترام اللائق، والمجاملة، ورعاية العواطف، وأمثال ذلك مما يطول الكلام بذكرها.

فاذا رأى التلميذ من استاذه هذه الصفات ـ التي يحبّها كلُّ قلب سليم، ويستحسنها كل ذي طبع صحيح ـ فمن الطبيعي انه يتعلَّم ذلك، لأن الطبيعة سرّاقة.

أيها القارئ الكريم: كانت الأُصول التربوية عند الإمام الصادق (عليه السّلام) تشمل القسمين كليهما، فكان (عليه السّلام) يأمر بمكارم الأخلاق، والصفات الحميدة، وتصدر منه تلك الأخلاق والصفات.

ولا أُبالغ اذا قلت: إن مئات الأحاديث الواردة في موسوعتنا ـ موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) ـ تشمل أحد القسمين أو تشملهما معاً.

والقارىء النبيه سوف ينتبه إلى هذه النقاط والنكات أثناء مطالعته للأحاديث الموجودة هناك.

ولأجل أن لايخلو هذا البحث من المثال نذكر ـ هنا ـ بعض النماذج، من هذه الاحاديث:

أما القسم الأول: وهو التربية باللسان والبيان فاليك مايلي:

«هذا أدب جعفر»

١ـ روي عن زيد الشحّام قال: قال لي ابو عبداللّه (عليه السّلام):

«أقرأ ـ على مَن ترى أنه يطيعني منهم، ويأخذ بِقَولي ـ السلام، وأُوصيكم بتقوى اللّه (عزّوجلّ) والوَرَع في دينكم، والإجتهاد للّه، وصِدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحُسن الجِوار، فَبِهذا جاء محمد (صلّى اللّه عليه وآله).

أدُّوا الأمانة إلى مَن ائتمنكم عليها، بَرّاً أو فاجراً، فإنَّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) كان يأمر بأداء الخيط والمِخيَط.

صِلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فان الرجل منكم اذا ورع في دينه، وصَدَقَ الحديث، وأدّى الأمانة، وحَسُن خُلقه مع الناس قيل: «هذا جعفري» فيسرّني ذلك، ويدخل عَلَيَّ منه السرور، وقيل: «هذا أدب جعفر».

واذا كان على غيرذلك، دَخَلَ عَلَيَّ بلاؤه وعارُه، وقيل: «هذا أدب جعفر».

فوالله لَحدَّثني أبي (عليه السّلام): ان الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي (عليه السّلام) فيكون زَينَها، آداهم للأمانة[1] وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرةَ عنه فتقول [العشيرة]: مَن مثل فلان؟ إنه لآدانا للامانة وأصدقُنا للحديث[2].

هكذا تكون الصلاة

٢ـ وعن حمّاد بن عيسى قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السّلام) يوماً: يا حمّاد تُحسن ان تصلّي؟

قال: فقلت: ياسيدي أنا احفظ كتاب حريز في الصلاة.

[قال] فقال: لاعليك [ياحمّاد] قم فصلّ.

قال: فقمتُ بين يديه متوجّها الى القبلة فاستفتحتُ الصلاة فركعت وسجدت.

فقال: ياحمّاد لاتحسن ان تصلّي! ما أقبح بالرجل [منكم] يأتي عليه ستون سنة أو سبعون سنة فلايقيم صلاة واحدة بحدودها تامة!!

قال حمّاد: فاصابني في نفسي الذلّ فقلت: جعلت فداك فعلّمني الصلاة.

فقام أبو عبدالله (عليه السّلام) مستقبلَ القبلة منتصباً فأرسل يديه جميعاً على فخذيه، قد ضمَّ أصابعه وقرَّب بين قدميه حتى كان بينهما [قدر] ثلاث أصابع منفرجات، واستقبل باصابع رجليه جميعا [القبلة] لم

١ـ أي: اكثرهم اداءً للأمانة.

٢ـ الكافي: ج٢ ص٦٣٦ ح٥.

يحرِّفها عن القبلة وقال بخشوع: (اللّه أكبر) ثم قرأ الحمد بترتيل و«قل هو اللّه أحد» ثمَّ صبر هنيئة بقدر ما يتنفّس وهو قائم ثمّ [رفع يديه حيال وجهه و]قال: (اللّه أكبر) وهو قائم ثمَّ ركع، وملأ كفَّيه من ركبتيه منفرجات وردّ ركبتيه الى خلفه ثم استوى ظهره حتى لو صُبَّ عليه قطرة [من] ماء أو دهن لم تزل لاستواء ظهره، ومدَّ عنقه وغَّض عينيه ثم سبّح ثلاثاً بترتيل فقال: (سبحان ربي العظيم وبحمده) ثمَّ استوى قائماً فلمّا استمكن من القيام قال: (سمع اللّه لمن حمده) ثم كبَّر وهو قائمٌ ورفع يديه حيال وجهه ثمَّ سجد، وبسط كفَّيه مضمومتي الاصابع بين يدي ركبتيه حيال وجهه فقال: (سبحان ربّي الأعلى وبحمده) ثلاث مرَّات ولم يضع شيئاً من جسده على شيء منه، وسجد على ثمانية أعظم: الكفَّين، و[عيني] الركبتين وأنامل إبهامي الرجلين، والجبهة، والأنف، وقال[1]: سبع منها فرض [يسجد عليها وهي التي ذكرها اللّه (عزّوجلّ) في كتابه وقال: ﴿وأنَّ المساجد للّه فلاتدعوا مع اللّه احداً﴾[2] وهي الجبهة والكفّان والرّكبتان والإبهامان]، ووضْع الانف على الارض سُنّة [وهو الارغام]، ثمَّ رفع رأسه من السجود فلمّا استوى جالساً قال: (اللّه أكبر) ثمَّ قعد على فخذه الايسر قد وضع قدمه الأيمن على بطن قدمه الايسر وقال: (استغفر اللّه ربّي وأتوب اليه) ثمَّ كبَّر وهو جالس وسجد الثانية وقال كما قال في الأولى ولم يضع شيئاً من بدنه على شيء منه في ركوع ولاسجود وكان مُجنَّحاً ولم يضع ذراعيه على الارض فصلّى ركعتين على هذا ويداه مضمومة الاصابع وهو جالس في

١ـ بعد الفراغ من الصلاة، لان الكلام يُبطل الصلاة، ويحتمل أن الصلاة كانت تعليميّة ولم ينو الامام نيَّة الصلاة.

٢ـ سورة الجن آية ١٨.

التشهّد فلمّا فرغ من التشهّد سلّم فقال: ياحمّاد هكذا صلّ[١].

لا.. للبطالة

٣ـ وعن عبدالرحمن بن الحجّاج، قال: كان رجل من أصحابنا بالمدينة، فضاق ضيقاً شديداً واشتدّت حالته، فقال له أبو عبدالله (عليه السّلام): إذهب، فَخُذ حانوتاً في السوق، وابسط بساطاً، وليكُن عندك جَرَّة من ماء، وألزم باب حانوتك.

قال: ففعل الرَّجل، فمكث ما شاء الله.

قال [الراوي]: ثمَّ قدمَت رفقة[٢] من مصر، فألقوا متاعهم، كل رجل منهم عند معرفته[٣] وعند صديقه، حتى ملأوا الحوانيت، وبقي رجل منهم لم يُصِب حانوتاً يلقي فيه متاعه.

فقال له أهل السوق: هاهنا رجل ليس به بأس، وليس في حانوته متاع، فلو ألقيت متاعك في حانوته.

فذهب إليه فقال له: أُلقي متاعي في حانوتك؟

فقال له: نعم. فألقى متاعه في حانوته، وجعل يبيع متاعه، الأوّل فالأوّل، حتى اذا حضر خروج الرفقة بقي عند الرَّجل شيء يسير من متاعه، فكره المقام عليه.

فقال ـ لِصاحبنا ـ: اخلف هذا المتاع عندك، تبيعه وتبعث إليَّ بِثَمَنه؟

قال [الراوي]: فقال: نعم.

١ـ التهذيب: ج٢ ص٨١ ح٣٠١.

٢ـ الرفقة: الجماعة ترافقهم في سفرك. (أقرب الموارد).

٣ـ اي عند مَن يعرفه.

فخرجت الرُّفقة، وخرج الرَّجل معهم، وخلّف المتاع عنده، فباعه صاحبنا وبعث بثَمَنه إليه.

قال: فلمّا أن تهيّأ خروج رفقة مصر من مصر، بعث إليه ببضاعة فباعها، وردَّ إليه بثمنها.

فلمّا رأى ذلك الرّجل أقام بمصر، وجعل يبعث إليه بالمتاع، ويُجهِّز عليه.

قال: فأصاب، وكَثُر ماله وأثرى[1].

أقول: لعلَّ الحديث يحتاج الى شيء من التوضيح:

كان التجّار القادمون من مصر الى المدينة، يعرفون بعض أصحاب الحوانيت، فكان كلُّ تاجر يجعل بضاعته ـ التي جاء بها من مصر ـ عند من يعرفه من أهل السوق ليبيعها، ولكنَّ احد اولئك التجّار لم يعرف أحداً حتى يجعل بضاعته عنده ليبيعها، فارشده بعض الناس الى ذلك الرجل الذي أمره الامام الصادق (عليه السّلام) أن يأخذ حانوتاً في السوق ويفرشه بالبساط.

فذهب التاجر الى ذلك الرجل واتّفق معه أن يجعل بضاعته في حانوته حتى يبيعها.

فباع الرجل بضاعة التاجر، وبقي منها شيء، وما أحبَّ ذلك التاجر أن يمكث في المدينة أكثر من ذلك، فاتفق مع الرجل على أن يبقى المتاع عنده ويبيعه، ويبعث بثَمنه الى مصر.

وخرج التاجر الى مصر، وباع الرجل البضاعة، وارسل الثمن الى مصر، فجعل التاجر يرسل البضائع الى الرجل، والرجل يبيعها، ويرسل

١ـ الكافي: ج٥ ص٣٠٩ ح٢٥.

الثمن الى التاجر، ويأخذ أُجرته المتَّفق عليها.

فمكث التاجر في مصر يبعث المتاع الى هذا الرجل، فأصاب الرجل أموالاً وثروة كبيرة من هذا الطريق وببركة ارشاد الامام الصادق (عليه السّلام) ايّاه.

التقيّة في حكومة الظالمين

٤ـ وعن أبي بصير، قال: سمعتُ أبا عبداللّه (عليه السّلام) يقول: «إتّقوا اللّه، وعليكم بالطاعة لأئمتكم، قولوا ما يقولون، واصمتوا عمّا صمتوا، فانكم في سلطان مَن قال اللّه تعالى: ﴿وإنْ كان مَكرُهُمْ لِتزُولَ منه الجبال﴾[1] (يعني بذلك ولد العباس).

فاتقوا اللّه، فانكم في هدنة[2] صَلّوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وأدّوا الأمانة إليهم، وعليكم بِحجٍّ هذا البيت، فأدمنوه، فانّ في إدمانكم الحجَّ دفع مكاره الدنيا عنكم وأهوال يوم القيامة»[3].

الدعاء لحلّ المشاكل

٥ـ روي عن الطيالسي قال: جئت من مكّة إلى المدينة، فلمّا كنت على ليلتين من المدينة، ذهبتْ راحلتي وعليها نفقتي ومتاعي وأشياء كانت للنّاس معي.

فأتيت أبا عبداللّه (عليه السّلام) فشكوتُ إليه، فقال: ادخل المسجد فقل:

١ـ سورة ابراهيم آية ٤٦.

٢ـ الهُدنة: بمعنى المصالحة والسكون (أقرب الموارد).

٣ـ أمالي الطوسي: ج٢ ص٢٨٠. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٦٢.

«اللهمّ انّي أتيتك زائراً لبيتك الحرام، وإن راحلتي قد ذهبت، فردّها عليّ» فجعلت أدعو، فاذا مناد ينادي على باب المسجد: يا صاحب الراحلة اخرج فخذ راحلتك، فقد آذيتنا منذ اللّيلة، فأخذتها وما فقدتُ منها خيطاً واحداً[1].

العفَّة الجنسيَّة والورع عن المحارم

٦ـ وعن مهزم قال: كنّا نزولاً بالمدينة، وكانت جارية لصاحب المنزل تعجبني وإنّي أتيت الباب فاستفتحتُ، ففتحت لي الجارية، فغمزتُ ثديها، فلمّا كان من الغد دخلت على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقال: يامهزم أين كان أقصى أَثَرِك اليوم؟

فقلت له: ما برحتُ المسجد.

فقال: أما تعلم ان أمرنا هذا لايُنال إلاّ بالورع؟![2].

وهناك رواية مشابهة لهذه الرواية مرويَّة عن ابراهيم بن مهزم الأسدي وجاء فيها قولُ الامام الصادق (عليه السّلام) له: «أما علمتَ أنَّ ولايتنا لاتنال إلاّ بالورَع؟!»[3].

وفي رواية ثالثة مشابهة، مرويَّة عن أبي كهمس، ولعلّه كنية ابراهيم ابن مهزم، وانْ لم يُصرِّح به أحد من علماء الرجال[4].

١ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦٣٨ ح٤٢. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٠٧.

٢ـ بصائر الدرجات: ص٢٦٣ ح٢.

٣ـ بحار الانوار ج٤٧ ص١٠١.

٤ـ بحار الانوار ج٤٧ ص٧١.

قضاء حوائج المؤمنين

٧ـ وعن سكين بن عمّار، عن رجل من أصحابنا يكنّى أبا أحمد قال: كنت مع أبي عبدالله (عليه السّلام) في الطواف يده في يدي إذ عَرَضَ لي رجل له إليَّ حاجة فأومأت إليه بيدي فقلت له: كما أنت حتّى أفرغ من طوافي[1]، فقال لي أبو عبدالله: ما هذا؟

قلت: أصلحك الله رجل جاءني في حاجة.

فقال لي: مسلم هو؟

قلت: نعم.

فقال لي: اذهب معه في حاجته.

فقلت له: أصلحك الله فأقطع الطواف؟

فقال: نعم.

قلت: وإن كنتُ في المفروض؟

قال: نعم وإن كنتَ في المفروض.

قال: وقال أبو عبدالله (عليه السّلام): مَن مشى مع أخيه المسلم في حاجته كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيّئة ورفع له ألف ألف درجة[2].

١ـ أي قف مكانك والزمه حتّى افرغ من الطواف.

٢ـ الكافي: ج٤ ص٤١٤ ح٧.

نَعَم . . لطلب العِلم
لا . . لهتك استارَ النّاس

٨ـ عن عمرو بن جميع قال: قال أبو عبداللّه (عليه السّلام): من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فَدَعوه، ومن جاءنا يُبدي عورة[١] قد سترها اللّه فنحُّوه.

فقال له رجل من القوم: جُعُلت فداك واللّه إنني لمقيم على ذنبٍ منذ دهرٍ أُريد أن أتحوَّل عنهُ إلى غيره فما أقدر عليه.

فقال له: إن كنت صادقاً فإنّ اللّه يحبُّك وما يمنعُهُ أن ينقُلك منهُ إلى غيره إلاّ لكي تَخافَهُ[٢].

لاتُظهر فقرك للناس فتهون عليهم

٩ـ عن مفضّل بن قيس بن رمّانة قال: دخلت على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فذكرت له بعض حالي، فقال: ياجارية هات ذلك الكيس، هذه أربعمائة دينار وَصلني بها أبو جعفر[٣] فخُذها وتفرَّج بها.

قال: فَقلت: لا واللّه ـ جعلت فداك ـ ما هذا دهري[٤] ولكن أحببتُ أن تدعو اللّه (عزّوجلّ) لي.

قال: فقال: إنّي سأفعل ولكن إيّاك أن تخبر النّاس بكلّ حالك فتهون

١ـ العورة: كلُّ ما يستحيى منه ويسوء صاحبه أن يُرى ذلك منه (مجمع البحرين) والظاهر انّ المراد هتك أستار الناس.

٢ـ اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٤٤ ح٤.

٣ـ المراد بأبي جعفر: المنصور الدوانيقي.

٤ـ أي ليس هذا من عادتي وهمَّتي، فان الدهر يقال للهمَّة والعادة.

عليهم[١].

لاتكن حائكاً

١٠ـ عن أبي إسماعيل الصيقل الرازي، قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السّلام) ومعي ثوبان فقال لي: يا أبا إسماعيل تجيئني من قِبَلكم أثواب كثيرة وليس يجيئني مثل هذين الثوبين اللّذين تحملهما أنت.

فقلت: جعلت فداك تغزلهما أم إسماعيل وأنسجهما أنا.

فقال لي: حائك؟

قلت: نعم.

قال: لاتكن حائكاً.

قلت: فما أكون؟

قال: كن صيقلاً[٢]. وكانت معي مائتا درهم فاشتريت بها سيوفاً ومرايا عتقاء[٣] وقدمت بها الريّ وبعتها بربح كثير[٤].

اتّق الله.. ولاتعجل

١١ـ وعن جرير بن مرازم قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السّلام) إنّي أُريد العمرة فأوصني.

فقال: اتّق الله ولاتعجل.

١ـ الكافي: ج٤ ص٢١ ح٧.

٢ـ صقل السيف صقلاً وصقالاً أي جلاه، ويقال لمن يعمل ذلك: الصيقل. (الصحاح).

٣ـ عتقاء: جمع عتيقة، ومرايا جمع مرآة والمقصود: اشتريتُ مرايا عتيقة قد زال عنها الزيبق، فصقلتها بالزيبق، وقَدمتُ الى الريّ.

٤ـ التهذيب: ج٦ ص٣٦٣ ح١٠٤٢.

فقلت: أوصني! فلم يزدني على هذا، فخرجت من عنده من المدينة فلقيني رجل شاميٌّ يريد مكّة فصحبني، وكان معي سُفرة فأخرجتها وأخرج سفرته وجعلنا نأكل، فذكر أهلَ البصرة فشتَمَهم، ثمّ ذكر أهلَ الكوفة فشتَمَهم ثم ذكر الصادق (عليه السّلام) فوقع فيه، فأردت أن أرفع يدي فأُهشّم أنفه وأُحدّث نفسي بقتله أحياناً، فجعلت اتذكَّر قوله: «اتّق اللّه ولاتعجل» وأنا أسمع شتمه، فلم أعدّ ما أمرني[1].

المال الحلال خيرٌ من المال الحرام

١٢ـ وروي أنَّ رجلا دخل على الصادق (عليه السّلام) وشكا إليه فاقته.

فقال له (عليه السّلام): طب نفساً فإنّ اللّه يُسهّل الأمر.

فخرج الرجل، فرأى[2] في طريقه همياناً فيه سبعمائة دينار فأخذها[3] وانصرف إلى أبي عبداللّه (عليه السّلام) وحدّثه بما وجد، فقال له: اخرج وناد عليه سنةً، لعلّك تظفر بصاحبه، فخرج الرَّجل وقال: لاأُنادي في الأسواق، وفي مجمع الناس، وخرج إلى سكّة[4] في آخر البلد، وقال: من ضاع له شيء؟ فإذا رجل كانّه ميت في جانب قال له: ذهب منّي سبعمائة دينار في شيء كذا وكذا. قال: معي ذلك، فلمّا رآه، وكان معه ميزان فقال: لاتخرج، فَوزَنَها، فكان كما كان لم تنقص، فأخذ منها سبعين ديناراً وأعطاها الرجل، فأخذها وخرج إلى أبي عبداللّه (عليه السّلام)،

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٤.

٢ـ في بحار الأنوار: فلقي.

٣ـ في بحار الأنوار: فأخذ منه ثلاثين ديناراً.

٤ـ السكة: الزقاق. (مجمع البحرين).

فلمّا رآه تبسّم وقال: ياهذه هاتي الصرّة فأُتت[1] بها فقال: هذا ثلاثون، وقد أخذتَ سَبعين من الرجل، وسبعون حلالاً خير من سبعمائة حرام[2].

هذه طريقة الموعظة

١٣ـ وعن الشقران[3] مولى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله): خرج العطاء أيّام أبي جعفر وما لي شفيع، فبقيت على الباب متحيّراً، وإذا أنا بجعفر الصادق (عليه السّلام) فقمت إليه فقلت له: جَعلني اللّه فداك أنا مولاك الشقران[4] فرحّب بي، وذكرت له حاجتي فنزل ودخل وخرج وأعطاني مِن كُمّه فصبّه في كُمّي ثم قال: «ياشقران[5] إن الحسن من كلّ أحد حَسَن وإنه منك أحسن لمكانك منّا، وإن القبيح من كلّ أحد قبيح وإنه منك أقبح» وعَظَه على جهة التعريض لأنه كان يشرب[6].

ايّاك أن تكون فحّاشاً أو صيّاحاً

١٤ـ وقال سماعة بن مهران: دخلت على الصادق (عليه السّلام) فقال لي مبتدئاً: ياسماعة ما هذا الذي بينك وبين جمّالك في الطريق؟!! إيّاك أن تكون فاحشاً أو صيّاحاً.

قال: واللّه لقد كان ذلك لأنه ظلمني. فنهاني (عليه السّلام) عن مثل ذلك[7].

١ـ وفي بعض النسخ (فاتى بها) أو (فأتيت بها).

٢ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٧٠٩ ح٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١١٧.

٣ ـ ٥ـ في بحار الأنوار: الشقراني.

٦ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٣٦. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٤٩.

٧ـ مناقب آل ابي طالب: ج٤ ص٢٢٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٢٨.

حياة الامام الصادق (عليه السّلام) الإقتصادية

لايستغني الإنسان في حياته من المال، لتأمين حياته الإقتصادية من مأكله وملبسه ومسكنه، وإمرار معاشه بصورة عامّة.

فهناك مَن يُؤمِّن حياته الإقتصادية بِطُرق غير مشروعة، ولايبالي من أين وصل إليه المال واين صرَفه؟

ولكنَّ اولياء اللّه يهتمّون بهذه الناحية كاهتمامهم بالعبادات، فان طلب الرزق الحلال يعتبر عندهم عبادة يتقرّبون بها الى اللّه تعالى.

والحياة الإقتصادية للأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) كانت مركّزة على هذه النواحي الشرعية، فتراهم يهتمُّون بالزراعة، وتأمين جانب من حياتهم الإقتصادية، ويعتبرون الانتاج الزراعي أطهر وأحلَّ الأرزاق.

وربّما استثمروا أموالهم عن طريق التجارة، لاحرصاً على جمع المال، وانما لأجل طلب المعيشة عن طريق الحلال، وتأمين ما يحتاجون إليه، إستغناءً عن الناس.

وهذا العمل له تأثير عجيب في سمعة الرجل القيادي، بأن لايكون كَلاً على المجتمع ولاتنحصر معيشته على التبرُّعات أو الهدايا أو الحقوق

الشرعيَّة وأمثال ذلك، بل يكون قائماً بذاته في حياته الاقتصادية، ولايحتاج الى أحد.

ومن هذا المنطلق كان الامام الصادق (عليه السّلام) يقوم في هذه الامور بنفسه، فتراه تارة يحضر في مزرعته، ويسقي الأرض، ويتصبَّب عَرَقاً، أو يكيل التمر بيده، وأمثال ذلك.

أضف الى ذلك انه (عليه السّلام) قدوة وأسوة للمسلمين، من ذلك العهد الى يوم يُبعثون، وعَمَلُه حُجّةٌ عند من يعتقد بامامته، فكان يُتعب جسمه في هذا السبيل كي يقتدي به شيعته في استثمار الأرض واستخراج بركاتها كي يعيشوا حياة طيّبة سعيدة، من ناحية الاستغناء عن الناس، وتحصيل المعاش والرزق الحلال، وحفظ ماء الوجه.

وإليك بعض الأحاديث التي تؤكِّد ما ذكرناه:

١ـ عن محمد بن عذافر، عن أبيه قال: دفع إليَّ أبو عبدالله (عليه السّلام) سبعمائة دينار وقال: يا عذافر اصرفها في شيء، أمّا على ذاك ما بي شره[1] ولكن أحببتُ أن يراني الله (عزّوجلّ) متعرّضاً لفوائده.

قال عذافر: فربحت فيها مائة دينار، فقلت له في الطواف: جُعلت فداك، قد رَزَق الله (عزّوجلّ) فيها مائة دينار، فقال: أثبتها في رأس مالي[2].

ورُويتْ هذه الرواية بصورة اخرى وهي: عن محمد بن عذافر عن أبيه قال[3]: أعطى أبو عبدالله (عليه السّلام) أبي ألفاً وسبعمائة دينار فقال

١ـ مابي شَرَه: اي حِرصٌ.

٢ـ الكافي: ج٥ ص٧٧ ح١٦.

٣ـ ضمير «قال» راجع الى ابن عذافر كما يظهر من آخر الحديث حيث قال (عليه السّلام): «ان لي عند ابي محمد».

له: إتَّجِر بهـا ثمّ قـال: أما إنّه ليس لي رغبة في ربحها وإن كـان الربح مرغوباً فيه ولكني أحببت أن يراني اللّه (جلَّ وعزَّ) متعرّضاً لفوائده.

قال: فربحت له فيها مائة دينار ثمّ لقيته فقلت له: قد ربحت لك فيها مائة دينار. قـال: ففرح أبو عبداللّه (عـليه السّلام) بذلك فرحاً شـديداً فقال لي: أثبتها في رأس مالي.

قـال: فمـات أبي والمال عنـده فأرسل إليّ أبو عـبداللّه (عليـه السّلام) فكتب: عافـانا اللّه وإيّاك إنَّ لي عند أبي محـمد ألفـاً وثمانمائة دينار أعطيتـه يتّجر بها فادفعهـا إلى عمر بن يزيد، قال: فنظرت في كتـاب أبي فإذا فيـه لأبي مـوسى[1] عندي ألف وسبعمائة دينار وأتّجر له فـيها مائة دينار، عبداللّه ابن سنان وعمر بن يزيد يعرفانه[2].

٢ـ وعن أبي عـمرو الشيبـاني قال: رأيـت أبا عـبداللّه (عليـه السّلام) وبيده مسحاة وعليه إزار غليظ يعـمل في حائط له والعَرَق يتصابُّ عن ظهره فقلت: جُعلت فداك أعطني أكْفكْ.

فـقـال لـي: إنّي أُحبُّ أن يتـأذّى الرَّجل بِحَرِّ الـشـمس في طـلب المعيشة[3].

٣ـ وعن محـمد بن مرازم، عن أبيه أو عـمّه قال: شهدتُ أبا عـبداللّه (عليـه السّلام) وهـو يحـاسب وكـيلاً له والوكـيل يكـثـر أن يقـول: واللّه ما خُنتُ واللّه مـا خنت، فـقال له أبو عـبداللّه (عليه السّلام): يـا هذا خيـانتك

١ـ يعني به أبا عبداللّه (عليه السّلام) فإنّ ابنه موسى (عليه السّلام) ولعله كتب هكذا تقية (مرآة العقول).

٢ـ الكافي: ج٥ ص٧٦ ح١٢.

٣ـ الكافي: ج٥ ص٧٦ ح١٣.

وتضييعك عليَّ مالي سواء، لأنَّ الخيانة شرُّها عليك.

ثمَّ قال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله): لو أنّ أحدكم هرب من رزقه لَتَبِعه حتّى يُدركه، كما أنه إن هربَ مِن أَجَله تَبِعه حتّى يدركه، من خان خيانة حُسبتْ عليه من رزقه وكُتب عليه وزرها[1].

٤ـ وعن معتّب قال: قال لي أبو عبداللّه (عليه السّلام) ـ وقد تزيّد السعر بالمدينة ـ: كم عندنا من طعام؟

قال: قلت: عندنا ما يكفينا أشهر كثيرة.

قال: أخرجْه وبعْه.

قال: قلت له: وليس بالمدينة طعام.

قال: بعه.

فلمّا بعته قال: إشترِ مع الناس يوماً بيوم.

وقال: يامعتّب اجعل قوت عيالي نصفاً شعيراً ونصفاً حنطة فإنَّ اللّه يعلم أنّي واجد أن أطعمهم الحنطة على وجهها ولكني أُحُبُّ أن يراني اللّه قد أحسنت تقدير المعيشة[2].

٥ـ وعن عبدالأعلى مولى آل سام قال: استقبلت أبا عبداللّه (عليه السّلام) في بعض طرق المدينة في يوم صايف شديد الحرّ فقلت: جُعلت فداك! حالُكَ عنداللّه (عزّوجلّ) وقرابتُك من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وأنت تجهد لنفسك في مثل هذا اليوم؟

فقال: يا عبدالأعلى خرجتُ في طلب الرزق لأستغني عن مثلك[3].

١ـ الكافي: ج٥ ص٣٠٤ ح٢.

٢ـ الكافي: ج٥ ص١٦٦ ح٢.

٣ـ الكافي: ج٥ ص٧٤ ح٣.

٦ـ وعن ابن بكير، عن بعض أصحابنا قال: كان أبو عبداللّه (عليه السّلام) ربّما أطعَمنا الفراني والأخبصة[1] ثمَّ يطعم الخبز والزَّيت فقيل له: لو دبّرت أمرك حتّى تعتدل، فقال: إنّما نتدبّر بأمر اللّه (عزّوجلّ) فإذا وسّع علينا وسّعنا وإذا قتّر علينا قتّرنا[2].

٧ـ وعن داود بن سرحان قال: رأيت أبا عبداللّه (عليه السّلام) يكيل تمراً بيده، فقلت: جعلت فداك لو أمرت بعض ولدك أو بعض مواليك فيكفيك.

فقال: ياداود إنّه لايُصلح المرء المسلم إلاّ ثلاثة: التفقّه في الدّين والصبر على النائبة وحُسْن التقدير في المعيشة[3]و[4].

٨ـ وعن هارون بن عيسى قال: قال أبو عبداللّه (عليه السّلام) لمحمّد ابنه: يابنيَّ كم فضل معك من تلك النّفقة؟

قال: أربعون ديناراً.

قال: أُخرج فتصدّق بها.

قال: إنّه لم يبق معي غيرها.

قال: تصدّق بها فإن اللّه (عزّوجلّ) يخلفها، أما علمتَ أنَّ لكل

١ـ الفرني: خبز غليظ مستدير. أو خبزة مُصَعْنبة مضمومة الجوانب الى الوسط، تشوى ثمّ تروّى سمناً ولبناً وسكراً. والأخبصة: جمع الخبيص: طعام معمول من التمر والسمن. (اقرب الموارد).

٢ـ الكافي: ج٦ ص٢٧٩ ح١.

٣ـ التفقّه في الدين هو تحصيل البصيرة في العلوم الدينية. والنائبة: المصيبة. وتقدير المعيشة: تعديلها بحيث لايميل الى طرفي الاسراف والتقتير، بل يكون قواماً بين ذلك كما قال اللّه (عزّوجلّ). (الوافي).

٤ـ الكافي: ج٥ ص٨٧ ح٤.

شيء مفتاحاً ومفتاح الرِّزق الصّدقة فتصدّق بها، ففعل.

فما لبث أبو عبدالله (عليه السّلام) عشرة أيّام حتّى جاءه من موضع أربعة آلاف دينار فقال: يابنيّ أعطينا للّه أربعين ديناراً فأعطانا اللّه أربعة آلاف دينار[١].

٩ـ وعن الحسين الجمّال قال: شهدت إسحاق بن عمّار يوماً وقد شدّ كيسه وهو يريد أن يقوم فجاءه إنسان يطلب دراهم بدينار فَحَلَّ الكيس فأعطاه دراهم بدينار قال: فقلت له: سبحان اللّه ما كان فضل هذا الدينار؟ فقال إسحاق: ما فعلت هذا رغبة في فضل الدينار ولكن سمعت أبا عبدالله (عليه السّلام) يقول: من استقلّ قليل الرّزق حُرِمَ الكثير[٢].

ورويتْ هذه الرواية بصورة اخرى، وهي: عن الحسن بن بسّام الجمّال قال: كنت عند إسحاق بن عمّار الصيرفي فجاء رجل يطلب غلّة بدينار وكان قد اغلق باب الحانوت وختم الكيس فأعطاه غلّة بدينار فقلت له: ويحك يا إسحاق ربّما حملتُ لك من السفينة ألف ألف درهم.

قال: فقال لي: ترى كان لي هذا، لكنّي سمعت أبا عبدالله (عليه السّلام) يقول: من استقلّ قليل الرزق حُرِمَ كثيره، ثمّ التفت إليَّ قال: يا إسحاق لاتستقلَّ قليل الرزق فتُحرم كثيره[٣].

١٠ـ وروي عن أبي عبدالله (عليه السّلام) أنه قال: ما توسّل إليَّ أحد بوسيلة ولاتذرَّع بذريعة أقرب له إلى مايريده منّي من رجلٍ سَلَفَ إليه منّي يدٌ أتبعتُها أُختها وأحسنتُ ربّها، فإني رأيتُ منع الأواخر يقطع لسانَ

١ـ الكافي: ج٤ ص٩ ح٣.

٢ـ الكافي: ج٥ ص٣١١ ح٣٠.

٣ـ الكافي: ج٥ ص٣١٨ ح٥٦.

شكر الأوائل، ولاسختْ نفسي بردّ بكر الحوائج[١] وقد قال الشاعر:

وإذا بُليتَ ببذلِ وجهكَ سائلاً فابذلْهُ للمتكرّم المفضال

إنّ الجواد إذا حباكَ بموعدٍ أعطاكه سَلساً[٢] بغير مطال

وإذا السّؤال مع النّوال قرنته رجح السؤالَ وخَفَّ كلُّ نوال[٣]

١١ـ وعن إسماعيل بن جابر قال: أتيت أبا عبدالله (عليه السّلام) وإذا هو في حائط له[٤] بيده مسحاة وهو يفتح بها الماء وعليه قميص شبه الكرابيس كأنه مَخِيطٌ عليه، من ضيقه[٥].

١ـ قال العلاّمة المجلسي (طاب ثراه): قوله (عليه السّلام): «وأحسنتُ ربّها» أي تربيتها بعدم المنع بعد ذلك العطاء، فانّ منع النعم للأواخر يقطع لسان شكر المنعم عليه على النّعم الاوائل، ولمّا ذكر انه يحبُّ إتباع النعمة بالنعمة بيّن أنّه لايردّ بكر الحوائج أيضاً أي الحاجة الأولى التي لم يسال السائل قبلها (بحار الانوار: ج٤٧ ص٣٩).

٢ـ السَّلِس: السّهل اللّيِّن المنقاد. (أقرب الموارد).

٣ـ الكافي: ج٤ ص٢٤ ح٥.

٤ـ الحائط: البستان (أقرب الموارد).

٥ـ الكافي: ج٥ ص٧٦ ح١١.

حياة الامام الصادق (عليه السّلام) العلميّة

لا أراني بحاجة إلى التحدّث عن شرف العلم، وفضيلة المعرفة، فلاأبالغ إذا قلت: إن البشر بفطرته يحبّ العلم ويحترمه.

ونرى - اليوم وقبل اليوم - ملايين الأماكن قد تأسَّست باسم المدارس والجامعات والمعاهد العلميّة على وجه الكرة الأرضيّة، ويُصرف لِأجلها - في كلّ يوم - ملايين الأموال على اختلاف نقود البلاد.

وتُبذَل - في هذا السبيل - كميّات هائلة من الجهود والطاقات، بالإضافة الى صرف الأعمار، وكلّ ذلك في سبيل تحصيل العلم، ونشر الثقافة والمعرفة.

والدين الاسلامي في طليعة الأديان التي تحثُ على التعلّم والتعليم، ويضع بَوناً شاسعاً، وفرقاً عظيماً بين العالم والجاهل، كما قال تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾[1] وغيرها من الآيات الشريفة.

١- سورة الزمر آية ٩.

وقد روي عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) انه قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[١].

ولاشكَّ أن قيمة العلم بقيمة فائدته، فكلّما كانت فائدة العلم أعلى وأغلى وأهَمَّ كان ذلك العلم أشرف وأعظم.

ومن الواضح أن أوجب الأشياء في حياة الإنسان هي معرفة الخالق والإيمان به، فتكون النتيجة أن علم التوحيد هو أهمّ العلوم وأشرفها، وأعلاها وأغلاها.

وهذا العلم يُسمى بـ (علم الكلام) والعلماء المتخصِّصون بهذا الفن يقال لهم: (المتكلِّمون).

وهذا العلم يشمل إثبات الصانع وتوحيده وعدله، وما يدور في هذا الفلك، من التحدث عن الصفات السلبيّة والثبوتية للّه تعالى، وغير ذلك من المباحث التي تحدّث عنها الإمام الصادق (عليه السّلام) في هذا الموضوع.

ثمَّ يأتي بعد ذلك التحدُّث عن العدل والنبوّة والإمامة والمعاد، ويُعَبَّر عنها بـ (أُصول الدين) وهي أمور عقائدية، لايجوز فيها التقليد، بل يجب الإعتقاد بِها عن دليل صحيح، وبرهان قاطع، وحُجَّة ثابتة.

إنّ اصول الدين بمنزلة الأسُس للبناء، وفروع الدين بمنزلة البناء نفسه، فاذا كانت الأسُس قويّة ورصينة كان البناء قويّاً ومتيناً، واذا كانت الأسُس ضعيفة كان البناء متضعضعاً، سريع الإنهيار.

إنّ اصول الدين هي أساس العقيدة الإسلامية، ومن الواضح: وجوب الاهتمام بالأساس أكثر من الاهتمام بالبناء.

١ـ بحار الأنوار: ج١ ص١٧٧.

ومن المؤكَّد أن العلم الذي حَثَّ عليه القرآن الكريم والنبي العظيم، والأئمة الطاهرون (صلوات اللّه عليهم أجمعين) هو علم الدين، وكُلّ ما يَمُتّ الى الدين بِصِلة.

وليس المقصود علم الهندسة والرياضيات، والفيزياء والكيمياء، أو الصنائع والمهن كالخياطةوالنجارة، أو ما يعبَّر عنه ـ في زماننا ـ بالتكنولوجيا، وأمثال ذلك.

لأنّ هذه العلوم لاترتبط بالدين ارتباطاً مباشراً. وليس معنى ذلك سلب فضيلة تلك العلوم، وعدم الإعتراف بِنفاستها وشرفها.

نعم، يمكن إستخدام هذه العلوم في حقل الدين والقضايا الاسلامية، فعند ذلك يمكن إضافتها الى العلوم الدينية بعنوان ثانوي.

وهذا البحث يحتاج الى شرح وتفصيل وهو خارج عن موضوع هذا الكتاب.

وخلاصة القول: انّ الدّين هو المركز الأصلي للعلوم، وكلُّ عِلمٍ يدور في هذا الفَلَك فهو من الدين، وإلاّ فلا.

وكان الامام الصادق (عليه السّلام) يحضّ أصحابه على طلب العلم بصورة لامثيل لها، ولايكتفي بالحثّ على تحصيل العلم، بل يأمر ـ الى جانب ذلك ـ بالتخلُّق بالأخلاق الفاضلة كالحلم والوقار والتواضع، وينهى عن طلب العلم لأهداف شيطانية كالرّياء والمفاخرة والمجادلة.

ويُركِّز على طلب العلم من منابع شريفة، ومصادر نظيفة موثوق بها، فان المعلّم له كلّ التأثير على التلميذ فيما يُلقي عليه: من الحق أو الباطل، ويتفاعل التلميذ بما يتعلّمه ويتلقّاه من الاستاذ، سواءً كان صلاحاً أم فساداً، وهُدىً أم ضلالة.

ولهذا السبب انتشر الصلاح والفساد، والهدى والضلال في المجتمعات البشريّة.

وقد إمتازت تعاليمه (عليه السّلام) الثقافية بمزايا كثيرة:

منها: انّه (عليه السّلام) أمر أصحابه بتأليف الكتب، وكتابة الأحاديث التي يسمعونها، والأخبار التي يروونها، والامور التي يتعلّمونها، حفظاً للأحاديث عن الضياع، وصيانة لها عن التحريف والتغيير.

ومن الواضح أن تأليف الكتب يعتبر أحسن وسيلة لنقل العلوم والحقائق، أو الآراء والأفكار، من جيل الى جيل، بل الى الأجيال القادمة والقرون الآتية، كما تحقّق كلُّ هذا، فهي بمنزلة الكنوز التي يتركها السَلَف للخَلَف، امتداداً للإنتفاع من تلك الكنوز التي لايمكن تثمينها، لأنها لاتنفد.

ولهذا قال (عليه السّلام): «اكتبوا، فانكم لاتحفظون حتى تكتبوا».

وقال: «احتفظوا بِكُتُبكم، فانكم سوف تحتاجون إليها»[١].

انظر إلى هذه التعاليم التي هي أغلى من الدُّنيا وما فيها.

فلولا تلك الأحاديث التي دُوِّنت في تلك العصور، ولولا الكتب التي ألَّفها المحدّثون والرواة في شتى المواضيع الدينية لَكُنّا ـ نحن ـ اليوم نعيش في ظلمات الجهل والحيرة، وكنّا نُعاني من حرمان عظيم، وفقر شديد من حيث الثقافة الدينية.

فسلام اللّه على الامام الصادق الذي أمر شيعته بتأليف الكتب، ورحمة اللّه على الرواة والمحدِّثين الذين جمعوا الأحاديث ودَوَّنوها حتى

١ـ بحار الانوار: ج٢ ص١٥٢.

وصلت إلينا.

ولهذا السبب صَنَّف اربعمائة رجل من أصحابه اربعمائة كتاب (كلٌّ واحد كتاباً) وسُمّي كلٌّ كتاب أصلاً، حتى عُرفت بالاصول الأربعمائة.

وأمّا بقيّة المؤلّفات التي صنّفها الأصحاب في شتّى المواضيع فانها تتجاوز المئات، بل وتبلغ الآلاف.

ومنها: أنه (عليه السّلام) أمر أصحابه بنشر العلوم، وتعليم الجاهل، وتنبيه الغافل، فهو يريد من أصحابه أن يقدّموا إنتاجات وانجازات تبقى من بعدهم، وتسري الى غيرهم.

عِلم الإمام

لقد ذكرنا في كتاب (الامام الهادي (عليه السّلام) من المهد الى اللحد) كلمة موجزة حول علم الامام، ومن المناسب ان ننقل تلك الكلمة هنا لعلّها لاتخلو من فائدة، ويمكن ان قارىء هذا الكتاب لم يطّلع على تلك الكلمة الموجزة:

إن من جملة خصائص أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) هي العلوم التي امتازوا بها عن غيرهم: من العلماء والحكماء وكافّة طبقات البشر، وقد تواترت مئات الأحاديث ـ من هذا النوع ـ عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) والأئمة (عليهم السّلام) مما يدلُّ على مدى اطّلاعهم على شتّى العلوم والفنون، بحيث لايمكن تكذيبها أو التشكيك فيها.

وقد ألّف الكثيرون من علمائنا ـ على مرّ القرون ـ مؤلّفات عديدة حول علم الإمام.

وقد اتّخذ أعداء أهل البيت هذه الحقيقة وسيلة للتهريج ضدّ الشيعة فكانوا ـ ولايزالون ـ يشنّون الغارات بأقلامهم المسمومة، ويقولون: إن الشيعة تعتقد بأن الأئمة يعلمون الغيب، ولايعلم الغيب إلاّ اللّه.

أقـــول: إن الشيعة يعتقدون بأن علم الغيب خاص باللّه تعالى، ولايعلم الغيب إلاّ هو (عزّوجلّ)، ولكنه سبحانه يُظهر على علم الغيب مَن ارتضاه من أوليائه.

وكلّ مَن نَسب علم الغيب ـ بالاستقلال ـ إلى الأنبياء أو الأئمةفهو جاهل.

وكلّ مَن نَسَبَ هذه العقيدة الى الشيعة فهو كذّاب مفترٍ ضالّ.

وقد ذكرنا شيئاً يتعلّق بهذا الموضوع في كتاب (الإمامِ المهدي (عليه السّلام) من المهد إلى الظهور) ص١٨٥، وذكرنا بأن الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) لمّا أخبر عما يجري على البصرة من صاحب الزنج والاتراك قال له بعض أصحابه: لقد أُعطيتَ ـ يا أمير المؤمنين ـ علم الغيب!.

فقال الإمام: ليس هو بِعلم الغيب، وإنما هو تَعَلُّم من ذي علم..» إلى آخر كلامه (عليه السّلام).

من الواضح: أننا لو أردنا أن نتحدّث عن علم الإمام، وأن نستعرض الآيات والروايات حول هذا البحث لاحتجنا إلى تأليف موسوعة حول هذا الموضوع.

ولكننا نذكر لمحة خاطفة، وكلمة موجزة لئلاّ يخلو هذا الكتاب من هذه الفائدة، فنقول:

إنّ العلوم التي تحصل للناس على نوعين:

الأول: العلوم التي تحصل عن طريق التعلُّم من الغير، كالدراسة والمطالعة أو التجارب أو الاستنباط وما شابه ذلك، وهذا العلم يسمّى بالعلم الإكتسابي، لأن صاحبه اكتسبه، وتعلّمه بطُرق طبيعية.

الثاني: العلوم التي تحصل لبعض الأفراد عن طريق الإلقاء والإلهام والقذف في القلوب، ويقال لها: العِلم اللّدُنّي.

وإلى هذا النوع جاءت الإشارة في القرآن الكريم في آيات متعددة،

منها في قصّة النبيّ يوسف (عليه السّلام) حيث قال (تعالى):

١ـ ﴿ويُعلّمك من تأويل الأحاديث﴾[١].

٢ـ ﴿ولنعلّمه من تأويل الأحاديث﴾[٢].

٣ـ ﴿ذلكما ممّا علّمني ربّي﴾[٣].

٤ـ ﴿وإنه لَذو علمٍ لما علّمناه﴾[٤].

٥ـ وفي قصّة الخضر: ﴿آتيناه رحمةً من عندنا وعلَّمناه من لدُنّا علماً﴾[٥].

٦ـ وفي قصّة داود (عليه السّلام): ﴿وعلّمناه صنعة لَبُوسٍ لكم﴾[٦].

٧ـ ﴿وآتاه اللّه الملك والحكمة وعَلَّمه ممّا يشاء﴾[٧].

٨ـ ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾[٨].

٩ـ ﴿وزاده بسطة في العلم﴾[٩].

١٠ـ وفي قصّة سليمان (عليه السّلام): ﴿عُلِّمنا منطق الطير﴾[١٠].

١١ـ ﴿ففهَّمناها سليمان وكُلاً آتينا حكماً وعلماً﴾[١١].

١٢ـ وفي قصة لوط(عليه السّلام): ﴿ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً﴾[١٢].

---

١ ـ ٤ـ سورة يوسف الآيات ٦، ٢١، ٣٧، ٦٨.

٥ـ سورة الكهف آية ٦٥.

٦ـ سورة الأنبياء آية ٨٠.

٧ـ سورة البقرة آية ٢٥١.

٨ـ سورة النمل آية ١٥.

٩ـ سورة البقرة آية ٢٤٧.

١٠ـ سورة النمل آية ١٦.

١١ـ سورة الأنبياء آية ٧٩.

١٢ـ سورة الأنبياء آية ٧٤.

١٣ـ وفي قصّة عيسى (عليه السّلام): ﴿وإذ علّمتُك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾[١] .

١٤ـ ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم﴾[٢] .

١٥ـ وفي قصّة لقمان (عليه السّلام): ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾[٣] .

١٦ـ ﴿وقد آتيناك من لدنّا ذكراً﴾[٤] .

. . . إلى غيرها من الآيات التي تشير الى العلوم التي تلقّاها الأنبياء من عند اللّه تعالى، لا بالدراسة ولا بالمطالعة ولا بالتجارب ولا بأمثالها، وإنما قَذفَ اللّه في قلوبهم تلك العلوم .

وصريح هذه الآيات أن اللّه تعالى علّم يوسف (عليه السّلام) تفسير الأحلام، وعلّم داود (عليه السّلام) كيفية صناعة الدرع، وعلّم اللّه سليمان بن داود (عليه السّلام) منطق الطيور، بل ومنطق بقيّة الحيوانات كالنمل، ـ كما صرّح بذلك القرآن الكريم في قصة الهُدهُد وقصّة النملة التي ﴿قالت يا أيُّها النمل ادخلوا مساكنكم. . . . فتبسَّم ضاحكاً من قولها﴾ ـ وهكذا ألهمه اللّه حكم الزرع الذي نفشت[٥] فيه غنم القوم، والقصّة مشهورة مذكورة في كتب التفاسير وغيرها .

وهكذا علَّم اللّه عيسى بن مريم (عليه السّلام) الاسم الأعظم، الذي كان يُبرىء به الأكمه والأبرص ويُحيي الموتى، ويخلق من الطين كهيئة

١ـ سورة المائدة آية ١١٠ .

٢ـ سورة آل عمران آية ٤٩ .

٣ـ سورة لقمان آية ١٢ .

٤ـ سورة طه آية ٩٩ .

٥ـ نفشت الابل: اذا تفرّقت فَرَعَتْ بالليل من غير علم راعيها. ونفشت الغنم: انتشرت ليلاً فَرَعتْ (لسان العرب).

الطير، وينفخ فيه فتكون طيراً بإذن اللّه.

واستطاع النبي عيسى أن يخبر الناس بما يأكلون من الطعام وبما يدّخرونه في بيوتهم.

وهنا سؤالان:

السؤال الأول: كيف يتحقق هذا «الإلقاء» إلى الأنبياء؟

الجواب: إن معرفة كيفية إلقاء تلك العلوم إلى الأنبياء، والإحاطة بأنواعها وأقسامها وأبعادها خارجة عن نطاق عقولنا، ولايجب علينا أن نعرف ذلك، فاللّه تعالى يعلم كيف يُلهم أنبياءه وأولياءه تلك العلوم.

السؤال الثاني: إن هذه الآيات المذكورة تتحدث عن علوم الأنبياء، فما وجه علاقتها بالأئمة الطاهرين (عليهم السّلام)؟

الجواب: أولاً: إن لقمان لم يكن نبيّاً، كما في التفسير عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ملخّصاً: «لم يكن لقمان نبيّاً وإنما كان عبداً صالحاً، آتاه اللّه الحكمة، فنام نومةً، فأُعطي الحكمة، فانتبه يتكلّم بها»[١].

ثانياً: وهكذا الخضر لم يكن نبيّاً، ولكنّ اللّه تعالى علَّمه مِن لَدُنه علماً، ولهذا أقام الجدار الذي كان تحته كنز لغلامين يتيمين في المدينة، وغير ذلك ـ كما هو مذكور في القرآن الكريم ـ .

ثالثاً: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ الذي كان خاتم النبيّين وسيّد المرسلين وقد أرسله اللّه إلى الناس كافّة، وإلى جميع البشر الذين يسكنون على الكرة الأرضيّة ـ لابُدَّ أن يعلّمه اللّه جميع ما يحتاج إليه

١ـ مجمع البيان: ج٤ ص٣١٥.

البشر، سواء في العقائد أم الأحكام الشرعية.

وقد كانت الحكمة تقتضي أن يتكلّم عن أُمور أُخرى، كالطب، وخواص الأشياء وعلاج الأمراض أو الإخبار عن الماضي أو المستقبل، وعما يجري من الوقائع والفتن والملاحم وأمثال ذلك، تثبيتاً لنبوَّته، وتقويةً لعقائد أُمَّته، وإتماماً للحجَّة.

وخلاصة القول: إن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) عالماً بكلِّ ما يحتاج إليه البشر من أصول الدين وفروعه، وغير ذلك من العلوم، وأن لايجهل شيئاً من الامور التي يسأله الناس عنها.

بعد ثبوت هذه الحقيقة، وانطلاقاً من هذه النقطة، يسهل علينا أن نعتقد بأن أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) ـ الذين نَصَّ عليهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وجعلهم خلفاءه، وأمر الناس أن يأخذوا معالم دينهم، والأحكام الشرعية منهم ـ لابدَّ أن تتوفّر فيهم العلوم بالأحكام الإلهيَّة الواقعية، امتداداً لأثر خطّ الرسالة، وإبقاءً على خط الإسلام، وإتماماً للحجَّة على العباد.

وإلاّ، فما الفائدة من أن يأمر النبيّ أمَّته أن يأخذوا الأحكام الإسلامية من أُناس لايعلمون جميع الأحكام، أو يجهلون ما يحتاج إليه الناس؟!

ولهذا لاتوجد ـ في حياة الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) ـ كلمة: «لا أعلم، لا أدري» في جواب السائل عنهم حول المسائل الشرعية، وغيرها من المواضيع.

ويجب أن يكونوا هكذا، ونحن لانعتقد بإمامة إمامٍ يجهل الأحكام الشرعية ولايعلم الأوامر الإلهيّة.

هذا بالنسبة للأحكام الشرعية، وأما بالنسبة لبقيّة العلوم كالطّب والنجوم وخواصّ الأشياء، أو الإخبار عن الماضي أو المستقبل، أو الإطلاع على الامور الغيبيّة، فإن آلاف الأحاديث تشهد بوجود هذه الخصائص عند النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) والأئمة (عليهم السّلام).

فما المانع أن يُفيض اللّه هذه العلوم على قلب من يشاء من عباده؟.

والعَجَب أن المنجّمين حينما يُخبرون عن الخسوف أو الكسوف، أو كثرة الجفاف أو الأمطار الغزيرة في بعض المناطق، لايقول أحد ـ في حقّهم ـ أنهم يعلمون الغيب، بل ولايستغرب أحد من اطّلاعهم على هذه الامور، مع العلم أنهم يُخبرون عمّا خفي على الناس، وأن علومهم اكتسابية، قد تُخطىء وقد تصيب.

ولكنَّ النبيّ (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) والأئمة (عليهم السّلام) إذا أخبروا عن المستقبل بصورة عامة، أو أخبروا عن موت إنسان أو حادثة خاصَّة تتعلَّق ببعض الأفراد، ترى بعض الناس يستغربون من ذلك، ولايعجبهم أن يصدّقوا هذه الإخبارات، مع العلم أننا نعتقد بأن علومهم واطّلاعهم من عند اللّه، لا من عند أنفسهم.

نعم، إن آلاف الأحاديث تشهد بأن علوم الأئمة (عليهم السّلام) لم تقتصر ولم تنحصر بالأحكام الفقهية، بل زوَّدهم اللّه بكافة العلوم، وكشف لهم الغطاء عن كلّ شيء.

ولعلّ قائلاً يقول: وما الفائدة من تلك العلوم ـ التي توفّرت في أئمة أهل البيت ـ في حين أن المسلمين لم يستفيدوا منها كما ينبغي؟.

الجواب: وما الفائدة من الأطباء إذا كان المرضى لا يراجعونهم، ولايستفيدون منهم، ولاينتفعون من علومهم، ولايتداوون عندهم؟!!

نعم، إن اللّه تعالى أفاض على الأئمة الطاهرين جميع العلوم والفنون، ولكنَّ أكثر المسلمين استبدلوا الذنابا بِالقوادم، والعَجُز بالكاهل[١] وتركوا العين الصافية، وشربوا من السواقي الملوَّثة، وفضَّلوا أن يعيشوا جُهّالاً، ويموتوا ضُلاّلاً، ولايأخذوا العلوم من أهل بيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

لماذا؟ لأن الظروف السياسية، والمطامع الشخصية، ودناءة النفوس، وضعف الإدراك، وسوء الرأي فرضت عليهم ذلك!!

فإن كان هناك تقصير فهو من الناس، لا من الأئمة الطاهرين، لأن الأئمة جعلوا حياتهم وقفاً للناس، وكانوا كالشمس يشرقون على البَرّ والفاجر.

ولايبخلون عن تعليم الناس، وإراءة الطريق لهم في حدود الإمكان، ولكنْ مع رعاية الحكمة، ورعاية الظروف ورعاية الجدارة والاستحقاق والأهليَّة في السائل.

ولهذا ترى الإمام أمير المؤمنين علياً (عليه السّلام) يُعلّم خواصَّ أصحابه علمَ المنايا والبلايا ولكن بصورة خاصة.

وهكذا بقية الأئمة (عليهم السّلام) كانوا يُخبرون خواصَّ أصحابهم ببعض الإخبارات أو يعلّمونهم بعض العلوم بصورة سرّيّة، مع التأكيد على الكتمان، رعايةً للمصالح.

ولو وجد الأئمة الطاهرون (عليهم السّلام) الأهليَّة في مجتمعاتهم،

١ـ هاتان الجملتان مقتبستان من خطبة السيدة الزهراء (سلام اللّه عليها) والمقصود من هذين المثالين هو أن القوم سلّموا الأمور العظيمة والمناصب الخطيرة إلى غير أهلها، بعد أن سلبوا تلك المناصب من أصحابها الشرعيِّين، ذوي الكفاءة واللّياقة والخبرة والبصيرة.

وسـاعَدَتهم الظروف لملأوا العـالم بأنواع العلـوم، وأضـاؤوا الكـون بأنوار المعارف.

ولكن المجتمعات لم تكن ناضجة ولائقة للإستفادة من علومهم، والاستضاءة بأنوارهم.

هذا علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) يشير إلى صدره المبارك المقدّس، ويقول: «إنّ هاهنا لَعِلماً جمّاً لو أصبتُ له حَمَلَةً»[1].

وحينما يقول ـ على المنبر، وبمسمعٍ من الجماهير المتجمهرة حوله ـ: «سَلُوني قبل أن تفقدوني» لم يسأله أحد عن علاج الأمراض الصعبة، أو علل الشرائع وفلسفة الأحكام، أو عن الروح وعن عالم الأرواح، وأسرار الكون والطبيعة، وعمّا وراء الطبيعة، أو أشياء أخرى من هذا القبيل.

وإنما يسأله السائل ويقول: أخبرني كم شعرة في رأسي ولحيتي؟!!.

ومن الواضح أن هذا سؤال مستهزيء لامتعلّم.

فهل يجدر بالإمام أن ينشر أرقى علومه، وأنفس ذخائره في ذلك المجتمع مع ذلك المستوى الثقافي المنحطّ والعقليّة السافلة؟!.

وختاماً لهذا البحث نذكر مقطوعة من إحدى خطب الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) لتكون أحسن شاهدٍ وأوضح دليل على المواضيع التي ذكرناها في هذا البحث، قال (عليه السّلام):

«... والله لو شئتُ أن أُخبر كلَّ رجلٍ منكم بمَخْرَجه ومولجه، وجميع شأنه لفعلتُ ولكنْ أخاف أن تكفروا فيَّ برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم).

ألا، وإني مُفضيه إلى الخاصّة ممن يُؤمَن ذلك منه.

١ـ اي: لو وجدتُ من يكون اهلاً له.

والذي بعثَه بالحق نبيّاً، واصطفاه على الخلق، ما انطقُ إلاَّ صادقاً، ولقد عَهِد إليَّ بذلك كلّه، وبمَهلِك مَن يهلك، ومَنجى مَن ينجو، ومآل هذا الأمر.

وما أبقى شيئاً يَمُرُّ برأسي إلاّ أفرغه في أُذُنيَّ، وأفضى به إليَّ. . . »[1].

أيها القارئ الكريم: ونواصل الحديث عن علم الامام ومصادره. . فنقول: إن الإلهام أو الإلقاء ما هو إلاّ أحد مصادر علومهم (عليهم السّلام) وليست علومهم منحصرة بذلك، بل هناك مصادر أخرى لعلومهم المتنوّعة، كما صرّحوا ـ هم ـ بذلك في أحاديث كثيرة، منها كلام الإمام الباقر والإمام الصادق (عليهما السّلام) في حديث أبي بصير وغيره[2].

وخلاصة بعض تلك الأحاديث هي:

إن عندهم الجامعة، وهي صحيفة من الجلد، طولها سبعون ذراعاً، مطويّة كالأقمشة التي تُطوى، وهذه الجامعة بإملاء رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وخطّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام).

وعندهم الجَفْر، وهو وعاء من جلد[3] فيه عِلم النبيِّين والوصيِّين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل.

وعندهم: مصحف سيدتنا فاطمة الزهراء (عليها السّلام) حجمه ثلاثة أضعاف حجم القرآن، وقد ذكرنا بعض ما يتعلّق بهذا المصحف في كتاب (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللّحد).

وعندهم: علم ما كان، وما هو كائن إلى يوم القيامة.

١ـ نهج البلاغة: خطبة ١٧٤.

٢ـ الكافي: ج١ ص٢٣٨ ـ ٢٦٥.

٣ـ وفي رواية: جلد ثور، مملوء عِلماً.

وعندهم: العلم بما يحدث ويتجدَّد في كل يوم وليلة.

وفي ليلة القدر من كلِّ سنة، تنزّل الملائكة والروح فيها باذن ربّهم من كل أمر فيجتمعون بإمام ذلك الزمان، ويخبرونه بكل أمر، وبجميع مقدّرات الخلائق.

وعندهم: الإسم الأعظم، الذي يستطيعون أن يعرفوا به كل شيء، وأن يعملوا به كل شيء من المعاجز وغيرها، وفيه الكفاية.

تنوّع علوم الإمام الصادق (عليه السّلام)

أيُّها القارئ الكريم: لقد ذكرنا أن علوم الإمام الصادق (عليه السّلام) لم تنحصر في جانب واحد كالفقه مثلا، بل لابدَّ وان يتوفّر في الامام جميع العلوم بكافة أنواعها وأقسامها، ولذلك تجد شتّى الأحاديث في مواضيع متفرِّقة، وفنون عديدة، وعلوم كثيرة.

ولاتسأل عن معرفته (عليه السّلام) بالكونِ وما فيه وعن معرفته بالعالَم السُّفلي، وما أودع اللّه فيه من الأسرار والحكمة وآيات القدرة، والخواص والمنافع، فذلك ما يدهش العقل!!

وأمّا الكيمياء ـ وهي معرفة المعادن وتفاعلها مع العناصر الأربعة: الماء والهواء والنار والتراب ـ والفيزياء ـ وهي تفاعل العناصر بعضها مع بعض أو مع غيرها ـ فالأحاديث قد وردت فيهما أيضاً.

بالاضافة الى أنه ليس من وظائف الأئمة (عليهم السّلام) أن يأتوا بالمخترَعات أو يوجّهوا القلوب نحو التكنولوجيا ـ من الفيزياء والكيمياء وأمثالهما ـ بل إختارهم اللّه تعالى لهداية البشر الى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة.

والمعامل والمصانع والأجهزة الميكانيكية ـ على اختلاف أنواعها وأقسامها ـ لاتجلب السعادة الى البشرية، وإنما تمهِّد للبشر الإنتاج الأكثر في مدّة أقصر، وتسهّل له قطع المسافات الطويلة في المدَّة القليلة، وكلّ ما هناك من وسائل الراحة ـ كالإنارة والتبريد والتدفئة وأمثالها ـ فانما هي من مظاهر التمدّن التي نعيشها نحن في الحال الحاضر.

فهل هيّأت هذه الأجهزة والوسائل السعادة للبشر؟!

وهل أن مئات الملايين من البشر الذين يعيشون في البلاد الصناعية سُعَداء؟!

فلافقر ولاحرمان، ولاأمراض، ولامأساة، ولافجائع ولاجرائم ولاسرقة ولاإختطاف ولاإغتصاب، ولاانتحار، ولاضياع، ولاقصف ولاتدمير، ولاحوادث السير برّاً وبحراً وجوّاً؟؟!!

ولاسَحْق الحقوق، ولاتفكّك الأُسَر، ولاإنسلاخ عن الإنسانية، ولاتجرّد عن العاطفة، ولا ولا...؟!

إن المسلم لاينتظر ـ من اولياء اللّه الذين اختارهم اللّه لهداية البشر ـ أن يخترعوا الوسائل المبيدة للبشر كالمدافع، والصواريخ النووية، والقنابل الذريّة والهيدروجينيّة والكيمياويّة والعنقوديّة، التي لاتُبقي ولاتذر وتهلك الحرث والنسل، وتُفني العباد والبلاد، وتجرّ الويلات على الكرة الأرضيّة ومَن عليها!!

إن اولياء اللّه جاؤا رحمة للعباد، لانقمة على البلاد، ولاعذاباً على الخلائق.

وليس معنى ذلك انهم لايعرفون هذه الفنون، ولايعلمون تفاعل المواد الطبيعية وآثارها... كلاّ، بل المقصود أن مسؤوليَّتهم الألهيّة ليست في هذه المجالات.

هذا. . وقد تكرَّر منّا القول بأن الحكومات المناوئة كانت تبذل قصارى جهدها من أجل منع الناس من الاستضاءةبانوارعلوم الائمة (عليهم السّلام) والحيلولة دون انتشار المعارف الالهية والعلوم المتنوِّعة. .

وكلّ ما وصل إلينا من العلوم والمعارف الالهية، فانما صدر في ظروف قصيرة، كان الائمة الطاهرون (عليهم السّلام) يجدون فيها بعض الحرية ليفيضوا على الناس مما رزقهم اللّه سبحانه.

إقرأ هذا الحديث:

عن المفضّل بن عمر: أنّ المنصور قد كان همَّ بقتل أبي عبداللّه (عليه السّلام) غير مرَّة فكان إذا بعث إليه ودعاه ليقتله، فاذا نظر إليه هابه ولم يقتله، غير أنّه منع الناس عنه، ومنعه من القعود للناس، واستقصى عليه أشدَّ الاستقصاء، حتّى أنّه كان يقع لأحدهم مسألة في دينه، في نكاح أو طلاق أو غير ذلك فلايكون علم ذلك عندهم، ولايصلون إليه فيعتزل الرجل أهله.

فشقَّ ذلك على شيعته وصَعُب عليهم، حتّى ألقى اللّه (عزّوجلّ) في رَوع المنصور أن يسأل الصادق (عليه السّلام) ليُتحفه بشيء من عنده، لايكون لأحد مثله، فبعث (عليه السّلام) إليه بمخصرة[1] كانت للنبيِّ (صلّى اللّه عليه وآله) طولها ذراع، ففرح بها فرحاً شديداً، وأمر أن تشقّ له أربعة أرباع وقسّمها في أربعة مواضع، ثمّ قال له: ما جزاؤك عندي إلاّ أن أُطلق لك، وتُفشي علمك لشيعتك ولاأتعرَّض لك، ولا لهم، فاقعد غيرَ مُحتشَم وأفْتِ الناس، ولاتكن في بلد أنا فيه، ففشى العلم عن الصادق (عليه السّلام)[2].

١ـ المَخصرة: ـ بكسر الميم ـ: كالسوط. أو كلّ ما امسكه الانسان بيده من عصاً ونحوها. (مجمع البحرين).

٢ـ مناقب آل ابي طالب: ج٤ ص٢٣٨. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٨٠.

الامام الصادق (عليه السّلام) والعِلم بالقرآن

أيُّها القارئ الكريم: لقد ذكرنا ـ في بداية الكتاب ـ حديث الثقلين وتحدَّثنا عنه بشيء من التفصيل.. وفي حديث الثقلين دلالة واضحة على أن العترة الطاهرة هم عِدْل القرآن وهم الذين يعرفون تفسيره وتأويله وناسخه ومنسوخه ومُحكمه ومتشابَهه..

وفي هذا الفصل نذكر بعض الأحاديث التي تدلّ على علم الامام الصادق (عليه السّلام) بالقرآن وعلومه واسراره:

سأل ابنُ أبي العوجاء هشامَ بن الحكم فقال له: أليس الله حكيماً؟

قال: بلى هو احكم الحاكمين.

قال: فأخبِرني عن قول الله عزّوجلّ: ﴿فانكحوا ما طابَ لكم من النساء مَثنى وثُلاثَ ورُباع فانْ خِفتم ألاَّ تعدِلوا فواحدة﴾[1] أليس هذا فرض؟

قال: بلى.

قال: فاخبِرني عن قوله عزّوجلّ: ﴿ولن تستطيعوا أنْ تعدلوا بين

١ـ سورة النساء آية ٣.

النساء ولو حرصتم فلاتميلوا كلَّ الميل﴾[١] أيُّ حكيم يتكلّم بهذا؟

فلم يكن عنده جواب، فرَحل الى المدينة، الى أبي عبدالله (عليه السّلام) فقال: ياهشام في غير وقت حجٍ ولا عمرة؟!

قال: نعم ـ جُعلت فداك ـ لأمرٍ اهمَّني، إن ابن أبي العوجاء سألني عن مسألة لم يكن عندي فيها شيء.

قال (عليه السّلام): وماهي؟

قال: فأخبره بالقصة.

فقال له أبو عبدالله (عليه السّلام): أمّا قوله عزّوجلّ: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مَثنى وثُلاث ورباع فان خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة﴾ يعني في النَفَقة.

وأمّا قوله: ﴿ولن تستطيعوا أنْ تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلاتميلوا كلَّ الميل فتذروها كالمعلَّقة﴾ يعني في المودَّة.

قال: فلمّا قدِم عليه هشام بهذا الجواب وأخبره، قال: واللهِ ما هذا من عندك[٢].

ودخل عَمرو بن عُبيد ـ فقيه أهل البصرة ـ على الامام الصادق (عليه السّلام) وقرأ: ﴿إنْ تجتنبوا كبائر ما تُنهون عنه﴾[٣] وقال: أُحبُّ أن اعرف الكبائر من كتاب الله.

فقال (عليه السّلام): نَعم يا عَمرو.

ثم فصَّله بأن الكبائر: الشرك بالله.... الى آخر الحديث، فخرج

١ـ سورة النساء آية ١٢٩.

٢ـ الكافي: ج٥ ص٣٦٢ ح١.

٣ـ سورة النساء آية ٣١.

عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول: هَلك مَن سَلَب تراثكم ونازعكم في الفضل والعِلم[١].

وروي عن الامام الصادق (عليه السّلام) أنه قال ـ ابتداءً منه ـ: واللّه إنّي لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنّة وما في النار، وما كان وما يكون الى أن تقوم الساعة.

ثم سكت (عليه السّلام) ثم قال: أعلمه عن كتاب اللّه، أنظر اليه هكذا ـ ثم بسط كفَّه وقال ـ: إن اللّه يقول: فيه تبيان كلِّ شيء[٢و٣].

وقال (عليه السّلام): إن اللّه بَعث محمداً نبيّاً فلانبيَّ بعده، اَنزل عليه الكتاب فختم به الكُتب فلاكتاب بعده، احلَّ فيه حلاله وحرَّم فيه حرامه، فحلالُه حلال الى يوم القيامة، وحرامه حرام الى يوم القيامة، فيه نَبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصْلُ مابينكم، ثم أومأ بيده الى صدره وقال: نحن نعلمه[٤].

وعن هشام بن الحكم قال: سألتُ أبا عبداللّه (عليه السّلام) بِمنى عن خمسمائة حرف من الكلام، فأقبلتُ أقول: يقولون كذا وكذا، قال: فيقول لي: قل كذا.

فقلتُ: هذا الحلال والحرام والقرآن. أعلم انك صاحبه واعلمُ الناس به، فهذا الكلام من أين؟

فقال (عليه السّلام): يحتجُّ اللّه على خَلقه بحجّةٍ لايكون عنده كلَّ مايحتاجون اليه؟؟!![٥].

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢١٦.

٢ـ هذا إقتباس من قوله سبحانه: ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء﴾ سورة النحل آية ٨٩.

٣ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٥.

٤ و٥ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٥.

الفهم الخاطئ للقرآن
نتيجة الانحراف عن أهل البيت

روي عن الامام الصادق (عليه السّلام) أنه قال: قوله (عزّوجلّ): ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ يقول: أرشدنا الصراط المستقيم، أرشدنا للزوم الطريق المؤدّي الى محبّتك، والمبلِّغ الى جنَّتك من أنْ نتّبع أهواءنا فنَعْطب، أو نأخذ بآرائنا فنهلك.

فانَّ من اتَّبع هواه وأُعجب برأيه كان كرجلٍ سمعتُ غثاءَ الناس[1] تُعظِّمه وتصفه، فأحببتُ لقاءه من حيث لايعرفني، لأنظر مقداره ومحلَّه.

فرأيته في موضع قد احدقَ به خَلق من غُثاء العامَّة، فوقفتُ مُنْتَبَذاً عنهم، مُغشيّاً بلثامٍ، انظر اليه واليهم.

فما زال يراوغهم حتى خالف طريقهم وفارقهم، ولم يقرّ.

فتفرَّقتِ العوامُّ عنه لحوائجهم، وتبعتُه اقتفي أثَره، فلم يلبث انْ مرَّ بخبّاز فتغفَّله، فأخذ من دكّانه رغيفين مسارقةً، فتعجبتُ منه، ثم قلت في نفسي: لعلّه معاملة.

ثمّ مرَّ ـ من بعده ـ بصاحب رمّان، فما زال به حتّى تغفّله فأخذ من عنده رمّانتين مسارقةً، فتعجبتُ منه، ثم قلتُ ـ في نفسي ـ: لعلّه معاملة.

ثم أقول: وما حاجته الى المسارقة؟!!

ثم لم اَزَل اتّبعه حتى مرَّ بمريض فوضع الرغيفين والرمّانتين بين يديه ومضى.

وتبعتُه حتى استقرَّ في بقعة من صحراء، فقلت له: يا عبداللّه لقد سمعتُ بك واحببتُ لقاءك، فلقيتُك لكنّي رأيتُ منك ما شغل قلبي، وانّي

١ـ الغُثاء: أرذال الناس وسَقَطهم (لسان العرب).

سائلك عنه ليزول به شُغل قلبي.

قال: ماهو؟

قلت: رأيتُك مررتَ بخبّاز وسرقتَ منه رغيفين، ثم بصاحب الرمّان فسرقتَ منه رمّانتين؟!

فقال لي: قبل كلّ شيء.. حدّثني من أنت؟

قلت: رجل من وُلد آدم، من أُمّة محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

قال: حدّثني ممّن أنت؟

قلت: رجل من أهل بيت رسول اللّه.

قال: أين بلدك؟

قلت: المدينة.

قال: لعلّك جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب؟

قلت: بلى.

قال: فما ينفعك أصلُك مع جهلك بما شُرِّفت به، وتركك عِلم جدك وأبيك لأن تنكر مايجب أن يُحمد ويُمدح فاعله؟!!

قلت: وماهو؟

قال: القرآن كتاب اللّه.

قلت: وما الذي جهلتُ؟

قال: قول اللّه عزّوجلّ: ﴿من جاء بالحسنة فله عَشرُ أمثالها ومن جاء بالسيئة فلايُجزى الاّ مثلها﴾[1].

وإنّي لمّا سرقتُ الرغيفين كانت سيّئتين، ولمّا سرقتُ الرمّانتين كانت سيّئتين، فهذه أربع سيّئات، فلمّا تصدّقتُ بكلّ واحد منها كانت أربعين

١ـ سورة الأنعام آية ١٦٠.

حسنة، فانتقص من أربعين حسنة أربع سيّئات، بقي لي ست وثلاثون.

قلت: ثكلتْك أُمُّك! أنت الجاهل بكتاب اللّه، أما سمعتَ اللّه عزّوجلّ يقول: ﴿إنّما يتقبَّل اللّه من المتّقين﴾[1]؟!!

إنّك لمّا سرقتَ الرغيفين كانت سيّئتين، ولمّا سرقتَ الرُّمانتين كانت سيّئتين، ولمّا دفعتَهما الى غير صاحبهما بغير أمر صاحبهما، كنتَ انّما اضفت أربع سيّئات الى أربع سيّئات، ولم تُضف أربعين حسنة الى أربع سيئات.

فجعل يلاحيني[2] فانصرفتُ وتركتُه[3].

أيُّها القارئ الكريم: قد ذكرنا ـ في بداية الكتاب ـ حديث الثقلين وأن الضمان الوحيد لعدم الضلال والانحراف هو التمسُّك بالقرآن والعترة الطاهرة معاً.

ومن الواضح أن محاولة فهم القرآن عن غير طريق أهل البيت (عليهم السّلام) تجرُّ الانسان الى المتاهات والضلالات، وتدفعه الى ارتكاب المحرَّمات والسيّئات.

وقضية هذا الشيخ المنحرف، وفهمه الخاطيء للقرآن تُعتبر من الصغائر بالنسبة الى الأخطاء الكبيرة والانحرافات العريضة العميقة التي غيَّرت مسيرة الأمّة الاسلاميَّة بسبب الابتعاد عن القيادة الشرعيَّة المتمثّلة في الأئمَّة الطاهرين من أهل البيت (عليهم السّلام).

ولاسبيل للخلاص.. إلاّ بالعودة الى مَن أَمر اللّه ورسولُه بالتمسُّك والاقتداء بهم، وأنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومَن تخلَّف عنها غرق وهوى وغوى.

١ـ سورة المائدة آية ٢٧.

٢ـ لاحاه: نازَعه (أقرب الموارد).

٣ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٣٨.

الامام الصادق (عليه السّلام) وعِلم الفقه

روي عن سماعة بن مهران قال: أخبَرني الكلبيّ النّسابة قال: دخلتُ المدينة ولستُ أعرف شيئاً من هذاالأمر، فأتيت المسجد فاذا جماعة من قريش فقلتُ: أخبروني عن عالِم أهل هذا البيت؟

فقالوا: عبداللّه بن الحسن.

فأتيتُ منزله فاستأذنتُ، فخرج إليّ رجل ظننتُ أنّه غلام له، فقلت له: إستأذنْ لي على مَولاك، فدَخل ثمّ خرج فقال لي: أُدخل فدخلتُ فاذا أنا بشيخٍ مُعتكفٍ شديد الاجتهاد، فسلّمت عليه.

فقال لي: من أنت؟

فقلت: أنا الكلبيّ النسّابة.

فقال: ما حاجتك؟

فقلت: جئتُ أسألك.

فقال: أمررتَ بابني محمد؟

قلت: بدأتُ بك.

فقال: سَل.

فقلت: أخبِرني عن رجل قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء؟

فقال: تبينُ برأس الجوزاء[1] والباقي وِزرٌ عليه وعقوبةٌ.

فقلت في نفسي: واحدة.

فقلت: ما يقول الشيخ في المسح على الخُفَّين؟

فقال: قد مَسح قوم صالحون، ونحن أهل البيت لانمسح.

فقلت في نفسي: ثنتان.

فقلت: ما تقول في أكل الجِرّيّ أحلال هو أم حرام؟

فقال: حلال إلاّ أنّا أهل البيت نعافه.

فقلت في نفسي: ثلاث.

فقلت: فما تقول في شُرب النبيذ؟

فقال: حلال إلاّ أنّا أهل البيت لانشربه.

فقمتُ فخرجت من عنده وأنا أقول: هذه العصابة تكذب على أهل هذا البيت.

فدخلت المسجد فنظرت الى جماعة من قريش وغيرهم من الناس فسلّمتُ عليهم، ثمّ قلت لهم: مَن أعلم أهل هذا البيت؟

فقالوا: عبداللّه بن الحسن.

فقلت: قد أتيته فلم أجد عنده شيئاً.

فرفع رجل رأسه فقال: إئت جعفر بن محمد (عليهما السّلام) فهو أعلم أهل هذا البيت. فلامَه بعض من كان بالحضرة.

فقلت: إنّ القوم إنّما مَنعهم من إرشادي إليه ـ أوّل مرّة ـ الحسد.

١ـ برأس الجوزاء: أي بعدد الكواكب التي على رأس الجوزاء المعروفة في السماء وهي ثلاثة. (مرآة العقول).

فقلت له: ويحك إيّاه أردتُ. فمضيت حتّى صرت إلى منزله فقرعتُ الباب، فخرج غلام له فقال: أُدخل يا أخا كلب. فواللّه لقد ادهشني، فدخلتُ وأنا مضطرب ونظرتُ فاذا شيخ على مُصلّى بلا مِرفقة ولا بردعة[1] فابتدأني بعد أن سلّمت عليه.

فقال لي: من أنت؟ فقلت في نفسي: يا سبحان اللّه! غلامه يقول لي بالباب: أُدخل يا أخا كلب ويسألني المولى من أنت؟!

فقلت له: أنا الكلبيّ النسّابة، فضرب بيده على جبهته وقال: كَذِب العادلونَ باللّه وضلّوا ضلالاً بعيداً وخَسِروا خسراناً مبيناً.

يا أخا كلب: إنّ اللّه (عزّوجلّ) يقول: ﴿وَعاداً وَثَمُوداً وَأصحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَينَ ذَلِكَ كَثِيراً﴾[2] أفتنسبها أنت؟

فقلت: لا، جُعلت فداك.

. . . الى أن قال: فقلت له: أخبِرني عن رجل قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء؟

فقال: ويحك أما تقرأ سورة الطلاق؟

قلت: بلى.

قال: فاقرأ، فقرأتُ ﴿فَطَلّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأحصُوا العِدَّةَ﴾[3].

قال: أترى هاهنا نجومَ السماء؟

قلت: لا.

١ـ المرفقة: المتّكأ والمخدّة (أقرب الموارد) والبرذعة ـ بالذال والدال ـ: الحلس الذي يُلقى تحت الرَّحْل (مجمع البحرين) والمقصود هنا: بلا مخدَّة ولافراش.

٢ـ سورة الفرقان آية ٣٨.

٣ـ سورة الطلاق آية ١.

قلت: فرجل قال لامرأته: أنت طالق ثلاثاً؟

قال: تُردُّ الى كتاب اللّه وسنّة نبيّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)، ثمّ قال: لاطلاق إلاّ على طُهر من غير جماع، بشاهدين مقبولين.

فقلت في نفسي: واحدةٌ.

ثمّ قال: سل.

قلت: ما تقول في المسح على الخُفَّين؟

فتبسّم ثمّ قال: إذا كان يوم القيامة وَرَدَّ اللّه كلَّ شيء إلى شيئه ورَدَّ الجِلد الى الغَنم فترى أصحابَ المسح أين يذهب وضوؤهم؟!!

فقلت، في نفسي: ثنتان.

ثمّ التفت إليّ فقال: سل.

فقلت: أخبرني عن أكل الجِرّيّ؟

فقال: إنّ اللّه (عزّوجلّ) مَسخ طائفة من بني إسرائيل، فما أخذ منهم بَحراً فهو الجِرّيّ والزمّار والمارماهي وما سوى ذلك، وما أخذ منهم بَرّاً فالقردة والخنازير والوبر[1] والوَرَل[2] وما سوى ذلك.

فقلت في نفسي: ثلاث.

ثمّ التفت إليّ فقال: سل وقم.

فقلت: ما تقول في النبيذ؟

فقال: حلالٌ.

١ـ الوَبرُ: دُوَيبَة كالسنّور اصغر منه، كحلاء اللّون، حَسنة العينين، لها ذَنَب قصير جداً. (أقرب الموارد).

٢ـ في المصدر: والورك. والصحيح ما أثبتناه والموافق للوافي. والوَرَل: دابَّة على خلقة الضبّ الاّ انّه أعظم منه يكون في الرمال والصحاري (أقرب الموارد).

فقلت: إنّا ننبذُ فنطرح فيه العكر[١] وما سوى ذلك ونشربه.

فقال: شه شه[٢] تلك الخمرة المنتنة.

فقلت: جُعلت فداك فأيّ نبيذ تعني؟

فقال: إنّ أهل المدينة شكَوا إلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) تغيير الماءوفساد طبايعهم، فأمرهم أن ينبذوا، فكان الرجل يأمر خادمه أن ينبذ له، فيعمد الى كفٍّ من التمر فيقذف به في الشنّ[٣] فمنه شُربه ومنه طهوره.

فقلت: وكم كان عدد التمر الّذي [كان] في الكفّ؟

فقال: ما حَمَل الكفّ.

فقلت: واحدة أو ثنتان؟

فقال: ربّما كانت واحدةً وربّما كانت ثنتين.

فقلت: وكم كان يَسَع الشنّ؟

فقال: ما بين الأربعين الى الثمانين الى مافوق ذلك.

فقلت: بالأرطال؟

فقال: نعم أرطالٌ بمكيال العراق.

ثمّ نهض (عليه السّلام) وقمت، فخرجت وأنا أضرب بيدي على الأُخرى وأنا أقول: إنْ كان شيء فهذا، فلم يزل الكلبيّ يدين اللّه بحبّ آل هذا البيت حتّى مات[٤].

١ـ العكَر: دردي الزيت ودردي النبيذ ونحوه ممّا خثر ـ أي ثخن واشتد ـ ورسَب. (مجمع البحرين).

٢ـ شه شه: كلمة استقذار واستقباح (مجمع البحرين).

٣ـ الشَنّ: القربة الخَلَق الصغيرة يكون الماء فيها أبرد من غيرها (أقرب الموارد).

٤ـ الكافي: ج١ ص٣٤٨ ح٦.

وعن معاوية بن عمّار قال: ماتت أُخت مفضّل بن غياث فأوصت بشيء من مالها: الثلث في سبيل اللّه، والثلث في المساكين، والثلث في الحج، فاذا هو لايبقى مايبلغ ما قالت.

فذهبتُ أنا وهو الى ابن أبي ليلى [القاضي] فقصَّ عليه القصّة فقال: اجعلوا ثُلُثاً في ذا، وثُلُثاً في ذا، وثُلثاً في ذا.

فأتينا ابن شبرمة فقال أيضاً كما قال ابن أبي ليلى.

فأتينا أبا حنيفة فقال كما قالا.

فخرجنا الى مكة فقال لي: سل أبا عبدالله (عليه السّلام) ـ ولم تكن حجّت المرأة ـ فسألتُ ابا عبدالله (عليه السّلام) فقال لي: إبدأ بالحج فانه فريضة من الله عليها، وما بقي اجعله بعضاً في ذا وبعضاً في ذا.

قال: فقدمتُ فدخلتُ المسجد واستقبلت أبا حنيفة وقلت له: سألتُ جعفر بن محمد عن الذي سألتك عنه، فقال لي: ابدأ بحقّ الله أوّلاً فانه فريضة عليها، ومابقي فاجعله بعضاً في ذا وبعضاً في ذا.

قال: فوالله ما قال [أبو حنيفة] لي خيراً ولا شرّاً.

وجئتُ الى حلقته وقد طرحوها وقالوا: قال ابو حنيفة: ابدأ بالحج فانه فريضة الله عليها.

قال: فقلتُ: هو ـ بالله ـ قال كذا وكذا؟!

فقالوا: هو خبّرنا هذا[1].

أيُّها القارئ الكريم: معنى الحديث أنَّ أبا حنيفة حينما عَلم أن جوابه على السؤال كان خطأً وأن الصحيح هو ما قاله الامام الصادق (عليه السّلام) اسرع الى تلامذته وأخبرهم بالحكم دون أن يذكر لهم أنه أخذه من

١ـ الكافي: ج٧ ص٦٣ ح٢٢.

الامام الصادق (عليه السّلام) فظنَّ التلامذة أن أبا حنيفة عَدل عن رأيه السابق وما حكم به قبل ذلك، ولم يعلموا أنه أخطأ في الفتوى حينما افتى في دين الله على هواه، ثم تدارك الأمر بعد ذلك.

وأقول: هل يجوز أن يُفتي الانسان في دين الله على هواه؟!

ويَعلم الله تعالى كم من الأحكام التي صدرتْ من أبي حنيفة وأمثاله.. وكانت على خلاف حكم الله ورسوله، ونُفّذتْ وأخذ بها الناس ولازالوا يأخذون بها الى هذا اليوم، وهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعاً!!!

فمَن المسؤول عن ذلك كلِّه؟؟!

وعن حبيب الخثعمي قال: كتب أبو جعفر المنصور إلى محمد بن خالد ـ وكان عامله على المدينة ـ أن يسأل أهلَ المدينة عن الخمسة في الزكاة من المائتين كيف صارت وزن سبعة ولم يكن هذا على عهد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله)؟ وأمره أن يسأل ـ فيمن يسأل ـ : عبداللّه بن الحسن وجعفر بن محمد (عليهما السّلام).

قال: فسأل أهلَ المدينة فقالوا: أدركنا مَن كان قَبلنا على هذا.

فبعث إلى عبداللّه بن الحسن وجعفر بن محمد (عليهما السّلام) فسأل عبداللّه بن الحسن فقال كما قال المستفتون من أهل المدينة.

قال: فقال: ما تقول [أنت] يا أبا عبداللّه؟

فقال: إنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) جعل في كلِّ أربعين أُوقية أُوقية فإذا حَسبتَ ذلك كان على وزن سبعة وقد كانت وزن ستّة وكانت الدّراهم خمسة دوانيق.

قال حبيب: فحسبناه فوجدناه كما قال، فأقبل عليه عبداللّه بن الحسن فقال: من أين أخذت هذا؟

قال: قرأتُ في كتاب أُمّك فاطمة.

قال: ثمّ انصرف، فبعث إليه محمّد بن خالد: إبعث إليّ بكتاب فاطمة (عليها السّلام).

فأرسل إليه أبو عبدالله (عليه السّلام) [الجواب] إنّي إنّما أخبرتك أنّي قرأته ولم أُخبرك أنّه عندي.

قال حبيب: فجعل محمد بن خالد يقول لي: ما رأيتُ مثلَ هذا قطّ[1].

أقول: معنى الحديث ـ وخلاصة سؤال المنصور الدوانيقي ـ أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فَرضَ في زكاة كلّ مائتي درهم خمسة دراهم، ولكنها صارت سبعة دراهم في عصر المنصور.. لماذا؟

وكان جواب الامام الصادق (عليه السّلام) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جعل محْور الزكاة على الاوقيّة لا على الدراهم، والاوقيّة وزنٌ معلوم وهوأربعون درهماً، والدرهم خمسة دوانيق.

وصرّح الامام الصادق (عليه السّلام) أن سبعة دراهم في هذا الزمان تُساوي خمسة دراهم في زمن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فالتغيُّر حَدَث في وزن الدراهم لا في الاوقيّة ـ التي جُعل حكم الزكاة عليها ـ.

وبعد هذا الجواب الكافي والوافي من الامام الصادق (عليه السّلام) قال الراوي: «فحسبناه فوجدناه كما قال» أي بعدالمقارنة بين وزن الدراهم في زمن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ووَزنها في زماننا هذا وجدنا ان خمسة دراهم على عهد النبي تساوي ـ بالفعل ـ سبعة دراهم في عصرنا، كما قال الامام الصادق (عليه السّلام).

١ـ الكافي: ج٣ ص٥٠٧ ح٢، علل الشرايع: ص٣٧٣ ح١.

الامام الصادق (عليه السّلام) وعلم الغيب

بعد أن ذكرنا كلمة خاطفة عن علم الامام (عليه السّلام) وإطلاعه عن الماضي والحال والمستقبل يسهل علينا قبول الروايات والأحاديث التي تصرّح بإخبار الإمام الصادق (عليه السّلام) عن قضايا بعد وقوعها كالحوادث التي حدثت في عصور قبل التاريخ، ولم تُذكر حتى في الكتب السماويّة ولم يَعلم بها أحد، أو أخبر بها قبل وقوعها، فحدثتْ في عصره، وبعد عصره بمرور القرون، من الملاحم والفتن وغيرها.

وكان يُخبر بعض الناس باقتراب أجَله، أو بما يرزقه اللّه من البنين والبنات، فكان الأمر يقع كما أخبر به.

وقد ذكرنا ـ في الجزء العاشر من الموسوعة ـ إخبار الإمام الصادق (عليه السّلام) عن الامور والقضايا المتعلّقة بالإمام المهدي (عليه السّلام) من علائم ظهوره ونهضته وانجازاته، وغيرها.

وذكرنا في ترجمة كلٍّ من زيد بن علي وأبي مسلم الخراساني والخلاّل والنفْس الزكيَّة وأبيه وأخيه وغيرهم مافيه العَجب.

كلّ هذه الامور من بركات علم الإمامة الذي كان الامام الصادق

(عليه السّلام) معدنه وينبوعه، وعيبتَه ومخزنه ووعاءه.

فكان (عليه السّلام) يخبر بعض أصحابه بما حَدَث ووقَع له من الامور التي لم يشهدها الامام بل ولم يحضرها أحد إلاّ اللّه تعالى.

وكثيراً مّا كان يُخبر بعض أصحابه عن ضمائرهم، أي كان أحدهم يتفكّر حول شيء ولم ينطق به فكان الامام يخبره ويجيبه.

وليس هذا عجيباً . . . فقد ذكرنا ان عيسى بن مريم (عليهما السّلام) كان يُخبر الناس بما يأكلون وما يدَّخرون في بيوتهم من الطعام ـ كما صرّح القرآن الكريم بذلك ـ .

والانبياء والائمة(عليهم السلام) يستلهمون علومهم من الله سبحانه.

وكانت هذه الإخبارات من أدلَّة إمامته عند مَن كان يشكّ في ذلك.

وأمّا المعتقِد بإمامته فكانت هذه الإخبارات تزيده ايماناً وتثبيتاً.

وفيما يلي نذكر بعض الأحاديث التي وردت في إخبار الامام الصادق (عليه السّلام) عن ضمائر الناس وحالاتهم الخاصة:

الامام يجيب قبل السؤال

١ـ عن عائذ الاحمسيِّ قال: دخلت على أبي عبداللّه (عليه السّلام) وأنا أُريد أن أسأله عن صلاة اللّيل فقلت: السلام عليك يابن رسول اللّه.

فقال: وعليك السلام، إي واللّه إنّا لَوُلْدُهُ وما نحن بذوي قرابته ـ ثلاث مرَّات قالها ـ[1].

١ـ حينما خاطَب السائل الامامَ بقوله: يابن رسول اللّه. اكَّد الامام على ذلك بقوله: «إي واللّه إنّا لَوُلده. . .» ومعنى الحديث هو إثبات انتسابه الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ونفي القرابة التي ليست من الولادة.

ثم قال من غير أن أسأله: إذا لقيتَ اللّه بالصلوات الخمس المفروضات لم يسألك عمّا سوى ذلك[١].

٢ـ وروي عن إسماعيل بن مهران قال: كنت عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) أودِّعه وكنت حاجّاً في تلك السّنة، فخرجت، ثمّ ذكرت شيئاً أردت أن أسأله عنه، فرجعت إليه ومجلسه[٢] غاصٌّ بالناس، وكان ما أسأله عنه بيض طير الماء فقال لي من غير سؤالي: الأصلح أن لاتأكل [بيض طير الماء][٣].

٣ـ وعن هشام بن أحمد قال: دخلتُ على أبي عبداللّه (عليه السّلام) وأنا أريد أن أسأله عن المفضَّل بن عمر، وهو [عليه السّلام] في ضيعة له، في يومٍ شديد الحَرّ، والعَرق يسيل على خَدّه، فيجري على صدره. فابتدأني فقال: نِعم ـ واللّه ـ الرجل المفضَّل بن عمر.

نِعم ـ واللّه الذي لا إله الاّ هو ـ الرجل المفضَّل بن عمر الجعفي.

حتى احصيتُ بضعاً وثلاثين مرَّة يقولها ويكرّرها[٤].

٤ـ وعن شهاب بن عبد ربِّه قال: أتيتُ أبا عبداللّه (عليه السّلام) أسأله فابتدأني فقال: انْ شئتَ فسلْ ـ يا شهاب ـ وانْ شئتَ اخبرناك بما جئتَ له.

قلت: أخبرني، جُعلت فداك.

١ـ الكافي: ج٣ ص٤٨٧ ح٣.

٢ـ في بحار الأنوار: ومنزله.

٣ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٧٥٢ ح٦٨، وما بين المعقوفتين اثبتناه من بحار الأنوار: ج٤٧ ص١١٩.

٤ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٦٨.

قال: جئتَ لتسأل عن الجُنُب يغرف الماء من الحبِّ بالكوز فيُصيبُ يدُه الماء.

قلت: نعم.

قال: ليس به بأس.

قال (عليه السّلام): وانْ شئتَ سل، وانْ شئتَ اخبرتك؟

قلت له: أخبرني.

قال: جئتَ تسأل عن الجُنب يسهو ويغمر يده في الماء قبل أن يغسلها.

قلت: وذاك، جُعلت فداك.

قال: اذا لم يكن أصاب يده شيء فلابأس بذاك.

سلْ وانْ شئتَ اخبرتك.

قلت: أخبرني.

قال (عليه السّلام): جئتَ لتسألني عن الجُنب يغتسل فيقطر الماء من جسمه في الإناء، أو ينضح الماء من الارض فيقع في الاناء.

قلت: نعم، جُعلت فداك.

قال: ليس بهذا بأس كلُّه. فَسَلْ وانْ شئتَ أخبرتك.

قلت: أخبرني.

قال: جئتَ لتسألني عن الغدير يكون في جانبه الجيفة اتوضّأ منه أو لا؟

قلت: نعم.

قال: فتوضّأ من الجانب الآخر، إلاّ أنْ يغلب على الماء الرّيح.

وجئتَ لتسأل عن الماء الراكد من البئر.

قال: فما لم يكن فيه تغيير أو ريح غالبة.

قلت: فما التغيير؟

قال: الصُّفرة، فتوضّأ منه، وكلّما غلب عليه كثرة الماء فهو طاهر[١].

٥ـ وعن محمّد بن حرب الهلاليّ أمير المدينة قال: سألت جعفر بن محمّد (عليه السّلام) فقلت له: يابن رسول اللّه في نفسي مسألة أُريد أن أسألك عنها؟

فقال: إن شئتَ أخبرتُك بمسألتك قبل أن تسألني، وإن شئتَ فسل.

قال: قلت له: يابن رسول اللّه وبأيّ شيء تَعرف ما في نفسي قبل سؤالي؟

فقال: بالتوسُّم والتفرُّس، أما سمعتَ قول اللّه (عزّوجلّ): ﴿إنَّ في ذَلكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[٢] وقولَ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله): «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور اللّه»؟

قال: فقلت له: يابن رسول اللّه فأخبرني بمسألتي.

قال: أردتَ أن تسألني عن رسول اللّه لِمَ لم يُطق حملَه عليّ (عليه السّلام) عند حطّ الأصنام من سَطح الكعبة مع قوّته وشدّته وما ظهر منه في قلع باب القموص بخيبر[٣] والرمي به إلى ورائه أربعين ذراعاً وكان لايطيق حملَه أربعون رجلاً، وقد كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) يركب النّاقة والفرس والحمار، ورَكِبَ البراق ليلة المعراج، وكلُّ ذلك دون عليّ في القوّة والشدّة؟

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٦٩.

٢ـ سورة الحجر آية ٧٥.

٣ـ القموص: جبل بخيبر عليه حصن أبي الحقيق اليهودي. (القاموس).

قال: فقلت له: عن هذا ـ واللّهِ ـ أردتُ أن أسألك يابن رسول اللّه فأخبرني.

فقال: إنّ عليّاً (عليه السّلام) برسول اللّه تشرّف وبه ارتفع وبه وصَل الى أن أطفأ نارَ الشرك وأبطل كلَّ معبود من دون اللّه (عزّوجلّ)، ولو علا[ه] النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) لحطّ الأصنام لكان بعليّ مرتفعاً وشريفاً وواصلاً الى حطّ الأصنام، ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه[1]، ألا ترى أنّ عليّاً (عليه السّلام) قال: «لمّا علوتُ ظَهر رسول اللّه شرفت وارتفعت حتّى لو شئتُ أن أنال السماء لَنلتُها»؟!!

أما علمتَ أن المصباح هو الّذي يُهتدى به في الظلمة، وانبعاث فرعه من أصله؟!! وقد قال عليٌّ (عليه السّلام): «أنا من أحمد كالضّوء من الضّوء!».

أما علمتَ أنّ محمّداً وعليّاً (صلوات اللّه عليهما) كانا نوراً بين يدي اللّه (عزّوجلّ) قبل خَلق الخلق بألفي عام؟!

وأنّ الملائكة لمّا رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد تشعّب منه شعاع لامع فقالت: إلهنا وسيّدنا ما هذا النّور؟

فأوحى اللّه (تبارك وتعالى) إليهم: هذا نورٌ من نوري، أصلُه نبوّة وفرعه إمامة، أمّا النبوّة فلمحمّد عبدي ورسولي، وأمّا الإمامة فلعليّ حجّتي ووليّي، ولولاهما ما خلقتُ خلقي.

أما علمتَ أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) رفع يد عليّ (عليه السّلام) بغديرخمّ حتّى نظر الناس إلى بياض إبطيهما فجعله مولى المسلمين وإمامهم؟

١ـ أي لكان أمير المؤمنين (عليه السّلام) أفضل من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وهذا لايكون.

وقد احتمل الحسن والحسين (عليهما السّلام) يوم حظيرة بني النجّار فلمّا قال له بعض أصحابه: ناولني أحدهما يارسول اللّه قال: نِعْم الراكبان وأبوهما خير منهما، وأنّه (صلّى اللّه عليه وآله) كان يصلّي بأصحابه فأطال سجدة من سجداته، فلمّا سلّم قيل له: يارسول اللّه لقد أطلتَ هذه السجدة، فقال (صلّى اللّه عليه وآله): [نعم] إنّ ابني ارتحلني فكرهت أن أعاجله حتّى ينزل، وإنّما أراد بذلك (صلّى اللّه عليه وآله) رفْعهم وتشريفهم، فالنبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) إمام ونبيّ وعليٌّ إمام ليس بنبيّ ولارسول، فهو غير مطيق لحمل أثقال النبوّة.

قال محمّد بن حرب الهلاليّ: فقلت له: زدني يابن رسول اللّه.

فقال: إنّك لأهلٌ للزيادة، إنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) حَمل عليّاً على ظَهره يريد بذلك أنّه أبو وُلده وإمام الأئمّة من صُلبه، كما حَوَّل رداءه في صلاة الاستسقاء وأراد أن يعلم أصحابه بذلك أنّه قد تحوّل الجدب خصباً[1].

قال: قلت له: زدني يابن رسول اللّه.

فقال: احتمَلَ رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) عليّاً يريد بذلك أن يعلم قومه أنّه هو الّذي يُخفِّف عن ظَهر رسول اللّه ما عليه من الدَّين والعِداة والأداء عنه من بعده.

قال: فقلت له: يابن رسول اللّه زدني.

فقال: احتمله ليعلم بذلك أنّه قد احتمله وما حمل إلاّ لأنّه معصوم لايحمل وزراً، فتكون أفعاله عند الناس حكمة وصواباً، وقد قال النبيّ

ــــــــــــــــ

١ـ تجدَّب المكان: إنقطع عنه المطر فيبست أرضه فهو جدب. وخصب المكان: كثر فيه العشب والخير فهو خصب. (المنجد).

(صلّى اللّه عليه وآله) لعليّ (عليه السّلام): ياعليّ إنّ اللّه (تبارك وتعالى) حَمَّلني ذنوب شيعتك ثمّ غفرها لي، وذلك قوله (عزّوجلّ): ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[١] ولمّا أنزل اللّه (عزّوجلّ) عليه ﴿. . . عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[٢] قال النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله): «أيّها الناس عليكم أنفسكم لايضرّكم من ضلَّ إذا اهتديتم، وعليٌّ نفسي وأخي، أطيعوا عليّاً فإنّه مُطهَّر معصوم لايضلُّ ولايشقى» ثم تلا هذه الآية: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُم وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاّ البَلاَغُ المُبِينُ﴾[٣].

قال محمّد بن حرب الهلالي: ثمّ قال [لي] جعفر بن محمّد: أيّها الأمير[٤] لو أخبرتُك بما في حمل النبيّ عليّاً عند حطّ الأصنام من سطح الكعبة من المعاني الّتي أرادها به لقلت: إنّ جعفر بن محمّد لمجنون! فحسْبك من ذلك ما قد سمعتَ، فقمتُ إليه وقبّلت رأسه [ويديه] وقلت: اللّه أعلم حيث يجعل رسالته[٥].

الامام يُعاتب رجلاً دخل عليه وهو جُنب

٦ـ قال أبو بصير:

إشتهيتُ دلالة الإمام، فدخلت على أبي عبداللّه (عليه السّلام) وأنا

١ـ سورة الفتح آية ٢.

٢ـ سورة المائدة آية ١٠٥. وفي معاني الاخبار: ولمّا انزل اللّه (تبارك وتعالى) عليه ﴿يَا أيُّها الّذين آمَنوا عَليكُمْ انفُسَكُم﴾.

٣ـ سورة النور آية ٥٤.

٤ـ اي: يا امير المدينة.

٥ـ بحار الأنوار: ج٣٨ ص٧٩.

جُنُب، فقال: يا أبا محمد! ما كان لك فيما كنت فيه شغل؟ تدخل على إمامك وأنت جنب؟

فقلت: جعلت فداك! ما عملتُه إلاّ عمداً.

قال: أو لم تؤمن؟

قلت: بلى ولكن ليطمئنّ قلبي.

قال: فَقُم ـ يا أبا محمد ـ فاغتسل[1].

وجاءت هذه الرواية بصورة اخرى وهي: عن بكر بن محمد قال: خرجنا من المدينة نريد منزل أبي عبداللّه (عليه السّلام) فلحقَنا أبو بصير، خارجاً من زُقاق، وهو جُنُب، ونحن لانعلم، حتى دخلنا على أبي عبداللّه (عليه السّلام).

قال: فرفع (عليه السّلام) رأسه إلى أبي بصير فقال: يا أبا محمد! أما تعلم أنه لاينبغي لجُنُبٍ أن يدخل بيوت الأنبياء والأوصياء؟

قال: فرجع أبو بصير، ودخلنا[2].

الرواية بصورة اخرى أيضاً:

روى أبو بصير قال: دخلتُ المدينة، وكانت معي جويرية[3] فأصبتُ منها، ثمَّ خرجت الى الحمّام، فلقيت أصحابنا الشيعة، وهم متوجّهون الى جعفر بن محمد (عليهما السّلام) فَخِفتُ أن يسبقوني ويفوتني الدخول إليه، فمشيت معهم حتى دخلت الدّار، فلمّا مَثُلتُ بين يدَي أبي عبداللّه (عليه السّلام) نظر إليَّ ثمَّ قال: يا أبا بصير! أما علمتَ أن بيوت الأنبياء

١ـ مناقب آل ابي طالب: ج٤ ص٢٢٦. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٢٩.

٢ـ بصائر الدرجات: ص٢٦١ ح٢٣.

٣ـ جارية شابّة.

وأولاد الأنبياء لايدخلها الجُنُب؟!

فاستحييتُ، فقلت له: يابن رسول اللّه! إني لقيت أصحابنا فخشيت أن يفوتني الدخول معهم، ولن أعود الى مثلها. وخرجت[١].

الامام يُخبر عن مقدار الأموال وأصحابها

٧ـ عن محمد بن سنان، أنّ رجلاً قَدِم على أبي عبداللّه (عليه السّلام) من خراسان، ومعه صُرَر من الصدقات، معدودة مختومة، وعليها اسماء أصحابها مكتوبة.

فلمّا دخل الرَّجل، جعل أبو عبداللّه (عليه السّلام) يُسمّي أصحاب الصُرَر، ويقول:

أخرِج صُرَّة فلان، فإنَّ فيها كذا وكذا. ثمَّ قال: أين صُرَّة المرأة التي بعثَتها من غزل يدها؟ أخرِجها، فقد قبلناها.

ثمَّ قال ـ للرّجل ـ: أين الكيس الأزرق؟

ـ وكان فيما حمل إليه كيس أزرق ـ فيه ألف درهم، وكان الرجل قد فقده في بعض طريقه.

فلمّا ذكّره الامام استحيى الرجل وقال: يامولاي! إني فقدته في بعض الطريق.

فقال له: تعرفه إذا رأيته؟

فقال: نعم.

فقال: ياغلام أخرِج الكيس الأزرق.

فأخرجه، فلمّا رآه الرَّجل عرفه، فقال له الامام: إنا احتجنا إلى ما

١ـ الارشاد: ص٢٧٣.

فيه، فاحضرناه قبل وصولك إلينا.

فقال الرَّجل: يامولاي! إني ألتمس الجواب بِوصُول ما حَملتُه الى حضرتك.

فقال له: إن الجواب كتبناه وأنت في الطريق[١].

الامام يُخبر الرجل عمّا حَدَث له

٨ـ رُوي عن عبدالرحمن بن كُثير: أنّ رجُلاً منّا دخل يسأل عن الامام بالمدينة، فاستقبله رجل من وُلد [الامام] الحسن فدلَّه على محمد بن عبداللّه [بن الحسن] فصار إليه، وسائله هُنَيهةً، فلم يجد عنده طائلاً[٢].

فاستقبله فتىً من وُلد [الامام] الحسين فقال له: يا هذا! إنّي أراك تسأل عن الامام؟

قال: نعم.

قال: فأصبتَه؟

قال: لا.

قال: فان أحببت أن تلقى جعفر بن محمد (عليهما السّلام) فافعَل.

فاستدلَّه [سأله عن الطريق] فأرشده إليه، فلمّا دخل عليه قال له:

«هذا[٣] إنك دخلتَ مدينتنا هذه، تسأل عن الامام، فاستقبلك فتىً من وُلد الحسن فأرشدك الى محمد بن عبداللّه، فسألته، وخرجتَ، فان شئتَ أخبرتك بما سألته عنه وما ردَّه عليك وذكر، ثمَّ استقبلك فتىً من وُلد

١ـ مشارق انوار اليقين: ص٩١. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٥٥.

٢ـ الطائل: الطَول والطّائل بمعنى، وهو الفضل والقدرة والغنى والسّعة. (مجمع البحرين).

٣ـ اي: ياهذا. فهو منادى قد حُذف منه حرف النداء.

الحسين، وقال لك: إن أحببتَ أن تلقى جعفر بن محمد فافعل».

قال: صدقتَ، قد كان كل ما ذكرتَ ووصفتَ[1].

الامام يخبر عن وقوع المعصية عند نهر بَلخ

٩ـ عن هارون بن رئاب، قال: كان لي أخ جارودي[2] فدخلتُ على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقال لي: ما فَعَل أخوك الجارودي؟

قلت: صالح، هو مَرْضيٌّ عند القاضي، وعند الجيران، في الحالات كلّها، غير أنه لايُقرُّ بِولايتكم!!

فقال: ما يمنعه من ذلك؟

قلت: يزعم أنه يتورّع!!

قال: فأين كان وَرعُه ليلة نهر بلخ؟!

فقلت ـ لأخي ـ حين قدمت عليه: «ثكلتك أُمُّك! دخلتُ على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فسألني عنك، فأخبرته أنك مَرضيٌّ عند الجيران، وعند القاضي، في الحالات كلّها، غير أنه لايُقرُّ بِولايتكم».

فقال: ما يمنعه من ذلك؟ قلت: يزعم أنه يتورّع! فقال: أين كان ورعه ليلة نهر بلخ؟

قال: أَخبرك أبو عبداللّه بهذا؟

قلت: نعم.

قال: أشهد أنَّه حُجَّة ربِّ العالمين!

١ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٧٧٠ ح٩١.

٢ـ من أتباع زياد بن المنذر الجارودي العبدي الذي لعنه الامام الصادق (عليه السّلام).

قلت: أخبرني عن قصَّتك؟

قال: نعم، أقبلتُ من وراء نهر بلخ، فصحبني رجل معه وصيفة، فارهة الجمال. فلما كنّا على النهر قال لي:

«إمّا أن تقتبس لنا ناراً فأحفَظُ عليك، وإمّا أن أقتبس ناراً فتحفظ عَلَيَّ.

فقلت: إذهب واقتبس، وأحفَظ عليك!

فلمّا ذهب، قمتُ إلى الوصيفة، وكان منّي إليها ما كان!! واللّه ما أفشَت، ولاأفشيتُ لأحد، ولم يعلم بذلك إلاّ اللّه» [فدخله رُعبٌ].

فخرجت من السنة الثانية وهو معي، فأدخلته على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فذكرت الحديث، فما خرج من عنده حتّى قال بإمامته[1].

أقول: وقد رُوي هذا الخبر بصورة أُخرى وهي:

جاء رجل إلى أبي عبداللّه (عليه السّلام) وكان له أخ جاروديّ، فقال له أبو عبداللّه (عليه السّلام):

«كيف أخوك؟»

قال: جُعلت فداك! خلَّفته صالحاً.

قال: «وكيف هو؟».

قال: قلت: هو مَرضيّ في جميع حالاته، وعنده خير، إلاّ أنه لايقول بكم!

قال: ومايمنعه؟

قلت: جُعلت فداك! يتورّع من ذلك!!

قال: فقال [الامام] لي: إذا رجعت إليه، فقل له: «أين كان ورعُك

١ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦١٧ ح١٧. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٥٦.

ليلة نهر بلخ أن تتورّع».

قال: فانصرفت إلى منزلي، فقلت لأخي: ما كانت قصّتك ليلة نهر بلخ؟! أن تتورّع من أن تقول بامامة جعفر (عليه السّلام) ولاتتورّع من ليلة نهر بلخ؟!!

قال: ومَن أخبرك؟

قلت: إنّ أبا عبدالله (عليه السّلام) سألني، فأخبرت أنك لاتقول به تَورُّعاً!!

فقال لي: قل له: أين كان ورعك ليلة نهر بلخ؟

فقال: يا أخي أشهد أنه كذا (كلمة لايجوز أن تذكر)[1].

قال: قلت: ويحك! إتّقِ الله! كُلٌّ ذا؟ ليس هو هكذا.

قال: فقال: ما علمه؟ والله ما عَلِمَ به أحد مِن خَلق الله إلاّ أنا والجارية وربُّ العالمين!

قال: قلت: وما كانت قصّتك؟

قال: خرجتُ من وراء النهر، وقد فرغتُ من تجارتي، وأنا أُريد مدينة بلخ، فصحبني رجل معه جارية له حسناء، حتى عبرنا نهر بلخ، فأتيناه ليلاً، فقال لي الرَّجل (مولى الجارية):

«إما أحفظ عليك وتقدّم أنت وتطلب لنا شيئاً، وتقتبس ناراً، أو تحفظ عَلَيَّ وأذهب أنا».

قال: فقلت: «أنا أحفظ عليك، واذهب أنت».

١ـ قال العلاّمة المجلسي: قوله: «انه كذا» لعلَّه نَسَبه (عليه السّلام) إلى السِّحر والكهانة. وقوله: «كل ذا» أي أتظن به وتنسب إليه كلّ ذا، ويحتمل ان يكون نَسبه (عليه السّلام) الى الربوبيّة، فقال [أخوه]: تقول فيه وتغلو كلّ ذا؟

قال: «فذهب الرجل، وكنّا الى جانب غيضة[١] فأخذت الجارية، فأدخلتها الغيضة، وواقعتها، وانصرفتُ إلى موضعي، ثمَّ أتى مولاها، فاضطجعنا، حتّى قدمنا العراق، فما علم به أحد».

ولم أزل به حتّى سكن، ثمَّ قال به [بامامته].

وحججتُ من قابل، فأدخلته إليه، فأخبره بالقصّة، فقال [الامام]: «تستغفر اللّه فلاتعود» فاستقامت طريقته[٢].

الامام يرفض قبول المال الذي أُخذ من غير رضى صاحبه

١٠ـ عن شعيب العقرقوفي، قال: دخلت أنا وعلي بن أبي حمزة وأبو بصير على أبي عبداللّه (عليه السّلام) ومعي ثلثمائة دينار، فصَببتُها قُدّامه، فأخذ منها أبو عبداللّه قبضةً لنفسه، وردَّ الباقي عَلَيَّ، وقال: ياشعيب! رُدَّ هذه المأة دينار إلى موضعها الذي أخذتها منه!

قال شعيب: فقضينا حوائجنا جميعاً، فقال لي أبو بصير: ياشعيب! ما حال هذه الدنانير التي ردَّها عليك أبو عبداللّه (عليه السّلام)؟

قلت: أخذتُها من عروة أخي، سِراً منه، وهو لايعلمها.

فقال لي أبو بصير: ياشعيب! أعطاك أبو عبداللّه ـ واللّه ـ علامة الإمامة.

ثمّ قال لي أبو بصير، وعلي بن أبي حمزة: ياشعيب! عُدَّ الدنانير. فعددتُها، فاذا هي مائة دينار، لاتزيد ديناراً ولاتنقص ديناراً[٣].

١ـ الغيضة: الأجمة، وهي مغيض ماء يجتمع فيه الشجر. (مجمع البحرين).

٢ـ بصائر الدرجات: ص٢٦٩ ح١٦. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٧٥.

٣ـ كشف الغمّة: ج٢ ص١٨٩.

الامام يُلمِّح الى موت الرجل في شهر ربيع

١١ـ عن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبداللّه (عليه السّلام): إنّ لنا أموالاً ونحن نعامل الناس، وأخاف إنْ حَدَثَ حَدَث أن تُفرَّق أموالنا.

قال: فقال: اجمع أموالك في كلِّ شهر ربيع.

[قال علي بن اسماعيل:] فمات إسحاق في شهر ربيع[1].

الامام يرفض قبول الجارية المعتدى عليها

١٢ـ عن الحسين بن أبي العلاء، وعليٍّ بن أبي حمزة، وأبي بصير قالوا: دخل رجل من أهل خراسان على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقال له: جُعلت فداك [إنّ] فلان بن فلان بعث معي بجارية وأمرني أن أدفعها إليك.

قال: لاحاجة لي فيها، وإنّا أهل بيت لايدخل الدَّنَس بيوتنا.

فقال له الرجل: واللّه ـ جُعلت فداك ـ لقد أخبرني أنّها مولّدة بيته، وأنّها ربيبته في حجره.

قال: إنّها قد فسدت عليه.

قال: لاعلم لي بهذا.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): ولكنّي أعلم أنّ هذا هكذا[2].

وروي أنّ رجلاً خراسانياً أقبل إلى أبي عبداللّه فقال (عليه السّلام)

١ـ مناقب آل ابي طالب: ج٤ ص٢٤٣.

٢ـ مناقب آل ابي طالب: ج٤ ص٢٤٣.

له: ما فعل فلان؟

قال: لاعلم لي به

قال: لكني أُخبرك به، إنه بعث بجارية معك ولاحاجة لي فيها.

قال: ولم؟

قال: لأنّك لم تراقب اللّه فيها، حيث عملت ما عملت ليلة نهر بلخ حيث صنعتَ ما صنعت، فسكت الرَّجل وعلم أنّه أخبره بأمر قد فعله[1].

الامام يُخبر رجلاً عمّا خلَّفه من المال

١٣ـ في حديث عليّ [ابن أبي حمزة] أنّه قال الصادق (عليه السّلام): نعلم أنّك خلّفت في منزلك ثلاثمائة درهم، وقلت: إذا رجعت أصرفها أو أبعث بها إلى محمّد بن عبداللّه الدعبلي.

قال: واللّه ما تركتُ في بيتي شيئاً إلاّ وقد أخبرتني به[2].

الامام يُخبر عن مذبحة فخ قبل وقوعها

١٤ـ عن النضر بن قرواش قال: أكريتُ جعفر بن محمّد (عليه السّلام) من المدينة الى مكة فلمّا ارتحلنا من بطن مرّ قال لي: يانضر إذا انتهيتَ الى فخّ فأعلمني، قلت: أولستَ تعرفه! قال: بلى، ولكنْ أخشى أن تغلبني عيني، فلمّا انتهينا إلى فخّ دنوت من المحمل فاذا هو نائمٌ فتنحنحت فلم ينتبه، فحرَّكت المحمل فجلس فقلت: قد بلغت، فقال: حُلَّ مَحْملي، فحللتُه ثمّ قال: صِلِ القطار فوصلتُه، ثمّ تنحّيت به عن الجادّة

١ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦١٠ ح٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٩٧.

٢ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٢٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٢٧.

فأنخْتُ بعيره فقال: ناولني الأداوة والركوة، فتوضّأ وصلّى، ثمّ ركب فقلت له: جُعلت فداك رأيتك قد صنعت شيئاً أفهو من مناسك الحجّ؟

قال: لا، ولكن يُقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابةٍ تَسبق أرواحُهم أجسادهم إلى الجنّة[1].

الامام أُعطي علم المنايا والبلايا

١٥ـ عن مفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السّلام) يقول: أُعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد من قبلي: عُلِّمتُ المنايا والبلايا وفصْلَ الخطاب فلم يفتْني ما سَبقني، ولم يعزبْ عنّي ما غاب عنّي، وأُبشّر باذن الله تعالى وأُؤدّي عنه، كلٌّ ذلك منٌّ من الله مكّنني فيه بعلمه[2].

أقول: قوله: «ماسبقني...» أي من عامّة النّاس.

الامام يُعاتب رجلاً على سوء خُلُقه مع والدته

١٦ـ عن إبراهيم بن مهزم قال: خرجت من عند أبي عبدالله (عليه السّلام) ليلة ممسيّاً فأتيت منزلي بالمدينة، وكانت أُمّي معي، فوقع بيني وبينها كلام، فأغلظتُ لها، فلمّا أن كان من الغد صلّيت الغداة، وأتيت أبا عبدالله (عليه السّلام) فلمّا دخلت عليه قال لي مبتدئاً: يا أبا مهزم مالك والوالدة أغلظت في كلامها البارحة، أما علمت أنَّ بطنها منزل قد سكنته، وأنَّ حِجْرها مَهدٌ قد غمزتَه، وثديها وعاءٌ قد شربته؟!!

قال: قلت: بلى.

١ـ مقاتل الطالبيين: ص٢٩٠. منه بحار الأنوار: ج٤٨ ص١٧٠.

٢ـ بصائر الدرجات: ص٢٨٦ ح١. منه بحار الأنوار: ج٢٦ ص١٤٨.

قال: فلاتغلظ لها[١].

الامام ينهى رجلاً عن مجالسة السَّفَلَة

١٧ـ عن ابن أبي يعفور قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السّلام) فاستأذن عليه رجلٌ حَسَنُ الهيئة فقال: اتّق السَّفلة.

[قال الراوي:] فما تقارّت بي الأرض حتّى خرجتُ، فسألت عنه فوجدته غالياً[٢].

أقول: توضيح الحديث أن الرجل بمجرَّد ان دخَل على الامام الصادق (عليه السّلام) ابتداه الامام بقوله: «اتّق السَّفلة» أي: احذرهم ولاتُجالسْهم، فلمّا خرج من عند الامام (عليه السّلام) لم تستقرَّ الارض بالراوي، أي أنه لم يستطع أن يستقرَّ في مكانه، بل خرج خلف ذلك الرجل يسأل عنه الناس ليعرف حاله، فأخبروه أنه من الغُلاة المنحرفين، وبهذا عرف الراوي معنى كلام الامام الصادق (عليه السّلام) حينما نهى ذلك الرجل عن مجالسة السَّفلة وذلك لأنهم كانوا السبب في غُلوّه وانحرافه عن الصراط المستقيم.

الامام يحدِّث رجلاً عمّا صنَع به الوالي

١٨ـ التمس محمّد بن سعيد من الصادق (عليه السّلام) رقعة الى محمّد بن أبي حمزة الثمالي في تأخير خراجه، فقال (عليه السّلام): قل له: سمعت جعفر بن محمّد يقول: «مَن أكرم لنا مُوالياً فبكرامة الله تعالى

١ـ بصائر الدرجات: ص٢٦٣ ح٣. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٧٢.

٢ـ اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٥٩٤ ح٥٥٣. منه بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٠٠.

بَدَاً، ومَن أهانه فلِسَخط اللّه تَعرَّض، ومن أحسن الى شيعتنا فقد أحسن إلى أمير المؤمنين، ومَن أحسنَ إلى أمير المؤمنين فقد أحسَن إلى رسول اللّه، ومن أحسَن إلى رسول اللّه فقد أحسنَ إلى اللّه، ومَن أحسنَ إلى اللّه كان ـ واللّه ـ معنا في الرفيع الأعلى».

قال: فأتيته وذكرته فقال: باللّه سمعتَ هذا الحديث من الصادق (عليه السّلام)؟

فقلت: نعم.

فقال: إجلس، ثمّ قال: ياغلام ما على محمّد بن سعيد من الخراج؟

قال: ستّون ألف درهم.

قال: أُمْحُ اسمه من الدّيوان، وأعطاني بَدْرة وجارية وبَغْلة بسَرجها ولجامها.

قال: فأتيت أبا عبداللّه (عليه السّلام) فلمّا نظر إليَّ تبسَّم فقال: يا أبا محمّد تحدِّثني أو أُحدِّثك؟

فقلت: يابن رسول اللّه منك أحسن. فحدَّثني واللّه الحديث كأنّه حاضر معي[١].

الامام يُخبر عن مدفنهم قبل موتهم

١٩ـ عن محمّد الإصبهاني قال: كنت قاعداً مع معروف بن خرّبوذ بمكّة ونحن جماعة فمرَّ بنا قوم على حمير معتمرون من أهل المدينة، فقال لنا معروف: سلوهم هل كان بها خبر؟ فسألناهم، فقالوا: مات عبداللّه بن الحسن، فأخبرناه بما قالوا، قال: فلمّا جاوزوا مرَّ بنا قوم آخرون فقال لنا

ـــــــــــــــــــ

١ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٣٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٧٩.

معروف: فاسألوهم هل كان بها خبر؟ فسألناهم فقالوا: كان عبدالله بن الحسن أصابته غشية وقد أفاق، فأخبرناه بما قالوا، فقال: ما أدري ما يقول هؤلاء وأولئك؟ أخبرني ابن المكرَّمة ـ يعني أبا عبدالله (عليه السّلام) ـ أنَّ قبر عبدالله بن الحسن وأهل بيته على شاطيء الفرات.

قال: فحَملهم أبو الدوانيق فقُبروا على شاطىء الفرات[1].

الامام يُخبر أن الزوجة المعتدية تموت بعد ثلاثة أيام

٢٠ـ روي عن الحسين بن أبي العلاء، قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السّلام) إذ جاءه رجل (أو مولى له) يشكو زوجته وسوء خُلقها، قال: فأتني بها.

فأتاه بها، فقال [الامام] لها: ما لزوجكِ يشكوك؟

قالت: فَعَل الله به وفَعَل.

فقال لها: إن ثبتِّ على هذا لم تعيشي إلاّ يسيراً.

قالت: لا أُبالي أن لاأراه أبداً.

فقال [الامام] له: خُذ بِيَد زوجتك، فليس بينك وبينها إلاّ ثلاثة أيام!!

فلما كان اليوم الثالث دخل عليه الرجل، فقال (عليه السّلام): ما فعلَت زوجتك؟

قال: قد والله دفنتُها الساعة.

قلت: ما كان حالها؟

١ـ اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٤٧٢ ح٣٧٦. منه بحار الانوار: ج٤٧ ص١٥١.

قال (عليه السّلام): كانت معتدية، فَبَتَر اللّه عُمرَها، وأراحه منها[١].

الامام يُخبر رجلاً عما حدَّث به نفسَه

٢١ـ عن جعفر بن هارون الزيّات قال: كنت أطوف بالكعبة فرأيت أبا عبداللّه (عليه السّلام) فقلت في نفسي: هذا هو الّذي يُتّبع، والذي هو الامام وهو كذا وكذا؟ قال: فما علمت به حتّى ضرب يده على منكبي، ثمّ أقبل عليَّ وقال: ﴿أبشراً منّا واحداً نتّبعُه إنّا إذاً لفي ضَلال وسُعُر﴾[٢و٣].

٢٢ـ وعن عمر بن يزيد قال: كنت عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) ليلة من اللّيالي، ولم يكن عنده أحد غيري، فمدَّ رجله في حجري فقال: اغمزها ياعمر! قال: فغمزت رجله، فنظرت إلى اضطراب في عضلة ساقيه فأردت أن أسأله إلى من الأمر من بعده، فأشار إليَّ فقال: لاتسألني في هذه اللّيلة عن شيء فانّي لست أُجيبك[٤].

الرواية بصورة اخرى:

عن عمر بن يزيد قال: كنتُ عند أبي عبداللّه وهو وَجِع فولاّني ظهره، ووجهه إلى الحائط فقلت في نفسي: ما أدري ما يصيبه في مرضه، وما سألته عن الامام بعده، فأنا أُفكّر في ذلك، إذ حوَّل وجهه إليَّ فقال: إنّ الأمر ليس كما تظنُّ، ليس عليَّ من وجعي هذا بأس[٥].

١ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦١٠ ح٦.

٢ـ سورة القمر آية ٢٤.

٣ـ بصائر الدرجات: ص٢٦٠ ح٢١. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٧٠.

٤ـ بصائر الدرجات: ص٢٥٥ ح١.

٥ـ بصائر الدرجات: ص٢٥٩ ح١٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٧٠.

أيُّها القارئ الكريم: كانت هذه مجموعة مُنتخَبة من الأحاديث التي تُصرّح بأن الامام الصادق (عليه السّلام) اخبر عن نوايا بعض الناس وافعالهم وما صدر منهم وما سيتعرَّضون له وما شابه ذلك، وهناك أحاديث أُخرى في هذا المجال ذكرناها في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) وهي بمجموعها تؤكّد على حقيقة واحدة وهي ان الامام الصادق (عليه السّلام) مؤيَّد من عند اللّه تعالى ومتَّصل بالعالَم الأعلى وأن اللّه سبحانه منَحه هذه الصلاحيّات والمؤهَّلات - التي يمنحها للأنبياء وأوصيائهم - لتكون دليلاً على الامامة والولاية الشرعية الحقَّة، في مقابل الامامة الباطلة المزعومة التي يدَّعيها الآخَرون.

الامام الصادق (عليه السّلام)
وعلم الطبّ والتشريح

أيّها القارئ الكريم: نذكر لك - في هذا الفصل - بعض الأحاديث المرويَّة عن سيّدنا ومولانا الامام الصادق (عليه السّلام) حول علم الطب وتشريح جسم الانسان، لاثبات ما سَبق ذكره مِن تنوُّع علوم الامام الصادق (عليه السّلام) وأن هذا الامام كان آيةً من آيات اللّه العظيمة وحُجة من حُجج اللّه البالغة ومعدناً من معادن العلوم الالهيَّة..

١- عن الحسن بن علي بن النعمان، عن بعض أصحابنا قال: شكوت إلى أبي عبداللّه (عليه السّلام) الوجع فقال لي: إذا أويت إلى فراشك فكُلْ سُكَّرتين.

قال: ففعلت ذلك فبرئت، فخبّرت بعض المتطبّبين - وكان أفره[1] أهل بلادنا - فقال: من أين عرف أبو عبداللّه (عليه السّلام) هذا؟ هذا من مخزون علمنا، أما إنّه صاحبُ كُتب فينبغي أن يكون أصابه في بعض كُتبه[2]!!.

١- الفاره: الحاذق بالشيء (مجمع البحرين).

٢- الكافي: ج٦ ص٣٣٣ ح٥.

٢ـ عن الربيع ـ صاحب المنصور العبّاسي ـ قال:

حَضَرَ أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق (عليهما السّلام) مجلس المنصور يوماً، وعنده رجل من الهند يقرأ كُتُب الطبّ، فجعل أبو عبدالله الصادق جعفر بن محمد (عليهما السّلام) ينصت لقراءته، فلمّا فرغ الهندي قال له: يا أبا عبدالله! أتريد مما معي شيئاً؟

قال: لا، فانّ ما معي خيرٌ ممّا معك!

قال: وماهو؟

قال: أُداوي الحارَّ بالبارد، والباردَ بالحارّ، والرَّطِب باليابس، واليابسَ بالرَّطِب، وأردّ الأمر كلّه الى الله (عزّوجلّ) وأستعمل ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وأعلم انَّ المعدة بيت الدَّاء، والحِمية هي الدَّواء، وأُعوِّد البدن ما اعتاد.

فقال الهندي: وهل الطبّ إلاّ هذا؟

فقال الصادق (عليه السّلام): أفَتَراني عن كُتُب الطبِّ أخذتُ؟

قال: نَعم.

قال: لا، واللهِ ما أخذتُ إلاّ عن الله سبحانه، فأخبِرني أنا أعلم بالطِّب أم أنت؟

فقال الهندي: بل أنا.

قال الصادق (عليه السّلام): فأسألك شيئاً؟

قال: سَل.

قال (عليه السّلام): أخبِرني ـ ياهندي ـ لِمَ كان في الرأس شؤون؟[1].

١ـ الشؤون: هي مواصل قبائل الرأس وملتقاها. (مجمع البحرين).

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ جُعل الشَّعر عليه من فوقه؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ خلَت الجبهة من الشَّعر؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ كان لها تخطيط وأسارير؟[1].

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ كان الحاجبان من فوق العينين؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ جُعلت العينان كاللّوزتين؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ جُعل الأنف فيما بينهما؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ كان ثُقب الأنف في أسفله؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ جُعلت الشِّفة والشارب من فوق الفم؟

قال: لاأعلم.

قال: فَلِمَ احتدَّ السِّنّ، وعَرَض الضرس، وطال الناب؟

قال: لاأعلم.

قال: فَلِمَ جُعلت اللّحية للرِّجال؟

قال: لاأعلم.

١ـ أسارير: هي خطوط تجتمع في الجبهة وتتكسّر. (مجمع البحرين).

قال: فَلِمَ خَلَت الكفّان من الشَّعر؟

قال: لاأعلم.

قال: فَلِمَ خلا الظُّفر والشَّعر من الحياة؟

قال: لاأعلم.

قال: فَلِمَ كان القلب كَحَبِّ الصنوبر؟

قال: لاأعلم.

قال: فَلِمَ كانت الرِّية قطعتين، وجعل حركتها في موضعها؟

قال: لاأعلم.

قال: فَلِمَ كانت الكبد حدباء؟

قال: لاأعلم.

قال: فَلِمَ كانت الكِليةُ كحبِّ اللّوبيا؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ جُعِلَ طَيُّ الرُّكبتين الى خَلف؟

قال: لاأعلم.

قال: فَلِمَ تخصَّرت القَدمان؟

قال: لاأعلم.

فقال الصادق (عليه السّلام): لكنني أعلم.

قال: فأجب!

قال الصادق (عليه السّلام): كان في الرأس شؤون، لأن المجوّف اذا كان بِلافصل أسرع إليه الصّدع، فاذا جُعل ذا فصول كان الصداع منه أبعد.

وجُعل الشَّعر من فوقه لتُوصل ـ بوصوله ـ الأدهان الى الدماغ ويخرج بأطرافه البخار منه، ويردّ الحرَّ والبرد الواردَين عليه.

وخَلَت الجبهة من الشَّعر لأنّها مَصَبُّ النور الى العينين.

وجعل فيها التخطيط والأسارير ليحتبس العَرَق ـ الوارد من الرأس ـ عن العين، قدر ما يُميطه الإنسان عن نفسه، كالأنهار في الأرض التي تحبس المياه.

وجُعل الحاجبان من فوق العينين ليرِد عليهما من النور قدر الكفاية.. ألا ترى ـ يا هندي ـ أنّ مَن غَلَبه النور جَعل يَده على عينيه ليردَّ عليهما قَدْر كفايتهما منه؟

وجُعل الأنف فيما بينهما ليُقسِّم النور قسمين، الى كلِّ عين سواء.

وكانت العين كاللّوزة، ليجري فيها الميل بالدَّواء [الاكتحال] ويخرج منها الدَّاء، ولو كانت مربَّعة، أو مدوّرة ما جرى فيها الميل، وما وصل إليها دواء، ولا خرج منها داء.

وجُعل ثُقب الأنف في أسفله لتنزل منه الأدواء المنحدرة من الدَّماغ، ويصعد فيه الأراييح[1] الى المشامّ، ولو كان على أعلاه لَما أُنزل داء، ولا وَجَد رائحة.

وجُعل الشارب والشّفة فوق الفم ليحتبس ما ينزل من الدَّماغ عن الفم، لئلاّ يتنغَّص على الإنسان طعامه وشرابه، فيميطه عن نفسه.

وجُعلت اللِّحية للرِّجال ليُستغنى بها عن الكشف في المنظر، ويُعلم بها الذَّكر من الأنثى.

وجُعل السِّنُّ حاداً، لأنَّ به يقع المضغ، وجُعل الضِرس عريضاً لأنَّ به يَقع الطحن والمَضْغ، وكان الناب طويلاً ليُسند الأضراس والأسنان

١ـ الموجود في كتب اللغة: أرايح وأراويح ـ جمع ريح ـ وأما أراييح فلم أظفر بها فلعلّها جمع رائحة.

كالاسطوانة في البناء.

وخلا الكَفّان من الشّعر لأنّ بِهما يقع اللّمس، فلو كان فيهما شَعرٌ ما درى الإنسان ما يقابله ويلمسه.

وخلا الشَّعر والظُفر من الحياة لأنّ طولهما سمج[1] وقَصّهُما حسنٌ، فلو كان فيهما حياة لألم الانسان بقَصِّهما.

وكان القلب كحَبِّ الصنوبر، لأنَّه منكّس، فجعل رأسه دقيقاً ليدخل في الرِّية فتروِّح عنه ببَردها، لئلا يشيط[2] الدَّماغ بِحَرِّه.

وجُعلت الرِّية قطعتين، ليدخل بين مضاغطها، فيتروّح عنه بِحَرَكتها.

وكانت الكبد حدباء لتثقل المعدة، ويقع جميعها عليها، فيعصرها، ليخرج ما فيها من البخار.

وجُعلت الكلية كحَبِّ اللّوبيا، لأنّ عليها مَصَبُّ المنيِّ، نقطة بعد نقطة، فلوكانت مُربَّعة أو مُدوَّرة احتبست النقطة الاولى الى الثانية، فلايلتذُّ ـ بخروجها ـ الحيُّ، إذ المنيّ ينزل من فقار الظَّهر الى الكلية، فهي [الكلية] كالدودة تنقبض وتنبسط، ترميه أوّلاً فأوّلاً الى المثانة كالبندقة من القوس.

وجعل طَيّ الرُّكبة الى خَلف، لأنّ الإنسان يمشي إلى بين يديه، فتعتدل الحركات ولولا ذلك لسقط في المشي.

وجُعلت القَدَم مُخَصَّرة، لأنّ الشيء اذا وقع على الأرض جميعه ثَقُلَ كثقل حَجَر الرَّحى، فإذا كان على حرفه[3] رفعه الصّبيّ واذا وقع على وجهه صعب نقله على الرَّجل.

١ـ سمج: الذي تكرهه النفس لقبحه. (مجمع البحرين).

٢ـ شوّط القدْر وشيّطها إذا أغلاها. (لسان العرب).

٣ـ حَرْف كلّ شيء: طرفه وشفيره وحدّه (أقرب الموارد).

فقال له الهندي: من أين لك هذا العلم؟

فقال (عليه السّلام): أخذته عن آبائي (عليهم السّلام) عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) عن جبرئيل عن ربِّ العالمين (جلَّ جلاله) الذي خَلق الأجساد والأرواح.

فقال الهندي: صدقتَ، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأن محمداً رسول اللّه وعبدُه، وأنّك أعلم أهل زمانك[1].

٣ـ وعن سالم الضرير: إن نصرانيّاً سأل الصادق (عليه السّلام) عن تفصيل الجسم؟

فقال (عليه السّلام): «إن اللّه تعالى خَلق الإنسان على اثني عشر وَصْلاً، وعلى مائتين وستة واربعين عَظماً، وعلى ثلاث مائة وستين عِرقاً، فالعروق هي التي تسقي الجسد كلّه، والعظام تُمسكها، واللحم يمسك العظام، والعَصَب يمسك اللحم.

وجعل في يديه اثنين وثمانين عظماً، في كلّ يدٍ أحدَ وأربعون عظماً منها:

في كفّه: خمسة وثلاثون عظماً، وفي ساعده اثنان، وفي عَضُده واحد، وفي كتفه ثلاثة [فذاك أحد واربعون عظماً]. وكذلك في [اليد] الأُخرى.

وفي رجله ثلاثة واربعون عظماً، منها:

في قدمه: خمسة وثلاثون عظماً، وفي ساقه إثنان، وفي ركبته ثلاثة، وفي فخذه واحد، وفي وركه إثنان، وكذلك في [الرِّجل] الاخرى.

وفي صُلبه ثماني عشر فقارة، وفي كل واحدٍ من جنبه تسعة أضلاع،

١ـ الخصال: ص٥١١ ح٣.

وفي عنقه ثمانية، وفي رأسه ستة وثلاثون عظماً، وفي فيه ثمانية وعشرون، واثنان وثلاثون»[1].

٤ـ وحدَّث أبو هفّان ـ وابن ماسويه حاضر ـ : ان جعفر بن محمد (عليه السّلام) قال: «الطبائع أربع: الدَّم، وهو عبدٌ، وربّما قتل العبد سيّده، والريح، وهو عدوّ، اذا سددتَ له باباً أتاك من آخَر، والبلغم، وهو مَلكٌ يُدارى، والمِرَّة، وهي الأرض، اذا رجفت رجفت بمن عليها».

فقال [ابن ماسويه]: أعِد عَلَيَّ، فواللّه لايُحسن جالينوس أن يصف هذا الوصف[2].

٥ـ وعن هشام بن سالم، عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) قال: «إن خرج بالرَّجل منكم الخُراج[3] أو الدُّمّل فليربطه، وليتداوِ بزيتٍ أو سمن»[4].

٦ـ وعن أبي بصير، عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) قال: «اذا حككتَ رأسك فحكَّه حكّاً رفيقاً، ولاتحكّنَ بالأظفار، ولكن بأطراف الأصابع»[5].

٧ـ وعن عبدالرحمن بن كثير، قال: كنتُ عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) فدخل عليه مهزم، فقال لي أبو عبداللّه (عليه السّلام): أُدعُ لنا الجارية تجئنا بدهن وكُحل.

فدعوت بها، فجاءت بِقارورة بنفسج، وكان يوماً شديد البرد،

١ـ مناقب آل ابي طالب: ج٤ ص٢٥٦.

٢ـ مناقب آل ابي طالب: ج٤ ص٢٥٩.

٣ـ الخُراج: ما يخرج في البدن من القروح. (لسان العرب).

٤ـ الكافي: ج٤ ص٣٥٩ ح٦.

٥ـ الكافي: ج٤ ص٣٦٥ ح١.

فَصَبَّ مهزم في راحته منها ثمَّ قال: جُعلت فداك! هذا بنفسج، وهذا البرد الشديد.

فقال: وما بالُه يامهزم؟

فقال: إنّ متطبّبينا بالكوفة يزعمون انَّ البنفسج بارد.

فقال: هو بارد في الصَّيف، ليِّن حارٌّ في الشتاء[1].

٨ـ وعن عمر بن أُذينة قال: شكا رجل الى أبي عبدالله (عليه السّلام) شقاقاً في يديه ورجليه، فقال له: خُذ قطنة، فاجعل فيها باناً، وضَعها في سُرَّتك.

فقال اسحاق بن عمار: جُعلت فداك! يجعل البان في قطنة ويجعلها في سُرَّته؟

فقال: أمّا أنت ـ يا إسحاق ـ فَصُبّ البان في سُرَّتك فإنها كبيرة!

قال ابن أُذينة: لقيتُ الرجل بعد ذلك فأخبرني أنّه فَعَله مرّةً واحدة فذهب عنه[2].

٩ـ لمّا قدم أبو عبدالله (عليه السّلام) الحيرة ركب دابّته ومضى إلى الخورنق[3] فنزل فاستظلَّ بظلّ دابّته ومعه غلام له أسود فرأى رجلاً من أهل الكوفة قد اشترى نخلاً فقال للغلام: من هذا؟ فقال له: هذا جعفر بن محمّد (عليهما السّلام) فجاء بطبق ضخم فوضعه بين يديه.

فقال (عليه السّلام) للرَّجل: ما هذا؟

فقال: هذا البرني.

١ـ الكافي: ج٦ ص٥٢١ ح٦.

٢ـ الكافي: ج٦ ص٥٢٣ ح٢.

٣ـ الخورنق: قصر بالعراق للنعمان الأكبر ابن امرىء القيس (اقرب الموارد).

فقال: فيه شفاء، ونظر إلى السابري فقال: ما هذا؟

فقال: السابريّ.

فقال: هذا عندنا البيض، وقال للمشان: ما هذا؟

فقال الرّجل: المشان[1].

فقال (عليه السّلام): هذا عندنا أُمُّ جرذان ونظر إلى الصرفان فقال: ما هذا؟

فقال الرجل: الصرفان.

فقال: هو عندنا العَجوة وفيه شفاء[2].

أقول: قد ذكرنا كثيراً من التعليمات الطبيّة المرويَّة عن الامام الصادق (عليه السّلام) في المجلَّد الخاص بالطب في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام). وأوردنا فيه الكتاب المعروف بـ: توحيد المفضَّل، وهو من إملاء الامام الصادق (عليه السّلام) وكتابة تلميذه المفضَّل بن عمر، وهو كتاب عظيم وجدير بالتدبُّر والمطالعة.

١ـ المشان: من اطيب الرطب (أقرب الموارد).

٢ـ الكافي: ج٦ ص٣٤٧ ح١٥.

الامام الصادق (عليه السّلام) وعلم النجوم

أيُّها القارئ الكريم: وعلم النجوم هو الآخَر مَن العلوم التي ألهمها اللّه تعالى للامام الصادق (عليه السّلام) لتكون آية على تنوُّع علومه (عليه السّلام) وامامته المنصوصة من اللّه سبحانه.

وفيما يلي نذكر بعض ماروي عنه (عليه السّلام) في هذا المجال:

١ـ روي انه دخل يماني على الامام الصادق (عليه السّلام) فقال له: مرحباً بك ياسعد!

فقال الرجل: بهذا الاسم سمَّتني أُمّي، وقَلَّ من يعرفني به.

فقال: صدقتَ ياسعد المولى!

فقال: جُعلت فداك! بهذا كنتُ أُلقَّب.

فقال: ما صناعتك ياسعد؟

قال: أنا من أهل بيت ننظر في النجوم.

فقال: كم ضوء الشمس على ضوء القمر درجة؟

قال: لاأدري.

قال: فكم ضوء القمر على ضوء الزهرة درجة؟

قال: لاأدري.

قال: فكم للمشتري من ضوء عطارد؟

قال: لاأدري.

قال: فما اسم النجوم التي اذا طلعتْ هاجت البقر؟

قال: لاأدري.

فقال: يا أخا أهل اليَمن! عندكم علماء؟.

قال: نعم، إن عالمهم ليزجر الطير، ويقفو الأثر في الساعة الواحدة مسيرة سير الراكب المُجدِّ.

فقال (عليه السّلام): إن عالم المدينة أعلم من عالِم اليَمن! لأن عالم المدينة ينتهي الى حيث لايقفو الأثر، ويزجر الطير، ويَعلم ما في اللَّحظة الواحدة مسيرة الشمس، يقطع اثني عشر بُرجاً، واثني عشر بحراً، واثني عشر عالَماً.

قال: ما ظننتُ أن أحداً يعلم هذا ويدري[1].

٢ـ وعن هشام الخفّاف، قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السّلام): كيف بَصرك بالنجوم؟

قال: قلت: ما خلَّفتُ بالعراق أبصَرَ بالنجوم منّي.

فقال: كيف دَوَران الفلك عندكم؟

قال: فأخذتُ قلنسوتي عن رأسي فأدَرتُها.

فقال: فان كان الأمر على ما تقول فما بال بنات النعش والجدي والفرقدين لايُرَونَ يدورُون يوماً من الدهر في القبلة؟

قال: قلت: هذا والله شيء لا أعرفه، ولاسمعتُ أحداً من أهل الحساب يذكره!!

فقال لي: كم السكينة من الزّهرة جزءاً في ضوئها؟

١ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٥٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢١٨.

قال: قلت: هذا ـ واللّه ـ نجمٌ ما سمعتُ به، ولاسمعتُ أحداً من الناس يذكره.

فقال: سبحان اللّه! فأسقطتم نجماً بأسره؟ فَعَلى ما تحسبون؟

ثمَّ قال: فكم الزُّهرة من القمر جزءاً في ضوئه؟

قال: قلت: هذا شيء لايعلمه إلاّ اللّه (عزّوجلّ).

قال: فكم القمر جزءاً من الشمس في ضوئها؟

قال: قلت: لا أعرف هذا.

قال: صدقت، ثمَّ قال: ما بال العسكرَين يلتقيان، في هذا حاسبٌ، وفي هذا حاسبٌ فيَحسب هذا لصاحبه بالظَفر، ويَحسب هذا لصاحبه بالظَفر؟ ثم يلتقيان، فيهزم أحدُهما الآخر، فأين كانت النحوس؟

قال: فقلت: لا واللّه ما اعلم ذلك.

قال: فقال: صدقت، إنَّ أصل الحساب حقٌّ، ولكن لايعلم ذلك إلاّ مَن علم مواليد الخلق كلّهم[1].

٣ـ وعن أبي عبداللّه (عليه السّلام) قال: كان بيني وبين رجل قسمة أرض وكان الرَّجل صاحب نجوم وكان يتوخّى[2] ساعة السّعود فيخرج فيها وأخرج أنا في ساعة النُّحوس، فاقتسمنا فخرج لي خير القسمين فضرب الرجل يده اليمنى على اليسرى ثمَّ قال: ما رأيت كاليوم قطّ.

قلت: ويل الآخر وما ذاك[3]؟

قال: إنّي صاحب نجوم أخرجتُك في ساعة النُّحوس وخرجت أنا في

١ـ الكافي: ج٨ ص٣٥١ ح٥٤٩.

٢ـ أي يتحرّاه ويطلبه.

٣ـ قوله: «ويل الاخر» من عادة العرب اذا ارادوا تعظيم المخاطب ان لايخاطبوه بويلك بل يقولون: ويل الاخر (قاله الرضي).

ساعة السّعود ثمَّ قسمنا فخرج لك خيرُ القسمين.

فقلت: ألا أُحدّثك بحديث حدَّثني به أبي؟ قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): من سرَّه أن يدفع اللّه عنه نحس يومه فليفتتح يومه بصدقة يذهب اللّه بها عنه نحس يومه، ومَن أحبَّ أن يذهب اللّه عنه نحس ليلته فليفتتح ليلته بصدقة يدفع اللّه عنه نحس ليلته، فقلت: وإنّي افتتحت خروجي بصدقة، فهذا خيرٌ لك من علم النجوم[1].

١ـ الكافي: ج٤ ص٦ ح٩.

الامام الصادق (عليه السّلام) وعِلم الحيوان

عن صفوان الجمّال، قال: كنت ـ بالحيرة[1] ـ مع أبي عبداللّه (عليه السّلام) إذ أقبل الربيع وقال: أجِب أمير المؤمنين! [المنصور] فلم يلبث [الامام] أن عاد.

قلت: يامولاي! أسرعتَ الإنصراف! قال: إنه [المنصور] سألني عن شيء، فاسأل الربيع عنه.

قال صفوان: وكان بيني وبين الربيع لطفٌ، فخرجتُ الى الربيع وسألته، فقال: أُخبرك بالعجب:

إن الأعراب خرجوا يجتنون الكمأة[2] فأصابوا ـ في البَرّ ـ خلقاً مُلقىً، فأتوني به، فأدخلته على الخليفة [المنصور]، فلما رآه قال: نَحِّه، وادعُ جعفراً. فدعوته فقال [المنصور]: يا أبا عبداللّه! أخبرني عن الهواء ما فيه؟

قال: في الهواء موج مكفوف.

١ـ الحِيرة: مدينة بقرب الكوفة (أقرب الموارد).

٢ـ الكمأة: نبات يقال له: (شحم الارض) يوجد في الربيع تحت الارض، لاساق له ولاعِرق، لونه يميل الى الغُبرة (أقرب الموارد).

قال: فَفيه سُكّان؟

قال: نعم.

قال: وماسُكّانه؟

قال: خَلقٌ: أبدانهم أبدان الحيتان، ورؤوسهم رؤوس الطير، ولهم أعرفة كأعرفة الديكة[١] ونغانغ كنغانغ[٢] الديكة، وأجنحة كأجنحة الطير، من ألوان. أشدّ بياضاً من الفضّة المجلُوَّة.

فقال الخليفة: هَلُمَّ الطشت. فجئت بها، وفيها ذلك الخَلق، وإذا هو ـ واللّه ـ كما وَصفه جعفر، فلما نظر إليه جعفر قال: هذا هو الخلق الذي يسكن الموج المكفوف. فأذن [المنصور] له بالانصراف.

فلمّا خرج (عليه السّلام) قال الخليفة: ويلك! ياربيع! هذا الشجا[٣] المعترض في حَلقي مِن أعلم الناس[٤].

وفي رواية مشابهة عن داود بن كثير الرَّقّي، عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) أنه لمّا خرج من عند المنصور نزل الحيرة، فبينا هو بها إذ أتاه الربيع، فقال: أجِب أمير المؤمنين!

فركب إليه، وقد كان وُجِد في الصحراء صورة عجيبة لايُعرف خِلقتُها، ذكر مَن وجدها أنه رآها وقد سقطت مع المطر.

فلمّا دخل عليه قال له: يا أبا عبداللّه! أخبِرني عن الهواء...) وذكر

١ـ العُرْف: لحمة مستطيلة في اعلى رأس الديك (أقرب الموارد).

٢ـ النُّغنُغ: موضع بين اللّهاة وشوارب الحُنجور. (لسان العرب).

٣ـ الشجا: ما اعترض في الحلق من عَظم ونحوه ثم استعير للهمّ والحزن لان الانسان يغصُّ بهما (أقرب الموارد).

٤ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦٤٠ ح٤٧. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٧٠.

نحوه[١].

أقول: قد ذكرنا في كتاب (الامام الجواد من المهد إلى اللَّحد) كلمة حول ماوَرد في هذا الحديث وأمثاله، ولابأس بنقل تلك الكلمة ـ هنا ـ وهي:

(. . . وقد رأينا في زماننا في العراق ـ مرّات عديدة ـ أنّ السماء امطرت مئات الألوف ـ بل الملايين ـ من الضفادع، وكانت كلّ ضفدعة على حجم البندقة أو أكبر منها.

وفي هذه السنة بالذات ـ ١٤٠٦ هـ ـ أمطرت السماء في مدينة شادكان ـ في محافظة خوزستان جنوب ايران ـ ملايين الضفادع، وامتلأت بها البيوت والبساتين وغيرها.

وعلى كلّ حال. . فهذا أمرٌ واقع وحقيقة ثابتة، وليست نظرية حتى يمكن تكذيبها أو التشكيك فيها.

ويمكن أن يقال ـ في مقام التحليل ـ : انّ الزوابع ـ جمع زوبعة، وهي هيجان الرياح في الأرض وتصاعدها بصورة مستديرة ـ تسير بصورة سريعة وتحمل الغبار وترتفع الى السماء كالعمود، فاذا هبَّت الزوابع على الشطوط والبحار، فإنّها تحمل السُحب والحيوانات المتواجدة على الماء ـ من السمك الصغار والضفادع ـ وتصعد بها الى الجوّ، فتبقى بين طيّات السُحب المتكاثفة، ويمكن أن يعيش السمك بين أطباق الغيوم، لأنها أبخرة الماء).

ولعلّ المخلوق الذي أصابه الأعراب في الصحراء من هذا القبيل، وامّا التعبير بالموج المكفوف في الهواء فلعلّه اشارة الى ما تقدّم من الزوابع وما تحمله من سطوح البحار، واللّه العالم.

١ـ دلائل الامامة: ص١٤٣. منه بحار الأنوار: ج٥٩ ص٣٤٠.

الامام الصادق (عليه السّلام) ومنطق الحيوانات

من الثابت ان الحيوانات لها أصوات ـ وان كانت غير مفهومة عندنا ـ وقد اختلفت الأقوال حول هذه الأصوات، وهل أنها كلمات لها معان. . أم لا؟

وبعبارة أُخرى: هل تستطيع الحيوانات أن تنطق بكلام له معنى أم لا؟

ولا أرى حاجة إلى ذكر تلك الأقوال ـ التي لاتسمن ولاتغني من جوع ـ فالقرآن الحكيم أغنانا عن أقوال الناس.

إقرأ قوله تعالى ـ حكايةعن سليمان بن داود(عليهما السّلام) ـ:

﴿ووَرِثَ سُليمانُ داودَ وقال يا أيُّها الناس عُلِّمنا مَنْطقَ الطَّيرِ وأُوتينا مِن كلِّ شيء إنّ هذا لَهُو الفضلُ المبين * وحُشِرَ لسليمانَ جنودُهُ مِن الجنِّ والإنسِ والطّير فهُم يُوزَعُون * حتى إذا أتَوا على واد النَّملِ قالَتْ نملةٌ يا أيّها النّملُ ادخُلوا مَساكنَكُم لايَحْطِمنَّكُمْ سُليمانُ وجُنودُه وهم لايَشعُرون * فتبسَّم ضاحكاً مِن قَولِها. . .﴾[1].

١ـ سورة النمل الآيات ١٦ ـ ١٩.

وقوله تعالى: ﴿والطّيرُ صافّات كُلٌّ قَد عَلِمَ صَلاتَه وتَسْبيحَه﴾[١].

وقوله (عزّوجلّ): ﴿وَتفقَّد الطَّيرَ فقالَ ماليَ لاأرى الهُدهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الغائبين﴾ الى أن يقول: ﴿فقال﴾ الهدهد ﴿أَحطْتُ بما لَمْ تُحطْ به وجئتُكَ مِن سَبَأ بِنَبأٍ يَقين * إنّي وَجدتُ إمرأةً تَملكُهُم وأُوتيتْ مِن كلِّ شيءٍ ولها عَرشٌ عَظيم * وَجدتُها وقومَها يَسجُدون للشمسِ مِن دُون اللّه وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطانُ أعمالَهم فَصَدَّهمْ عن السبيلِ فهُم لايَهتدون﴾.

الى أن يقول: ﴿قال سَننظرُ أصَدقتَ أم كنتَ من الكاذبين * إذهبْ بكتابي هذا فألقهْ إليهمْ ثم تَولَّ عنهُم فانظر ماذا يَرجعُون * قالت يا أيُّهَا المَلأُ إنّي أُلقيَ إليَّ كتابٌ كريم﴾[٢].

هذه الآيات كما تراها ـ أيُّها القارئ الكريم ـ تصرّح بكلّ وضوح انّ الحيوانات لها منطق ومفهوم، كما في قصّة النملة والهدهد، وتسبيح الطيور وصلاتها.

وقد عرفت ان سليمان بن داود (عليهما السّلام) تبسّم ضاحكاً من قول النملة، وسمع كلام الهدهد حول مَلكة سَبأ، وفهمَ كلامه، بل وأمره سليمان أن يذهب بكتابه إلى ملكة سبأ.

فاذا أمكن أن يُعلِّم اللّه (تعالى) بعض عباده منطق الحيوانات ـ من الطيور وغيرها ـ فلاعجب اذا كان أوصياءُ الأنبياء أيضاً قد علَّمهم اللّه منطق الحيوانات وجميعَ اللّغات المتبادلة بين البشر.

وهناك مجموعة من الأحاديث الشريفة التي تؤكّد على هذه الحقيقة،

١ـ سورة النور آية ٤١.

٢ـ سورة النمل الآيات ٢٠ ـ ٢٩.

وقد ذكرنا بعضها في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام)، وهنا نذكر بعض تلك الأحاديث التي تدلّ على علم الامام الصادق (عليه السّلام) بمنطق الحيوانات من الطيور وغيرها:

١ـ عن فضيل بن يسار ـ عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) ـ قال: كنت عنده (عليه السّلام) اذ نظرتُ الى زَوجِ حَمام عنده فَهدَر الذَّكَر على الأنثى فقال (عليه السّلام) لي: أتدري ما يقول؟

قلت: لا.

قال: يقول: يا سَكَني وعِرْسي ما خَلْقٌ احَبّ اليَّ منك، إلاّ أن يكون مولاي جعفر بن محمّد (عليهما السّلام)[1].

وفي رواية اخرى عن مغيث قال لأبي عبداللّه (عليه السّلام) ـ ورآه يضحك في بيته ـ: جُعلت فداك لستُ أدري بأيّهما أنا أشدُّ سروراً، بجلوسك في بيتي أو بضحكك؟!!

قال: إنه هَدَر الحَمام الذَّكَر على الانثى فقال: أنتِ سَكني وعِرسي، والجالس على الفراش أحَبُّ إليّ منك. فضحكتُ من قوله.

وهذا المعنى رواه الفضيل بن يسار ـ في حديث بُرد الاسكاف ـ أن الطير قال: ياسَكني وعِرسي ما خَلق اللّه خلقاً أحبَّ إليَّ منك، وما حِرصي عليك هذا الحرص إلاّ طَمعاً أن يرزقني اللّه وُلداً منك يُحبُّون أهل البيت[2].

٢ـ وعن داود بن فرقد قال: كنت جالساً في بيت أبي عبداللّه (عليه السّلام) فنظرتُ إلى الحَمَام الراعبيّ يُقرقر طَويلاً فنظر إليَّ أبو عبداللّه (عليه السّلام) [طويلاً] فقال: ياداود أتدري ما يقول هذا الطير؟

١ـ بصائر الدرجات: ص٣٦٢ ح٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٨٥.

٢ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢١٧. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٢٤.

قلت: لا واللّه، جُعلت فداك.

قال: يدعو على قَتَلة الحسين بن علي (صلوات اللّه عليه)، فاتّخذوه في منازلكم[1].

٣ـ وعن سليمان بن خالد ـ عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) ـ قال: كان معنا أبو عبداللّه البلخي، ونحن معه إذا هو بظبي يثغو[2] ويُحرِّك ذَنَبه، فقال له أبو عبداللّه (عليه السّلام): أَفعلُ إن شاء اللّه، ثم أقبل علينا فقال: علمتم ما قال الظبي؟

قلنا: اللّه ورسولُه وابنُ رسوله أعلم.

فقال: إنّه أتاني فأخبرني أن بعض أهل المدينة نَصَب شبكة لأنثاه، فأخذها ولها خَشْفان لم ينهضا، ولم يَقْويا للرعي، قال: فيسألني أن أسألهم أن يُطلقوها، وضَمن لي أن إذا أرضعتْ خَشفَيها حتى يقْويا أن يردّاها عليهم.

قال: فاستحلفتُه.

فقال: برئتُ من ولايتكم أهلَ البيت إنْ لم أَفِ، وأنا فاعل ذلك [به] إن شاء اللّه.

فقال البلخي: سُنّة فيكم كسُنَّة سليمان (عليه السّلام)[3و4].

٤ـ وعن سالم ـ مولى أبان بيّاع الزطّي ـ قال: كنّا في حائط[5] لأبي

١ـ كامل الزيارات: ص٩٨ ح٢. منه بحار الأنوار: ج٤٥ ص٢١٣.

٢ـ الثُغاء: صوت الشاة والمعز وما شاكلها. (لسان العرب).

٣ـ إشارة الى قوله تعالى في قصة سليمان بن داود (عليهما السّلام): ﴿يا أيّها الناس عُلّمنا منطق الطّير...﴾ الآية.

٤ـ بصائر الدرجات: ص٣٦٩ ح٨.

٥ـ الحائط: البستان (أقرب الموارد).

عبداللّه (عليه السّلام) ونفر معي قال: فصاحت العصافير فقال: أتدري ما تقول؟

فقلنا: جعَلَنا اللّه فداك. . لاندري ما تقول.

قال: تقول: اللّهمَّ إنّا خَلقٌ مِن خَلْقك، لابدّ لنا من رزقك فأطعمنا واسقنا[١].

٥ـ وعن العلاء بن سيابة قال: جاء رجل إلى أبي عبداللّه (عليه السّلام) وهو يصلّي فجاء هدهد، فوقع عند رأسه حين سلّم[٢] والتفت إليه.

فقال: قلت له: جئت لأسألك فرأيت ما هو أعجب.

قال: ما هو؟

قلت: ما صنع الهدهد؟

قال: «نعم، جاءني فشكا إليَّ حيّة تأكل فراخه، فدعوتُ اللّه عليها فأماتها. . . .» الى آخر الخبر[٣].

٦ـ وروى صفوان بن يحيى عن جابر قال: كنت عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) فبرزنا معه فاذا نحن برجل قد أضجَع جَدياً[٤] ليذبحه، فصاح الجدي فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): كم ثمن هذا الجدي؟

فقال: أربعة دراهم، فحلّها من كمّه، ودفعها إليه وقال: خلِّ سبيله.

قال: فسرنا فإذا بصقر قد أنقضَّ على دُرَّاجة، فصاحت الدُّرَّاجة.

فأومأ أبو عبداللّه (عليه السّلام) إلى الصقر بكُمِّه، فرجع عن الدّراجة.

١ـ بصائر الدرجات: ص٣٦٥ ح٢٠. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٨٦.

٢ـ في بحار الأنوار: حتّى تسلّم.

٣ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦٤٣ ح٥١. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٠٨.

٤ـ الجَدي: ولد المعز وهو الذكر في السنة الاولى (أقرب الموارد).

فقلت: لقد رأينا عجيباً من أمرك.

قال: نعم، إنّ الجَدْي لما أضجعه الرَّجل ليذبحه وبَصُر بي قال: أستجير باللّه وبكم أهل البيت، ممّا يراد بي، وكذلك قالت الدرَّاجة، ولو أنّ شيعتنا استقامت لأسمعتُهم منطق الطير[1].

٧ـ وعن محمد بن عمرو بن ميثم، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) أنه خرج إلى ضيعة له مع بعض أصحابه، فبينا هم يسيرون إذا ذئب قد أقبل إليه، فلما رأى غلمانه أقبلوا عليه، قال: دَعُوه، فانّ له حاجة!

فدنا منه حتى وضع كفَّه على دابَّته، وتطاوَل بِخُرطُمه[2]، وطأطأ رأسه أبو عبداللّه (عليه السّلام) فكلَّمه الذئب بِكلام لايُعرف، فردَّ عليه أبو عبداللّه (عليه السّلام) مثل كلامه، فرجع يعوي.

فقال له أصحابه: قد رأينا عجباً.

فقال: إنّه أخبرني أنّه خلَّفَ زوجته خلف هذا الجبل في كهف، وقد ضربَها الطَلْق[3] وخاف عليها، فسألني الدعاء لها بالخلاص، وأن يرزقها اللّه ذَكراً يكون لنا وليّاً ومحبّاً، فضمنت له ذلك.

قال: فانطلق أبو عبداللّه (عليه السّلام) وانطلقنا معه إلى ضيعته، وقال: إن الذئب قد وُلد له جروٌ ذكر.

قال: فمكثنا في ضيعته معه شهراً، ثم رجع مع أصحابه، فبينا هم

١ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦١٦ ح١٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٩٩.

٢ـ الخرطم: لغة في الخرطوم، والخراطيم ـ للسباع ـ بمنزلة المناقير للطير (لسان العرب) وفي بحار الأنوار: «بخطمه».

٣ـ الطَلْق: وجع الولادة (أقرب الموارد).

راجعون، إذا هم بالذئب، وزوجته وجِروِه يعوون في وجه أبي عبدالله (عليه السّلام) فأجابهم.

ورأوا أصحاب أبي عبدالله (عليه السّلام) الجِرو، وعلموا أنه قد قال لهم الحق.

وقال لهم أبو عبدالله (عليه السّلام): تدرون ما قالوا؟

قالوا: لا.

قال: كانوا يدعون الله لي ولكم بِحُسن الصحابة، ودعوت لهم بمثله، وأمرتهم أن لايؤذوا لي وليّاً، ولا لأهل بيتي. فضمنوا لي ذلك[1].

أيُّها القارئ الكريم: وهناك أحاديث اخرى في هذا المجال ذكرناها في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام).

١ـ دلائل الامامة: ص١١٩. منه بحار الانوار: ج٦٥ ص٧٢.

الامام الصادق (عليه السّلام) ومعرفته باللُّغات

أيُّها القارئ الكريم: ممّا لاشك فيه أن الامام هو حُجَّة اللّه على الخَلق أجمعين، على اختلاف لُغاتهم وقوميّاتهم، ولهذا لابدَّ أن يكون عارفاً بلُغاتهم ليسْهُل عليهم التحدُّث إليه والسؤال والتعلُّم منه.

ولذلك روي عن أبي الصَّلْت الهَروي أنه قال: كان [الامام] الرضا (عليه السّلام) يُكلّم الناس بلغاتهم، وكان ـ واللّه ـ افصحَ الناس واعلمهم بكلّ لسان ولغة، فقلتُ له يوماً: يابن رسول اللّه إنّي لأعَجب من معرفتك بهذه اللّغات على اختلافها؟!!

فقال (عليه السّلام): يا أبا الصلت! أنا حُجّة اللّه على خَلقه، وما كان [اللّه] ليتّخذ حجَّة على قوم وهو لايعرف لغاتهم!

أَوَما بَلَغك قولُ أمير المؤمنين (عليه السّلام): «أُوتينا فَصْلَ الخِطاب»؟ فهل «فصل الخطاب» الاّ معرفة اللُّغات؟؟![1].

ومن هذا المنطلق ـ أيُّها القارئ الكريم ـ كان الامام الصادق (عليه

١ـ بحار الأنوار: ج٢٦ ص١٩٠ باب: انهم (عليهم السّلام) يعلمون جميع الألسُن واللُّغات ويتكلّمون بها. وفيه أحاديث متعدّدة تؤكّد على هذه الحقيقة.

السّلام) عارفاً باللُّغات كلِّها، بفضل وإلهامٍ من اللّه عزَّوجل.

وإليك بعض النماذج ممّا يتعلّق بهذا المجال:

١ـ عن محمد بن أحمد، عن أبي عبداللّه (عليه السّلام)قال: دخل عليه قوم من أهل خراسان فقال ابتداء من غير مسألة: مَن جَمَع مالاً من مهاوش[١] أذهبه اللّه في نهابر[٢].

فقالوا: جُعلنا فداك لانفهم هذا الكلام.

فقال (عليه السّلام): هر مال كه از باد آيد بَدم شود[٣].

٢ـ وروى أحمد بن قابوس[٤]، عن أبيه، عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) قال: دخل عليه قوم من أهل خراسان، فقال ـ ابتداء قبل أن يُسأل ـ: مَن جمع مالاً يحرسه عذَّبه اللّه على مقداره.

فقالوا له: ـ بالفارسية ـ! لانفهم بالعربية.

فقال لهم «هر كه درم اندوزد جزايش دوزخ باشد».

وقال (عليه السّلام): إن للّه مدينتين إحداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب، على كلّ مدينة سُور من حديد، فيها ألف ألف باب من ذهب، كلّ باب بمصراعين، وفي كلّ مدينة سبعون ألف إنسان، مختلفات اللغات، وأنا أعرف جميع تلك اللغات، وما فيهما وما بينهما حُجّة غيري وغير آبائي، و[غير] أبنائي بعدي[٥].

١ـ المهاوش: كلّ ما يصاب من غير حلّ ولايدرى ما وجهه كالغصب والسرقة ونحو ذلك (اقرب الموارد).

٢ـ النهابر: المهالك. (القاموس).

٣ـ بصائر الدرجات: ص٣٥٦ ح١٤.

٤ـ في بحار الأنوار: أحمد بن فارس.

٥ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٧٥٣ ح٧٠. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١١٩.

٣ـ وعن عبدالحميد الجرجاني قال: أتاني غلام ببيض الأجمة[١] فرأيته مختلفاً[٢]، فقلت للغلام: ما هذا البيض؟ قال: هذا بيض ديوك الماء، فأبيت أن آكل منه شيئاً، وقلت: حتى أسأل أبا عبدالله (عليه السّلام) فدخلت المدينة فأتيته فسألته عن مسائلي، ونسيتُ تلك المسألة، فلمّا ارتحلنا ذكرت المسألة ورأس القطار[٣] بيدي، فرميتُ إلى بعض أصحابي، ومضيتُ إلى أبي عبدالله (صلوات الله عليه) فوجدتُ عنده خلقاً كثيراً، فدخلتُ فقمتُ تجاه وجهه، فرفع رأسه إليّ، وقال: ياعبدالحميد لنا تأتي ديوك هبر.

فقلت: أعطيتني الذي أريد، فانصرفت ولحقت بأصحابي[٤].

٤ـ وعن إسماعيل بن مهران، عن رجل من أهل بيرما[٥] قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السّلام) فودّعته، وخرجت حتى بلغت الأعوص[٦] ثم ذكرت حاجة لي فرجعت إليه والبيت غاصّ بأهله، وكنت أردت أن أسأله عن بيوض ديوك الماء فقال لي: «ياتب»[٧] يعني البيض «دعانا ميتا» يعني ديوك الماء «بنا حلّ» يعني لاتأكل[٨].

٥ـ وقال ابن فرقد: كنت عند أبي عبدالله (عليه السّلام) وقد جاءه

١ـ الاجمة: الشجر الكثير الملتف (أقرب الموارد).

٢ـ أي مختلفاً طرفاه، والبيضة اذا اختلفت طرفاها [جانباها] كانت حلالاً واذا تساوت طرفاها ـ كالكُرة المستديرة ـ كانت حراماً.

٣ـ القطار من الابل: قطعة على نَسق واحد (أقرب الموارد).

٤ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦٣٠ ح٣٠. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٠٥.

٥ـ [الظاهر إنه تحريف بيرحا، قيل هي أرض لابي طلحة بالمدينة. وقيل: هو موضع بقرب المسجد يعرف بقصر بني جديلة]. (معجم البلدان).

٦ـ الاعوص: موضع قرب المدينة (أقرب الموارد).

٧ـ في بحار الأنوار: يابت.

٨ـ بصائر الدرجات: ص٣٥٤ ح٦. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٨١.

غلام أعجمي برسالة، فلم يزل يهذي[1] ولايعبّر حتّى ظننت أنّه يضجره فقال له: تكلم بأي لسان شئت تحسنه، سوى العربية فانّك لاتحسنها، فانّي أفهم فكلّمه بالتركية، فردَّ عليه الجواب بمثل لغته، فمضى الغلام متعجّباً[2].

٦ـ وعن عمّار بن موسى الساباطي قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السّلام): ياعمّار! أبو مسلم فظلّله وكساه وكسيحه بساطورا.

قال: فقلت له: ما رأيتُ نبطيّاً أفصحَ منك بالنبطيّة.

فقال: ياعمار! وبكلّ لسان[3].

أقـــول: لايُعلم ـ بالضبط ـ من المقصود من أبي مسلم ـ في هذا الحديث ـ ولعلّه اشارة الى الخراساني أو المروزي أو غيره.

وقوله (عليه السّلام): «وبكلّ لسان» تعليق على كلام عمّار حيث قال: «مارأيتُ نبطياً أفصحَ منك بالنبطيّة» فقال الامام: وبكل لسان. أي أنا أفصح من كل قوم بِلُغتِهم ولسانهم.

٧ـ وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: حدَّثني رجل من أهل جسر بابل، قالِ:

كان في القرية رجل يؤذيني، ويقول: «يارافضي» ويشتمني، وكان يُلَقَّب بِقرد القرية.

قال: فحججتُ سنة من ذلك اليوم، فدخلت على أبي عبدالله (عليه السّلام) فقال ـ إبتداءً ـ : «قوفه ما نامت».

قلت: جُعلت فداك! متى؟

١ـ هذى الرجل: تكلّم بغير معقول لمرض أو غيره (أقرب الموارد).

٢ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٧٥٩ ح٧٧. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١١٩.

٣ـ الاختصاص: ص٢٨٩. منه بحار الأنوار: ج٢٦ ص١٩١.

قال: في الساعة.

فكتبت اليوم والساعة، فلمّا قدمتُ الكوفة تلقّاني أخي، فسألته عمَّن بقي، وعمَّن مات؟ فقال لي: «قوفه مانامت» وهي بالنبطيّة: (قرد القرية مات).

فقلت له: متى؟ فقال لي: يوم كذا وكذا. [وكان] في الوقت الذي أخبرني به أبو عبداللّه (عليه السّلام)[1].

أيُّها القارئ الكريم: وهناك أحاديث اخرى مذكورة في هذا المجال، ذكرناها في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام).

١ـ بصائر الدرجات: ص٣٥٤ ح٧. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٨١.

الامام الصادق (عليه السّلام) وتعبير الأحلام

عن اسماعيل بن عبداللّه القرشي قال: أتى الى أبي عبداللّه (عليه السّلام) رجل فقال: يابن رسول اللّه رأيت في مَنامي كأنّي خارج من مدينة الكوفة ـ في موضع اعرفه ـ وكأنّ شَبَحاً من خشب أو رجلاً منحوتاً من خشب على فرس من خشب يُلوِّح بسيفه وأنا أُشاهده، فزعاً مرعوباً.

فقال له (عليه السّلام): انت رجل تريد اغتيال رجل في معيشته، فاتّق اللّه الذي خَلَقك ثم يُميتك.

فقال الرجل: أشهد انك قد أُوتيتَ علماً واستنبطتَه من معدنه.

أُخبرك يابن رسول اللّه عمّا قد فسَّرت لي: إن رجلاً من جيراني جاءني وعَرَض عليَّ ضَيعته، فهممتُ أن أملكها بوكسٍ كثير[1] لّما عرفتُ أنْ ليس لها طالبٌ غيري.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): وصاحبُك يتوالانا ويبرأ من عدوّنا؟

فقال: نعم يابن رسول اللّه، لو كان ناصبياً حلَّ لي اغتياله.

١ـ الوكس: النقص. وأوكس فلان، أي: خَسِر. (مجمع البحرين).

فقال (عليه السّلام): اَدِّ الأمانة لمن ائتمنك وأراد منك النصيحة، ولو الى قاتل الحسين (عليه السّلام)[1].

أقول: وهناك أحاديث كثيرة رُويتْ عن الامام الصادق (عليه السّلام) حول تعبير الأحلام، وإنما كان المقصود من ذكر هذا الحديث هو التأكيد على تنوّع علوم الامام الصادق (عليه السّلام) في جميع المجالات.

١ـ الكافي: ج٧ ص٢٩٣. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٥٥.

الامام الصادق (عليه السّلام) تُعْرَضُ عليه الأعمال

روي عن داود الرّقي قال: حَجَجتُ بأبي عبدالله (عليه السّلام) سنة ست وأربعين ومائة، فمررنا بوادٍ من أودية تهامة، فلمّا أنَخْنا[1] صاح: ياداود إرحل إرحل.

فما انتقلنا الاّ وقد جاء سَيل، فذهب بكلّ شيء فيه.

وقال (عليه السّلام): تؤتى بين الصَّلاتين حتى تؤخَذ من منزلك.

وقال (عليه السّلام): ياداود إنَّ أعمالكم عُرضتْ عليَّ يومَ الخميس، فرأيتُ فيها صِلَتك لابن عمّك.

قال داود: وكان لي ابن عم ناصبي، كثير العِيال محتاج، فلمّا خرجتُ الى مكة أمرتُ له بِصلة، فأخبَرني بها أبو عبدالله (عليه السّلام)[2].

أيُّها القارئ الكريم: في هذا الحديث الشريف نقاط متعدِّدة تتجلّى فيها جوانب من عظمة الامام الصادق (عليه السّلام):

الاولى: عِلْمه (عليه السّلام) بالحوادث الطبيعيَّة الآتية، لذلك تراه

١ـ أناخ فلان بالمكان: أقام به (أقرب الموارد).

٢ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٩٨ ح١١٤.

يأمر داودَ الرقّي بمغادرة ذلك الوادي فوراً، لعلمه أن السيل سيكتسح المنطقة بعد قليل ويذهب بكلّ شيء ويقضي على كلّ ذي حياة.

ومن الواضح أن إخبار الامام عن ذلك لم يكن على ضوءالأجهزة العلمية أو الحدس والتنبّؤ، بل بالالهام الغيبي الالهي.

الثانية: علمه (عليه السّلام) بالبلايا والقضايا التي سوف تحْدث وتتحقَّق في المستقبَل، لذلك أخبر (عليه السّلام) داودَ الرقَّي بأن السلطات الظالمة سوف تقتحم عليه داره ـ وهو بين الصَّلاتين ـ وتُلقي عليه القبض.

الثالثة: إخباره (عليه السّلام) بأن أعمال الناس تُعرض عليه، وأنه عُرض عليه ما صَدر من داود الرقّي تجاه ابن عمّه من صِلَته اياه وإحسانه اليه.

ومسألة عَرْض الأعمال على الامام المعصوم تُعتبر من الامور العقائديَّة الثابتة في مدرسة أهل البيت (عليهم الصّلاة والسلام) انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وقُلِ اعملوا فَسَيَرى اللهُ عملَكم ورسولهُ والمؤمنون﴾[1].

وقد ذكر العلاّمة البحراني[2] ـ في تفسير هذه الآية ـ خمسة وثلاثين حديثاً وردتْ في التأكيد على هذه الحقيقة.. وذكر حديث داود الرقّي ـ الذي ذكرناه آنفاً ـ مع اختلاف يسير وهو أن الامام الصادق (عليه السّلام) قال له:

«ياداود لقد عُرضت عليَّ أعمالكم يومَ الخميس فرأيتُ ـ فيما عُرض عليَّ من عَملك ـ صِلتك لابن عمّك فلان، فسرَّني ذلك بأني علمتُ أنَّ صِلتك له اسرع لفناء عُمره وقطْع اَجَله».

١ـ سورة التوبة آية ١٠٥.

٢ـ تفسير البرهان: ج٤ ص٥٤٠ الطبعة الحديثة

قال داود: وكان لي ابن عم معاند ناصبي خبيث، بَلَغني عنه وعن عياله سوء حاله، فصككتُ[1] له نفقة قبل خروجي الى مكة، فلمّا صرتُ في المدينة أخبَرني أبو عبدالله (عليه السّلام) بذلك.

١ـ الصكُّ: كتاب كالسجل يكتب في المعاملات (مجمع البحرين).

السيرة والسريرة

السيرة : الطريقة ، الهيئة ، الحالة .

والسريرة : ما أسرّ في القلوب والعقائد، والنيّات وغيرها .

لاشكَّ أن سيرة الإنسان وسريرته أحسن مقياس لمعرفة عقله وعلمه ونفسيَّته وعاداته وغرائزه ودينه وسجاياه، وتظهر السيرة والسريرة في حركاته وسكناته، وتصرّفاته وأفعاله وأعماله، وفي جميع جوانب حياته .

ومن هذا المنظار تعرف ماهيّة الإنسان وروحه وشخصيته، وقد يحاول بعض الناس إخفاء هذه الامور، وكتمان هذه الحقائق، ولكنها تظهر وتنكشف بكل وضوح .

قال الشاعر :

ومهما تكن عند امرىءٍ من خَليقة

وإن خالَها تَخفى على الناس تُعلَمِ

ولاأُريد ـ هنا ـ أن أتحدّث عن المُدلّسين والمُرائين الذين كانوا ولايزالون يتظاهرون بالصلاح والفلاح لإغواء البُسَطاء، وخداع السُذَّج، ولكن الظواهر تخالف الضمائر، والمظاهر تتناقض مع السرائر، ثم لاينقضي كثير

من الزمان حتى تنكشف هويّاتهم، وتفضحهم أعمالهم.

وانما المقصود - هنا - التحدّث عن الذين يحملون نفوساً طيّبة، وسرائر شريفة ونفسيّات نزيهة، وضمائر طاهرة، وقلوب زاكية، وأخصّ منهم الإمام الصادق (عليه السّلام) صاحب السريرة الطاهرة والسّيرة العَطِرة التي فاحت رائحتها الزكيّة وملأتْ شذاها العالم من اقصاه الى ادناه.

هذا الإمام الذي تصاغرت أمامه العظماء وتواضعت بين يديه العلماء.

هذا الطَّود الشامخ الذي تقزّمتْ على أعتابه الشخصيّات، على اختلاف مذاهبها ومشاربها.

هذا البحر الواسع الذي اغترف من مَنهل علومه الملايين على اختلاف الطبقات والمستويات وفي مختلف العصور والأزمنة.

نعم... إنه الامام الصادق (عليه السّلام).. معلِّم البشريَّة، معلِّم الايمان، مُعلّم الاخلاق.. مُهذِّب النُّفوس... وصانع الأجيال.

أخلاق الامام الصادق (عليه السّلام) وسلوكه

كم للأخلاق الحسنة تأثير في رفع قيمة الإنسان عند اللّه تعالى وعند الناس؟!

وكم لها تأثير في جَلْب القلوب، وغَرْس بذور المحبّة فيها؟!

وكم تبقى آثارها في بعض النفوس ما دامت الحياة؟!

نَعم.. لاشكَّ أن من اهمِّ القِيَم واشرف الفضائل النفسيَّة هي الأخلاق الحسنة التي يتخلَّق بها المؤمن في حياته الفرديَّة والزوجيَّة والعائليّة والاجتماعيَّة.

كما لاشكّ أن الأخلاق السيئة والصّفات الرذيلة تُعتبر بمنزلة الأمراض الخبيثة المُعْدية، والجراثيم الضّارَّة التي تُلوِّث فضاء الرّوح الانسانيَّة والبيت الزوجي والعائلي، بل وتلوِّث فضاء المجتمع البشري، وتُنزّل الانسان الى اسفل سافلين والى مرتبة البهائم والحيوانات المفترسة التي لاتفهم معنى العاطفة، ولاتُدرك مفهوم الرحمة والشفقة والفضيلة.

وبالاضافة الى اهميَّة الاخلاق بصورة عامَّة فان الاخلاق الحسنة تُعتبر من أهمِّ مقوّمات القيادة الدينية، سواء في الأنبياء أم في الائمة الطاهرين

(عليهم السّلام) ـ الذين هم ورثة الأنبياء وقدوة الأُمَّة ـ أم في العلماء والفقهاء أم أيّ إنسان آخر مهما كان وزنه في المجتمع.

ولولا أهميّة الأخلاق ولُزومها في هذه المجالات لما خاطب اللّه تعالى نبيّه الأكرم (صلى اللّه عليه وآله) بقوله ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿وإنَّكَ لَعلى خُلُقٍ عَظِيم﴾[1] ولَما قال الرسول الأطهر: «إنما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق»[2].

وأمّا بالنسبة الى الإمام الصادق (عليه السّلام):

فكانت الأخلاق الحميدة غرائزه النفسيَّة، وطبيعته الفطريَّة، فهو صورةٌ طِبْق الأصل لأخلاق جدّه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وآبائه الطاهرين (عليهم السّلام) من لين الجانب، ورحابة الصدر، وطيب القلب، وبشْر الوجه وطلاقة المحيّا، وحُبِّ الخير للناس، والتواضع والكرم والعطف والعفو والرحمة والشفقة، والعاطفة المدهشة التي تشمل البَرَّ والفاجر وحتّى الحيوانات، والصدق والرِّفق والحياء والوفاء، وغيرها من مكارم الأخلاق التي كانت من مميّزاته المشهودة.

فالكبرياء والجبروت والأنانيّة وحُبّ الذات وأمثالها ـ التي لاتفارق حياة العظماء عادةً ـ لاتوجد في قاموس الامام الصادق (عليه السّلام).

انه (عليه السّلام) كان يعتبر نفسه ـ مع خواصّ أصحابه ـ كأحَدهم، لايتميّز ولايترفّع عليهم، يداعبهم ويمازحهم، ويعود المرضى، ويُشيّع الجنائز، ويُعزّي المفجوعين، ويُسلّي خواطرهم بكلمات تُخفِّف عنهم صدْمة الفاجعة.

١ـ سورة القلم آية ٤.

٢ـ بحار الأنوار: ج٧١ ص٣٧٣.

كـان يدعـو للسـجناء والمرضى، أو يعلّم الأدعـيـة المهـمّة لقـضـاء حوائجهم، وكشف همومهم وتوسعة أرزاقهم، وسلامتهم مما يخافون ويحذرون.

ولم تسلم شخصيته من الأذى.

وكان يحسده الأباعد والأقارب، فكان يقابل كلَّ إساءة بالإحسان، ويتحمّل المكاره والآلام النفسيّة، ويعتبرها أشياء طبيعية متوقَّعة.

إنّ الأخلاق الحسنة، والصفات الحميدة ـ التي كان الامام الصادق (عليه السّلام) يتمتَّع بأوفى نصيب منها، والتي كانت جزءاً من وجوده ـ كانت تتجلى وتظهر بأحسن مظاهرها في آدابه ومعاشرته مع الناس بصورة عامّة، ومع أصحابه وضيوفه بصورة خاصة ومع أقاربه وعائلته وأُسرته وخَدَمه بصورة أخَصّ، وفي أقواله وأفعاله وفي جميع حركاته وسكناته، وحَلّه وترحاله، وغضبه ورضاه، ومع الفقراء والامراء، وفي خلال تعليمه الأحكام، وتربية الأفراد وغير ذلك.

وفي نفس الوقت كان (عليه السّلام) صلباً كالفولاذ ـ بل أقوى منه ـ أمام المنحرفين عقائديّاً.

يدعوهم الى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادلهم بالتي هي أحسن.

ويراعي مستويات الناس في التحدّث والاحتجاج معهم.

قويُّ الحجة في كلّ فنٍ يُحاجّ فيه.

يُزيِّف كلَّ باطلٍ بأقوى دليل.

وينهار أمامه كلُّ إدعاء سخيف.

يفنّد الأباطيل بلا أي تكلُّف، فكأنه مُسَلَّح بأقوى أنواع الأسلحة المدمّرة.

لايحتاج الى التهريج والمغالطة في الكلام، ولايستخدم الاساليب الشيطانية في المناظرة والحوار.

يعلوه وقار الإمامة، وهيبة الولاية في طيب حديثه وحُلْو كلامه.

وخلاصة القول: كان الامام الصادق (عليه السّلام) مركزاً للإشعاع الأخلاقي في جميع جوانب حياته بصورة مستمرة.

واليك بعض ما ذُكر عنه (عليه السّلام) في هذا المجال:

الامام الصادق (عليه السّلام) والإحسان الى الفقراء

عن إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السّلام) وعنده المعلّى بن خنيس إذ دخل عليه رجل من أهل خراسان، فقال: يابن رسول الله أنا من مواليكم أهل البيت، وبيني وبينكم شقّة بعيدة وقد قلَّ ذات يدي، ولا أقدر [أن] أتوجّه إلى أهلي إلاّ أن تعينني.

قال: فنظر أبو عبدالله (عليه السّلام) يميناً وشمالاً، وقال: ألا تسمعون ما يقول أخوكم؟! إنّما المعروف ابتداء، فأمّا ما أعطيتَ بعد ما سُئلت، فإنّما هو مكافاة لما بَذَل لك من [ماء] وجهه.

ثمَّ قال: فيبيتُ ليلته متأرّقاً متململاً بين اليأس والرجاء، لايدري أين يتوجّه بحاجته، فيعزم على القصد إليك، فأتاك وقلبه يجب[1] وفرائصه ترتعد، وقد نزل دمه في وجهه، وبعد هذا فلايدري أينصرف من عندك بكآبة الردِّ، أم بسرور النُجح، فان أعطيته رأيتَ أنّك قد وَصلته، وقد قال رسولُ الله (صلى الله عليه وآله): والّذي فَلقَ الحبّة وَبَرأ النّسَمَة وبعثني بالحقِّ نبيّاً، لَما يتجشَّم من مسألته إيّاك، أعظم مما ناله من معروفك.

١ـ تجب القلوب: تضطرب. (مجمع البحرين)

قال: فجمعوا للخراساني خمسة آلاف درهم، ودفعوها إليه[1].

وكان (عليه السّلام) يحمل ـ في ظلام الليل ـ كميّات كثيرة من الخبز، ويتوجَّه بها الى مكان ينام فيه الفقراء والمساكين الذين لايملكون داراً ومسكناً ومأوى، وقد غَمَرَهم النوم، فيضَع عند كلّ واحدٍ منهم الرغيف والرغيفين، فاذا استيقظ أيٌّ واحد منهم وَجَد عند رأسه ما يشبع به بطنه، ويسدُّ به الرمق:

عن معلّى بن خنيس، قال: خرج أبو عبداللّه (عليه السّلام) في ليلة قد رشّت وهو يريد ظلّة بني ساعدة فاتبعته، فاذا هو قد سَقط منه شيء، فقال: بسم اللّه، اللّهمَّ رُدَّ علينا.

قال: فأتيتُه فسلَّمتُ عليه.

قال: فقال: مُعلّى؟

قلت: نعم، جُعلت فداك.

فقال لي: إلتَمس بِيَدك، فما وجدتَ من شيء فادفعه إليَّ.

فإذا أنا بخُبز منتشر كثير، فجعلت أدفع إليه ما وجدتُ، فاذا أنا بِجُراب ـ أعجز عن حمله ـ من خبز، فقلت: جُعلت فداك، أحمله على رأسي.

فقال: لا، أنا أولى به منك، ولكن إمضِ معي.

قال: فأتينا ظلّة بني ساعدة، فاذا نحن بِقوم نيام، فجعل يدسُّ الرَّغيف والرَّغيفين[2] حتى أتى على آخرهم، ثمَّ انصرفنا.

فقلت: جعلت فداك! يعرف هؤلاء الحقّ؟[3].

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٦١.

٢ـ تحت ثوب كل واحدٍ منهم.

٣ـ أي: هؤلاء من الشيعة؟

فقال: لوعرفوه لَواسيناهم بالدقّة[١] ـ والدقّة هي الملح ـ.

إن اللّه (تبارك وتعالى) لم يخلق شيئاً إلاّ وله خازن يخزنه إلاّ الصَّدقة، فإنَّ الربّ يليها بنفسه.

وكان أبي [الامام الباقر] إذا تصدَّق بشيء وَضَعه في يد السّائل، ثم ارتدَّه منه، فقبّله وشمَّه، ثمَّ ردَّه في يد السّائل!.

إنَّ صَدَقة الليل تطفي غضب الرَّبّ، وتمحو الذَّنب العظيم، وتهوِّن الحساب.

وصَدَقة النّهار تُثمر المال، وتزيد في العُمر.

إنَّ عيسى بن مريم (عليه السّلام) لمّا أن مرَّ على شاطىء البحر رمى بِقُرصٍ من قُوته في الماء، فقال له بعض الحواريّين: ياروح اللّه وكلمتَه! لِمَ فعلتَ هذا، وانّما هو من قُوتك؟

قال: فعلتُ هذا لِدابّة تأكله من دوابّ الماء، وثوابه عند اللّه عظيم[٢].

وعن هشام بن سالم قال: كان أبو عبداللّه (عليه السّلام) إذا اعتم[٣] وذهب من اللّيل شطره أخذ جراباً فيه خبز ولحم والدراهم فحمله على عنقه ثمَّ ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة فقسّمه فيهم ولايعرفونه، فلمّا مضى أبو عبداللّه (عليه السّلام) فقدوا ذلك فعلموا أنّه كان أبا عبداللّه (عليه السّلام)[٤].

١ـ أي لو كانوا من الشيعة لواسيناهم بكل ما نملك حتى بالملح المدقوق.

٢ـ الكافي: ج٤ ص٨ ح٣.

٣ـ اعتم الرجل: دخل في العَتَمة ـ وهي ثلث الليل الاول بعد غيبوبة الشفق. (أقرب الموارد).

٤ـ الكافي: ج٤ ص٨ ح١.

وروي أنّ فقيراً سأل [الصادق (عليه السّلام)]، فقال (عليه السّلام) لعبده: ما عندك؟ قال: أربعمائة درهم فقال: أعطه إيّاها، فأعطاه، فأخذها وولّى شاكراً فقال لعبده: أرجعه، فقال: ياسيدي سألتُ فأعطيتَ فماذا بعد العطاء؟ فقال له: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله): «خير الصدقة ما أبقتْ غنى» وإنّا لم نُغنك، فخذ هذا الخاتم فقد أُعطيتُ فيه عشرة آلاف درهم، فإذا احتجت فَبِعه بهذه القيمة[1].

وعن مسمع بن عبدالملك قال: كنّا عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) بمنى وبين أيدينا عنب نأكله فجاء سائل فسأله فأمر بعنقود[2] فأعطاه، فقال السائل: لاحاجة لي في هذا، إن كان درهم. قال: يَسَعُ اللّه عليك. فذهب ثمَّ رجع فقال: ردّوا العنقود. فقال: يسع اللّه لك، ولم يعطه شيئاً، ثمَّ جاء سائل آخر فأخذ أبو عبداللّه (عليه السّلام) ثلاث حبّات عنب فناولها إيّاه، فأخذ السائل من يده ثمّ قال: الحمد للّه ربّ العالمين الذي رزقني.

قال أبو عبداللّه (عليه السّلام): مكانك. فَحَشا ملء كفّيه عنباً فناولها إيّاه، فأخذها السائل من يده ثمَّ قال: الحمد للّه ربِّ العالمين.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): مكانك. ياغلام أيُّ شيء معك من الدراهم؟ فإذا معه نحو من عشرين درهماً فيما حزرناه[3] أو نحوها فناولها إيّاه فأخذها ثمَّ قال: الحمد للّه هذا منك وحدك لاشريك لك.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): مكانك. فخلع قميصاً كان عليه

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٦١.

٢ـ العنقود: ما تراكم وتعقَّد من حبة العنب في عرق واحد.

٣ـ حَزَر الشيء: قدَّره بالحدس (أقرب الموارد).

فقال: إلبس هذا. فلبسه ثمّ قال: الحمد للّه الّذي كساني وسترني يا أبا عبداللّه ـ أو قال جزاك اللّه خيراً ـ لم يَدعُ لأبي عبداللّه (عليه السّلام) إلاّ بذا، ثمّ انصرف فذهب.

قال: فظننّا أنه لو لم يَدعُ له لم يزل يعطيه لإنّه كلّما كان يعطيه حمد اللّه أعطاه[1].

أيها القارئ الكريم: هل تعرف في تاريخ العظماء أمثال هذه الفضائل سوى تاريخ أئمة أهل البيت (عليهم السّلام)؟

نعم، كانت عطاياه (عليه السّلام) تقع في مواضعها: في الفقراء والأرامل والأيتام والمعوزين، لا المضحكين الذين كانوا يتواجدون في قصور العباسيِّين، ولا الفسّاق الفجّار الذين كانوا ينالون أعظم الهدايا والأموال من الحكام بسبب الجرائم التي يرتكبونها، ولا المغنّين والمغنيّات اللاّتي كانت أصواتهن مرتفعة مشفوعة بالعود والمزمار، وبأنواع الألحان والنغم التي كانت تُطرب مَن يُسمّى بخليفة المسلمين، ويستخفّه الطرب، ويغلب عليه الضحك وربما سقط على ظهره يفحص بِرِجليه من شدّة الضحك!!

ولا الشعراء الذين كانوا يسردون الأكاذيب والاباطيل، ويمسّون بكرامة اولياء اللّه من هجاء أو ذمٍّ، ويمدحون الظالمين الاباحيّين، السفّاكين.

كلاّ.. والف كلاّ.. حاشا الامام الصادق وهذه القبائح والمخازي التي يندى منها جبين الإنسان.

١ـ الكافي: ج٤ ص٤٩ ح١٢.

الامام الصادق (عليه السّلام) والكَرم

أمّا سخاء الامام الصادق (عليه السّلام) وجُودُه وكرمُه، فمن المؤسف ان الثروات والكنوز كانت بأيدي غيره من حُكّام عصره، فالغنائم والجبايات وانواع الخراج والهدايا كانت تُحمل إليهم لا إلى الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام).

ومع ذلك كلّه كان الامام الصادق (عليه السّلام) أسخى أهل عصره، وأجود أهل زمانه، وهل الجود إلاّ بذل الموجود؟

وتتجلّى رحابة صدره، وصفاء سريرته في إنفاقه وضيافته وإطعامه لأصحابه، وإحسانه الى المحتاجين وخاصة عطاياه السِّرِّيّة التي كان يرسلها الى بعض الناس في جوٍّ من الكتمان، ويحاول أن لايعرف أحد مصدر ذلك العطاء:

روي عن الفضل بن أبي قرَّة قال: كان أبو عبدالله (عليه السّلام) يبسط رداءه وفيه صُرَرَ الدنانير فيقول للرسول: إذهب بها إلى فلان وفلان، من أهل بيته، وقل لهم: هذه بُعث إليكم بها من العراق، قال: فيذهب بها الرسول إليهم فيقول ما قال، فيقولون: أمّا أنت فجزاك الله خيراً بصلتك

قرابة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وأمّا جعفر فحَكَم اللّه بيننا وبينه.

قال: فيخرُّ أبو عبداللّه (عليه السّلام) ساجداً ويقول: اللّهم أذلَّ رقبتي لِوُلد أبي[1].

وعن أبي جعفر الخثعمي ـ قريب إسماعيل بن جابر ـ قال: أعطاني أبو عبداللّه (عليه السّلام) خمسين ديناراً في صُرَّة فقال لي: ادفعها إلى رجل من بني هاشم ولاتُعلمه أني أعطيتك شيئاً.

قال: فأتيته فقال: من أين هذه؟ جزاه اللّه خيراً، فما يزال كلّ حين يبعث بها فنكون مما نعيش فيه إلى قابل، ولكن لايصلني جعفر بدرهم في كثرة ماله[2].

أقول: كانت هناك عوامل واسباب تفرض على الامام الصادق (عليه السّلام) أن يكتم عن اقربائه ما يُقدِّمه اليهم من الصّلة والعطاء، ولعلَّ من أهمّها: شدَّة الاخلاص للّه تعالى، بالاضافة الى أن لايشعر اقرباء الامام بشيء من الذلّ والانكسار وهم يأخذون عطاء الامام... واللّه العالم.

١ـ تنبيه الخواطر: ص٥٨٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٦٠.

٢ـ أمالي الطوسي: ج٢ ص٢٩٠. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٥٤.

الامام الصادق (عليه السّلام) والتواضع

أمّا تواضعه (عليه السّلام) مع أصحابه، وتنزُّهه عن التكبُّر والترفُّع فقَلَّ أن تجد له في تاريخ الشخصيّات البارزة مثيلاً أو نظيراً.

وإليك بعض النماذج التي رُويتْ في هذا المجال:

١ـ عن عبدالأعلى قال: أكلتُ مع أبي عبدالله (عليه السّلام) فدعا وأُتي بِدجاجة محشوَّة، وبخبيص، فقال أبوعبدالله(عليه السّلام): هذه [الدجاجة] أُهديت لفاطمة [بنت الامام أو زوجته].

ثم قال: ياجارية! إئتينا بِطعامنا المعروف. فجاءت بِثَريد خلٍّ وزيت[1].

٢ـ وعن سليمان بن خالد، عن عاملٍ كان لمحمد بن راشد قال: حضرتُ عشاء جعفر بن محمد (عليه السّلام) في الصيف، فأُتي بِخوان عليه خبز، وأُتي بجفنة فيها ثريد ولحمٌ يفور، فوضع يده فيها، فوجدها حارّة، ثمّ رفعها وهو يقول: «نستجير باللّه من النار، نعوذ باللّه من النار!

١ـ المحاسن: ص٤٠٠ ح٨٥. منه بحار الأنوار: ج٦٦ ص٣١٩.

نحن لانقوى على هذا فكيف النار؟!».

وجعل يكرّر هذا الكلام حتى امكنت القصعة [برد الطعام] فوضع يده فيها، ووضعنا أيدينا حتى أمكنتنا[1] فأكل وأكلنا معه.

ثمَّ إنَّ الخوان رُفع فقال: ياغلام إئتنا بشيء.

فأُتي بِتمر في طَبَق، فمددتُ يدي فاذا هو تمر، فقلت: أصلحك اللّه! هذا زمان الأعناب والفاكهة!!

قال: إنّه تمر، ثمَّ قال: إرفع هذا وائتنا بشيء، فأُتي بتمر [في طبق]، فمددت يدي، فقلت: هذا تمر. فقال: إنّه طيّب[2].

٣ـ وعن هشام بن سالم قال: دخلنا مع إبن أبي يعفور على أبي عبداللّه (عليه السّلام) ونحن جماعة، فدعا بالغداء فتغدَّينا، وتغدّى معنا، وكنتُ أحْدَث القوم سنّاً، فجعلت أقصر وأنا آكل، فقال لي: كُل، أما علمتَ أنه تُعرف مودّة الرجل لأخيه بِأكله من طعامه؟![3].

٤ـ وعن عبداللّه بن سليمان الصيرفي قال: كنت عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقدَّم إلينا طعاماً فيه شواء، وأشياء بعده، ثمَّ جاء بقصعة فيها أُرز، فأكلت معه، فقال: كُل. قلتُ: قد أكلتُ. فقال: كُل، فإنّه يُعتبر حُبُّ الرجل لأخيه بانبساطه في طعامه.

ثمَّ حاز لي حوزاً[4] بأصبعه من القصعة، فقال لي: لتأكلنَّ ذا بعد ما قد أكلتَ. فأكلته[5].

١ـ أي قَدَرنا على أكله.

٢ـ الكافي: ج٨ ص١٦٤ ح١٧٤.

٣ـ الكافي: ج٦ ص٢٧٨ ح١.

٤ـ حازه: جمعه (أقرب الموارد).

٥ـ الكافي: ج٦ ص٢٧٩ ح٤.

٥ـ وعن أبي الربيع قال: دعا أبو عبدالله (عليه السّلام) بطعام، فأُتي بهَريسة، فقال لنا: أُدنوا، فكُلوا. قال: فأقبل القوم يقصرون[١] فقال (عليه السّلام): كلوا، فانما يستبين مودّة الرّجل لأخيه في أكله [عنده].

قال: فأقبلنا نغصّ أنفسنا كما تغصّ الإبل[٢].

٦ـ وعن أبي حمزة قال: كُنّا عند أبي عبدالله (عليه السّلام) جماعة، فَدَعا بطعامٍ مالَنا عهد بمثله لذاذةً وطيباً، وأُوتينا بتمرٍ ننظر فيه الى وجوهنا من صفائه وحُسنه، فقال رجل: لتُسئلنَّ عن هذا النّعيم الّذي نُعمتم به عند ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقال أبو عبدالله (عليه السّلام): إنَّ الله (عزّوجلّ) أكرم وأجلُّ من أن يُطعمكم طعاماً فيسوِّغكموه ثمَّ يسألكم عنه، ولكن يسألكم عمّا أنعم عليكم بمحمد وآل محمد (صلى الله عليه وعليهم)[٣].

٧ـ وعن محمد بن زيد الشحّام قال: رآني أبو عبدالله (عليه السّلام) وأنا أُصلّي، فأرسل إليَّ ودعاني فقال لي: من أين أنت؟

قلت: من مواليك.

قال: فأيُّ مواليَّ؟

قلت: من الكوفة.

فقال: مَن تعرف من الكوفة؟

قال: قلت: بشير النبّال وشجرة.

١ـ تقاصر عن الامر: انتهى وهو يقدر عليه (أقرب الموارد).

٢ـ الكافي: ج٦ ص٢٧٩ ح٦. قوله: «نغصّ أنفسنا» وفي نسخة: «نعضّ» وفي نسخة: «نضفز» والنتيجة واحدة، وهي كثرة الأكل بحيث أن اللّقمة كانت تقف في الحلق أو من العضّ على الطعام أو أكل اللُّقَم الكبار.

٣ـ الكافي: ج٦ ص٢٨٠ ح٣.

قال: وكيف صنيعتهما [إليك؟]

قلت: ما أحسَنَ صنيعتهما إليَّ.

قال: خيرُ المسلمين مَن وَصَلَ وأعانَ ونَفَع! مابِتُّ ليلةً قطّ ولِلّه في مالي حقٌ يسألنيه!

ثم قال: أيُّ شيء معكم من النفقة؟

قلت: عندي مائتا درهم.

قال: أرِنيها. فأتيته بها، فزادني فيها ثلاثين درهماً ودينارين، ثم قال: تَعشَّ عندي. فجئت فتعشّيت عنده.

فلمّا كان من القابلة[1] لم أذهب إليه، فأرسل إليَّ فدعاني من عنده[2].

فقال: مالَكَ لم تأتني البارحة؟ قد شفقتَ عَلَيَّ؟[3].

فقلت: لم يجئني رسولك.

قال: فأنا رسول نفسي اليك مادمتَ مقيماً في هذه البلدة، أيَّ شيء تشتهي من الطعام؟

قلت: اللَّبن. فاشترى ـ من أجْلي ـ شاةً لبوناً.

قال: فقلت له: علِّمني دُعاءً.

قال: أُكتب:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم، يامَن أرجوه لكلِّ خير، وآمنُ سَخَطه عند كلِّ عثرة، يامن يُعطي الكثير بالقليل، ويامَن أعطى مَن سأله تَحنُّناً منه ورحمة، يامَن أعطى مَن لم يسأله ولم يعرفه، صلِّ على محمد وأهل بيته،

١ـ أي الليلة الاخرى.

٢ـ في بحار الأنوار: من غده.

٣ـ أي خفتَ عَلَيَّ من التكلّف والتعب في ضيافتك؟

وأعطني بمسألتي ايّاك جميع خير الدُّنيا وجميع خير الآخرة، فإنّه غير منقوصٍ لما أعطيت، وزِدني من سعة فضلك، ياكريم».

ثم رفع يديه فقال: «ياذا المنّ والطَّول، ياذا الجلال والإكرام، ياذا النعماء والجود، إرحم شيبتي من النار» ثمَّ وضع يديه على لحيته ولم يرفعهما إلاّ وقد امتلأ ظَهر كفّيه دموعاً[1].

٨ـ وعن عجلان قال: تعشّيت مع أبي عبدالله (عليه السّلام) بعد عَتَمة ـ وكان يتعشّى بعد عَتَمة ـ فأُتي بِخلٍّ وزيت ولحم بارد، فجعل ينتف اللّحم فيطعمنيه ويأكل هو الخلّ والزَّيت ويَدَع اللّحم فقال: إنَّ هذا طعامنا وطعام الأنبياء (عليهم السّلام)[2].

٩ـ نام رجل من الحاجّ في المدينة فتوهّم أن هميانه سُرِق فخرج فرأى جعفر الصادق (عليه السّلام) مُصلّياً ولم يعرفه، فتعلّق به وقال له: أنت أخذت همياني.

قال: ما كان فيه؟

قال: ألف دينار.

قال: فحمله إلى داره ووزن له ألف دينار وعاد [الرجل] إلى منزله، ووَجد هميانه، فعاد الى جعفر (عليه السّلام) معتذراً بالمال، فأبى قبوله وقال: شيء خَرَج من يدي لايعود إليَّ، قال: فسأل الرجل عنه، فقيل: هذا جعفر الصادق (عليه السّلام) قال: لاجَرَم هذا فعال مثله[3].

١٠ـ وعن ابن أبي يعفور قال: رأيت عند أبي عبدالله (عليه السّلام)

١ـ إختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٦٦٥ ح٦٨٩. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٦.

٢ـ الكافي: ج٦ ص٣٢٨ ح٤.

٣ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٧٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٣.

ضيفاً فقام يوماً في بعض الحوائج فنهاه عن ذلك وقام بنفسه إلى تلك الحاجة وقال (عليه السّلام): نهى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) عن أن يُستخدم الضيف[1].

١١ـ وعن يعقوب السرّاج قال: كنّا نمشي مع أبي عبداللّه (عليه السّلام) وهو يريد أن يعزّي ذا قرابة له بمولود له، فانقطع شِسْع نعل أبي عبداللّه (عليه السّلام) فتناول نعلَه مِن رِجله ثمّ مشى حافياً، فنظر إليه ابن أبي يعفور فخَلَع نعلَ نفسِه من رِجله وخَلَع الشِسْع منها وناوله أبا عبداللّه (عليه السّلام) فأعرض عنه كهيئة المغضب ثمّ أبى أن يقبله ثمّ قال: ألا إنّ صاحب المصيبة أولى بالصبر عليها، فمشى حافياً حتّى دخل على الرّجل الّذي أتاه ليعزّيه[2].

١ـ الكافي: ج٦ ص٢٨٣ ح١.

٢ـ الكافي: ج٦ ص٤٦٤ ح١٤.

الامام الصادق (عليه السّلام) والاصلاح بين الناس

من جملة الخطوات الرائعة التي قام بها الامام الصادق (عليه السّلام) في اصلاح المجتمع هو الاصلاح بين الناس وزرع المحبَّة والإخاء بينهم.

وقد ابتكر (عليه السّلام) ـ في هذا المجال ـ اسلوباً لم يسبقه اليه أحد، ولعلّه لم يلحق به أحد، فقد عيَّن مبلغاً من المال ـ دراهم ودنانير ـ للإصلاح وفَصْل الخصومة بين شيعته اذا حَصَل بينهم خلاف أو نزاع في القضايا الماليَّة، تأليفاً لقلوبهم، ودفعاً لموجبات العداء والتفرقة بينهم، وهذه فكرة لم يذكرها التاريخ لأحد من عظماء العالَم من ملوك وأُمراء وزعماء!!:

روى ابن سنان، عن أبي حنيفة سائق الحاجّ قال: مرَّ بِنا المفضّل وانا وخَتَنــي [1] نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة، ثمَّ قال لنا: تعالوا الى المنزل. فأتيناه، فأصلح بيننا بأربعمائة درهم فدفعها إلينا من عنده، حتى اذا استوثق كلُّ واحد منّا من صاحبه قال: «أما إنّها ليستْ من مالي، ولكنْ أبو عبدالله (عليه السّلام) أمرني: اذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء، أنْ أُصلح بينهما. وافتديهما من ماله» فهذا من مال أبي عبدالله (عليه السّلام) [2].

١ـ الخَتَن: الصِّهْر، وكل من كان من قبل المرأة، مثل الأب والأخ وهم الاختان هكذا عند العرب، وأمّا عند العامّة فخَتَن الرجل زوج ابنته (لسان العرب).

٢ـ الكافي: ج٢ ص٢٠٩ ح٤.

الامام الصادق (عليه السّلام) والحِلم والصَّفح

وامّا الحلم والصَّفح: فكثيراً مّا كان البعض يقابلونه بكلام لايخلو من خشونة وقساوة، وسوء أدب، وقلّة استحياء، فكان (عليه السّلام) ـ مع ما يتمتَّع به من عُلوّ المنزلة، وسموّ القدر وجلالة الشأن ـ يحلم عن إساءتهم، ويصفح عن سوء أدبهم، لاخوفاً ولاطمعاً، بل إتّباعاً لقوله تعالى: ﴿خُذِ العَفْوَ وأمُر بالعُرفِ وأعْرِضْ عن الجاهلين﴾[1] وقوله (عزّوجلّ): ﴿فَبِما رَحْمةٍ منَ اللّه لِنْتَ لهم ولو كنتَ فَظّاً غَليظَ القَلبِ لأنفَضُّوا من حولك﴾[2].

وكثيراً مّا كان يسمع من المنحرفين، وأصحاب المبادىء التائهة كلمات استهزاء بالدين، وسُخرية بالإسلام والمسلمين، وإنكار ضروريات الدين، فكان (عليه السّلام) يقابل تلك الترّهات والأباطيل بأصوب جواب وأحسن كلام، مع عفّة المنطق، ووقار الدليل، وهيبة الحجّة.

١ـ سورة الاعراف آية ١٩٩.

٢ـ سورة آل عمران آية ١٥٩.

وكم سمع ورأى من أبناء عمّه كلمات لاتليق به، ولاينبغي لهم أن يخاطبوه أو ينطقوا بها، أو أعمالاً لاينبغي أن تصدر منهم، فكان موقفه منهم موقف الناصح المشفق، والأخ العطوف والأب الرؤف، يتحمَّل منهم المكاره ويتجلّد، بل ويبكي حزناً عليهم أحياءً وأمواتا، ويتألَّم لما أصابهم من النوائب، ويواسيهم في مرارة الحياة، وجشوبة العيش، وكأنَّه لم يصدر منهم شين، فلايقابل إساءتهم إلاّ بالإحسان، ويشمل عوائلهم وأراملهم وأيتامهم بعواطفه وألطافه، ويعتبر نفسه مسؤولاً عنهم، ولم يُغيِّر سلوكه مع الذين أصابتهم النكبات من أُسرته.

بل، وحتى مع الخَدم الذين كانوا يتهاونون في تنفيذ أوامره، ويُبطؤون في قضاء حوائجه كان يقابلهم بالعفو والصفح، ويحلم عن تكاسلهم في إطاعة أمره.

روي عن حفص بن أبي عائشة قال: بَعَث أبو عبداللّه (عليه السّلام) غلاماً له في حاجة فأبطأ، فخرج أبو عبداللّه (عليه السّلام) على أَثَره لمّا أبطأ عليه فوجَده نائماً، فجلس عند رأسه يُرَوِّحه[1] حتى انتبه، فلمّا انتبه قال له أبو عبداللّه (عليه السّلام): يافلان! واللّه ما ذاك لك، تنام اللّيل والنّهار، لك اللّيل ولنا منك النّهار[2].

ودخل سفيان الثوري على الامام الصادق (عليه السّلام) فرآه متغيّر اللّون فسأله عن ذلك، فقال: كنتُ نهيتُ أن يصعدوا فوق البيت، فدخلتُ فاذا جارية من جواريَّ ـ ممّن تربّي بعض وُلدي ـ قد صعدتْ في سلّم والصبيّ معها، فلمّا بصرتْ بي ارتعدتْ وتحيّرتْ وسقط الصبيّ إلى الأرض

١ـ يروّحه بالمروحة أو شيء آخر.

٢ـ الكافي: ج٨ ص٨٧ ح٥٠.

فمات، فما تغيّر لوني لموت الصبيّ وإنّما تغيّر لوني لما أدخلتُ عليها من الرُّعب، وكان (عليه السّلام) قال لها: أنت حرَّة لوجه اللّه لا بأس عليك ـ مرَّتين ـ[١].

وعن الوليد بن صبيح قال: كنا عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) في ليلة إذ طرق الباب طارق فقال للجارية: انظري من هذا؟ فخرجتْ ثم دخلتْ فقالت: هذا عمُّك عبداللّه بن علي، فقال: أدخليه وقال لنا: ادخلوا البيت، فدخلنا بيتاً آخر، فسمعنا منه حِسّاً ظننّا أنَّ الداخل بعض نسائه، فلصق بعضنا ببعض، فلمّا دخل أقبل على أبي عبداللّه (عليه السّلام)، فلم يَدَعْ شيئاً من القبيح إلاّ قاله في أبي عبداللّه (عليه السّلام) ثمَّ خرج وخرجنا، فأقبل يُحدّثنا من الموضع الذي قطَع كلامه، [عند دخول الرجل] فقال بعضنا: لقد استقبلك هذا بشيء ما ظننّا أن أحداً يستقبل به أحداً، حتّى لقد هَمَّ بعضنا أن يخرج إليه فيوقع به.

فقال: مه، لاتدخلوا فيما بيننا.

فلمّا مضى من الليل ما مضى طَرق الباب طارق، فقال للجارية: انظري من هذا؟ فخرجت، ثمَّ عادت فقالت: هذا عمّك عبداللّه بن علي، قال لنا: عودوا إلى موضعكم، ثم أذن له، فدخل بشهيق ونحيب وبكاء وهو يقول: يابن أخي اغفر لي غَفَرَ اللّه لك، اصفح عنّي صَفَحَ اللّه عنك.

فقال: غفر اللّه لك [ياعمّ]! ما الذي أحوجك إلى هذا ياعمّ؟

قال: إنّي لمّا آويتُ إلى فراشي أتاني رجلان أسودان غليظان فَشَدّا وثاقي ثم قال أحدهما [للآخر]: انطلق به إلى النار فانطلق بي، فمررتُ برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فقلت: يارسول اللّه أما ترى ما يفعل

١ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٧٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٤.

بي؟ قال: أولستَ الذي أسمعتَ ابني ما أسمعتَ؟ فقلت: يارسول اللّه لا أعود، فأمره فخلّى عنّي، وإنّي لأجد ألَم الوثاق.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): أوص.

قال: بم أُوصي؟ فماليَ من مال، وإنّ لي عيالاً كثيراً وعليَّ دَين.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): دَينُك عليَّ وعيالك إلى [عيالي]، فأوصى، فما خرجنا من المدينة حتّى مات، وضمَّ أبو عبداللّه (عليه السّلام) عياله إليه، وقضى دينه، وزوّج ابنه ابنته[1].

١ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦١٩ ح١٩. منه بحار الانوار: ج٤٧ ص٩٦.

الامام الصادق (عليه السّلام) والعفو

لاشك أن العفو يُعتبر من شِيَم الكرام، وهو دليل على عظمة الانسان وحُسن نفسيَّته ورحابة صدره.

وقد ذكرنا ـ قبل قليل، في فصل: الامام الصادق (عليه السّلام) والحلم والصفح ـ بعض مايندرج تحت عنوان هذا الفصل أيضاً.

واليك بعض ما ذُكر عن عفوه (عليه السّلام):

عن مرازم قال: قال لي أبو عبداللّه (عليه السّلام) وهو بمكّة: يامرازم لو سمعتَ رجلاً يسبُّني ما كنتَ صانعاً؟

قال: قلت: كنت أقتله.

قال: يامرازم إن سمعت مَن يسبّني فلاتصنع به شيئاً.

قال: فخرجتُ من مكّة عند الزوال في يوم حارّ، فألجأني الحرُّ [إلى] أن صرت[1] إلى بعض القباب، وفيها قوم، فنزلت معهم، فسمعتُ بعضهم يسبُّ أبا عبداللّه (عليه السّلام) فذكرتُ قوله، فلم أقل شيئاً، ولولا ذلك

١ـ في بحار الأنوار: عبرت.

لقتلته[1] .

هذا . . وقد ذكرنا في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) نماذج من عفوه عمَّن اساء اليه .

واعجب من ذلك، كان الامام الصادق (عليه السّلام) يسأل ربَّه (عزّوجلّ) ان يغفر لكلٍّ من اغتابه أو انتقصه . .

أليس هذا من مكارم الأخلاق؟!

أليس هذا من أخلاق الأنبياء؟!

عن علي بن رئاب، عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) قال: سمعته يقول وهو ساجد: اللهمّ اغفر لي ولأصحاب أبي، فاني أعلم أنَّ فيهم من ينتقصني[2] .

١ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٩٣ . منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٤٥ .

٢ـ قرب الاسناد: ص٧٧ . منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٧ .

الامام الصادق (عليه السّلام) والصَّبر

وأمّا الصَّبر: فقد صَبر (عليه السّلام) على أشياء أمرّ من الصبر، ويمكننا أن نقسّم صبره الى اقسام:

فهناك الصبر على المصيبة: فقد فُجع (عليه السّلام) بِعَدد من اولاده كباراً وصغاراً فكان صبره على تلك المصائب يورث الدهشة والتعجُّب، وكان يتناسى تلك المصائب وكأنَّها لم تحدث.

روي انه كان للصّادق (عليه السّلام) ابن، فبينا هو يمشي بين يديه إذ غصَّ فمات، فبكى وقال: «لئن أخذتَ لقد أبقيتَ، ولئن ابتليتَ لقد عافيت».

ثمَّ حُمل إلى النساء، فلمّا رأينه صرخن، فأقسم عليهنَّ أن لايصرخن، فلمّا أخرجه للدفن قال: «سبحان مَن يقتل أوْلادنا ولانزداد له إلاّ حُبّاً» فلمّا دفنه قال: يابُنيّ وسّع اللّه في ضريحك، وجمع بينك وبين نبيّك.

وقال (عليه السّلام): إنّا قوم نسأل اللّه ما نُحبُّ فيمن نحبُّ فيعطينا، فاذا أحبَّ ما نكره فيمن نحبّ رضينا[1].

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٨ ح٨.

وعن علاء بن كامل، قال: كنت جالساً عند أبي عبدالله (عليه السّلام) فصرخت صارخة من الدَّار، فقام أبو عبدالله (عليه السّلام) ثمَّ جلس فاسترجع وعاد في حديثه حتّى فرغ منه ثمَّ قال: إنّا لنحبّ أن نعافى في أنفسنا وأولادنا وأموالنا فإذا وقع القضاء فليس لنا أن نحبَّ ما لم يحبَّ الله لنا[1].

ومات إبنه الأكبر: إسماعيل، وقد توفّرت فيه الفضائل من العقل والعبادة والكرم وغير ذلك، بحيث كان بعض الناس يظنّون انه الإمام بعد أبيه، فكان الامام (عليه السّلام) يتجلّد في تلك المصيبة وقد غلب صبره على عاطفة الأبوَّة، ورضاه على جزعه، بل وكان يشكر الله تعالى على ما قدَّر له، بالرغم من الحزن الطويل المسيطر على قلبه الطاهر.

وكيف لايكون كذلك؟ وهو الذي كان يأمر شيعته بالصبر على المصائب والمكاره.

وعن الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام) قال: نُعيَ الى الصادق جعفر بن محمد (عليه السّلام) إبنه اسماعيل بن جعفر، وهو أكبر أولاده، وهو يريد أن يأكل، وقد اجتمع ندماؤه، فتبسَّم، ثم دعا بطعامه، وقَعد مع ندمائه، وجَعل يأكل أحسن من أكله سائر الايام، ويَحُثُّ ندماءه، ويضع بين ايديهم، ويَعجبون منه ان لايروا للحزن أثراً.

فلمّا فرغ قالوا: يابن رسول الله! لقد رأينا عجباً! أُصبتَ بمثل هذا الابن وأنت كما نرى؟

قال: ومالي لااكون كما ترون؟ وقد جاءني خبر أصدق الصادقين: أني ميّت واياكم؟

١ـ الكافي: ج٣ ص٢٢٦ ح١٣.

إن قوماً عرفوا الموت فجعلوه نصب أعينهم، ولم ينكروا مَن تَخطَّفه الموت منهم، وسلّموا لأمر خالقهم (عزّوجلّ)[1].

أيها القارئ الكريم: وأمّا المصائب والمكاره التي تحمّلها من الحكومتين: الامويّة والعباسيّة ـ طيلة سنوات كثيرة ـ فقد كانت تشيب منها النواصي، وكان موقفه منها موقف الصابر المحتسب الذي وطّن نفسه على البلاء، وسنذكر بعض تلك القضايا في الفصول القادمة إنْ شاء اللّه تعالى.

١ـ عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢ ح١. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٨.

الامام الصادق (عليه السّلام) والزُّهد

وامّا الزهد: فكان من طبعه وطبيعته، فبالرغم من زعامته ومكانته القيادية كانت حياته الماديّة بسيطة جداً، فلاسَرَفَ ولاتَرَف ولابَذَخ.

وربما دخل عليه رجل من شيعته فوجد عليه ثوباً مُرقّعاً، أو ثوباً خَشناً قد لبسه ملاصقاً لجسده المبارك.

وكثيراً مّا نجد في حياة أولياء اللّه الزهد الإختياري، لا الإضطراري، فلايرغبون الى زخارف الحياة في مأكلهم وملبسهم ومسكنهم، وغير ذلك من لوازم حياتهم بالرغم من قدرتهم عليها.

والسبب في ذلك - واللّه العالم - ان الإنسان الذي يشعر بالنواقص في نفسه يحاول أن يستر تلك النواقص بمتاع الدنيا، ومن هذا الطريق يُكوِّن لنفسه شيئاً يملأ ذلك الفراغ، ويَسُدّ ذلك الخَلل، فترى الإناقة والتلوُّن والتزيُّن في الملبس والأثاث والمسكن، ووسائل المعيشة.

وأمّا أولياء اللّه فلايشعرون بالنقص في نفوسهم، فلاحاجة لهم الى الأُبّهة، والفخفخة في لوازم الحياة.

ومعنى ذلك أنهم يشعرون بالكمال الذي مَنَحهم اللّه تعالى، فَهُم -

من ناحية النَسَب ـ فوق كلِّ نسب، ومن ناحية الحَسَب لهم اشرفُ الحَسَب، ومن ناحية المكانة الاجتماعية هم في القمّة. . ويملكون قلوب الناس، ومن ناحيــة العِلم هم أعلم أهل الأرض في كلِّ شيء، وفي جميع العلوم، وبجميع اللّغات.

ولايوجد في أجسامهم وجوارحهم وأخلاقهم ما يشينهم.

لهم أعلى مكانة عند اللّه تعالى، وعندهم الإسم الأعظم الذي يستطيعون به أن يأتوا بالمعجزات، فكلّ شيء خاضع لإرادتهم.

إذن، فمن الطبيعي أن يشعروا بالاستغناء الذاتي، وأن لايُبالوا بزخارف الحياة، وان لايهتمُّوا بالمأكل والملبس والأثاث والمتاع، إلاّ بمقدار الحاجة والكفاية وبمقدار ما يلزم في المعيشة.

وانْ كان غيرهم يبذل نشاطه وجهوده في تحصيل ما تشتهيه نفسه، فذلك بسبب الإحساس بالنقص، وضيق التفكير، وانصراف النفس عن الامور المعنوية، والركون الى هذه الدنيا الدنيَّة وزخرفها الزائل.

فلقد رأينا الأطفال كيف يفرحون بما يُشترى لهم من ألاعيب، ويبكون ويحزنون اذا أُخذ ذلك منهم، بينما نرى الكبار والعقلاء ينظرون الى تلك الألاعيب بنظر التحقير ـ بسبب نضوج عقولهم ـ ويتعجَّبون من اولئك الأطفال الذين يهتمّون بتلك الأشياء التافهة.

فمن الصحيح أن نقول: إن النفس إذا تشبّعت بالمعنويّات فانها لاترغب في الماديَّات.

وبعبارة أُخرى: إذا توجَّه الإنسان إلى الأُمور الأُخرويَّة سقطتْ عن عينه الأُمور الدنيويَّة فأعرضَ عنها.

الامام الصادق (عليه السّلام) والبساطة في الملبس

قد ذكرنا أن اولياء اللّه لايرغبون الى زخارف الحياة الدنيا، في المسكن والملبس والمطعم، ولايتقيّدون بالمظاهر الماديَّة، لأنهم يعرفون جيّداً أن الماديّات زائلة وفانية وأن المعنويّات هي الباقية والنافعة.

ولذلك تراهم ينتهجون حياة الزهد والبساطة في العيش، ولايهتمُّون بالدنيا الاّ بمقدار الحاجة والكفاف.

فمثلاً: ترى الائمة الطاهرين (عليهم السّلام) كانوا يلبسون ملابس بسيطة بل وخشنة احياناً.. وربما لبسوا ملابس فاخرة تمشّياً مع ظروفهم، لارغبة الى تلك الملابس أو تلذذاً بها..

كلّ ذلك تأكيداً منهم على أن الانسان يجب ان لايقيّد نفسه بأغلال الماديّات التافهة.

والامام الصادق (عليه السّلام) هو من سادة أولياء اللّه، ومن أطهر أُسرة على وجه الأرض، ولهذا كانت سيرته جارية على الزُّهد والبساطة.

وفيما يلي نذكر بعض الأحاديث المرويَّة في هذا المجال:

عن محمد بن الحسين بن كثير الخزّاز، عن أبيه قال: رأيت أبا عبداللّه (عليه السّلام) وعليه قميص غليظ خشن تحت ثيابه وفوقها جبّة صوف وفوقها قميص غليظ فمسَسْتُها فقلت: جُعلت فداك إنّ الناس يكرهون لباس الصوف.

فقال: كلاّ، كان أبي محمّد بن عليّ (عليهما السّلام) يلبسها، وكان عليٌّ بن الحسين (عليهما السّلام) يلبسها، وكانوا (عليهم السّلام) يلبسون أغلظ ثيابهم إذا قاموا إلى الصلاة، ونحن نفعل ذلك[1].

وفي رواية اخرى قال (عليه السّلام) للراوي: رأيت أبي يلبسها، وإنّا اذا أردنا أن نصلّي لبسنا أخشنَ ثيابنا[2].

ودخَل بعض أصحاب الامام الصادق (عليه السّلام) عليه فرأى عليه قميصاً فيه قبّ قد رقعه[3] فجعل ينظر إليه فقال له أبو عبداللّه (عليه السّلام): مالك تنظر؟

فقال: قبّ مُلقى في قميصك.

قال: فقال لي: إضرب يدك إلى هذا الكتاب فاقرأ مافيه، وكان بين يديه كتاب أو قريب منه، فنظر الرّجل فيه فإذا فيه: «لاإيمان لمن لاحياء له، ولامال لمن لاتقدير له، ولاجديد لمن لاخَلَقَ له»[4].

وعن الحسين بن المختار قال: قال أبو عبداللّه (عليه السّلام): اعمل

١ـ الكافي: ج٦ ص٤٥٠ ح٤.

٢ـ بحار الأنوار: ج٧٩ ص٣١٤.

٣ـ القَبّ: ما يدخل في جيب القميص من الرقاع (لسان العرب).

٤ـ الكافي: ج٥ ص٣١٧ ح٥٢.

لي قلانس بيضاء ولاتكسّرها فإنّ السيّد مثلي لايلبس المكسّر[١] .

أيّها القارئ الكريم: والى جانب هذه الأحاديث تجد أحاديث أُخرى تصرِّح بأن الامام الصادق (عليه السّلام) كان أحياناً يلبس ملابس جيّدة، مجاراةً مع الظرف الذي كان يعيش فيه . . وإليك بعض تلك الأحاديث:

روي عن جعفر بن محمد (عليه السّلام): انه حَجَّ فبينا هو في الطواف وعليه ثوبان رفيعان[٢]، اذ جذب رجل بطرف ثوبه، فالتفت اليه فاذا هو عبّاد البصري، فقال: يا أبا عبدالله تلبس مثل هذه الثياب، في مثل هذا الموضع، وانت من علي (عليه السّلام) بالمكان الذي أنت فيه، وقد علمتَ كيف كان لباسه؟!!

فقال له أبو عبدالله (عليه السّلام): وَيحك ـ يا عبّاد ـ كان علي (عليه السّلام) في زمان يستقيم له فيه ما يلبس، ولو لبستُ أنا اليوم مثلَ لباسه لقال الناس: هذا مرائي، مثل عبّاد!!.

فأُفحم عبّاد، وتغامزَ به الناس من حوله، وكان يوصَف بالرياء[٣].

وعن أحمد بن عمر قال: سمعت بعض أصحاب أبي عبدالله (عليه السّلام) يُحدّث أنّ سفيان الثوريّ دخل على أبي عبدالله (عليه السّلام) وعليه [على الامام] ثياب جياد فقال: يا أبا عبدالله، إنّ آباءك لم يكونوا يلبسون مثل هذه الثياب!

فقال له: إنّ آبائي كانوا يلبسون ذلك في زمانٍ مُقْفر مُقتر، وهذا زمان

١ـ الكافي: ج٦ ص٤٦٢ ح٣. ولعلَّ المقصود من قوله (عليه السّلام): «ولاتكسّرها» أي لايحصل عليها التغيير من الصبغ وما شابه ذلك.

٢ـ في مستدرك الوسائل: رقيقان.

٣ـ دعائم الاسلام: ج٢ ص١٥٦. منه مستدرك الوسائل: ج٣ ص٢٤٠.

قد أرْخَت الدنيا عَزاليها[1] ، فأحقّ أهلها بها أبرارهم[2] .

وعن مـؤذّن عليّ بن يقطين قـال : رأيت على أبي عـبـدالـلّه (عليـه السّلام) ـ وهـو يصلّي فـي الرّوضـة ـ جُبّة خَـزٍّ سَفرجليّة[3] .

١ـ العزلاء : مَصبُّ الماء من الراوية ونحوها والجمع عزالي وعزالى . (القاموس) . والمعنى : ان ظروف الناس كانت صعبة في ذلك الزمان فكان آبائي يلبسون كما يلبس الناس ، واليوم قد تحسَّنت ظروفهم وازدهرتْ امورهم وصاروا في رفاهيَّة من العيش وسعة من الرزق ، فنحن نلبس كما يلبسون .

٢ـ اختيار معرفة الرجال : ج٢ ص٦٩١ ح٧٤٠ . منه وسائل الشيعة : ج٣ ص٣٥٠ .

٣ـ الكافي : ج٦ ص٤٥٢ ح١٠ .

الامام الصادق (عليه السّلام) والعبادة

وأمّا العبادة: فكان ـ على جلالة قَدْره وعظم شأنه ـ في منتهى التذلّل للّه تعالى في عبادته، وكانت اوقاته لاتخلو من صلاة أو صيام أو ذِكر اللّه تعالى، وكانت له سجدات طويلة، قلّ أن يستطيع أحدٌ أن يماثله في ذلك.

روي عن منصور الصيقل [قال:] حَججتُ فمررتُ بالمدينة فأتيتُ [قبر] رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فسلّمت عليه، ثمَّ التفتُّ، فاذا أنا بأبي عبداللّه (عليه السّلام) ساجداً فجلست حتى مَللتُ، ثمّ قلت: لأُسبّحنّ مادام[1] ساجداً فقلت: «سبحان ربّي وبحمده، أستغفر ربّي وأتوب إليه» ثلاثمائة مرة ونيّفاً وستين مرّة، فرفع رأسه، ثمّ نهض فاتّبعته وأنا أقول في نفسي: إنْ أذن لي، فدخلت عليه ثمّ قلت له: جُعلت فداك أنتم تصنعون هكذا!! فكيف ينبغي لنا أن نصنع؟!

فلمّا [أن] وقفتُ على الباب خَرج إليّ مصادف فقال لي: ادخل يامنصور، فدخلت فقال [لي] مبتدئاً: يامنصور إنّكم إنْ أكثرتُم أو أقللتُم

١ـ في بحار الأنوار: قدّامه.

فوالله لايُقبَل إلاّ منكم[١] .

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: مرَّ بي أبي، وأنا بالطواف ـ وانا حدث [شاب] ـ وقد اجتهدتُ في العبادة، فرآني [ابي] وأنا أتصابّ عَرَقاً فقال لي: ياجعفر! يابُنيَّ! إنَّ الله إذا أحبَّ عبداً أدخله الجنّة، ورضي عنه باليسير[٢] .

وفي رواية اخرى قال (عليه السّلام): «إجتهدتُ في العبادة وانا شاب، فقال لي أبي: يابُني! دون ماأراك تصنع، فانَّ الله (عزّوجلّ) إذا أحبَّ عبداً رضي عنه باليسير»[٣] .

وعن حفص بن غياث قال: رأيتُ أبا عبدالله (عليه السّلام) يتخلَّل بساتين الكوفة، فانتهى الى نخلة، فتوضّأ عندها ثم ركع وسَجد، فأحصيتُ في سجوده خمسمائة تسبيحة، ثم استند الى النخلة فدعا بدعوات، ثم قال: ياحفص إنها ـ والله ـ النخلة التي قال الله (جلّ ذكره) لمريم: ﴿وهُزّي إليك بجذع النخل تُساقِط عليكِ رُطباً جَنيّاً﴾[٤] .

وعن يحيى بن العلا قال: كان أبو عبدالله (عليه السّلام) مريضاً مُدنفاً[٥] فأمر فأُخرج الى مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فكان فيه حتى أصبح، ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان[٦] .

وكانت لياليه عامرة بتلاوة القرآن، يجلس على التراب تذللاً لله

١ـ الخرائج والجرائح: ج٢ص٧٦٢ ح٨٣. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٢٠ .
٢ـ الكافي: ج٢ ص٨٦ ح٤ .
٣ـ الكافي: ج٢ ص٨٧ ح٥ .
٤ـ الكافي: ج٨ ص١٤٣، والآية في سورة مريم آية ٢٥ .
٥ـ المُدْنِف: المثقل في المرض (مجمع البحرين).
٦ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٥٣ .

تعالى، وتعظيماً لكتابه، يتلو آياته بكل إمعان وتدبّر، مُستحضراً في ذهنه ناسخه من منسوخه، وتنزيله من تأويله، وعامّه من خاصّه، ويعلم المراد والمقصود به.

وتنسجم روحه مع القرآن، ويتوجّه قلبه الى خالقه، فكأنَّه ينسى نفسه ويغفل عنها، وكأنَّه يسمع القرآن ممَّن أنزله.

ولاعَجَب في ذلك فانه عِدل القرآن، ومع القرآن، والقرآن معه.

وقد روي أن الامام الصادق (عليه السّلام) كان يتلو القرآن في صلاته، فغُشي عليه، فلمّا افاق سُئل: ما الذي اوجبَ ما انتهت حاله اليه؟

فقال ـ ما معناه ـ : ما زلتُ أُكرِّر آيات القرآن حتى بلغتُ الى حال كأنني سمعتُها مشافهة ممّن انزلها[1].

وكان (صلوات اللّه عليه) يأمر بتلاوة القرآن وخاصّة في ليلة الجمعة حيث وَرد التأكيد على قراءة بعض السُّور القرآنية كسورة ص والدخان.

وروي عن زيد الشحّام قال: قال لي أبو عبداللّه (عليه السّلام) ـ ونحن في الطريق في ليلة الجمعة ـ : اقرأ ـ فانّها ليلة الجمعة ـ قرآناً.

فقرأتُ: ﴿إنَّ يَومَ الفَصْلِ ميقَاتُهُم أجْمَعِين * يَومَ لايُغْني مَولىً عن مَولىً شيئاً ولا هُم يُنصَرون * إلاّ مَن رَحِمَ اللّه﴾[2].

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): نحن ـ واللّهِ ـ الذي يرحم اللّه، ونحن ـ واللّهِ ـ الذي استثنى اللّه، ولكنّا نُغني عنهم[3].

وينبغي أن لانغفل عن نقطة مهمَّة جداً وهي: ان العبادة لاتنحصر

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٥٨.

٢ـ سورة الدخان الآيات ٤٠ ـ ٤٢.

٣ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٥٥.

معناها بالصلاة والصيام والذِّكر والدعاء، بل تشمل كلَّ مايتقرَّب به الانسان الى اللّه تعالى من العلم والتقوى والأخلاق والأصلاح بين الناس والاحسان الى الفقراء وارشاد الجاهل وتنبيه الغافل وتربية الأفراد تربيةً صحيحة ومقارعة الظالمين ومحاربة الضالّين المضلِّين وغيرها.

وحياة الامام الصادق (عليه السّلام) كلُّها عبادة، وكلُّها تقرُّبٌ الى اللّه تبارك وتعالى وكلُّها جهاد ونشاط ونور ومعنويَّة وهداية وارشاد.

الامام الصادق (عليه السّلام) والمواساة والإيثار

مواساة الإخوان معناها: مشاركتهم ومساهمتهم في الرزق والمعاش.

والإيثار: تقديم الغير وتفضيله على نفسه.

وهما خصلتان شريفتان حَسنتان، وقليلٌ مَن يتّصف بهما كليهما أو بإحداهما.

وهما من الصفات المحبوبة المرضيَّة عند اللّه تعالى، ولولا ذلك لما قال (عزّوجلّ): ﴿ويُؤثرونَ على أنفسِهمْ ولوكان بِهم خَصَاصَة﴾[1].

ولولا ذلك لما انزل اللّه تعالى الآيات من سورة هل أتى، وخاصّة قوله (عزّ من قائل): ﴿ويُطعمون الطَّعامَ على حُبّه مِسْكيناً ويَتيماً وأَسِيراً...﴾[2].

ومن الواضح أن أولياء اللّه الذين تأدّبوا بآداب اللّه تعالى يتَّصفون بهذه الصفات الحميدة، بل ويلتزمون بها تقرّباً إلى اللّه (عزّوجلّ).

١ـ سورة الحشر آية ٩.

٢ـ سورة الانسان آية ٨.

ونجِد في تراجم حياتهم الكثير من هذه الفضائل، وذلك بسبب طهارة قلوبهم، وشرافة نفوسهم، وقداسة ضمائرهم، لأنَّ نفوسَهم الزكيَّة تأبى ان يتفرّدوا بنِعَم الحياة وينظروا الى المحرومين فاقدين لتلك النعم.

إستمع الى كلام الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام): «. . . ولو شئتُ لاهتديتُ الطريق الى مُصَفّى هذا العَسَل، ولُباب هذا القَمح، ونَسائج هذا القزّ، ولكنْ هيهاتَ أن يغلبني هَواي، ويقودَني جَشَعي الى تَخيُّر الأطعمة، ولَعلَّ بالحجاز أو اليَمامة مَن لاطَمع له في القُرص ولاعَهدَ له بالشَبع!!

أو أبيت مِبطاناً وحَولي بُطونٌ غَرثى، وأكبادٌ حَرّى؟! أو أكون كما قال القائل:

وحَسبُك داءً أنْ تَبيتَ بِبِطنةٍ ... وحَولَك اكبادٌ تحنُّ إلى القدِّ

ءأَقنعُ من نفسي بأن يقال: أمير المؤمنين. ولااشاركهم في مكاره الدهر؟ أو أكون لهم أُسوةً في جُشوبة العيش؟

فما خُلقتُ ليُشغلني أكْلُ الطيّبات كالبهيمة المربوطة هَمُّها عَلَفُها، أو المرسَلَة شُغْلُها تَقمُّمُها. . . » الى آخر كتابه (عليه السّلام)[1].

هذه كلمات سُجِّلت على صفحات التاريخ، وقد صدرتْ من عظيم العظماء، وأبي الأئمة وسيّد العترة، فهو يتحدّث عن نفسه بِقَلمه، والتاريخ يُصدّق كلامه.

فلقد كان أزهدَ الزاهدين، وحياتُه يُضرب بها المَثَل في الزهد والمواساة والإيثار.

ولاأُريد أن أطيل الكلام حول مواساة الامام أمير المؤمنين وإيثاره

١ـ نهج البلاغة: ج٣ ص٧٠.

الآخرين على نفسه وأنه كان يُؤثر حتّى غلامه قنبر على نفسه.

فهذه الامور مذكورة في محلّها بالتفاصيل[١]، وانما المقصود من هذه المقدّمة ـ هنا ـ أن أقول: إن الامام الصادق (عليه السّلام) هو فرع تلك الشجرة الطيبة، وغصن تلك الدَّوحة المباركة فلاعَجَب اذا تجلَّت في حياته هذه الفضائل، فهو إبنها ووليدها، وفيه نشبتْ عُروقها، وتَطبّع بها حتى صارت جزءً من طبعه وطبيعته.

وهذه الأحاديث تصرّح بهذه الحقيقة:

قال أحد أصحابه له (عليه السّلام): جُعلت فداك! بَلغَني أنّك كنتَ تفعل في غَلّة عين زياد[٢] شيئاً، وأنا أُحبُّ أن أسمعه منك. قال: فقال لي:

«نعم، كنتُ آمر ـ إذا أدركتِ الثَمَرة ـ أن يُثْلَم في حيطانها الثُلَم، ليدخل الناس ويأكلوا، وكنتُ آمر في كلِّ يوم أن يوضع عشر بنيّات[٣]، يقعد على كلِّ بنيّة عَشَرة، كلّما أكل عشرة، جاء عشرة أُخرى، يُلقى لكلّ نفس منهم مُدٌّ من رُطَب، وكنتُ آمر لجيران الضيعة ـ كلّهم: الشيخ والعجوز والصبيّ، والمريض، والمرأة، ومَن لايقدر أن يجيىء فيأكل منها ـ لِكُلِّ إنسان منهم مُدّ.

فاذا كان الجذاذ[٤] أوفيتُ ـ القُوّام والوكلاء، والرجال ـ أُجرَتَهم، وأحمل الباقي الى المدينة، ففرّقتُ ـ في أهل البيوتات والمستحقّين ـ

١ـ راجع كتاب (الامام علي من المهد الى اللَّحد) للمؤلّف.

٢ـ عين زياد: اسم بستان خارج المدينة كان للامام الصادق (عليه السّلام).

٣ـ البنيّات: جمع بنيّة، وهي النطع يفرش على الأرض ويوضع عليه التمر.

٤ـ أي موسم قصاص التمر من النخيل.

الراحلتين[١] والثلاثة، والأقلّ والأكثر على قدر استحقاقهم، وحَصَل لي بعد ذلك أربعمائة دينار، وكان غلّتها أربعة آلاف دينار»[٢].

أيها القارئ الكريم: لعلّ بعض كلمات الحديث يحتاج الى شيء من الشرح... فأقول:

كان للامام الصادق (عليه السّلام) بستان خارج المدينة يقال له: (عين زياد) فيه نخل كثير، فاذا أدرك التمر كان الامام يأمر بهدم بعض جدران البستان حتى يسْهل لكلّ أحد الدخول الى البستان، وكان يأمر أن يوضع عشر بنيّات. أو عشر ثبنات.

والمقصود أنه كان يأمر بفرش الأنطاع ـ جمع نَطْع ـ أو الأقداح ـ جمع قَدَح ـ يوضع على كلّ نَطع عشرة أمداد من التمر، كلّ مُدّ على حِدَة، ويدخل الناس، ويجلسون عند النطع أو القدح ويأكلون فاذا فرغوا جاء عشرة آخرون ليأكلوا، وهكذا.

كلّ هذه الامور في اوائل إدراك التمر حينما يكون رُطباً.

ثمَّ يأمر الامام أن يُحمل الى جيران البستان ـ الذين لم يستطيعوا الحضور ـ بعدد أفراد العائلة، لكلّ واحد منهم مُدٌّ.

فاذا يبس التمر، وصار وقت الجذاذ ـ أي قصّ التمر من النخل ـ أعطى الامام الصادق (عليه السّلام) أُجرة الأفراد القائمين على امور البستان، والعمّال الذين قاموا بجذاذ النخيل، وبعد ذلك يحمل الباقي من التمر الى المدينة، ويُرسل الى بيوت المستحقّين حِمْلَ ناقة أو ناقتين أو أكثر،

١ـ الراحلة: الناقة التي تصلح لأن ترحل (مجمع البحرين). والمقصود: حمل الناقة والناقتين والثلاثة.

٢ـ الكافي: ج٣ ص٥٦٩ ح٢.

حَسَب استحقاقهم.

ثمَّ يبيع الباقي بأربعمائة دينار، وكان وارد البستان أربعة آلاف دينار، ومعنى ذلك ان الامام أبقى لنفسه العُشر، وأنفق تسعة أعشار من وارد البستان في سبيل اللّه تعالى.

وروي عن حمّاد بن عثمان قال: أصاب أهلَ المدينة غلاءٌ وقَحْطٌ حتّى أقبل الرجل الموسِر يخلُط الحنطة بالشعير ويأكله ويشتري ببعض الطعام، وكان عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) طعام جيّد قد اشتراه أوَّل السَنة فقال لبعض مواليه: اشترْ لنا شَعيراً فاخلط بهذا الطعام أوبِعهُ، فإنّا نكره أن نأكل جيداً ويأكل الناس رديّاً[1].

وعن أبي الهيّاج بن بسطام قال: كان جعفر بن محمّد (عليه السّلام) يُطعم حتّى لايبقى لعياله شيء[2].

هذه بعض النماذج الخاطفة اقتطفناها من التاريخ في مجال التحدُّث عن مواساة الامام الصادق (عليه السّلام) للفقراء والمساكين وإيثاره المحرومين على نفسه وأهله، وهي ـ بحقّ ـ نماذج رائعة تتجلّى فيها روح الانسانيَّة والايمان والخير والصلاح.

١ـ الكافي: ج٥ ص١٦٦ ح١.

٢ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٧٣. منه بحار الانوار: ج٤٧ ص٢٣.

الامام الصادق (عليه السّلام) وحقوق الانسان

حينما تقرأ حياة الامام الصادق (عليه السّلام) تجد فيها نماذج كثيرة تتجلّى فيها العاطفة الانسانيّة بأجلى صُوَرها. . ممّا يدلّ على النفسيَّة الطاهرة والرُّوح الصّافية للامام الصادق (عليه السّلام). . واليك هذا النموذج:

عن مُصادف قال: كنت مع أبي عبدالله (عليه السّلام) بين مكّة والمدينة فمررنا على رجل في أصل شجرة وقد ألقى بنفسه فقال (عليه السّلام): مِلْ بنا إلى هذا الرَّجل فإنّي أخاف أن يكون قد أصابه عطش، فَمِلنا فإذا رجل من الفراسين[1] طويل الشعر، فسأله: أعطشان أنت؟

فقال: نعم.

فقال لي: إنزل يا مصادف فاسقه، فنزلتُ وسقيتُه، ثمّ ركبتُ وسِرنا.

فقلت: هذا نصرانيٌّ فتتصدَّق عَلى نصرانيّ؟

فقال: نعم إذا كانوا في مثل هذا الحال[2].

١ـ الفراسين: جمع فرسان، لقب قبيلة.

٢ـ الكافي: ج٤ ص٥٧ ح٤.

وعن شعيب قال: تَكارينا لأبي عبداللّه (عليه السّلام) قوماً يعملون في بستان له، وكان اَجَلُهم الى العصر، فلمّا فرغوا قال لمعتّب: اَعطهم اجورهم قبل أنْ يجفَّ عَرَقهم[1].

أقول: معنى الحديث ان بعض اصحاب الامام الصادق (عليه السّلام) استأجر بعض العمّال للعمل في بستان الامام، الى وقت العصر، فلمّا انتهى الوقت اَمَرَ الامام غلامه معتَّب ان يدفع اليهم اجورهم فوراً قبل ان يجفّ عَرَقَهم.

وهذا يدلّ على منتهى اهتمام الامام (عليه السّلام) بحقوق الناس واموالهم وشؤونهم.

بل ان الامام الصادق (عليه السّلام) كان يتجنَّب كلَّ عملٍ يؤدّي الى ايذاء الناس، حتى لو كان ذلك العمل مستحباً شرعاً.

كما في هذا الحديث:

عن حمّاد بن عثمان قال: كان بمكة رجل مولىً لبني أُميَّة يقال له: ابن ابي عوانة، له عنادة، وكان اذا دخل الى مكة ـ أبو عبداللّه (عليه السّلام) او احد من أشياخ آل محمد ـ يعبث به[2].

وانه اتى ابا عبداللّه (عليه السّلام) ـ وهو في الطواف ـ فقال: يا أبا عبداللّه ما تقول في استلام الحَجر؟

فقال (عليه السّلام): استلمه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

فقال له: ما اراك استلمته؟

١ـ الكافي: ج٥ ص٢٨٩ ح٣.

٢ـ أي: يُزعجه ويؤذيه بكلامه.

قال (عليه السّلام): اكره أن اؤذي ضعيفاً او اتأذّى.

قال: فقال: قد زعمت أن رسول اللّه استلمه.

قال (عليه السّلام): نَعم، ولكنْ كان رسول اللّه (صلّى الله عليه وآله) اذا رأوه عرفوا له حقَّه، وأنا فلايعرفون لي حقّي[1].

١ـ الكافي: ج٤ ص٤٠٩ ح١٧.

الامام الصادق (عليه السّلام) وتربية الأفراد

لقد قام الامام الصادق (عليه السّلام) بنشر العلم الصحيح، والفقه النزيه بين الناس، وحَثِّهم على طلب العلم والمعرفة، وتشجيعهم على التفقّه في امور الدين، وتربية الخطّ المُوالي له أحسن تربية، حتى كوَّن منهم جماعة ممتازة هم مفخرة التاريخ، وانعكست تلك التربية الممتازة على تصرّفاتهم في مختلف شؤون الحياة. وبلغوا الدرجات العالية في الايمان والتقوى والعبادة والعلم والمعرفة والحكمة والطهارة والنزاهة والورع.. وقد تطرَّقنا الى ذِكرهم بالتفصيل في الأجزاء الخاصة بأصحابه (عليه السّلام) والرواة عنه، من موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام).

الامام الصادق (عليه السّلام) والفصاحة والبلاغة

وأمّا الفصاحة والبلاغة فَهُما من فطرته، وجزءٌ من غريزته وطَبْعه وطبيعته، لاتنفكّان عن كلامه وحديثه، قد تَعوَّد لسانه عليهما، فلاينطلق لسانه إلاّ بهما منذ بدأ بالنطق والتكلّم، فالرسائل التي كتبها لشيعته والمواعظ التي وَعَظ بها أصحابه، وكلماته القصار التي هي كُنُوز للحكمة والمعرفة، تُرشد الإنسان الى كلّ ما يريد، مهما اختلفتْ اتّجاهاته، وتعدّدت هواياته، فيها أسرار الحياة، واسلوبُ المعيشة اقتصاديّاً وعقائدياً، واجتماعيّاً وصِحّيّاً وغير ذلك.

ولاأبالغ اذا قلتُ: ان الامام الصادق (عليه السّلام) لم يترك جانباً من جوانب الحياة إلاّ وعرَّفه أحسن تعريف، وذكَر له أحسن ما يلزم فِعلُه، وأفضل ما يجب فهمُه.

ولايمكن لأكبر فيلسوف، وأعظم مُرشد، وأكبر مُربٍّ أن يكون إنتاجه الأدَبي والعِلمي بهذا المقدار، مع الإنتباه إلى أن هذه الكميّة من كلماته ـ الطوال منها والقصار ـ هي أقلّ ـ بكثير ـ من الواقع، فمِنَ القطع واليقين ان الكلمات التي لم تسجّلها الأدمغة، ولم تحفظها القلوب هي أكثر بكثير مما

وصَل إلينا.

بالاضافة . . الى أن ما تعرَّض له التراث الشيعيّ ـ من الحرق والتلَف والإبادة ـ يُعتبر من أفظع الفجائع العِلميَّة والفكرية التي مُنِيت بها الأُمّة الاسلامية.

الامام الصادق (عليه السّلام) وقوَّة الشخصيّة والصَّلابة

يمكننا أن ندرس شخصيَّة الامام الصادق (عليه السّلام) من خلال آلاف الأحاديث والنصوص التاريخيّة:

فالامام الصادق (عليه السّلام) إنسان، قويّ الشخصية والروح والنّفْس، أبيُّ الضَّيم، لايضعُفْ ولايلين أمام الحوادث، وَقورٌ في الزلازل، صبور في المكاره، ثابتٌ في عقيدته ومبدئه ثُبوتَ الجبال الرواسي، مستقيمٌ في خطّه (الصراط المستقيم) لاينحرف عنه قيد شعرة مهما كلّفَ الأمر.

وليس معنى ذلك الدكتاتورية أو العناد واللّجاج، بل هو الثَّبات والاستقامة في العقيدة، المطلوبة من كل أحد.

ومن الطبيعي أن الإضطرابات التي تحدث في حياة الإنسان تترك آثاراً غير مطلوبة في روح الإنسان ونفسه، من الضعف والإنهيار، وتغيير الإتّجاه، والتَلَوُّن، وماشابه ذلك.

ولكن الإمام الصادق (عليه السّلام) ـ الذي كان له أوفر نصيب من الإيمان باللّه تعالى ـ لم تؤثّر في نفسيَّته تلك العوامل مهما بلغت في الأهميّة.

قويّ الإيمان بالله (عزّوجلّ) يعتمد على ربّه، ويتوكّل عليه في المخاوف والأخطار التي تهدّد حياته، ويستعين بالدعاء والاستمداد من أقوى مركز للقدرة غير المحدودة، وهي قدرة الله (عزّوجلّ).

ومن الناحية الإجتماعية: يشعر بالمسؤوليَّة أمام كلِّ صغيرة وكبيرة، وكلِّ نقص وخَلَل في المجتمع الاسلامي، فتراه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قولاً وفعلاً، ويَعِظُ الحكّام والولاة والقضاة بكلّ حكمة وحَنَكة.

لاتمنعه هيبة السلطان عن إظهار الحق، وإبطال الباطل، ولايهمّه اذا انخدشت عواطف أصحاب السلطة.

وحينما يسأله الطاغوت: منصور الدوانيقي: لماذا خَلق الله الذُّباب؟ يجيبه الامام: لِيُذلَّ به الجبابرة!!

وحينما يدخل عليه القاضي ابن أبي ليلى وأبو حنيفة ينتهز الامام الفرصة ليذكِّر كلَّ واحدٍ منهما بخطورة القضاء بين الناس وإصدار الفتاوى على خلاف الموازين الشّرعية.

وحينما يُدعى الى مائدة احد قُوّاد المنصور، ويُؤتى بالخمر.. تراه (عليه السّلام) يقوم فوراً ويخرج من دار الرجل، مُعلناً سَخَطه على هذا المنكر..

وإليك الحديث:

الامام الصادق (عليه السّلام) يرفض الجلوس على مائدة فيها الخمر

عن هارون بن الجهم قال: كُنّا مع أبي عبدالله (عليه السّلام) بالحيرة حين قَدِم على أبي جعفر المنصور، فَخَتَنَ بعض القُوّاد إبناً له، وصنع طعاماً ودعا الناس، وكان أبو عبدالله (عليه السّلام) فيمن دُعي، فبينا هو على المائدة يأكل ومعه عِدّة على المائدة، فاستسقى رجل منهم ماءً، فأُتي بِقَدَح فيه شراب [خمر] لهم، فلمّا أن صار القدح في يد الرّجل قام أبو عبدالله (عليه السّلام) عن المائدة، فسُئل عن قيامه؟ فقال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ملعون مَن جَلس على مائدة يُشرب عليها الخمر».

وفي رواية أُخرى: «ملعون ملعون مَن جَلسَ طائعاً على مائدة يُشربُ عليها الخمر»[1].

ان هذا الموقف من الامام الصادق (عليه السّلام) تتجلّى فيه الصلابة والرُّوح الأبيَّة والنفسيّة الجريئة الّتي ترفض مُداهنة العُصاة ومجاملة الطغاة الّذين لايُهمُّهم سوى الفسق والفجوروالرذيلة.

١ـ الكافي: ج٦ ص٢٦٨ ح١.

الامام الصادق (عليه السّلام) في مواجهة الظالمين

عن معاوية بن حكيم قال: حدَّثني عبداللّه بن سلمان[1] التميمي قال: لمّا قُتل محمد وابراهيم إبنا عبداللّه بن الحسن صار الى المدينة رجل يقال له: شيبة بن غفال، ولاّه المنصور [الدوانيقي] على أهلها.

فلمّا قَدِمها، وحضرت الجمعة، صار الى مسجد النبي (صلى اللّه عليه وآله) فرقى المنبر، وحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال:

«أمّا بعد: فإنّ علي بن أبي طالب شقَّ عصا المسلمين! وحارَبَ المؤمنين! وأراد الأمر لنفسه! ومَنَعَه من أهله! فحرمه اللّه عليه امنيَّته! وأماته بِغُصَّته!

وهؤلاء وُلده يتّبعون أثره في الفساد! وطلبِ الأمر بغير استحقاق له! فَهُم في نواحي الأرض مقتولون! وبالدماء مضرَّجون!».

قال: فَعظُم هذا الكلام منه على الناس، ولم يجسر أحد منهم أن ينطق بحرف، فقام إليه رجل، عليه إزار قومسيٌّ سحق[2] فقال:

١ـ في بحار الأنوار: سليمان.

٢ـ في بحار الأنوار: سخين.

«ونحن نحمد اللّه، ونصلّي على محمد خاتم النبيّين وسيّد المرسلين، وعلى رُسل اللّه وأنبيائه أجمعين.

أمّا ما قلت من خيرٍ فنحن أهله، وما قلتَ من سوء فأنت وصاحبك به أولى وأحرى.

يامن ركب غير راحلته، وأكَلَ غير زادِه إرجع مأزوراً».

ثم أقبل على الناس فقال:

«ألا أنبئكم بأخفّ[1] الناس يوم القيامة ميزاناً، وأبيَنهم خسراناً؟ من باع آخرته بِدنيا غيره. وهو هذا الفاسق».

فأسكت الناس، وخرج الوالي من المسجد لم ينطق بحرف.

فسألت عن الرجل؟

فقيل لي: هذا جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (صلوات اللّه عليهم أجمعين)[2].

أقــــول: وهذا الموقف ـ هو الآخر ـ تتجلّى فيه الشجاعة بأجلى صُوَرها.. والتحدّي بأروع مظاهره.

فكم هو عظيم أن يقف المؤمن في وجه الطاغية ويرميه بكلمات دامغة تكسر كبرياءه وتقصم خُيلاءه وتسحق جبروته، فينقلب صاغراً ذليلاً، ولايتجرّأ أن ينطق بحرف واحد؟!

١ـ في بحار الأنوار: بأخلى.

٢ـ أمالي الطوسي: ج١ ص٤٩. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٦٥.

الامام الصادق (عليه السّلام) والشّعر والشعراء

لم يكن من عادة ائمة أهل البيت (عليهم السّلام) الدخول في حقل الشِّعر الاّ يسيراً نادراً، وذلك لمسؤوليّاتهم الكثيرة التي هي أهمّ من الشِّعر. . ، فكان الشّعر على الهامش، فربما قالوا شعراً، وربما تمثّلوا بما قاله بعض الشعراء. . وغير ذلك.

وقد رويتْ عن الامام الصادق (عليه السّلام) ابيات متفرّقة، تتضمَّن الحكمة والموعظة وغيرها.

فمنها: قوله (عليه السّلام):

تعصي الاله وأنت تُظهر حُبَّه ... هذا لَعَمْرُك في الفعال بديعُ

لو كان حُبُّك صادقاً لأطعتَه ... إنّ المحبَّ لمن يُحبُّ مطيعٌ[1]

وله (عليه السّلام):

عِلْمُ المحجّةِ واضحٌ لمريده ... وأرى القلوبَ عن المَحجَّة في عمَى

ولقد عجبتُ لهالكٍ ونجاتُه ... موجودة ولقد عجبتُ لمن نجا[2]

---

١ و٢ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٧٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٤ و٢٥.

وروى الأصمعي له (عليه السّلام):

أثامِن[١] بالنفس النفيسة ربَّها فليس لها في الخَلق كلّهم ثَمَنْ

بها يشترى الجنات إن أنا بعتها بشيء سواها إنَّ ذلكم غَبَنْ

إذا ذهبتْ نفسي بدنيا أصبتُها فقدذهبتْ نفسي وقدذهَب الثَمن[٢]

وقال سفيان الثوري للامام الصادق (عليه السّلام): يابن رسول اللّه اعتزلتَ الناس؟

فقال: يا سفيان: فَسَدَ الزمان وتغيَّر الاخوان، فرأيتُ الانفراد اسكن للفؤاد.

ثم قال:

ذهب الوفاء ذهاب امس الذاهب والناس بين مُخاتلٍ ومواربِ

يُفشون بينهم المودَّة والصَّفَا وقلوبُهم محشوَّةٌ بعقاربَ[٣]

وروى سفيان الثوري له (عليه السّلام):

لا اليُسرُ يطرقنا[٤] يوماً فيبطرنا ولا لأزمةِ دهرٍ نُظهر الجَزَعا

إنْ سرَّنا الدهرُ لم نَبهجْ لصحّته أو ساءنا الدهرُ لم نُظهرْ له الهلَعَا

مِثل النُجوم على مِضمار أوَّلنا إذا تغيّبَ نجمٌ آخَرٌ طَلَعا[٥]

ويروى له (عليه السّلام):

إعْمل على مَهَل فانّك ميّت واخترْ لنفسك أيّها الانسانا

فكأنَّ ما قد كان لم يك إذ مضى وكأنَّ ما هو كائن قد كانا[٦]

١ـ المثامنة: المقاولة في الثمن عند المبايعة. (النهاية).

٢ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٧٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٥.

٣ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٦٠.

٤ـ في بحار الأنوار: يطرؤنا.

٥ و٦ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٧٦. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٥.

ويروى له (عليه السّلام):

في الأصل كنّا نجوماً يُستضاء بنا ... وللبريّة نحنُ اليومَ بُرهانُ
نحن البحورُ الّتي فيها لغائصكم ... دُرٌّ ثمينٌ وياقوتٌ ومرجانُ
مساكنُ القُدس والفردوسِ نملكها ... ونحنُ للقُدس والفردوسِ خُزَّانُ
مَن شَذّ عنَّا فَبرهُوتٌ مَساكنُه ... ومَن أتانا فجنّاتٌ وولدان[1]

وذكروا ان سائلاً سأله حاجة فأسعفه (عليه السّلام) فجعل السائل يشكره فقال (عليه السّلام):

إذا ما طلبتَ خصالَ النَدى ... وقد عَضَّك الدهرُ من جُهده
فلا تطلبنّ إلى كالحٍ ... أصابَ اليسَارة مِن كَدّه
ولكنْ عليك بأهل العُلى ... ومَن وَرث المجدَ عن جَدّه
فذاك إذا جئته طالباً ... تُحبّ اليسارة من جدّه[2]

موقف الامام الصادق (عليه السّلام) من الشِّعر والشعراء

وقد روي عنه (عليه السّلام) التشجيع على نظم الشّعر في أهل البيت (عليهم السّلام) ـ مَدحاً ورثاءً وذكراً لفضائلهم ومناقبهم ودرجاتهم العالية ومقاماتهم السامية عند اللّه سبحانه ـ .

قال (عليه السّلام): «من قال فينا بيت شعر بنى اللّه له بيتاً في الجنة»[3].

١ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٧٦. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٦.
٢ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٧٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٤.
٣ـ بحار الأنوار: ج٢٦ ص٢٣١.

وقال (عليه السّلام): «ما قال فينا قائلٌ بيتَ شِعر حتّى يؤيَّد بروح القُدُس»[1].

وقال الامام الرضا (عليه السّلام): «ما قال فينا مؤمن شِعراً يمدحنا به إلاّ بنى اللّه تعالى له مدينة في الجنّة اوسع من الدنيا سبع مرّات، يزوره فيها كلُّ مَلَك مُقرَّب وكلُّ نبيّ مُرسَل»[2].

أمّا موقفه من الشعراء فكان تابعاً لنوعيَّة شعرهم، فان كان فيما ذكرناه ـ وخاصَّة في رثاء الامام الحسين (عليه السّلام) ـ تلقّاه بالقبول والتأييد والترحيب والدعاء والعطاء المعنويّ والماديّ ـ احياناً ـ للشاعر، وان كان في غيره فلا.

وفيما يلي نذكر بعض النماذج المقبولة عنده (عليه السّلام):

عن زيد الشحام قال: كنّا عند أبي عبدالله (عليه السّلام) ونحن جماعة من الكوفيين فدخل جعفر بن عفان على أبي عبدالله (عليه السّلام) فقرّبه وأدناه ثم قال: يا جعفر.

قال: لبيك جعلني الله فداك.

قال: بلغني انّك تقول الشعر في الحسين (عليه السّلام) وتجيد.

فقال له: نعم جعلني الله فداك.

فقال (عليه السّلام): قل.

فأنشده ومن حوله حتى صارت له الدموع على وجهه ولحيته.

ثم قال: يا جعفر والله لقد شهدك ملائكة الله المقرّبون هاهنا يسمعون قولك في الحسين (عليه السّلام) ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر، ولقد أوجب الله تعالى لك ياجعفر في ساعته الجنة بأسرها وغفر الله لك. فقال: يا جعفر

---

١ و٢ـ بحار الأنوار: ج٢٦ ص٢٣١.

ألا أزيدك!

قال: نعم ياسيدي.

قال: ما من أحد قال في الحسين (عليه السّلام) شعراً فبكى وأبكي به إلاّ أوجب الله له الجنة وغفر له[1].

وعن أبي هارون المكفوف قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السّلام) فقال لي: أنشدني فأنشدته، فقال: لا كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره.

قال: فأنشدته:

امرر على جدث الحسين ... فقل لأعظمه الزكية

قال: فلما بكى أمسكت انا.

فقال: مر، فمررت، قال: ثم قال: زدني زدني.

قال: فأنشدته:

يامريم قومي فاندبي مولاك ... وعلى الحسين فاسعدي ببكاك

قال: فبكى وتهايج النساء.

قال: فلما ان سكتن قال لي: يا أبا هارون من أنشد في الحسين (عليه السّلام) فأبكى عشرة فله الجنة، ثم جعل ينقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد فقال: من أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنة، ثم قال: من ذكره فبكى فله الجنة[2].

وروي عن الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام) قال: كنت عند سيّدنا الصادق (عليه السّلام) إذ دخل عليه أشجع السلمي يمدحه، فوجده عليلاً فجلس وأمسك، فقال له سيّدنا الصادق (عليه السّلام): عَدِّ عن

١ـ اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٥٧٤ ح٥٠٨.

٢ـ كامل الزيارات: ص٢١٠ ح٣٠١.

العلّة، واذكر ما جئت له، فقال له:

ألبسك اللّه منه عافيةً ... في نومك المعتري وفي أرقك

يُخرج من جسمك السقام كما ... أخرج ذلَّ السؤال من عنقك

فقال: ياغلام إيش معك؟

قال: أربعمائة درهم.

قال: أعطها للأشجع.

قال: فأخذها وشكر وولّى.

فقال: ردُّوه.

فقال: ياسيدي سألتُ فأعطيتَ، وأغنيتَ فلم رددتني؟

قال: حدَّثني أبي، عن آبائه، عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) [إنّه] قال: «خير العطاء ما أبقى نعمة باقية» وإن الذي أعطيتك لايُبقي لك نعمة باقية، وهذا خاتمي، فان أُعطيت به عشرة آلاف درهم، وإلا فعد إليَّ وقت كذا وكذا، أُوفك إياها.

قال: ياسيّدي قد أغنيتني، وأنا كثير الأسفار، وأحصل في المواضع المفزعة، فتعلّمني ما آمن به على نفسي.

قال: فإذا خفت أمراً فاترك يمينك على أُمّ رأسك، واقرأ برفيع صوتك: ﴿أفغيرَ دينِ اللّه يَبغُونَ وله اسلَمَ مَن في السّمواتِ والأرضِ طَوعاً وكرهاً وإليه يُرجعون﴾[1].

قال الاشجع: فحصلتُ في واد تعبث فيه الجنّ، فسمعتُ قائلاً يقول: خذوه. فقرأتها، فقال قائل: كيفَ نأخذه، وقد احتجز بآية طيِّبة[2].

١ـ سورة آل عمران آية ٨٣.

٢ـ أمالي الطوسي: ص٢٨١ ح٥٤٦. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣١٠.

مَلامح من السيرة الشخصيَّة للامام الصادق (عليه السّلام)

عن الحسن بن راشد قال: كان أبو عبداللّه (عليه السّلام) اذا صام تطيَّب بالطِّيب ويقول: الطّيب تحفة الصائم[١].

وعن معاوية بن عمّار قال: رأيت أبا عبداللّه (عليه السّلام) يختضب بالحنّاء خضاباً قانياً[٢].

وعن عبداللّه بن عثمان أنه رأى أبا عبداللّه (عليه السّلام) احفى شاربه[٣] حتى اَلصقه بالعسيب[٤].

وعن اسحاق بن عمار قال: حدثني مسلم مولى لأبي عبدالله (عليه السّلام) قال: ترك أبو عبدالله (عليه السّلام) السواك قبل أن يُقبض بسنتين، وذلك أنَّ اسنانه ضعفت[٥].

وعن عمر بن يزيد قال: أتى رجل أبا عبدالله (عليه السّلام) يقتضيه وأنا حاضر فقال له: ليس عندنا اليوم شيء ولكنّه يأتينا خِطْر ووَسْمة[٦] فتباع ونُعطيك إن شاءالله، فقال له الرجل: عِدْني، فقال: كيف اعِدك وأنا لما لا أرجو أرجى منّي لما أرجو[٧].

١ـ الكافي: ج٤ ص١١٣ ح٣.

٢ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٤٦.

٣ـ أحفى شاربَه: بالغ في أخذه واستقصى قَصَّه (أقرب الموارد).

٤ـ الكافي: ج٦ ص٤٨٧ ح٩ والعسيب: منبت الشعر (مجمع البحرين).

٥ـ علل الشرايع: ص٢٩٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٧.

٦ـ الخِطر: نبات يختضب به. والوَسْمة: ورق النيل، أو نبات يختضب بورقه (أقرب الموارد).

٧ـ الكافي: ج٥ ص٩٦ ح٥.

وروي أن الامام الصادق (عليه السّلام) كان يتصدَّق بالسُّكَّر، فقيل له: أتتصدَّق بالسُّكَّر؟!

فقال: نَعم، إنه ليس شيء أحبّ اليَّ منه، فأنا أُحبّ أن أتصدَّق بأحبّ الأشياء اليَّ[١].

وعن مرازم بن حكيم قال: أمر أبو عبدالله (عليه السّلام) بكتاب في حاجة فكُتب، ثم عُرض عليه ولم يكن فيه استثناء فقال: كيف رجوتم أن يَتمُّ هذا وليس فيه استثناء؟!

انظروا كلَّ موضع لايكون فيه استثناء فاستثنوا فيه[٢].

أقول: المقصود من الاستثناء هو قول: إنْ شاء اللّه، أو: الاّ أن يشاء اللّه، وما في هذا المعنى.. كما قال تعالى: ﴿ولاتقولنَّ لشيء إنّي فاعِلٌ ذلكَ غداً * إلاّ أنْ يشاء اللّه﴾[٣].

وهذا يدلّ على لزوم تفويض الانسان اموره الى اللّه سبحانه وتعليقها بالمشيئة الالهيَّة.

والامام الصادق (عليه السّلام) ـ من خلال هذا الحديث الشريف ـ يؤكّد على ضرورة الالتزام بذكر المشيئة الالهيّة في العهود والمواعيد ومانريد أن نقوم به في المستقبل، القريب أو البعيد، حتى في مجال الرسائل والكتب التي نكتبها الى هذا وذاك.

وفي هذا اعظم الدرس على أن العبد لايملك لنفسه نَفعاً ولا ضرّاً، وأن الامور كلّها بيد الخالق العليم، سبحانه وتعالى.

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٥٣.

٢ـ الكافي: ج٢ ص٦٧٣ ح٧.

٣ـ سورة الكهف آية ٢٣ و ٢٤.

الامام الصادق (عليه السّلام) والحكمة في التصرُّف

الحكمة في التصرُّف ـ أو: التصرُّف الحكيم ـ من الامور التي تدلّ على سموّ عقل الانسان ونُضجه ورُشده.

والقرآن الكريم يدعو الى ذلك بقوله عزّوجلّ: ﴿إدْفَعْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إلاّ الَّذينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إلاّ ذُو حَظٍّ عَظيم﴾[1].

من هنا.. فان استخدام الطُرق السلميَّة الناجعة ـ لحلّ المشاكل أو الوصول الى الهدف ـ اولى وأولى من استخدام الطُرق الخشنة والحادَّة.. التي يتسرَّع الناس إليها عادةً.

وفي حياة الامام الصادق (عليه السّلام) نقرأ عشرات القصص والأحاديث التي تحكي تصرُّف الامام (عليه السّلام) مع الناس بالحكمة والموعظة الحَسنة وبالّتي هي أحسن.

١ـ سورة فصّلت آية ٣٤ و٣٥.

وإليك هذا الحديث:

عن محمد بن مرازم، عن أبيه قال: خرجنا مع أبي عبدالله (عليه السّلام) حيث خرج من عند أبي جعفر المنصور من الحيرة فخرج ساعة أذن له وانتهى إلى السالحين في أول الليل فعرض له عاشرٌ كان يكون في السالحين في أوّل الليل، فقال له: لا أدعك أن تجوز، فألحّ عليه وطلب إليه، فأبى إباءاً ـ وأنا ومصادف معه ـ فقال له مصادف: جعلت فداك إنّما هذا كلب قد آذاك وأخاف أن يردّك وما أدري ما يكون من أمر أبي جعفر[1] وأنا ومرازم[2] أتأذن لنا أن نضرب عنقه، ثم نطرحه في النهر.

فقال: كفّ يا مصادف، فلم يزل يطلب إليه حتى ذهب من الليل أكثره فأذن له فمضى.

فقال: يا مرازم هذا خير أم الذي قلتماه؟

قلت: هذا جعلت فداك.

فقال: إن الرجل يخرج من الذّل الصغير فيُدخله ذلك في الذُّلّ الكبير[3].

توضيح الحديث: الظاهر أن الامام الصادق (عليه السّلام) خَرج من عند المنصور الطاغية آخر النهار، ويبدو أن المنصور لم يأذن له في الخروج قبل ذلك.

فوصَل الامام (عليه السّلام) في أوَّل اللَّيل الى موضع يسمّى بـ: السالحين، وكان بمثابة نقطة تفتيش ـ على اصطلاح اليوم ـ فلم يأذن له

١ـ أي المنصور.

٢ـ أي نكون معك.

٣ـ الكافي: ج٨ ص٨٧ ح٤٩.

الجمركي أو الشرطي المسؤول هناك في مواصلة الطريق، وكلّما الحَّ عليه الامام.. رَفَض ذلك الرجل.

فاقترح مُصادف ـ غلام الامام ـ على الامام أن يقوم هو وصاحبه مرازم بقتله، كي يتسنّى لهم السفر.. فلم يأذن له الامام (عليه السّلام).

حتى اذا ذهب من الليل اكثره.. أذِنَ لهم بالسَفر، فخرجوا.

ثم قال الامام (عليه السّلام) لمرازم: هذا خيرٌ أم الذي قلتماه؟!

أي: لقد اردتما قتْلَ الرجل.. ومن الواضح ان المسألة سوف لاتتوقف عند هذا الحدّ، بل قد تتطوَّر، وتبحث الحكومة عن خيوط هذه القضيَّة.. وتقوم القيامة على المنصور إذا عرف القاتل ومن كان معه!!

ان المنصور كان يُلحق الأذى بالامام والامام لم يفعل شيئاً، فكيف اذا اتُّهم بقتل احد افراد حكومته.. تراه ماذا كان يصنع؟!

فهل اقتراح قتْل الرجل كان افضل.. أم التصرُّف الحكيم الذي حلَّ القضيّة بلا مشاكل؟!!

ولذلك قال (عليه السّلام): «إن الرجل يخرج من الذُلّ الصغير فيُدخله ذلك في الذلّ الكبير».

بالاضافة الى أنَّ ذلك الرجل لم يفعل مايستحقُّ به القتل، فكيف يجوز قتله؟!!

الإمام الصادق (عليه السّلام) في أرض الغدير

عن حسّان الجمّال قال: حَملتُ أبا عبدالله (عليه السّلام) من المدينة الى مكة، قال: فلمّا انتهينا الى مسجد الغدير نَظر في ميسرة المسجد فقال: ذاك مَوضع قَدم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حيث قال: «من كنت مولاه فعليٌ مولاه، اللّهمَّ وال مَن والاه وعادِ مَن عاداه» ثم نَظر في الجانب الآخر فقال: هذا مَوضع فُسطاط أبي فلان وفلان وسالم ـ مولى أبي حُذيفة ـ وأبي عبيدة بن الجرّاح، فلمّا أن رأوه رافعاً يده قال بعضهم: أُنظروا الى عينيه تدوران كأنهما عينا مجنون!!

فنزل جبرئيل بهذه الآية: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[1] .

ثم قال: يا حسّان لولا انك جَمّالي لما حدَّثتك بهذا الحديث[2] .

١ـ سورة القلم آية ٥١ و٥٢ .

٢ـ التهذيب: ج٣ ص٢٦٣ ح٧٤٦ .

الامام الصادق (عليه السّلام) في أرض عرفات

عن عَمرو بن أبي المقدام قال: رأيتُ ابا عبدالله (عليه السّلام) يوم عرفة بالموقف، وهو ينادي بأعلا صوته:

«أيّها الناس: إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان الامام، ثم كان علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم هَه».

فينادي ثلاث مرات لمن بين يديه وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه، اثني عشر صوتاً.

وقال عمرو: فلمّا اتيتُ منى سألتُ اصحاب العربيَّة عن تفسير: «هَه»؟ فقالوا: هَه لغةُ بني فلان: أنا فاسألوني.

قال: ثم سألتُ غيرهم أيضاً من أهل العربية، فقالوا مثل ذلك[1].

١ـ الكافي: ج٤ ص٤٦٦ ح١٠.

هيبة الدولة وهيبة الدين

إنّ السلاطين ـ بما لهم من القدرة، والخدم والجيش والإمكانات ـ ورؤساء القبائل والعشائر ـ بما لهم من أفراد القبيلة والعشيرة ـ تتوفّر فيهم الهيبة والعزّة ما دامت لهم السلطة والرئاسة، فاذا عُزِلوا عن الحكم أو الرئاسة زالت هيبتهم، لأن الهيبة حالة تورث الإحساس بالخوف في الرائي، فيُوقّر السلطان أو الرئيس ويُعظِّمه، وهذه هيبة دنيويَّة إصطناعيَّة، محدودة، مستعارة.

لأن تلك الهيبة وليدة التكبر والأُبُّهة، وعدم الإنبساط مع الناس، وكثرة الحُجّاب والحرس، وكثرة البطش والفتك بالناس.

وقد يستعين هؤلاء بملابسهم الخاصة التي تميّزهم عن غيرهم.

ولكنْ وَرد في الحديث: «واذا أردتَ عِزاً بلاعشيرة، وهيبة بلاسلطان، فاخرج من ذُلّ معصية اللّه الى عزّ طاعة الله عزّوجلّ»[1].

وهذه الهيبة مَنَحها الله تعالى لأوليائه وفي طليعتهم محمد وآل محمد

١ـ بحار الأنوار: ج٤٤ ص١٣٩ ضمن حديث ٦.

(صلوات الله عليهم أجمعين) ومنهم: الامام الصادق (عليه السّلام) فانه كان يتمتَّع بأوفر نصيب من الهيبة والجلالة، عند الصديق والعدوّ، والمؤالِف والمخالف، بالرغم من تواضعه مع الناس، وانبساطه لهم في الكلام. وبالرغم من خُلوِّه (عليه السّلام) عن قدرة السلاطين وجيوشهم وامكاناتهم.

وقد ذكرنا في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) في تراجم بعض أصحابه، كيف كانت تستولي عليهم حالة الخوف والإرتباك حينما كانوا يقابلون الامام من هيبته.

حتى قال الامام الصادق (عليه السّلام) ـ لعبدالكريم ابن أبي العوجاء ـ: فما يمنعك من الكلام؟

فقال: إجلال لك، ومهابة، ما ينطق لساني بين يديك، فاني شاهدتُ العلماء، وناظرتُ المتكلِّمين فما تداخلني هيبة قطّ مثل ما تداخلني من هيبتك.... الى آخر كلامه.

نعم، تلك هي الهيبة الذاتيَّة، التي لاتزول، ولايزيلها التواضع، وحُسن الخلق، والانبساط والبشاشة.

تلك هيبة يمنحها اللّه من يخافه، لأن مَن خاف اللّهَ أخاف اللّهُ منه كلّ شيء، ومَن لم يخف اللّه أخافه اللّه من كلِّ شيء.

الامام الصادق (عليه السّلام) ينصح أحد القُضاة

كان الامام الصادق (عليه السّلام) ينتهز الفُرص لفتح الحوار مع علماء المذاهب الاخرى وقُضاتهم، وذلك محاولة منه لاستمالتهم نحو الحق وارشادهم الى الصراط المستقيم.

وقد ذكرنا ـ في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) ـ الكثير من المباحثات والمناقشات التي دارت بين الامام الصادق (عليه السّلام) وقضاة العامّة وعلمائهم، حول الامامة وغيرها.

وفيما يلي نذكر هذا الحوار الذي تتجلّى فيه قوَّة الحُجَّة عند الامام (عليه السّلام) وعدم الحُجَّة عند الطَرَف الآخر:

عن سعيد بن أبي الخضيب[1] قال: دخلت أنا وابن أبي ليلى المدينة، فبينما نحن في مسجد الرسول (صلّى اللّه عليه وآله) إذ دخل جعفر بن محمد (عليه السّلام)، فقمنا إليه فسألني عن نفسي وأهلي، ثمّ قال: من هذا معك؟

١ـ في بحار الأنوار: سعيد بن ابي الخصيب [وهو تصحيف].

فقلت: ابن أبي ليلى قاضي المسلمين.

فقال (عليه السّلام) له: أنت ابن أبي ليلى قاضي المسلمين؟

فقال: نعم.

ثمّ قال له: أتأخذ مال هذا فتعطيه هذا؟ وتفرِّق بين المرء وزوجه ولاتخاف في هذا أحداً؟

قال: نعم.

قال: فبأيِّ شيء تقضي؟

قال: بما بلغني عن رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله)وعن أبي بكر وعمر.

قال: فَبلغَك أنَّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) قال: أقضاكم عليٌّ بعدي؟

قال: نعم.

قال: فكيف تقضي بغير قضاء عليّ (عليه السّلام) وقد بلغك هذا!؟

فما تقول اذا جيء بأرض من فضّة وسماوات من فضّة، ثم أخذ رسول اللّه بيدك فاوقفك بين يَدي ربّك وقال: ياربّ ان هذا قضى بغير ماقضيتُ؟!!

قال: فاصفرَّ وجه ابن أبي ليلى [حتى عاد مثل الزعفران].

ثمّ قال لي: التمس لنفسك زميلاً، فواللّه لا أُكلّمك من رأسي كلمة أبداً[1].

١ـ لقد ذُكرتْ هذه المناظرة في مصادر متعددة، مع اختلاف يسير، وقد جمعناها من مصادر متعددة، راجع التهذيب للشيخ الطوسي: ج٦ ص٢٢٠ ح٥٢١، والاحتجاج: ص٣٥٣. وبحار الانوار: ج٤٧ ص٣٣٤.

أقـــول: حديث: «اقضاكم علي» رواه جمع كثير من المؤرّخين والمحدِّثين، بالفاظ مختلفة، واسانيد متعددة:

منها: قوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «اقضاكم علي»[١].

ومنها: قوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «اقضى أُمَّتي علي»[٢].

ومنها: قوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «اقضى أُمَّتي علي بن أبي طالب» وغيرها[٣].

١ـ تاريخ ابن خلدون: ج١ ص٢٤٦.

٢ـ سبل الهدى: ج١١ ص٢٤١.

٣ـ المناقب للخوارزمي: ص٤٨.

أبو حنيفة
بين يَدي الامام الصادق (عليه السّلام)

كان النعمان بن ثابت ـ المعروف بأبي حنيفة ـ من المنحرفين عن أهل البيت (عليهم السّلام) فكراً وعقيدةً وعملاً، ولكنه ـ مع ذلك ـ كان يستأذن على الامام الصادق (عليه السّلام) ويجلس اليه ويستمع الى حديثه (عليه السّلام) ويتعلَّم منه، ايماناً منه بعظمة الامام وعلمه الواسع.

وربما ناظره الامام الصادق (عليه السّلام) وحاول إرشاده الى الحق من خلال نهْيه عن القياس في الدين وغير ذلك.

وربما استخدم المنصور الدوانيقي ابا حنيفة لطرح المسائل الصَّعبة على الامام الصادق (عليه السّلام) محاولةً منه لإطفاء نور اللّه الذي أبى إلاّ أن يتمَّه.

واليك بعض ماجاء في هذا المجال:

ذكر أبو القاسم البغّار في مسند أبي حنيفة: قال الحسن بن زياد: سمعتُ أبا حنيفة ـ وقد سُئل: مَن افقه مَن رأيت؟ ـ قال: جعفر بن محمد،

لمّا اقدمه المنصور بعث اليَّ فقال: يا أبا حنيفة إن الناس قد فُتنوا بجعفر بن محمد، فهيِّئ له من مسائلك الشِداد، فهيّأتُ له أربعين مسألة، ثم بَعث اليَّ أبو جعفر ـ وهو بالحيرة ـ.

فأتيته فدخلتُ عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلمّا بَصُرتُ به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر (المنصور) فسلّمتُ عليه فأومأ اليَّ فجلستُ، ثم التفتَ اليه فقال: يا أبا عبداللّه هذا أبو حنيفة.

قال (عليه السّلام): نعم اعرفه.

ثم التفت اليَّ فقال: يا أبا حنيفة ألقِ على أبي عبداللّه من مسائلك.

فجعلتُ أُلقي عليه فيجيبني فيقول: انتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا. فربّما تابَعنا وربّما تابَعهم، وربّما خالَفَنا جميعاً.

حتى اتيتُ على الأربعين مسألة، فما اخَلَّ منها بشيء.

ثم قال أبو حنيفة: أليس أن اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس؟![1].

وذُكر أن أبا حنيفة اكل طعاماً مع الامام الصادق جعفر بن محمد (عليه السّلام) فلمّا رَفع (عليه السّلام) يده من أكله قال: «الحمد للّه ربّ العالمين، اللهم إن هذا منك ومن رسولك».

فقال أبو حنيفة: يا أبا عبداللّه اجعلتَ مع اللّه شريكاً؟!

فقال له: ويلك إن اللّه تعالى يقول في كتابه: ﴿وما نَقَموا إلاّ أنْ اغناهم اللّهورسولُه من فضله﴾[2].

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢١٧ عن المناقب ج٣ ص٣٧٨.

٢ـ سورة التوبة آية ٧٤.

ويقول ـ في موضع آخر ـ : ﴿ولو أنَّهم رَضُوا ما آتاهم اللّه ورسولُه وقالوا حَسْبنا اللّه سيؤتينا اللّه من فَضله ورسولُه﴾[1] .

فقال أبو حنيفة: واللّهِ لَكأنِّي ما قرأتُهما قَطّ من كتاب اللّه ولاسمعتهما الاّ في هذا الوقت!!

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): بلى قد قرأتهما وسمعتَهما، ولكنَّ اللّه تعالى أنزل فيك وفي أشباهك: ﴿أم على قلوب أقفالها﴾[2] .

وقال: ﴿كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[3و4] .

وعن عبدالرحمن بن سالم عن أبيه قال: لّما قَدِم أبو عبداللّه (عليه السّلام) الى أبي جعفر [المنصور] فقال أبو حنيفة لنفرٍ من أصحابه: انطلقوا بنا الى إمام الرافضة نسأله عن أشياء نحيِّره فيها!!

فانطلقوا، فلمّا دخلوا عليه نَظر اليه أبو عبداللّه (عليه السّلام) فقال: اسألك باللّه يانعمان لّما صدَّقتني عن شيء أسألك عنه، هل قلتَ لأصحابك: مُرُّوا بنا الى امام الرافضة فنحيِّره؟!!

فقال: قد كان ذلك.

قال (عليه السّلام): فسلْ ما شئتَ، . . . الى آخر الخبر[5] .

وعن عيسى بن عبداللّه القرشي قال: دخل أبو حنيفة على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقال له: يا أبا حنيفة! بلغني أنك تقيس؟

١ـ سورة التوبة آية ٥٩ .

٢ـ سورة محمّد ﷺ آية ٢٤ .

٣ـ سورة المطفّفين آية ١٤ .

٤ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٤٠ . عن كنز الفوائد للكراجكي: ص١٩٦ .

٥ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٣٠ . عن المناقب: ج٤ ص٢٢٦ .

قال: نعم.

قال: لاتقِسْ فان أوّل من قاس إبليس حين قال: خلقتني من نارٍ وخلقته من طينٍ.

فقاس ما بين النار والطّين، ولو قاس نوريّة آدم بنوريّة النار عرف فَضْل مابين النورَين وصفاء أحدهما على الآخر[1].

وعن محمد بن مسلم قال: دَخل أبو حنيفة على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقال له: إنّي رأيتُ ابنك موسى يُصلّي والنّاس يمرُّون بين يديه فلاينهاهم، وفيه مافيه.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): ادعُ لي موسى، فلمّا جاءه قال: يابُني إن أبا حنيفة يذكر أنك تصلّي والناس يمرُّون بين يديك فلاتنهاهم.

قال: نعَم يا أبة إن الذي كنتُ أصلّي له كان أقرب إليّ منهم، يقول اللّه تعالى: ﴿ونحنُ أقرب إليه مِن حَبْل الوريد﴾[2].

قال: فضمّه أبو عبداللّه (عليه السّلام) الى نفسه وقال: بأبي أنت وأمي يامُودَعَ الأسرار.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): يا أبا حنيفة القتل عندكم أشدّ أم الزنا؟

فقال: بل القتل.

قال: فكيف أمر اللّه في القتل بشاهدين وفي الزنا بأربعة؟

كيف يُدرَك هذا بالقياس؟

يا أبا حنيفة: تركُ الصلاة أشدّ أم تركُ الصيام؟

١ـ الكافي: ج١ ص٥٨ ح٢٠.

٢ـ سورة ق آية ١٦.

قال: بل ترك الصلاة.

قال: فكيف تقضي المرأة صيامها ولاتقضي صلاتها؟!!

كيف يُدرَك هذا بالقياس؟

ويحك ـ يا أبا حنيفة ـ النساء أضعفُ على المكاسب أم الرّجال؟

قال: بل النساء.

قال: فكيف جَعل اللّه للمرأة سَهْماً وللرّجل سَهمين؟

فكيف يُدرَك هذا بالقياس؟

يا أبا حنيفة الغائط أقذر أم المني؟

قال: بل الغائط.

قال: فكيف يُستنجى من الغائط ويُغتسل من المني؟

كيف يُدرَك هذا بالقياس؟

ويحك ـ يا أبا حنيفة ـ تقول سأُنزِلُ مثلَ ما أنزل اللّه؟

قال: أعوذ باللّه أن أقوله.

قال: بلى تقوله أنت وأصحابك من حيث لاتعلمون.

قال أبو حنيفة: جُعلت فداك حدِّثني بحديث نحدِّث به عنك.

قال: حدَّثني أبي محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن جدّه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب (صلوات اللّه عليهم أجمعين) قال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله): «إنّ اللّه أخذ ميثاق أهل البيت مِن أعلى علِّيين وأخذ طينة شيعتنا منّا، ولو جَهِد أهلُ السماء وأهل الأرض أن يغيِّروا من ذلك شيئاً ما استطاعوه».

قال: فبكى أبو حنيفة بكاء [شديداً] وبكى أصحابه، ثم خرج

وخرجوا[١].

وعن الحارث بن التيِّهان قال: قال لي ابن شبرمة: دخلتُ أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد (عليهما السّلام) فسلَّمتُ عليه وكنتُ له صديقاً، ثم أقبلتُ على جعفر فقلتُ: اَمتع اللّه بك، هذا رجلٌ من أهل العراق له فقه وعقل.

فقال له جعفر (عليه السّلام): لعلّه الذي يقيس الدين برأيه؟

ثم أقبل عليَّ فقال: هذا النعمان بن ثابت؟

فقال أبو حنيفة: نعم اصلحك اللّه تعالى.

فقال (عليه السّلام): اتَّق اللّه ولاتقس الدين برأيك، فإنَّ أوّل من قاس إبليس إذ أمَره اللّه بالسجود، فقال: ﴿أنا خيرٌ منه خَلقتني من نار وخلقته من طين﴾.

ثم قال له جعفر (عليه السّلام): هل تُحسنُ أن تقيس رأسك من جَسدك؟

قال: لا.

قال: فاخبِرني عن الملوحة في العينين، وعن المرارة في الأُذُنين، وعن الماء في المنْخرين، وعن العُذوبة في الشَّفَتين، لأيِّ شيء جُعل ذلك؟

قال: لا أدري.

قال جعفر (عليه السّلام): إن اللّه (عزّوجلّ) خَلق العينين فجَعلَهما شحمتين وجعل الملوحة فيهما مَنّاً منه على ابن آدم ولولا ذلك لذابتا، وجَعل المرارة في الأذنين مَنّاً منه على ابن آدم ولولا ذلك لقمَّت الدواب فأكلتْ دماغه، وجَعل الماء في المنخرين ليصعد النَّفَس وينزل ويجد منه

١ـ الاختصاص للشيخ المفيد: ص١٨٩. منه بحار الأنوار: ج١٠ ص٢٠٤.

الرِّيح الطيّبة من الرِّيح الرديَّة، وجعل (عزّوجلّ) العُذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم لذّة طعمه وشُربه.

ثم قال له جعفر (عليه السّلام): أخبِرني عن كلمةٍ أوَّلها شِركٌ وآخرها ايمان.

قال: لا أدري.

قال: لا إله إلاّ اللّه.

ثم قال له: أيّما أعظم عند اللّه (عزّوجلّ): قتل النفس أو الزنا؟

قال: بل قتل النفس.

قال له جعفر (عليه السّلام): فان اللّه تعالى قد رَضي في قتل النفس بشاهدين ولم يقبل في الزنا إلاّ بأربعة.

ثم قال له: أيُّما أعظم عند اللّه: الصوم أم الصلاة؟

قال: لا بل الصلاة.

قال: فما بال المرأة اذا حاضت تقضي الصيام ولاتقضي الصلاة؟!!

إتَّق اللّه يا عبداللّه، فانّا نحن وأنتم غداً ومَن خَالفنا بين يدَي اللّه (عزّوجلّ) فنقول: قلنا: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وتقول أنت وأصحابك: حدَّثَنا ورَوَينا، فيفعل بنا وبكم ما شاءاللّه (عزّوجلّ)[1].

وفي رواية اخرى: ان الامام الصادق (عليه السّلام) قال لأبي حنيفة ـ لمّا دَخل عليه ـ: من أنت؟

قال: أبو حنيفة.

قال (عليه السّلام): مُفتي أهل العراق؟

قال: نعم.

١ـ أمالي الطوسي: ص٦٤٥ ح١٣٣٨ الطبعة الحديثة.

قال: بما تفتيهم؟

قال: بكتاب اللّه.

قال (عليه السّلام): وإنّك لَعالِمٌ بكتاب اللّه ناسخه ومنسوخه ومُحْكمه ومتشَابَهه؟

قال: نعم.

قال: فأخبرني عن قول اللّه (عزّوجلّ): ﴿وَقَدَّرنا فيها السَّيرَ سِيروا فيها ليالي وأيّاماً آمنين﴾[1] أيّ موضع هو؟

قال أبو حنيفة: هو مابين مكّة والمدينة.

فالتفت أبو عبداللّه (عليه السّلام) الى جلسائه وقال: نَشدتُكم باللّه هل تسيرون بين مكّة والمدينة ولاتأمنون على دمائكم من القتل وعلى أموالكم من السرق؟

فقالوا: اللّهم نعم.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): ويحك يا أبا حنيفة إنّ اللّه لايقول إلاّ حقّاً، أخبِرني عن قول اللّه (عزّوجلّ): ﴿ومَن دَخَله كان آمناً﴾[2]، أيّ موضع هو؟

قال: ذلك بيت اللّه الحرام، فالتفت أبو عبداللّه (عليه السّلام) إلى جلسائه وقال: نشدتكم باللّه هل تعلمون أن عبداللّه بن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه فلم يأمنا القتل؟

قالوا: اللهم نعم.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): ويحك يا أبا حنيفة إنّ اللّه لايقول

١ـ سورة سبأ آية ١٨.

٢ـ سورة آل عمران آية ٩٧.

إلاّ حقّاً.

فقال أبو حنيفة: ليس لي علم بكتاب اللّه، إنّما أنا صاحبُ قياس.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): فانظر في قياسك إن كنت مقيساً أيُّما أعظم عند اللّه القتل أو الزنا؟

قال: بل القتل.

قال: فكيف رضي في القتل بشاهدين ولم يرض في الزنا إلاّ بأربعة؟

ثم قال له: الصلاة أفضل أم الصيام؟

قال: بل الصلاة أفضل.

قال (عليه السّلام): فيجب ـ على قياس قولك ـ على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام، وقد أوجب اللّه تعالى عليها قضاء الصوم دون الصلاة.

[ثمّ] قال له: البول أقذر أم المنيّ؟

قال: البول أقذر.

قال (عليه السّلام): يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المنيّ وقد أوجب اللّه تعالى الغسل من المنيّ دون البول.

قال: إنّما أنا صاحب رأي.

قال (عليه السّلام): فما ترى في رجل كان له عبدٌ فتزوّج وزوَّج عبْدَه في ليلة واحدة فدخلا بإمرأتيهما في ليلة واحدة، ثمّ سافرا وجَعلا امرأتيهما في بيتٍ واحد فولدتا غُلامَين، فسَقط البيت عليهم فَقَتل المرأتين وبقي الغلامان، أيّهما ـ في رأيك ـ المالك وأيّهما المملوك؟ وأيّهما الوارث وأيّهما الموروث؟

قال: إنّما أنا صاحب حدود!

قال: فما ترى في رجل أعمى فَقأ عينَ صحيح، وأقطع[1] قَطَع يد رجل كيف يقام عليهما الحدّ؟

قال: إنّما أنا رجلٌ عالِمٌ بمباعث الأنبياء!

قال: فأخبرني عن قول اللّه تعالى لموسى وهارون ـ حين بَعثَهما إلى فرعون ـ: ﴿لعلّه يتذكّر أو يخشى﴾[2]. و«لعلّ» منك شك؟

قال: نعم.

قال: فكذلك من اللّه شكّ إذ قال: لعلّه؟

قال أبو حنيفة: لا علم لي!

قال (عليه السّلام): تزعم أنّك تُفتي بكتاب اللّه ولستَ ممّن وَرثَه، وتزعم أنّك صاحب قياس وأوّل من قاس إبليس، ولم يُبْنَ دينُ الإسلام على القياس، وتزعم أنّك صاحب رأي وكان الرأي من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) صواباً ومن دونه خَطأً، لأنّ اللّه تعالى قال: ﴿لِتَحْكُم بينَ الناسِ بما أراكَ اللّه﴾[3]. ولم يقُل ذلك لغيره، وتزعم أنّك صاحب حدود ومَن أُنزلت عليه أولى بعِلمها منك، وتزعم أنّك عالِمٌ بمباعث الأنبياء ولَخاتم الأنبياء أعلم بمباعثهم منك، ولولا أن يقال دخل على ابن رسول اللّه فلم يسأله عن شيء ما سألتك عن شيء، فقس إن كنتَ مقيساً.

قال أبو حنيفة: لا أتكلّم بالرأي والقياس في دين اللّه بعد هذا المجلس.

قال: كلاّ إنّ حبّ الرئاسة غير تاركك كما لم يترك من كان

١ـ الأقطع: مقطوع اليد.

٢ـ سورة طه آية ٤٤.

٣ـ سورة النساء آية ١٠٥.

قَبلك. . . » الى آخر الحديث[١].

أقول: انّما طَرح الامام الصادق (عليه السّلام) هذه المسائل على أبي حنيفة ليُثبت له عجزه عن استنباط الأحكام الشرعية وجهلَه بتفسير الآيات القرآنية، وأن الطريق في ذلك كلِّه منحصر في الرجوع الى الامام المعصوم الحق، الذي نصَّ عليه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ووَرث علوم جدِّه المصطفى الأمين.

وعن أبي زهير بن شبيب بن أنس، عن بعض أصحابه، قال: كنت عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) اذ دخل عليه غلام من كندة فاستفتاه في مسألة فأفتاه فيها، فعرفتُ الغلام والمسألة، فقدمتُ الكوفة فدخلتُ على أبي حنيفة، فاذا ذاك الغلام بعينه يستفتيه في تلك المسألة بعينها فأفتاه فيها بخلاف ما أفتاه أبو عبداللّه (عليه السّلام)، فقمتُ إليه فقلت: ويلك يا أبا حنيفة إنّي كنتُ العام حَاجّاً فأتيت أبا عبداللّه (عليه السّلام) مُسلّماً عليه فوجدتُ هذا الغلام يستفتيه في هذه المسألة بعينها فأفتاه بخلاف ما أفتيته.

فقال: وما يعلم جعفر بن محمد؟!! أنا أعلم منه، أنا لقيتُ الرجال وسمعتُ من أفواههم، وجعفر بن محمد صُحفيّ أخَذَ العلم من الكتب.

فقلت في نفسي: واللّهِ لأحجَّنَّ ولو حَبْواً.

قال: فكنت في طلب حجّة فجاءتني حجّة فحججتُ فأتيت أبا عبداللّه (عليه السّلام) فحكيتُ له الكلام فضحك ثمّ قال: أمّا في قوله: إنّي رجل صحفي فقد صَدق، قرأتُ صُحف آبائي إبراهيم وموسى.

فقلت له: ومَن له بمثل تلك الصحف؟!!

قال: فما لبثتُ أنْ طَرقَ الباب طارق ـ وكان عنده (عليه السّلام)

١ـ الاحتجاج: ص٣٦٠. منه بحار الأنوار: ج٢ ص٢٨٧.

جماعة من أصحابه ـ فقال للغلام: انظر من ذا؟ فرجع الغلام فقال: أبو حنيفة.

قال: أَدخله. فدخَل فسلّم على أبي عبدالله (عليه السّلام) فردّ عليه السّلام، ثمّ قال: أصلحك الله أتأذن لي في القعود؟

فأقبل (عليه السّلام) على أصحابه يُحدِّثهم ولم يلتفت إليه. ثمّ قال الثانية والثالثة فلم يلتفت إليه، فجلس أبو حنيفة من غير إذنه، فلمّا علم أنّه قد جلس التفت إليه فقال: أين أبو حنيفة؟

فقيل: هو ذا، أصلحك الله.

فقال: أنت فقيه أهل العراق.

قال: نعم.

قال: فبما تفتيهم؟

قال: بكتاب الله وسنّة نبيّه.

قال: يا أبا حنيفة تَعرف كتاب الله حقّ معرفته وتعرف الناسخ والمنسوخ؟

قال: نعم.

قال: يا أبا حنيفة ولقد إدّعيت علِماً، ويلك ماجَعل الله ذلك إلاّ عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويلكَ ولا هو إلاّعند الخاص من ذريّة نبيّنا (صلّى الله عليه وآله)، وما وَرَّثك الله من كتابه حَرفاً، فإن كنتَ كما تقول ـ ولستَ كما تقول ـ فأخبَرني عن قول الله(عزّوجلّ): ﴿سيروا فيها ليالي وأيّاماً آمنين﴾[1]. أين ذلك من الأرض؟

قال: أحسبه مابين مكّة والمدينة.

١ـ سورة سبأ آية ١٨.

فالتفت أبو عبدالله (عليه السّلام) الى أصحابه فقال: تعلمون أنّ الناس يُقطع عليهم بين المدينة ومكّة فتؤخذ أموالهم ولايأمنون على أنفسهم ويُقتلون؟

قالوا: نعم.

قال: فسكت أبو حنيفة...» الى آخر الحديث وهو قريب من الحديث السابق[1].

وجاء أبو حنيفة اليه ليسمع منه، وخرج الامام يتوكّأ على عَصا، فقال له أبو حنيفة: يابن رسول الله ما بلغتَ من السِّن ما تحتاج معه الى عصا.

قال (عليه السّلام): هو كذلك، ولكنها عصا رسول الله اردتُ التبرُّك بها.

فوَثب أبو حنيفة اليه وقال له: أُقبِّلها يابن رسول الله.

فَحسَر أبو عبدالله (عليه السّلام) عن ذراعه وقال له: واللهِ لقد علمتَ أنَّ هذا بَشَر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأنّ هذا من شَعره، فما قبَّلته وتُقبِّل عصا؟![2].

١ـ بحار الأنوار: ج٢ ص٢٩٢.

٢ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٨.

مالك بن أَنَس
بين يَدي الامام الصادق (عليه السّلام)

مالك بن أنس ـ إمام المذهب المالكي وفقيه المدينة ـ كان يستأذن على حجة الله: الامام الصادق (عليه السّلام) ويجلس بين يديه بكلّ تواضع وادَب، وينهل من منهل علومه.

وله كلمات رائعة يصف بها الامام الصادق (عليه السّلام) ويحكي جانباً من سيرته الشريفة واخلاقه الرفيعة وسلوكه الطيّب وشخصيّته الالهيَّة الفذَّة.

عن محمّد بن زياد الأزدي قال: سمعت مالك بن أنس فقيه المدينة يقول: كنت أدخل إلى الصادق جعفر بن محمّد (عليهما السّلام) فيقدِّم لي مخدَّة، ويعرف لي قدراً ويقول: «يا مالك إنّي أُحبّك» فكنت أسرُّ بذلك وأحمد الله تعالى عليه.

قال: وكان (عليه السّلام) [رجلاً] لايخلو من إحدى ثلاث خصال: إمّا صائماً، وإمّا قائماً، وإمّا ذاكراً، وكان من عظماء العبُّاد، وأكابر الزُّهاد

الّذين يخشون اللّه (عزّوجلّ)، وكان كثيرَ الحديث، طيّبَ المجالسة، كثيرَ الفوائد، فاذا قال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) اخضرَّ مرَّة، واصفرَّ أُخرى حتّى يُنكره مَن كان يعرفه .

ولقد حَجَجتُ معه سَنَة فلمّا استوتْ به راحلته عند الاحرام، كان كلّما همَّ بالتلبية انقطع الصوت في حَلقه، وكاد أن يخرّ من راحلته فقلت: قُل يابن رسول اللّه، ولابدَّ لك من أن تقول.

فقال: يابن أبي عامر كيف أجسر أن أقول: لبّيك اللهمّ لبّيك، وأخشى أن يقول (عزّوجلّ) لي: لا لبّيك ولاسعديك[1] .

وعن النوفلي قال: سمعتُ مالك بن أنس الفقيه يقول: واللّه ما رأتْ عيني افضل من جعفر بن محمد زهداً وفضلاً وعبادةً ووَرعاً .

وكنتُ اقصده فيُكرمني ويُقبل عليَّ، فقلتُ له يوماً: يابن رسول اللّه ما ثواب مَن صام يوماً من رجب إيماناً واحتساباً؟

فقال ـ وكان واللّه اذا قال صَدَق ـ : حدَّثني ابي عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله و سلّم): من صام يوماً من رجب ايماناً واحتساباً غُفر له .

فقلت له: يابن رسول اللّه فما ثواب من صام يوماً من شعبان؟

قال: حدَّثني أبي عن أبيه عن جدِّه قال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله): من صام يوماً من شعبان ايماناً واحتساباً غُفر له[2] .

١ـ علل الشرايع: ص٢٣٤ ح٤ ـ أمالي الصدوق: ص١٤٣ ح٣ ـ الخصال: ص١٦٧ ح٢١٩ .
٢ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٠ ح١٦ .

من مناظرات أصحاب الامام الصادق (عليه السّلام) حول الامامة

عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) جماعة من أصحابه، منهم حمران بن أعين ومحمد بن النعمان وهشام بن سالم والطيّار وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): يا هشام ألا تخبرني كيف صنعتَ بعَمرو بن عبيد؟ وكيف سألته؟

فقال هشام: يابن رسول اللّه إنّي أُجلّك وأستحييك ولايعمل لساني بين يديك.

فقال أبو عبداللّه: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا.

قال هشام: بَلغني ما كان فيه عَمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعَظُم ذلك عَليَّ فخرجتُ إليه ودخلتُ البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عَمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متّزرٌ بها من صوف، وشملةً مرتدٍ بها والناس يسألونه، فاستفرجتُ الناس

فأفرجوا لي، ثمّ قعدتُ في آخر القوم على رُكبتيَّ، ثمّ قلت:

أيّها العالِم إنّي رجلٌ غريب تأذن لي في مسألة؟

فقال لي: نعم.

فقلت له: أَلَكَ عين؟

فقال: يابنيّ أيّ شيء هذا من السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه؟

فقلت: هكذا مسألتي.

فقال: يابنيّ سلْ وإنْ كانت مسألتك حمقاء.

قلت: أجبني فيها.

قال لي: سل.

قلت: ألك عين؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بها؟

قال: أرى بها الألوان والأشخاص.

قلت: فلك أنف؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أشمّ به الرائحة.

قلت: ألك فَم؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أذوق به الطَّعم.

قلت: فلك أُذُن؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بها؟

قال: أسمع بها الصوت.

قلت: ألك قلب؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أُميّز به كلّما وَرد على هذه الجوارح والحواسّ.

قلت: أوليس في هذه الجوارح غنىً عن القلب؟

فقال: لا.

قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟

قال: يابنيّ إنّ الجوارح إذا شكَّتْ في شيء ـ شَمَّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ـ ردّته الى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشكّ.

قال هشام: فقلت له: فإنّما أقام اللّه القلبَ لشكِّ الجوارح؟

قال: نعم.

قلت: لابدّ من القلب وإلاّ لم تستيقن الجوارح؟

قال: نعم.

فقلت له: يا أبا مروان فاللّه (تبارك وتعالى) لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يُصحِّح لها الصحيح، ويتيقّن به ما شكّ فيه، ويترك هذا الخَلق كلَّهم في حَيرتهم وشكّهم واختلافهم؟

لايقيم لهم إماماً يردّون إليه شكَّهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك؟!

قال: فسكتَ ولم يقل لي شيئاً.

ثمّ التفت إليّ فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟

فقلت: لا.

قال: أمن جلسائه؟

قلت: لا.

قال: فمن أين أنت؟

قال: قلت: من أهل الكوفة.

قال: فأنت إذاً هو.

ثمّ ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نَطَق حتّى قمتُ.

قال: فضحك أبو عبدالله (عليه السّلام) وقال: يا هشام مَن علّمك هذا؟!

قلت: شيء أخذتُه منك وألِفْتُه.

فقال: هذا والله مكتوبٌ في صحف إبراهيم وموسى[1].

أقول: يبدو أنّ هشام بن الحكم رأى المصلحة في عدم ذِكر اسمه إذ لو صرَّح بذلك لوقَع في الأذى والمحنة من ذلك القاضي المنحرف ومن جماعته، فعمِل بالتقيَّة وقاية منهم، ويدلُّ على ذلك سكوت الامام الصادق (عليه السّلام) وعدم إنكاره عليه لعدم ذكر اسمه لعَمرو بن عبيد، وعلى كلّ حال فالرّجل من خيرة الرواة الصادقين الثقاة.

وعن يونس بن يعقوب قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السّلام) فورَد عليه رجلٌ من أهل الشام فقال: إنّي رجلٌ صاحبُ كلام وفقهٍ وفرائض وقد جئتُ لمناظرة أصحابك.

١ـ الكافي: ج١ ص١٦٩ ح٣.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): كلامُك من كلام رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أو من عندك؟

فقال: من كلام رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ومن عندي.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): فأنت إذاً شريك رسول اللّه؟

قال: لا.

قال: فسمعتَ الوحي عن اللّه (عزّوجلّ) يخبرك؟

قال: لا.

قال: فتجبُ طاعتك كما تجب طاعة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)؟

قال: لا.

فالتفت أبو عبداللّه (عليه السّلام) إليّ فقال: يايونس بن يعقوب هذا قد خَصَم نفسه قبل أن يتكلّم.

... ثمّ قال لي: أُخرج الى الباب فانظر مَن ترى من المتكلّمين فأدخله.

قال: فأدخلتُ حمران بن أعين وكان يُحسن الكلام، وأدخلت الأحول وكان يُحسن الكلام، وأدخلت هشام بن سالم وكان يُحسن الكلام، وأدخلت قيس بن الماصر وكان عندي أحسنهم كلاماً، وكان قد تعلّم الكلام من عليّ بن الحسين (عليهما السّلام).

فلمّا استقرّ بنا المجلس ـ وكان أبو عبداللّه (عليه السّلام) قبل الحجّ يستقرّ أيّاماً في جبلٍ في طرف الحرم في فازة[1] له مضروبة ـ.

قال: فأخرج أبو عبداللّه (عليه السّلام) رأسه من فازته فاذا هو ببعيرٍ

١ـ الفازة: مظلّة بين عمودين (مجمع البحرين).

يخبّ فقال: هشام وربّ الكعبة[1].

قال: فظننّا أنّ هشاماً رجلٌ من ولد عقيل كان شديد المحبّة له، قال: فورد هشام بن الحكم وهو أوّلُ ما اختطّت لحيته، وليس فينا إلاّ من هو أكبر سنّاً منه.

قال: فوسّع له أبو عبداللّه (عليه السّلام) وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ويده.

ثمّ قال: يا حمران كلّم الرّجل، فكلّمه فظهر عليه حمران.

ثمّ قال: ياطاقي كلّمه، فكلّمه فظهر عليه الأحول.

ثمّ قال: يا هشام بن سالم كلّمه، فتعارفا[2] ثمّ قال أبو عبداللّه (عليه السّلام) لقيسٍ الماصر: كلّمه. فكلّمه.

فأقبل أبو عبداللّه (عليه السّلام) يضحك من كلامهما ممّا قد أصاب الشّامي.

فقال للشّاميّ: كلّم هذا الغلام ـ يعني هشام بن الحكم ـ.

فقال: نعم، فقال لهشام: يا غلام سلني في إمامة هذا، فغضب هشام حتّى ارتعد، ثمّ قال للشاميّ: يا هذا أربُّك أنظرُ لخلقه أم خَلقُه لأنفسهم؟

فقال الشاميّ: بل ربّي أنظرُ لخلقه.

١ـ يعني: هذا الراكب هِشام. وقوله: «يَخُبّ» من الخَبَب وهو نوع من العَدْو. وقوله الآتي: «فظننا.. الى آخره» أي: ظننا أنّه يريد بقوله هشام، رجلاً من ولد عقيل.

٢ـ فتعارفا، في أكثر النسخ ـ بالعين والراء المهملتين والفاء ـ أي تكلّما بما عرف كلٌّ منهما صاحبه وكلامه بلاغلبة لأحدهما على الآخر، وفي بعض النسخ: فتعاوقا ـ بالواو والقاف ـ أي تعوّق كلٌ منهما عن الغلبة، وفي بعضها [تفارقا] بالفاء والراء والقاف، وفي بعضها بالعين والراء والقاف [تعارقا] أي وقعا في العَرَق، كناية عن طول المناظرة (مرآة العقول). وفي بعضها [فتعاركا] أي لم يغلب أحدهما على الآخر. (الوافي).

قال: ففعل بنظَره لهم ماذا؟

قال: أقام لهم حُجّةً ودليلاً كي لايتشتّتوا أو يختلفوا، يتألّفهم، ويقيم أَودَهم ويُخبرهم بفَرض ربّهم.

قال: فمَن هو؟

قال: رسول اللّه.

قال هشام: فبعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)؟

قال: الكتابُ والسُّنّة.

قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنّة في رفع الإختلاف عنّا؟

قال الشاميّ: نعم.

قال: فلِمَ اختلفنا أنا وأنت وصِرتَ إلينا من الشام في مخالفتنا إيّاك؟

قال: فسكت الشاميّ.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام) للشاميّ: مالك لاتتكلّم؟

قال الشاميّ: إن قلتُ: لم نختلف كذبتُ وإن قلتُ: إن الكتاب والسنّة يرفعان عنّا الإختلاف أبطلتُ، لأنّهما يحتملان الوجوه، وإن قلت: قد اختلفنا وكلّ واحد منّا يدّعي الحقّ فلم ينفعنا ـ إذاً ـ الكتاب والسُّنّة.

إلاّ أنّ لي عليه هذه الحجّة.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): سله تجده مليّاً.

فقال الشامي: يا هذا من أنظر للخلق أربّهم أو أنفسهم؟

فقال هشام: ربّهم أنظر لهم منهم لأنفسهم.

فقال الشاميّ: فهل أقام لهم مَن يجمع لهم كلمتهم ويقيم أَودهم ويخبرهم بحقّهم من باطلهم؟

قال هشام: في وقت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أو السّاعة؟

قال الشامي: في وقت رسول اللّه: رسول اللّه، والسّاعة من؟

فقال هشام: هذا القاعد الذي تُشَدُّ إليه الرِّحال ويخبرنا بأخبار السّماء [والأرض]، وراثةً عن أبٍ عن جَدٍّ.

قال الشامي: فكيف لي أن أعلم ذلك؟

قال هشام: سله عمّا بدا لك.

قال الشاميّ: قطعتَ عذري فعليّ السؤال.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): ياشاميّ، أُخبرك كيف كان سَفَرك وكيف كان طريقك؟ كان كذا وكذا، فأقبل الشاميّ يقول: صدقتَ، أسلمتُ للّه الساعة.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): بل آمنتَ باللّه الساعة، إنّ الاسلام قبل الايمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، والايمان عليه يثابون.

فقال الشامي: صدقتَ، فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمّداًرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وأنّك وصيّ الأوصياء...» الى آخر الحديث[1].

١ـ الكافي: ج١ ص١٧١ ح٤.

إستجابة دعاءِ الامام الصادق (عليه السّلام)

ليس من الغريب أن يستجيب اللّه تعالى دعاء المؤمن، ويقضي حوائجه، وخاصة بعد الانتباه الى الآيات التي يأمر اللّه تعالى فيها عباده بالدعاء والتضرع إليه، ويَعِدُهم الاجابة بقوله: ﴿ادعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1].

والفرق ـ بين الأنبياء والأئمة (عليهم السّلام) وبين غيرهم ـ عظيم وكبير، لأن أولياء اللّه:

أوّلاً: لايُحجب دعاؤهم عن اللّه تعالى، لأن الذنوب هي التي تحبس الدعاء، وأولياء اللّه مُنزَّهون معصومون عن الذنوب، فمن الطبيعي أن تكون دَعواتهم مقرونة بالاستجابة من اللّه تعالى، وذلك لمكانتهم وقربهم من اللّه (عزّوجلّ).

ثانياً: إن أولياء اللّه يعلمون المصالح الربّانيّة، والحِكَم الإلهيّة، فيدْعون اذا اقتضت الحكمة الإلهيّة، وإلاّ فَهُم مستسلمون حتى يجري قضاء

١ـ سورة غافر آية ٦٠.

اللّه وقدره، لانّ في ذلك القضاء والقَدَر مصالح مكتومة، قد تظهر للناس، وقد تبقى مكتومة في مخزون علم اللّه تعالى.

وعلى هذا الأساس: دعا الامام الصادق (عليه السّلام) لبعض الناس، ودعا على بعضهم واستجاب اللّه دعاءه للناس وعليهم، والأمثلة كثيرة ذكرناها في موسوعتنا ـ موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) ـ .

واستجابة دعاء الامام الصادق (عليه السّلام) ـ المعصوم، الذي لم يَعص اللّه طرفة عين ـ ليست بعجيبة، خاصّة وأنّه مُزَوَّد بالإسم الأعظم الذي هو الكُلّ في الكُلّ، ومِن المستحيل أن يُرَدَّ دعاء أحدٍ اذا أقسم على اللّه بالإسم الأعظم.

وربّما استجاب اللّه دعاء الامام فوراً، وربّما استجاب اللّه دعاءه بعد فترة قصيرة من الزمن كالدعاء لبعض أصحابه بكثرة المال والولد والحج خمسين مرَّة.

وفيما يلي نذكر نماذج من استجابة دعائه (عليه السّلام) فوراً:

التوسُّل بالامام الصادق (عليه السّلام) للشفاء

عن سدير الصيرفي قال: جاءت امرأة الى أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقالت له: جُعلت فداك، أبي وأُمّي واهل بيتي نتولاّكم.

فقال لها أبو عبداللّه (عليه السّلام): صدقتِ، فما الذي تريدين؟

قالت له المرأة: جُعلت فداك يابن رسول اللّه، اصابني وَضَحٌ في عضدي[1]، فادع اللّه ان يذهب به عنّي.

قال أبو عبداللّه (عليه السّلام): اللهم انك تبرئ الأكمه والأبرص وتحيي

١ـ الوَضَح: البَرص (مجمع البحرين).

العظام وهي رميم، ألبسها من عفوك وعافيتك ما ترى أثر اجابة دعائي.

فقالت المرأة: واللّه لقد قُمتُ ومابي منه قليل ولا كثير[1].

أيُّها القارئ الكريم: إنَّ هذه المرأة كانت تؤمن بأنَّ الشفاء بيد اللّه تعالى، ولكنّها في نفس الوقت ادركت ـ بفطرتها السليمة ـ أن التوسُّل الى اللّه تعالى بالامام الصادق الطاهر المعصوم (عليه السّلام) هو خير ضمان لشفائها من المرض الذي اصابها.

ولهذا فقد جاءت اليه تسأله الدعاء والشفاعة الى اللّه سبحانه لشفائها.

ولم يُخيِّب الامام الصادق (عليه السّلام) ظنَّها ورجاءها ولم يرفض طلبها، ولم يقل لها: هذا شرك، هذا كفر، هذا حرام ـ كما تزعم الفرقة الضالَّة ـ بل استجاب لها ولبّى طلبها فوراً، واستجاب اللّه دعاء الامام فوراً وقبل ان تقوم المرأة من مقامها.

وهذا المعنى هو المستفاد من القرآن الكريم، حيث قال عزَّ من قائل:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّه تَوَّاباً رَّحِيماً﴾[2]. فجعل التوسُّلَ بالرسول ودعاء الرسول لهم سبباً للمغفرة والاستجابة.

ومن الواضح أن أهل بيت رسول اللّه (عليهم السّلام) لهم نفس المنزلة والوجاهة عند اللّه سبحانه، والتوسُّل بهم الى اللّه ضمانٌ وثيق للاستجابة.

وروي عن اسحاق واسماعيل، ويونس بَني عمّار: انه استحال وجه

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٦٤.

٢ـ سورة النساء آية ٦٤.

يونس الى البياض[١] فنظر الصادق (عليه السّلام) الى جبهته، فصلّى ركعتين، ثمَّ حمد اللّه وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) ثمَّ قال: «يا اللّه يا اللّه يا اللّه، يا رحمن يا رحمن يا رحمن، يا رحيم يا رحيم يا رحيم، يا ارحم الراحمين، ياسميع الدعوات، يامعطي الخيرات، صلِّ على محمد وعلى أهل بيته الطاهرين الطيِّبين، واصرف عني شرَّ الدُّنيا وشرّ الآخرة، [وأذهب عنّي شرَّ الدُّنيا وشرَّ الآخرة] وأذهب عنّي ما بي فقد غاظني ذلك وأحزنني».

قال: فواللّه، ما خرجنا من المدينة حتى تناثر [البياض] عن وجهه مثل النخالة وذهب.

قال الحكم بن مسكين: ورأيت البياض بوجهه، ثم انصرف وليس في وجهه شيء[٢].

أقول: هكذا وجدنا في المصدر، ولعلّ الأصح: ان الإمام أمره أن يصلّي ركعتين ويدعو بذلك الدعاء.

أو كانت العبارة: «واصرف عنه» وهكذا بقية الفقرات.

وعن بكر بن محمد الأزدي قال:

عَرَضَ لِقرابةٍ لي[٣] ونحن في طريق مكّة ـ وأحسبه قال: بالربذة[٤] ـ فلما صرنا إلى أبي عبداللّه (عليه السّلام) ذكرنا ذلك له، وسألناه الدعاء

١ـ البياض: البرص.

٢ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٣٢. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٣٣.

٣ـ عُرِضَ الرجل: جُنّ (أقرب الموارد).

٤ـ الربذة: قرية معروفة قرب المدينة (مجمع البحرين). وفيها مرقد الصحابي الجليل أبي ذرّ الغفاري (رضوان اللّه عليه) الذي شهد له رسول اللّه بالجنّة وأنه أصدق الصحابة لهجةً، ومن المؤسف أن السلطات الحاكمة قد غيَّرتْ اسم الربذة الى: الواسطة.

له، ففعل.

قال بكر: فرأيتُ الرجل حيث عرض له، ورأيته حيث أفاق[١].

وعن إسماعيل بن الأرقط ـ وأُمّه أم سلمة أخت أبي عبدالله (عليه السّلام) ـ قال: مرضتُ في شهر رمضان مرضاً شديداً حتى ثقلتُ، واجتمعت بنو هاشم ليلاً للجنازة وهم يرون أنّي ميّت، فجزعتْ أُمّي عليَّ، فقال لها أبو عبدالله (عليه السّلام) خالي: اصعدي إلى فوق البيت فابرزي إلى السّماء وصلّي ركعتين فإذا سلّمتِ فقولي: «اللهمّ إنّك وهبتَه لي ولم يك شيئاً اللهمَّ وإني أستوهبكه مبتدئاً فأعرنيه».

قال: ففعلتْ فأفقتُ وقعدتُ، وَدعَوا بسحور لهم هريسة فتسحّروا بها وتسحّرت معهم[٢].

وعن معاوية بن وهب: صدع ابنُ لرجل من أهل مَرْو فشكا ذلك إلى أبي عبدالله (عليه السّلام) فقال: ادنه مني، قال: فمسَح على رأسه ثمَّ قال: ﴿إنَّ اللّه يُمسك السّماوات والأرضَ أن تزولا ولئنْ زالتا إنْ أمسَكهما من أحد من بعده﴾[٣] فبرأ باذن اللّه[٤].

وعن جميل قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السّلام) فدخلتْ عليه امرأة وذكرتْ أنّها تركتْ ابنها وقد قالت بالملحفة على وجهه ميّتاً[٥] فقال

١ـ قرب الاسناد: ص٩. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٦٣.

٢ـ الكافي: ج٣ ص٤٧٨ ح٦.

٣ـ سورة فاطر آية ٤١.

٤ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٣٢. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٣٤.

٥ـ أي أشارت إلى وجهه بالملحفة أو ألقتها، فان في معنى القول توسُّعاً يطلق على معان كثيرة: في النهاية: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الافعال، فتقول: قال بيده أي أخذ، وقال برجله أي مشى، وكلُّ ذلك على المجاز توسّعاً. هذا ولعلّ الصحيح: وقد مالت بالملحفة....

لها: لعلّه لم يمتْ فقومي فاذهبي إلى بيتك فاغتسلي وصلّي ركعتين وادعي وقولي: «يامَن وهَبه لي ولم يك شيئاً جدِّد هبته لي». ثمّ حرّكيه ولاتخبري بذلك أحداً.

قالت: ففعلتُ، فحرّكته فإذا هو قد بكى[١].

التوسل بالامام الصادق (عليه السّلام) لرفع البلاء

روي أن الامام الصادق (عليه السّلام)كان تحت الميزاب[٢] ومعه جماعة، إذ جاءه شيخ فسلَّم، ثمَّ قال: يابن رسول اللّه! إني لأُحبُّكم ـ أهلَ البيت ـ، وأبرأ من عدوّكم، وإنّي ابتُليتُ ببَلاء شديد، .وقد أتيت البيت [الكعبة] مُتعوِّذاً به ممّا أجد، وتعلَّقتُ بأستاره، ثمَّ أقبلت إليك وأنا أرجو أن يكون سبب عافيتي ممّا أجد.

ثمّ بكى وأكبَّ على أبي عبداللّه (عليه السّلام) يُقبِّل رأسه ورجليه، وجعل أبو عبداللّه (عليه السّلام) يتنحّى عنه[٣] فرحمه وبكى.

ثمَّ قال: هذا أخوكم، وقد أتاكم متعوّذاً بكم، فارفعوا أيديكم.

فرفع أبو عبداللّه (عليه السّلام) يديه، ورفعنا أيدينا، ثمَّ قال (عليه السّلام):

«أللهم! إنك خلقتَ هذه النفس من طينة أخلصتها، وجعلتَ منها

١ـ الكافي: ج٣ ص٤٧٩ ح١١.
٢ـ اي ميزاب الكعبة.
٣ـ اي: تنحّى حتى يمنعَه من تقبيل رجليه.

أولياءك وأولياء أوليائك، وإن شئتَ أن تُنَحّي عنها الأفات فعلتَ.

اللهم! وقد تعوّذ [نا] ببيتك الحرام الذي يأمن به كلّ شيء، اللّهم وقد تعوَّذ بنا، وأنا اسألك: يامن احتَجب بنوره عن خَلقه، أسألك ـ بحقّ محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ـ ياغايةَ كلّ محزون وملهوف ومكروب، ومُضطرٍّ مبتلى ـ أن تؤمنه بأماننا ممّا يجد، وأن تمحو من طينته ما قُدِّر عليها من البلاء، وأن تفرِّج كُربته ياأرحم الراحمين».

فلمّا فرغ من الدعاء إنطلق الرجل، فلمّا بلغ باب المسجد رجع وبكى، ثمّ قال:

﴿اللّه أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالته﴾[1]، واللّهِ ما بلغتُ باب المسجد وبي ممّا أجد قليلٌ ولاكثير، ثمّ ولّى[2].

الامام الصادق (عليه السّلام) يدعو على الناصبي بالهلاك

قال الميثمي[3]: إن رجلاً حدَّثه قال: كُنّا نتغدّى مع أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقال ـ لِغلامه ـ: إنطلق وائتنا بماء زمزم[4]، فانطلق الغلام، فما لبث أن جاء وليس معه ماء، فقال [الغلام]: إن غلاماً من غلمان زمزم منعني الماء، وقال: تريد لإله العراق؟!

فتغيّر لون أبي عبداللّه (عليه السّلام) ورفع يده عن الطعام، وتحرّكت شفتاه، ثمّ قال ـ للغلام ـ إرجع، فجِئنا بالماء.

١ـ سورة الانعام آية ١٢٤.

٢ـ دعوات الراوندي: ص٢٠٤ ح٥٥٧. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٢٢.

٣ـ الميثمي: هو علي بن اسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمّار.

٤ـ زمزم: اسم بئرٍ بمكّة (مجمع البحرين).

ثمَّ أكل، فلم يلبث أن جاء الغلام بالماء، وهو متغيّر اللون، فقال [الامام]: ما وراك؟

قال: سقط ذلك الغلام في بئر زمزم، فتقطَّع، وهُم يخرجونه.

فحمد اللّه عليه[1].

الامام الصادق (عليه السّلام) يدعو على الوالي بالهلاك

عن ابن سنان قال: كنّا بالمدينة حين بَعث داود بن علي [والي المدينة] الى المعلّى بن خُنيس فقَتله. فجلس أبو عبداللّه (عليه السّلام) فلم يأته شهراً.

قال: فبعث [الوالي] اليه أنِ ائتني، فأبى أن يأتيه.

فبعث اليه خمس نفر من الحرس فقال: ائتوني به، فان ابى فائتوني به أو برأسه!!

فدخلوا عليه وهو يصلّي ونحن نصلّي معه الزوال فقالوا: أجِب داود بن علي.

قال (عليه السّلام): فانْ لم أُجب؟

قالوا: أمَرنا أن نأتيه برأسك!

فقال: وما اظنّكم تقتلون ابن رسول اللّه.

قالوا: ما ندري ما تقول، وما نعرف الاّ الطاعة.

قال (عليه السّلام): انصرِفوا فانَّه خير لكم في دنياكم وآخرتكم.

قالوا: واللّهِ لانتصرف حتى نذهب بك معنا أو نذهب برأسك.

قال [الراوي]: فلمّا علم أن القوم لايذهبون إلاّ بذهاب رأسه وخاف على نفسه، قالوا: رأيناه قد رفع يديه فوضعهما على منكبيه ثم بَسَطهما،

١ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦١٣ ح٩. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٩٨.

ثم دعا بسبّابته فسمعناه يقول: الساعة الساعة.

فسمعنا صُراخاً عالياً، فقالوا له: قم.

فقال لهم: أما إن صاحبكم قد مات، وهذا الصُّراخ عليه، فابعثوا رجلاً منكم، فان لم يكن هذا الصراخ عليه قمتُ معكم.

قال: فبعثوا رجلاً منهم، فما لبث أن اقبل فقال: يا هؤلاء قد مات صاحبكم، وهذا الصراخ عليه.

فانصرفوا.

فقلت له: جعلنا اللّه فداك، ما كان حالُه؟

قال: قتل مولاي المعلّى بن خنيس، فلم آته منذ شهر، فبعث اليَّ أن آتيه، فلمّا ان كان الساعة لم آته، فبعث اليَّ ليضرب عنقي، فدعوتُ اللّه باسمه الأعظم، فبعث اللّه اليه مَلَكاً بحربة، فطعنه في مذاكيره فقتله.

فقلت له: فرفْع اليدين ماهو؟

قال: الابتهال.

فقلت: فوضْع يديك وجَمْعُهما؟

فقال: التضرُّع.

قلت: ورفْع الإصبع؟

قال: البصبصة[1].

الامام الصادق (عليه السّلام) يسأل اللّه طعاماً ولباساً

وعن الليث بن سعد قال: حَججتُ سنة ثلاث عشرة ومائة، فأتيت مكّة، فلمّا صلّيت العصر رَقيتُ أبا قبيس[2] وإذا أنا بِرَجُل جالس، وهو

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٦٦.

٢ـ اسم جبل في مكة يقرب من الكعبة (مجمع البحرين).

يدعو فقال: «ياربّ ياربّ» حتى انقطع نَفَسه، ثمّ قال: «ربِّ ربٍّ» حتى انقطع نَفَسه، ثمَّ قال: «يا اللّه يا اللّه» حتى انقطع نَفَسه، ثمَّ قال: «يا حيُّ يا حيُّ» حتى انقطع نَفَسه، ثمَّ قال: «يا رحيم يا رحيم» حتى انقطع نفسه، ثمَّ قال: «يا ارحم الراحمين» حتى انقطع نَفَسه سبع مرّات، ثم قال:

«اللهم! إني أشتهي من هذا العنب فأطْعِمنيه، اللهم! وإنّ بُرَديَّ قد أخلَقا».

قال الليث: فواللّه ما استتمَّ كلامه حتى نظرت إلى سَلَّة مملوءة عنباً، وليس على الأرض ـ يومئذ ـ عنبٌ، وبُردَين جديدَين موضوعَين، فأراد أن يأكل فقلت له: أنا شريكك!

فقال لي: ولِمَ؟

فقلت: لأنك كنت تدعو وأنا أؤمّن[1].

فقال لي: تقدّم فكُل، ولاتُخَبِّء شيئاً.

فتقدّمت فأكلت شيئاً لم آكل مثله قط، وإذا عنب لاعُجم[2] له، فأكلتُ حتى شبعت والسلَّة لم تنقص. ثمَّ قال لي: خُذ أحد البُردين إليك. فقلت: أما البُردان فاني غنّي عنهما.

فقال لي: تَوارَ عني حتى ألبسهما[3] فَتَوارَيتُ عنه، فاتَّزر بالواحد، وارتدى بالآخر ثمّ أخذ البُردَين اللَّذَين كانا عليه [قبل ذلك] فجعلهما على يده ونزَل، فاتّبعتُه، حتى إذا كان بالمسعى لَقيه رجل فقال: أُكسني، كَساكَ

١ـ اي كنت أقول: آمين.

٢ـ العَجَم: النَوى نوى التمر والنَّبِقِ وكلّ ما كان في جَوف مأكول كالزبيب وما أشبهه (لسان العرب).

٣ـ اي ابتعِدْ عنّي حتى انزعَ ثيابي والبس هذين البُردين.

اللّه. فدَفعهما إليه، فلحقتُ الرجل [السائل] فقلت: مَن هذا؟

قال: هذا جعفر بن محمد (عليهما السّلام).

قال اللَّيث: فطلبتُه لأسمع منه فلم أجده، فيالهذه الكرامة ما أسناها! ويا لهذه المنقبة ما أعظم صورتها ومعناها!![1].

قال مؤلف كتاب (كشف الغمّة): «حديث اللَّيث مشهور، وقد ذكره جماعة من الرواة ونَقَلَة الحديث.

وقد أورد هذا الحديث جماعة من الأعيان، وذكره الشيخ الحافظ أبو الفَرَج ابن الجوزي في كتابه (صفة الصفوة) وكلّهم يرويه عن اللّيث، وكان ثقة معتبراً».

التوسُّل بالامام الصادق (عليه السّلام) لحوائج متعددة

روي أن حمّاد بن عيسى سأل الامام الصادق (عليه السّلام) أن يدعو له ليرزقه اللّه ما يحجُّ به كثيراً، وأن يرزقه ضياعاً[2] حسنة، وداراً حسناء، وزوجة من أهل البيوتات صالحة، وأولاداً أبراراً.

فقال الصادق (عليه السّلام): «اللهم ارزق حمّادَ بن عيسى ما يحجّ به خمسين حجّة، وارزقه ضياعاً حَسنة، وداراً حسناء، وزوجة صالحة من قوم كرام، وأولاداً أبراراً».

قال بعض مَن حَضَره: دخلت ـ بعد سنين ـ على حمّاد بن عيسى في داره بالبصرة فقال لي: أتذكر دعاء الصادق (عليه السّلام) لي؟

قلت: نعم.

١ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٦٠. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٤١.

٢ـ ضياع ـ جمع ضيعة ـ: العقار، والأرض التي يُزرع فيها أو يُبنى عليها.

قال: هذه داري ليس في البلد مثلها، وضياعي أحسن الضياع، وزوجتي مَن تعرفها من كرام الناس، وأولادي: هم مَن تعرفهم من الأبرار، وقد حججتُ ثمانياً وأربعين حجّة.

قال [الراوي]: فحجَّ حمّاد حجّتين بعد ذلك، فلمّا خرج في الحجّة الحادية والخمسين، ووصل الى الجُحفة، وأراد أن يُحرم، دخل وادياً ليغتسل، فأخذه السيل، ومرّ به، فتبعه غلمانه فأخرجوه من الماء ميّتاً، فَسُمِّيَ: حمّاد غريق الجُحفة[1].

دعاء الامام الصادق (عليه السّلام)

لخلاص بعض اصحابه من السجن

عن زيد الشحّام قال:

إني لأطوف حول الكعبة، وكَفّي في كفّ أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقال (عليه السّلام) ودموعه تجري على خدّيه فقال: ياشحّام! ما رأيتَ ما صنَع ربّي إليّ؟ ثمَّ بكى ودعا، ثمَّ قال لي: «ياشحّام! إني طلبتُ إلى إلهي في سُدير وعبدالسلام بن عبدالرحمن، وكانا في السجن، فوهبهما لي، وخُلِّيَ سبيلهما»[2].

أقــول: معنى الحديث ان رجلين من أصحاب الامام الصادق (عليه السّلام) وهما: سُدير، وعبدالسلام بن عبدالرحمن كانا مسجونين، ولا أعلم لماذا وأين كانا مسجونين؟ فدعا الامام لهما، وسأل ربَّه ـ في حال الطواف ـ ان يُفرّج عنهما، ويخلّصهما من السجن، فاستجاب اللّه دعاء

١ـ الخرائج والجرائح: ج١ ص٣٠٤ ح٨. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١١٦.

٢ـ إختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٤٧٠ ح٣٧٢.

الامام فوراً، وانكشفت للامام استجابة دعائه، ولهذا قال لزيد الشحّام: «ما رأيتَ ما صنع ربي إليّ»؟! أي في استجابة دعائه فوراً.

وعن عبدالحميد بن أبي العلا ـ وكان صَديقا لمحمّد بن عبدالله بن الحسين وكان به خاصاً ـ فأخذه أبو جعفر [المنصور الدّوانيقي] فحبسه في المضيق زماناً ثمّ إنّه وافى الموسم فلمّا كان يوم عرفة لقيه أبو عبدالله (عليه السّلام) في الموقف فقال: يا محمّد ما فَعَل صديقك عبدالحميد؟

فقلت: أَخَذه أبو جعفر فحبَسه في المضيق زماناً، فرفع أبو عبدالله (عليه السّلام) يده ساعة ثمّ التفت إلى محمّد بن عبدالله فقال: يامحمّد قد واللّهُ خلّي سبيل صاحبك.

قال محمّد: فسألتُ عبدَالحميد: أيُّ ساعة أخرجك أبو جعفر؟

قال: أخرجني يوم عرفة بعد العصر[1].

وعن يحيى بن إبراهيم بن مهاجر قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السّلام): فلان يقرئك السلام وفلان وفلان.

فقال: وعليهم السّلام.

قلت: يسألونك الدُّعاء.

فقال: ومالَهم؟

قلت: حَبَسهم أبو جعفر [المنصور].

فقال: ومالهم وماله؟

قلت: استعملهم [أي توظفوا بوظائف] فحَبَسهم.

فقال: ومالهم وماله؟! ألم أنههم؟! ألم أنههم؟! ألم أنههم؟ هم النّار، هم النّار، هم النّار.

١ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٩٠.

قال: ثمّ قال: اللّهمَّ اخدع عنهم سلطانهم[1].

قال: فانصرفتُ من مكّة فسألتُ عنهم فإذا هم قد أُخرجوا بعد هذا الكلام بثلاثة أيّام[2].

وعن بكر بن أبي بكر الحضرمي قال: حبس أبو جعفر [المنصور] أبي فخرجت إلى أبي عبداللّه (عليه السّلام) فأعلمته ذلك فقال: إني مشغول بابني إسماعيل، ولكن سأدعو له.

قال: فمكثت أيّاماً بالمدينة فأرسل إليَّ أن ارحل فإنَّ اللّه قد كفاك أمر أبيك، فأمّا إسماعيل فقد أبى اللّه إلاّ قبْضه.

قال: فرحلتُ فأتيتُ مدينة ابن هبيرة، فصادفتُ أبا جعفر [الدوانيقي] راكباً، فصحتُ إليه: أبي أبو بكر الحضرمي شيخ كبير، فقال: إنَّ ابنه لايحفظ لسانه، خلُّوا سبيله[3].

دعاء الامام الصادق (عليه السّلام) لخلاص المرأة المؤمنة من السجن

عن بشّار المكاري قال: دخلتُ على أبي عبداللّه (عليه السّلام) بالكوفة، وقد قُدِّمَ له طَبَق رُطَب طبرزد[4] وهو يأكل، فقال لي: يابشّار أُدنُ، فَكُل.

١ـ كناية عن تحويل قلبه عن ضررهم أو اشتغاله بما يصير سبباً لغفلته عنهم، وربما يقرأ ـ بالجيم والدال المهملة ـ بمعنى الحبس والقطع (عن مرآة العقول للعلاّمة المجلسي). وفي نسخة: سلطانه.

٢ـ الكافي: ج٥ ص١٠٧ ح٨.

٣ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٩٣. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٤٥.

٤ـ الطبرزد: نوع من التمر، يُسمّى به لشدَّة حلاوته، والطبرزد: السكر الابلوج (مجمع البحرين).

قلت: هَنَّأكَ اللّه، وجَعلني فداك، قد أخذتني الغيرة من شيء رأيته في طريقي، أوجَعَ قلبي، وبَلغ منّي.

فقال لي: بِحَقّي لَمّا دنوتَ فأكلتَ.

قال: فدنوتُ فأكلتُ، فقال لي: حديثك؟[1]

قلت: رأيت جلوازاً[2] يضرب رأس إمرأة، يسوقها الى الحبس، وهي تنادي ـ بأعلى صوتها ـ: «المستغاث باللّه ورسوله» ولايغيثها أحد.

قال [الامام]: ولِمَ فَعَلَ بها ذاك؟

قال: سمعتُ الناس يقولون: إنها عثرت فقالت: «لعن اللّه ظالميكِ يافاطمة» فارتُكِبَ منها ما ارتُكِب.

قال [الراوي]: فقطع [الامام] الأكل، ولم يزل يبكي حتى ابتلَّ منديله ولحيته وصدره بالدموع ثمّ قال: يابشّار! قُم بنا الى مسجد السهلة، فندعوا اللّه ونسأله خلاص هذه المرأة.

قال [بشار]: ووجّه [الامام] بعض الشيعة الى باب السلطان، وتقدّم إليه بأن لايبرح إلى أن يأتيه رسولُه، فانْ حَدَثَ بالمرأة حدثٌ صار إلينا حيث كُنّا[3].

قال: فَصِرنا الى مسجد السهلة، وصلّى كلُّ واحدٍ منّا ركعتين، ثمّ رفع الصادق (عليه السّلام) يده الى السماء وقال:

١ـ أي: ما هو حديثك، أو حدِّثنا بحديثك.

٢ـ الجلواز: الشرطي (أقرب الموارد).

٣ـ معنى هذه الجملة: ان الامام ارسل رجلاً من الشيعة الى باب حاكم الكوفة، وأمره أن لايبرح مكانه حتى يأتيه رسولُ الامام، فانْ حدَثَ شيء بالمرأة من إطلاق سراح أو غيره فعلى الرجل أن يأتي الى مسجد السهلة ويخبر الامام بذلك.

«أنت اللّه[١]، لا إله إلاّ أنت مُبدىء الخلق ومُعيدهم، وأنت اللّه[٢] لا إله إلاّ أنت خالق الخلق ورازقهم، وأنت اللّه لا إله إلاّ أنت القابض الباسط، وأنت اللّه لا إله إلاّ أنت مُدبِّر الأمور، وباعثُ مَن في القبور، وأنت وارث الأرض ومَن عليها.

أسألك باسمك المخزون المكنون الحيّ القيّوم، وأنت اللّه لا إله إلاّ أنت عالم السِّرِّ وأخفى، أسألك باسمك الذي إذا دُعيتَ به أجبتَ، وإذا سُئلتَ به أعطيتَ.

وأسألك بحقِّ محمد وأهل بيته، وبحقِّهم الذي أوجبتَه على نفسك أن تصلّي على محمد وآل محمد، وأن تقضي لي حاجتي السّاعة السّاعة.

يا سامعَ الدُّعاء، يا سيّداه، يا مولاه، يا غياثاه، اسألك بكلِّ إسم سمَّيتَ به نفسك، أو إستأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تصلّي على محمد وآل محمد، وأن تعجّل خلاص هذه المرأة، يا مقلّب القلوب والأبصار، ياسميع الدُّعاء».

قال [بشّار]: ثمّ خرَّ [الامام] ساجداً، لاأسمع منه إلاّ النَفَس، ثمَّ رفع رأسه فقال: قُم، فقد أُطلقَت المرأة.

قال: فخرجنا جميعاً، فبينما نحن في بعض الطريق إذ لحق بِنا الرّجل الّذي وجَّهناه الى باب السلطان فقال [الامام] له: ما الخبر؟

قال له: لقد أُطلق عنها.

قال [الامام]: كيف كان إخراجها؟

قال: لاأدري، ولكنني كنت واقفاً على باب السلطان إذ خرج حاجب فدعاها وقال لها: ما الذي تكلّمتِ به؟

---

١ و٢ـ في مزار الشهيد: أنت اللّه الذي...

قالت: عثرتُ فقلتُ: «لَعن اللّه ظالميكِ يافاطمة» ففعل بي ما فعل!

قال [الرجل] فأخرج [الحاجب] مائتي درهم، وقال: خذي هذه، واجعلي الأمير في حِلٍّ!!

فأبَت [امتنعت] أن تأخذها، فلمّا رأى [الحاجب] ذلك منها، دخل وأعلم صاحبه [الأمير] بذلك، ثمَّ خرج فقال لها: إنصرفي الى بيتك، فذهبتْ الى منزلها.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): أبَتْ أن تأخذ مائتي درهم؟

قال [الرجل]: نَعم، وهي واللّه محتاجة إليها!

فقال [بشّار]: فأخرج [الامام] من جيبه صُرَّة فيها سبعة دنانير، وقال [لبشار]: إذهب أنت بهذه الى منزلها، فأقرأها مني السلام، وأدفع إليها هذه الدنانير.

فقال: فذهبنا جميعاً، فأقرأناها منه السلام، فقالت: باللّه أقرءني جعفر بن محمد السلام؟

فقلت لها: رحمكِ اللّه، واللّه إن جعفر بن محمد أقرأكِ السلام. فشهقتْ، ووقعتْ مغشيّة عليها.

قال: فصبرنا حتى أفاقت وقالت: أعدْها عَلَيَّ [السلام] فأعدناها عليها، حتى فعلتْ ذلك ثلاثاً، ثمَّ قلنا لها: خُذي، هذا ما أرسل به إليك، وأبشري بذلك.

فأخذتْه منّا، وقالت: سَلُوه [الامام] أن يستوهب أمَته من اللّه، فما أعرف أحداً أتوسّل به الى اللّه أكبر منه ومن آبائه واجداده (عليهم السّلام).

قال: فرجعنا الى أبي عبداللّه (عليه السّلام) فجعلنا نحدِّثه بما كان منها، فجعل [الامام] يبكي ويدعو لها.

ثم قلت: ليت شِعري متى أرى فَرَجَ آلِ محمد (صلّى اللّه عليه وآله)؟

قال [الامام]: يابشّار، إذا توفّي وليُّ اللّه ـ وهو الرّابع من وُلدي ـ في أشدّ البقاع بين شرار العباد فعند ذلك تصل الى بني فلان مصيبة سوداء مظلمة، فاذا رأيت ذلك إلتَقَت حِلَق البِطان، ولامَردَّ لأمر اللّه[١و٢].

دعاء الامام الصادق (عليه السّلام)

لأحد أصحابه بكثرة المال والوَلد

عن بشر بن طرخان قال: لمّا قَدِمَ أبو عبداللّه (عليه السّلام) الحيرة أتيته فسألني عن صناعتي؟

فقلت: نخّاس.

فقال: نخّاس الدواب؟

فقلت: نعم، وكنت رَثَّ الحال[٣].

فقال: اطلب لي بغلة فضحاء، بيضاء الأعفاج[٤] بيضاء البطن.

فقلت: ما رأيت هذه الصفة قط.

فقال: بلى.

فخرجت من عنده فلقيت غلاماً تحته بغلة بهذه الصفة، فسألته عنها

١ـ قال الشيخ المجلسي: المراد ببني فلان بنو العباس، وكان إبتداء وهي [ضعف] دولتهم عند وفاة أبي الحسن [الهادي] العسكري. والبطان للقَتَب: الحزام الذي يُجعل تحتَ بطن البعير، ويقال: «إلتقت حَلَقتا البِطان» للأمر اذا إشتدّ.

٢ـ بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٤٤٠.

٣ـ رثّتْ هيئة الشخص وأرثت: ضعفت وهانت. (مجمع البحرين).

٤ـ الافضح: الابيض وليس شديد البياض. والاعفاج: أي الامعاء (أقرب الموارد).

فدلّني على مولاه، فأتيته فلم أبرح حتى اشتريتها، ثم أتيت أبا عبداللّه (عليه السّلام) بها فقال: نعم، هذه الصفة طلبتُ، ثمّ دعا لي فقال: «أنمى اللّه ولدك، وكثَّر مالك» فرُزقت من ذلك ببركة دعائه، ونشبتُ[1] من الأولاد ما قصرتْ عنه الأمنيَّة[2].

أيها القارئ الكريم: نكتفي بهذا المقدار، وهناك أحاديث اخرى وردت في هذا المجال، ذكرناها في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام).

١ـ في بحار الأنوار: وقنيت. والقنى: الرضا، واقناه اللّه: اغناه وارضاه واعطاه مايقتني (أقرب الموارد).

٢ـ إختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٥٩٩ ح٥٦٣. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٥٢.

الامام الصادق (عليه السّلام) وضمان الجنّة

قبل كلّ شيء.. نتساءل: هل يصحّ أن يضمن الانسان دخول الجنّةلأحَدٍ؟

الجواب: نَعم.. ولكن بشرطين:

الأول: أن يعلم الضامن بأن المضمون له الجنَّة سوف لايرتكب ذنباً يُحرِّم عليه الجنَّة ويُخلِّده في النّار.. والعِلم بهذا الأمر خاصٌ بالأنبياء والأوصياء.

الثاني: أن يكون الضامن معصوماً من الذنب، لأن غير المعصوم لايعلم ما يكون مصيره؟ فاذا كانت حسناته مقبولة، وسيّئاته مغفورة كان من أهل الجنّة، ولعلّ شفاعته تُقبل لغيره.

وأمّا إذا كانت حسناته غير مقبولة، وسيّئاته غير مغفورة، فمن الواضح أنه من أهل النار، ان لم تتداركه رحمة من اللّه تعالى.

أمّا المعصومون ـ من الأنبياء والأئمة (عليهم السّلام) والصّديقة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) ـ فحيث أن حسناتهم مقبولة قطعاً، وليست لهم سيّئات فهم من أهل الجنّة بلاشكّ، ويُسمح لهم بالشفاعة لغيرهم حَسَب

المقاييس المعلومة عندهم.

إذن: فلامانع للمعصوم أن يضمن الجنّة لمن يشاء، لأنه يعلم عِلم اليقين أنه من أهل الجنّة، وأن شفاعته مقبولة عند اللّه تعالى.

وقد كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) يضمن الجنّة لبعض الناس، مثلاً يقول: «مَن فَعَل كذا فانا اضمنُ له الجنّة».

وهكذا الأئمّة الطاهرون (عليهم السّلام) أيضاً كانوا يضمنون الجنّة لبعض أصحابهم.

وهذا الضَّمان فرع من فروع الشفاعة المقبولة عند اللّه (عزّوجلّ).

ومن هذا المنطلق ضمن الامام الصادق (عليه السّلام) الجنّة لكثير من شيعته، وإليك بعض النماذج:

عن هشام بن الحكم قال: كان رجل من ملوك أهل الجبل يأتي الصادق (عليه السّلام) في حجّة كلّ سنة، فينزله أبو عبداللّه (عليه السّلام) في دار من دوره في المدينة، وطال حجَّه ونزوله، فأعطى أبا عبداللّه (عليه السّلام) عشرة آلاف درهم ليشتري له داراً وخرج إلى الحج.

فلمّا انصرف قال: جُعلت فداك اشتريتَ لي الدار؟

قال: نعم، وأتى بصكٍّ فيه: «بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا ما اشترى جعفر بن محمد لفلان بن فلان الجبلي: [اشترى][1] له داراً في الفردوس، حَدُّها الأول: رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) والحدُّ الثاني: أمير المؤمنين، والحدُّ الثالث: الحسن بن علي، والحدُّ الرابع: الحسين بن عليّ» فلمّا قرأ الرجل ذلك قال: قد رضيتُ، جَعلني اللّه فداك.

قال: فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): إني أخذتُ ذلك المال ففرّقته

١ـ ما بين المعقوفتين من بحار الأنوار.

في وُلد الحَسن والحسين، وأرجو أن يتقبّل اللّه ذلك، ويثيبك به الجنّة.

قال: فانصرف الرجل إلى منزله وكان الصكّ معه، ثم اعتلَّ علّة الموت، فلمّا حضرتْه الوفاة جَمَع أهله وحَلَّفهم أن يجعلوا الصكَّ معه، ففعلوا ذلك.

فلمّا أصبح القوم غَدَوا إلى قبره، فوجدوا الصَكَّ على ظَهر القبر مكتوب عليه: وفى وَليّ اللّه جعفر بن محمد[١].

وعن أبي بصير قال: قدم إلينا رجل من أهل الشام فعرضت عليه هذا الأمر فقبله، فدخلت عليه وهو في سكرات الموت فقال [لي][٢]: يا أبا بصير قد قبلتُ ما قلت لي [فكيف لي][٣] بالجنّة؟

فقلت: أنا ضامن لك على أبي عبداللّه (عليه السّلام) بالجنّة، فمات، فدخلت على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فابتدأني فقال لي: قد وُفي لصاحبك بالجنّة[٤].

أقول: المقصود من قوله: (... هذا الامر) أي ولاية الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) وإمامتهم.

١ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٣٣. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٣٤ وفيه: وفى لي ـ واللّهِ ـ جعفر بن محمد بما قال. وفي الخرائج والجرائح: ج١ ص٣٠٢ ح٧: وفى لي وليُّ اللّه جعفر بن محمد بما وعدني.

٢ و٣ـ ما بين المعقوفتين من بحار الأنوار.

٤ـ بصائر الدرجات: ص٢٧١. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٧٦.

الامام الصادق (عليه السّلام) ومواريث الأنبياء

لقد ذكرنا كلمة حول مواريث الأنبياء في كتاب (الامام المهدي من المهد إلى الظهور) ونلخص شيئاً منها ـ هنا ـ فنقول:

ليس المقصود من المواريث ـ هنا ـ ما يتركه الميت لوَرَثته من المال أو غيره، بل المقصود: هي الأشياء النفيسة القيّمة التي تركها الأنبياء للأوصياء من بعدهم، وانتقلت من وصيّ الى وصيّ.

وهذه المواريث وصلتْ الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) من الأنبياء الذين كانوا قبله، وبعد وفاة الرسول انتقلت تلك المواريث مع مواريث رسول اللّه الى الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ثم الى الامام الحسن ثم الامام الحسين وهكذا الى الامام الصادق وهكذا الى الامام المهدي (سلام اللّه عليهم أجمعين).

وانها تدلّ على أولوية الأئمة ـ من سائر الناس ـ بالأنبياء والأوصياء.

ونذكر ـ هنا ـ بعض الأحاديث كنماذج:

١ـ قال الامام الصّادق (عليه السّلام): إنّ عندي سيف رسول اللّه، وإن عندي لراية رسول اللّه المغلّبة، [وإنّ عندي لخاتم سليمان بن داود][١]، وإنّ عندي الطست الّذي كان موسى يقرّب بها القربان، وإن عندي الإسم الّذي كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) إذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشّابة، وإنّ عندي لمثل الّذي جاءت به الملائكة، ومثل السلاح فينا كمثل التابوت في بني إسرائيل ـ يعني أنه كان دلالة على الإمامة ـ [٢].

٢ـ وفي رواية الأعمش قال (عليه السّلام): ألواح موسى عندنا، وعصا موسى عندنا ونحن ورثة النبيّين[٣].

٣ـ وقال (عليه السّلام): عِلمنا غابر مزبور[٤]، ونَكْت في القلوب، ونَقْر في الأسماع، وإنّ عندنا الجَفر الأحمر والجَفر الأبيض، ومصحف فاطمة (عليها السّلام)، وإنّ عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه[٥].

٤ـ وقال (عليه السّلام) ـ في حديثٍ له ـ: . . . إنّ عندنا سلاح رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وسيفه ودرعه، وعندنا واللّه مصحف فاطمة، مافيه آية من كتاب اللّه، وإنّه لإملاء [فاطمة بنت] رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وخطّه عليّ (عليه السّلام) بيده، وعندنا واللّه الجفر، وما يدرون ما هو؟ أَمِسْكُ شاة أو مِسْكُ بعير؟!

١ـ ما بين المعقوفتين أثبتناه من بحار الأنوار.

٢ و٣ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٧٦. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٥ و٢٦.

٤ـ في بحار الأنوار: ومزبور.

٥ـ مناقب آل ابي طالب: ج٤ ص٢٧٦ . منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٦.

ثمّ أقبل إلينا وقال: أبشروا، أما ترضون أنّكم تجيئون يوم القيامة آخذين بحُجزة عليّ، وعليّ آخذ بحُجزة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله)؟[1].

أقـــول: لقد ذكرنا في كتاب (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللَّحد) شرحاً موجزاً حول مصحف السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) وأنه ليس في مقابل القرآن الكريم ـ كما يتّهم اعداءُ أهل البيت الشيعةَ بذلك بل هو كتاب فاطمة (عليها السّلام) ـ فراجِع هناك.

٥ـ وعن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) ذات يوم جالساً إذ قال: يا أبا محمّد هل تعرف إمامك؟

قلت: إي واللّه الّذي لا إله إلاّ هو، وأنت هو، ووضعتُ يدي على ركبته أو فخذه فقال (عليه السّلام): صدقتَ قد عرفت فاستمسك به.

قلت: أُريد أن تعطيني علامة الامام.

قال: يا أبا محمد ليس بعد المعرفة علامة.

قلت: أزداد إيماناً ويقيناً.

قال: يا أبا محمد ترجع إلى الكوفة، وقد وُلد لك عيسى، ومن بعد عيسى محمّد، ومن بعدهما ابنتان، واعلم أنّ ابنيك مكتوبان عندنا في الصحيفة الجامعة مع أسماء شيعتنا، وأسماء آبائهم وأُمّهاتهم، وأجدادهم وأنسابهم، وما يلدون إلى يوم القيامة.

وأخرجَها فإذا هي صفراء مُدْرَجة[2].

١ـ بصائر الدرجات: ص١٧٣ ح٥. منه بحار الأنوار: ج٢٦ ص٤٠.

٢ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٩٠.

الإمام الصادق (عليه السّلام) والجنّ

لا أراني بحاجة الى التحدّث عن وجود الجنّ، فهذه حقيقة ثابتة لامجال للشك فيها، ولكن العجب من بعض المسلمين الذين ينكرون وجود الجنّ، بل ويستهزئون بهذه الحقيقة مع توفّر الآيات القرآنية التي بلغت أو تجاوزت تسعاً وعشرين آية، تارة باسم الجانّ كقوله تعالى: ﴿والجانّ خلقناه مِن قبلُ من نار السَّموم﴾[1] أو الجنّ كقوله تعالى: ﴿يامعشر الجنّ والإنس﴾[2] أو الجِنّة كقوله (عزّ من قائل): ﴿من الجِنّة والناس﴾[3].

بل وفي القرآن سورة تسمّى سورة الجنّ، وآيات عديدة تتحدّث عن الجنّ، كما في سورة الأحقاف: ﴿وإذ صَرَفنا إليك نَفَراً من الجنّ يستمعُون القرآن. . .﴾[4].

أضف الى ذلك الأحاديث الكثيرة التي تصرّح بوجود الجنّ.

١ـ سورة الحجر آية ٢٧.

٢ـ سورة الانعام آية ١٣٠.

٣ـ سورة الناس آية ٦.

٤ـ سورة الاحقاف آية ٢٩.

وانني أظنّ أن سبب إنكار وجود الجنّ هو عدم إمكان رؤية الجن لكل أحد وفي كل وقت.

نعم، قد يظهر الجنّ لبعض الناس في بعض الأوقات وفي ظروف خاصّة.

والمادّيّون ينكرون وجود كلّ مالايدركونه بالحواسّ الخمس، ومنه: الجنّ.

والعجب أنهم يؤمنون بالقوّة الجاذبيَّة، والأثير وهم لايرونهما، ولايؤمنون بالملائكة والجنّ والروح لأنهم لايرونها.

والمقصود من ذكر هذه المقدّمة هو أنك تجد أحاديث تذكر بعض الأحراز والأدعية للأمن من الجنّ ودفْع شرِّهم، وقد ذكرناها في كتاب الدعاء من موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) كما أنك تجد بعض الأحاديث التي تصرّح باستخدام الامام الصادق والأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) الجنّ في بعض أُمورهم وشؤونهم.

وقد تسأل: كيف يستطيع الامام الصادق (عليه السّلام) أن يستخدم الجنّ؟ وكيف تُطيعه وتنقاد له؟

الجواب: إن الامام الصادق (عليه السّلام) هو حجّة اللّه على الجنّ والإنس والخَلق أجمعين، فمن الطبيعي أن تطيعه الجن وتنقاد لأوامره. كما أن الملائكة تخدمه أيضاً، وكلُّ ذلك يكون باذن اللّه سبحانه.

إنّنا نجد بعض الناس ـ من غير المعصومين ـ يستخدمون الجن لأمورهم، فما تقول في الامام الصادق المؤيَّد من عند اللّه سبحانه؟!!

هذا.. وللبحث مجال آخر، ونحن نكتفي هنا بذكر بعض الأحاديث المرتبطة بالموضوع:

عن المفضّل بن عمر قال: حُمل إلى أبي عبدالله (عليه السّلام) مال من خراسان مع رجلين من أصحابه، لم يزالا يتفقّدان المال حتّى مرّا بالرَّيّ، فرفع إليهما رجل من أصحابهما كيسا فيه ألفا درهم، فجعلا يتفقّدان في كلّ يوم الكيس حتىّ دنيا من المدينة، فقال أحدهما لصاحبه: تعال حتّى ننظر ما حال المال؟ فنظرا فاذا المال على حاله ما خلا كيس الرّازي.

فقال أحدهما لصاحبه: الله المستعان، ما نقول الساعة لأبي عبدالله (عليه السّلام)؟.

فقال أحدهما: إنّه (عليه السّلام) كريم، وأنا أرجو أن يكون علِم ما نقول عنده، فلمّا دخلا المدينة قصدا إليه، فسلّما إليه المال فقال لهما: أين كيس الرّازي؟ فأخبراه بالقصّة، فقال لهما: إنْ رأيتما الكيس تعرفانه؟

قالا: نعم.

قال: ياجارية عليَّ بكيس كذا وكذا، فأخرجت الكيس فرفعه أبو عبدالله (عليه السّلام) إليهما فقال: تعرفانه[١]؟

قالا: هو ذاك.

قال: إنّي احتجتُ في جوف الليل إلى مال، فوجّهت رجلاً من الجنِّ من شيعتنا فأتاني بهذا الكيس من متاعكما[٢].

وروي عنه (عليه السّلام) أنه قال ـ في حديث له ـ: إنّ لنا أتباعاً من الجنّ[٣] كما أن لنا أتباعاً من الإنس، فاذا أردنا أمراً بعثناهم[٤].

١ـ في بحار الأنوار: أتعرفانه.

٢ـ بصائر الدرجات: ص١١٩ ح٩.

٣ـ الأتباع ـ جمع تابع ـ وهو ـ هنا ـ: الخادم (أقرب الموارد).

٤ـ بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢١.

عن عمّار السجستاني، عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: كنت أجيء فأستأذن عليه فجئت ذات ليلة فجلست في فسطاطه بمنى فاستؤذن لشباب كأنّهم رجال زطّ [1] وخرج عليّ عيسى شلقان فذكرني له فأذن لي فقال: ياعمّار متى جئت؟

قلت: قبل أُولئك الشباب الذين دخلوا عليك وما رأيتهم خرجوا.

قال: أُولئك قوم من الجن سألوا عن مسائل ثم ذهبوا [2].

هذا.. وقد افرد العلاّمة المجلسي (طاب ثراه) ـ في كتابه القيّم: بحار الأنوار ج٢٧ ـ باباً بعنوان: ان الجن خُدّامُهم يظهرون لهم ويسألونهم عن معالم دينهم.

وجاء فيه عن سعد الإسكاف انه جاء الى الامام الباقر (عليه السّلام) يريد الدخول عليه... فخرج قوم مُعتمُّون بالعمائم يشبهون الزُّط فلمّا سأل الامامَ عنهم قال (عليه السّلام) له: اولئك اخوانك من الجنّ يأتوننا يسألوننا عن حلالهم وحرامهم ومعالم دينهم [3].

١ـ الزُّط: جيل من الهند، جنسٌ من السودان (مجمع البحرين).

٢ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٩٩. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٤٩.

٣ـ بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢٠.

الملائكة في خِدمة الامام الصادق (عليه السّلام)

عن سليمان بن خالد عن أبي عبدالله (عليه السّلام) في قوله: ﴿إنّ الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا تتنزَّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون﴾[1].

قال أبو عبدالله (عليه السّلام): أمَا - واللهِ - لربّما وَسَّدْنا لهم الوسائد في منازلنا[2].

أقول: الآية الكريمة تحكي نزول الملائكة على المؤمن بعد الموت وأنها تبشّره بالجنّة.

ولكن الامام الصادق (عليه السّلام) صرَّح بأن الملائكة تنزل عليه في داره، وتجلس اليه وربّما طرح لهم الوسادة.

وقد جاء في أحاديث كثيرة أن الملائكة تخدم أهل البيت (عليهم السّلام) وتتقرَّب الى الله تعالى بولايتهم والبراءة من أعدائهم.

وعن عبدالله بن النجاشي قال: كنتُ في حلقة عبدالله بن الحسن

١ـ سورة فصّلت آية ٣٠.

٢ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٣.

فقال: يابن النجاشي: اتّقوا اللّه، ما عندنا الاّ ما عند الناس.

قال: فدخلتُ على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فأخبرتُه بقوله، فقال: واللّهِ إنّ فينا مَن يُنكتُ في قلبه، ويُنقر في أُذنه وتُصافحه الملائكة.

فقلت: اليوم، أو كان قبل اليوم؟

فقال: اليوم ـ واللّهِ ـ يابن النجاشي[1].

وعن الحسين بن العلاء القلانسي: قال أبو عبداللّه (عليه السّلام): يا حسين ـ وضَرَب بيده الى مَساور في البيت ـ مَساور طالما ـ واللّه ـ اتّكأتْ عليها الملائكة، وربّما التقطنا من زَغَبها[2].

---

١ و٢ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٤. والمساور: جمع المِسْوَر، وهي مُتَّكأ من جلد. والزَغَب: صغار الشعر والريش (أقرب الموارد).

قانون المعجزات

توجد في موسوعات الأحاديث ، روايات حول معاجز الامام الصادق (عليه السّلام) وغيره من أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) وقد ذكرنا في كتابنا : (الامام الهادي (عليه السّلام) من المهد إلى اللَّحد) كلمة وافية حول قانون المعجزات، ونرى من المناسب ان نلخّصها ونذكرها هنا بصورة مختصرة، لئلاّ يصعب على القارىء الذكي قبول الروايات التي سنذكرها حول معجزات الامام الصادق (عليه السّلام) فنقول :

للناس ـ حول الكون وما فيه ـ مبدآن، أو مدرستان :

الأولى : مدرسة المادّيين، وهم الذين يقولون، بأن الكائنات تتكوَّن من المادّة، ولايمكن أن يوجد شيء من غير المادّة، وعلى هذا فإنهم يؤمنون بالمادّة فقط، ولايؤمنون بغيرها، والمقصود من المادّة ـ هنا ـ كلّ ما يُحسُّ ويُدرَك بالحواسّ الخَمس، وهي : الباصرة والسّامعة والشامّة والذائقة واللاَّمسة .

فكُلّ ما يُرى، أو يُسمع، أو يُلمس، أو يُشمّ، أو يُذاق يعتقدون به، وكلّما كان غير هذه الأمور، ووراء المادّة لايؤمنون به ولايعتقدونه .

المدرسة الثانية: مدرسة الإلهيّين، وهم الذين يؤمنون بالغيب

والغيب: خلاف الشهادة، أي خلاف المحسوس، فينطبق معنى الغيب على ما لايقع عليه الحِسّ، أي الذي لايُدرَك بالحواس، وهو اللّه تعالى، وآياته الغائبة عن حواسّنا، مثل الوحي.

وهذا بحث فلسفي لاداعي للخوض فيه، لعدم ارتباطه بالكتاب.

وإنما ذكرتُ هذه المقدّمة حتى يسهل علينا الدخول في صميم البحث، وهو قانون المعجزات.

ماهي المعجزة؟

لأهل اللغة تعاريف متعدِّدة للمعجزة وكلّها تشير إلى معنى واحد ـ مع الاختلاف في التعبير ـ وهو أن المعجزة فِعلٌ خارق للعادة، مقترن بالتحدِّي، يؤيِّد اللّه تعالى به اولياءه ـ من الأنبياء والأوصياء ـ ليكون دليلاً على صدق دعواهم.

المعجزة في القرآن:

في القرآن الكريم آيات عديدة تتحدَّث عن حدوث قضايا خارقة للطبيعة، ويعجز القلم عن تحليلها على ضوء الطبيعة.

١ـ منها قوله تعالى ـ في قصة آدم (عليه السّلام) ـ :

﴿قلنا اهبِطوا منها جميعاً﴾[1].

وقوله: ﴿وقلنا اهبطوا بعضُكم لبعضٍ عَدُوّ ولكُم في الأرض مُستقرٌ

١ـ سورة البقرة آية ٣٨.

ومَتاع إلى حين﴾[١] .

فإن اللّه تعالى خَلَقَ آدم في الجنّة، وقال له: ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجُك الجنّة وكُلا منها رَغَداً حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة﴾[٢] فلمّا أكلا من تلك الشجرة أمَرهما اللّه تعالى بالهبوط إلى الكُرة الأرضيَّة، فكيف كان نزولهما؟

وبأيَّة وسيلة استطاعا أن ينتقلا من سطح كوكب إلى سطح كوكب آخر وهو الأرض؟

فهل كانت هناك مركبة فضائية مادّيّة نقلتْهما من هناك إلى هنا؟ .

لاأظنّك ـ أيّها القارىء ـ تجد في ذهنك وسيلة مادّيّة طبيعية لهبوط آدم، كالطائرات، أو المركبات الفضائية .

فهل تجد حَلاً لهذه المسألة سوى أن تقول إنهما هَبطا بقدرة اللّه تعالى، لابالوسائل المادّيّة؟ .

٢ـ وفي قصّة الطَوفان الذي حَدَث في زمن نوح (عليه السّلام) فإن الماء قد غَمَر الكرة الأرضيّة بكاملها حتى الجبال، ولم يبق حيوان ولانبات إلاّ مات، سوى من كان مع نوح في السفينة وما كان معه، واستؤنفت حياة الحيوانات والنباتات من بعد الطوفان .

فمن أين جاء هذا الماء؟

وأين نَضب الماء؟

فالقرآن الكريم يقول: ﴿قيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي

١ـ سورة البقرة آية ٣٦ .

٢ـ سورة البقرة آية ٣٥ .

وغيض الماء﴾[١] .

وهنا تأتي عدّة من الأسئلة حول تكاثر الماء في المرحلة الأولى من هطول الأمطار ومن فَوران التنّور ﴿وفار التنّور﴾[٢] وكيف لم تفتح هذه المياه طريقها إلى الأنهار، ومنها إلى البحار حتى لاتغرق الكرة الأرضيّة بكاملها، ويغرق مَن فيها وما فيها؟

وغير ذلك من الأسئلة.

٣ـ وفي قصّة إبراهيم الخليل (عليه السّلام) حيث أراد قومه أن يُحرّقوه، فجمعوا الحطَب واشترك في جَمْع الحطب الرجال والنساء، وأضرموا فيه النار، ووضعوا إبراهيم في المنجنيق ورَمَوه في تلك النار العظيمة ﴿قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾[٣] .

فكيف سُلبت طبيعة الإحراق من النار؟

وهل تشعر النار بخطاب اللّه تعالى؟

وهل تملك النار القدرة على أن تكيِّف نفسها، فتنقلب حرارتها إلى برودة؟ .

٤ـ وحينما سَأل إبراهيم ربَّه: ﴿رَبِّ أرني كَيفَ تُحيي الموتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤمن قَالَ بَلَى وَلكن ليَطْمَئنَّ قَلْبي قَالَ فَخُذ أَربَعَةً منَ الطَّير فَصُرهُنَّ إلَيكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ منهُنَّ جُزْءاً ثُمّ ادْعُهُنَّ يَأْتينَكَ سَعْياً﴾[٤] فأخذ إبراهيم أربعة من الطيور، مختلفة الأجناس وقطَّعهن، وخَلَط ريشها بِدَمها، ثم

١ـ سورة هود آية ٤٤ .

٢ـ سورة هود آية ٤٠ .

٣ـ سورة الأنبياء آية ٦٩ .

٤ـ سورة البقرة آية ٢٦٠ .

فرّق أجزاء تلك الطيور على تسعة أو عشرة جبال ثم دعاهنّ بقوله: ﴿أجبنَ بإذن اللّه﴾ فاجتمعت الأجزاء والأعضاء، وائتلفتْ لحومها وعظامها وطارت إلى إبراهيم (عليه السّلام).

٥ـ وفي قصّة داود (عليه السّلام): ﴿وألنّا له الحديد﴾[1] جعل اللّه تعالى الحديد ليّناً في يد داود كالشّمع أو العَجين، يَعمل به ما يشاء، فلايحتاج أن يدخله النار، ولاأن يضربه بالمطرقة حتى يلين أو يتمدّد، فكان يَصنع الدُّروع ـ وهي حَلقات متواصلة بعضها ببعض ـ على هيئة لباس يُلبَس في الحروب، للتحفّظ من الآلات الجارحة كالسيف والسهم والرمح كي لاتصل إلى البدن، وهو أوّل مَن صنَع الدرع.

٦ـ وفي قصة يونس (عليه السّلام) الذي مكث أياماً في بطن الحوت ﴿فلولا أنّه كان من المسبّحين * لَلَبثَ في بطنه إلى يوم يبعثون﴾[2].

٧ـ وفي قصة زوجة إبراهيم أيضاً: فقد كانت عجوزاً عقيماً، وقد بلغتْ أو تجاوزتْ من العُمر تسعين سنة ثم حَملت من إبراهيم، وولدتْ ابنها إسحاق، وكان زوجها شيخاً كبيراً طاعناً في السنّ، لايصلح ولايقوى على التناسل.

٨ـ وفي قصة موسى بن عمران (عليه السّلام) وانقلاب عصاه ثعباناً تلقف حِبالَهم وعِصيَّهُم، ثم عودتها إلى سيرتها الأولى.

فكيف انقلبت الخشبة إلى حيّة، وتبدّلت ماهيّتها، وتكوّنت فيها الروح والحياة، وابتلعت الحبال والعصيّ، ثم عادت إلى سيرتها الأُولى؟

فأين صارت الحبال، وأين ذهبت العِصيّ؟.

١ـ سورة سبأ آية ١٠.

٢ـ سورة الصافات آية ١٤٣ و١٤٤.

٩ـ وفي قصّة ضَرْبه البحر بالعصا ﴿فَاضْرِبْ لَهُم طَرِيقاً في البَحْرِ يَبَساً﴾[١] فانشقّ الماء وظَهَر قعرُ البحر، وظَهر اثنا عشر طريقاً، لكلّ سبط من أسباط يعقوب طريق، ووقف الماء في جانبي كل طريق ﴿وإِذْ فَرَقْنا بِكُمُ البَحْرَ﴾[٢] فقطَع موسى بن عمران المسافة من مصر إلى لبنان هو وقومه، يمشون على أرض البحر المتوسّط، وبعد أن وصلوا إلى الساحل، وخرج آخر من كان مع موسى ﴿فَأَتْبَعَهُم فِرْعَونُ بِجُنُوده﴾[٣] فلمّا دخل آخر من كان مع فرعون ﴿فَغَشِيَهُم مِن اليَمِّ ما غَشِيَهُم﴾[٤] أطبق اللّه عليهم الماء، فغرقوا جميعاً ﴿وأَغْرَقْنا آل فِرْعَونَ﴾[٥].

١٠ـ وهكذا في قصّة عيسى بن مريم (عليه السّلام) الذي وُلِدَ من غير أبٍ، وهل يمكن أن يتكوَّن الجنين من غير نطفة الرجُل؟.

نعم، في القرآن الكريم: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرانَ الَّتي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنَا فِيهِ من رُوحِنَا﴾[٦] وفي التفسير: إن جبرئيل تَناوَلَ جَيب مدرعتها، فنفخ فيه نفخة فحملت بعيسى حملاً كاملاً.

وعلى كلّ تقدير.. هل يمكن تحليل هذه الأمور على ضوء المادة والطبيعة؟.

١١ـ وكان عيسى بن مريم (عليه السّلام) يبريء الأكمه (الذي يولد أعمى) والأبرص، بإذن اللّه، لابالدواء أو العلاج، ولاباستعمال التعاليم

١ـ سورة طه آية ٧٧.

٢ـ سورة البقرة آية٥٠.

٣ و٤ـ سورة طه آية ٧٨.

٥ـ سورة البقرة آية ٥٠.

٦ـ سورة التحريم آية ١٢.

الطبيّة، بل كان ينظر إلى المريض أو يمسح على العضو المريض أو يدعو اللّه تعالى فيبرأ المريض، ويعود العضو المريض سليماً، وهكذا إحياؤه الموتى، وهكذا خَلقُه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن اللّه.

إلى غير ذلك من عشرات أو مئات الآيات التي تتحدَّث عن أمثال هذه الأمور الخارقة للعادة، والتي لاتفسير لها في قانون الماديّات.

هذه نُبذة من آيات اللّه البيّنات، التي تتحدّث عن خَرق العادة والطبيعة، فهل يستطيع العِلم الحديث تحليل هذه القضايا على ضوء الطبيعة والعادة؟.

وما يقول الجيل الجديد في هذه الوقائع التي صرّح بها القرآن الكريم؟.

وهل يمكن للجيل الجديد ـ إذا كان مُسلماً ـ أن يشكّ في كتاب اللّه تعالى وكلامه؟.

أليست هذه الآيات تفرض علينا أن نؤمن بما وراء الطبيعة والعادة؟.

مع الإنتباه إلى قدرة اللّه تعالى غير المحدودة، وأنه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون وأن الأشياء بإرادته ـ دون أمره ـ مؤتمرة، وبمشيئته ـ دون قوله ـ منزجرة.

أما يسهل علينا ـ عند ذلك ـ أن نؤمن بقانون المعجزات، لأنها صُنع اللّه تعالى على أيدي أوليائه المكرّمين، الذين زوَّدهم اللّه بهذه القدرات حتى يصدّق الناس أقوالهم، ويعترفوا بِرسالتهم، وبأنهم من عند اللّه تعالى؟.

العقل والمعجزة:

قد يقول بعض الناس: إنّ العقل لايؤمن بقانون المعجزات!!.

ونحن نسأل: أيُّ عقل هذا؟ هل هو العقل الطبيعي المادّي الذي لايؤمن بالكتب السماوية، ولايؤمن باللّه وقدرته؟ ولايؤمن إلاّ بالمادّة فقط وفقط؟.

إن هذا العقل ليس عقلاً، بل هو جهل، وليس معياراً ومقياساً حتى تقاس عليه القضايا، وتُدرك به الحقائق.

موقف الأنبياء من المستهزئين

ويأتي بعض المتفلسفين، ويقول: لاحاجة لنا إلى ذكر المعجزات، لأن الجيل الجديد يصعب عليه قبول المعجزة والايمان بها، ويستهزيء بها، لأنها خرق للعادة، ولايؤمن بها العلم الحديث.

ونحن نقول: إن الإستبعاد والإستهزاء ليس دليلاً على نفي الشيء، فهناك حقائق كثيرة ثابتة، يستهزيء بها المستهزئون.

واستهزاء الجُهّال بالحقائق والعقائد الصحيحة، والمقدّسات ليس بشيء جديد، فلقد ابتلي أنبياء اللّه بالمستهزئين، كما يحدِّثنا القرآن الكريم عن ذلك في آيات كثيرة.

فهل نشطب بالقلم الأحمر على آيات القرآن المشتملة على ذكر معاجز الأنبياء؟!

أو نتنازل عن الحقائق رعاية للجيل الجديد؟.

أو ينبغي لنا أن نرفع مستوى أفكار الجيل الجديد المسلم حتى يؤمن

بالحقائق، ويتخلّص فكره عن الخضوع للماديّات والطبيعيات، وحتى يعترف بما وراء الطبيعة، ويعتبر قدرة اللّه تعالى فوق كلّ طبيعة ومادّة وعادة؟!

المعجزات تصدر باذن اللّه تعالى

ومن الواضح أن المعاجز التي صدرتْ على أيدي الأنبياء إنما صدرتْ بإذن اللّه تعالى كما قال (عزّوجلّ): ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلاَّ بإذن اللّه فإذا جاء أمر اللّه قُضي بالحق وخسر هنالك المبطلون﴾[1].

وهذه الآية المباركة تدلّ بكلّ وضوح على أن الأنبياء ليس لهم أن يأتوا بالمعجزات من عند أنفسهم أو حسَب طلبات الناس منهم، بل الأمر بيد اللّه تعالى يأتي بالمعجزات على وجه المصلحة، والأنبياء يستمدّون من قدرة اللّه تعالى، وليس لهم استقلال في هذه التصرُّفات، ولايقدرون أن يأتوا بشيء إلاَّ بإذن اللّه.

وكلمة: ﴿إلاَّ بإذن اللّه﴾ ـ في هذه الآية ـ تستدعي الإنتباه، فإنّ للإذن معان عديدة وقد يأتي الإذن بمعنى التيسير والتكوين، كما في قوله تعالى: ﴿تؤتي أُكُلها كل حين بإذن ربّها﴾[2].

ومن الممكن أن يكون معنى الإذن في هذه الآية ـ وفي كلّ آية فيها ذكر المعجزة بإذن اللّه ـ هو التيسير والتكوين، أي أن اللّه تعالى هو الذي يُيَسِّر ويُسَهِّل وقوع المعجزة.

وخلاصة الكلام: أن اللّه الذي هو على كلّ شيء قدير، الكون

١ـ سورة غافر آية ٧٨.

٢ـ سورة إبراهيم آية ٢٥.

وجميع الكائنات كلها تابعة لإرادته، وخاضعة لمشيئته، فإذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كنْ فيكون.

فلامانع بأن يجعل اللّه الكائنات مطيعة للنبيّ، وخاضعة له، يتصرّف فيها بإذن اللّه كما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

ومن الواضح أن المعجزة تعتبر خرقاً للعادة والطبيعة، واللّه تعالى هو خالق الطبيعة، فلايعجز عن تغييرها وتبديلها، وسلب خواصها.

الأوصياء امتداد للأنبياء

ذكرنا هذا الشرح المتواضع ـ حول معاجز الأنبياء، وإمكانها، وصدق وقوعها ـ مقدّمة تمهيدية للبحث الآتي:

إن أوصياء الأنبياء لهم أيضاً هذه المزيّة والقدرة لنفس الغَرض.

فإنّ الذي يدّعي أنه وَصيّ نبيّ، وأنه قائم مقامه لابُدَّ وأن يكون له سَنَد وحَجّة واضحة، ودليل مُقنع، حتى يصدّقه الناس، فيطيعوا أوامره.

وليست المعجزة خاصة بالأنبياء.

فهذا آصف بن برخيا ـ وهو وصيّ سليمان بن داود (عليه السّلام) ـ أحضر عرش بلقيس الذي كان طوله ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، وارتفاعه ثلاثون ذراعاً ـ من مدينة سبأ في اليَمن إلى الأردن في طرفة عين، وكان عنده عِلم من الكتاب، أي حرفٌ واحد من الإسم الأعظم.

وأمّا أئمة أهل البيت الإثنا عشر (عليهم السّلام) فقد كانوا أوصياء رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وخلفاءه ـ حسب الأدلّة المذكورة في محلّها ـ وكانوا يملكون أقوى الوثائق والحجج والبراهين على إمامتهم وصدق كلامهم، وقد توفّرت فيهم شروط الإمامة بأكملها، ومنها: المعجزات.

إن في مطاوي موسوعات الأحاديث كميّة وافرة من المعاجز التي صدرتْ على أيدي أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) وقد تجاوزتْ حدّ التواتر، بحيث لايمكن التشكيك فيها لغزارتها، ولاشك أن تلك المعاجز إنّما كانت تصدر من الأئمة (عليهم السّلام) حسب الظروف وكما تقتضيه الحكمة، ففي بعض الظروف كانت الحكمة تقتضي أن يستعين الإمام بالمعجزة، وفي ظروف أُخرى كانت الحكمة والمصالح تتطلّب من الإمام أن لايستعين بالمعجزة، بل يتظاهر بأنه عاجز، لايملك حولاً ولاقوَّة، كلّ ذلك رعايةً للمصالح التي يعلمها الإمام ونجهلها نحن.

وإنما ذكرنا هذا البحث ليكون القارىء على علم وبصيرة تجاه بعض الأحاديث المذكورة في هذا الكتاب، وغيره من الكتب التي تتحدَّث عن معاجز الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام).

وحتى لاينسبنا أحدٌ إلى الغلوّ، والإعتقاد بالخرافات، ويقول ـ فينا ـ: إن الشيعة تحمل عقائد خرافية في أئمَّتهم، ما أنزل اللّه بها من سلطان.

هذا.. وينبغي أن نضيف ـ هنا ـ كلمة أخرى تتميماً لذلك البحث.. وهي:

إن الامام الصادق (عليه السّلام) لو أراد ـ في ذلك الزمان ـ أن يُظهر المعاجز بصورة علنيّة ويتحدّى الطبيعة والعادة، إذن، لقامت عليه القيامة، ونسبوا إليه السِّحر كما نسبوا الى جدّه الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه وآله) حينما شاهدوا منه المعاجز الخارقة للطبيعة والعادة، كما يحدِّثنا القرآن الكريم.

والمعروف ان عقاب ساحر المسلمين هو القتل، فان المناوئين كانوا ينتظرون وينتهزون هكذا مناسبات حتى يبرِّروا قتل الامام عَلَناً.

نعم، كان الامام ربَّما أظهر معجزة لبعض شيعته، بعد أن يأخذ منه الأيمان المغلّظة، والعهود المؤكّدة بأن لايخبر بذلك أحداً، وبعض هؤلاء كان ينكث العهد، ويخبر الناس بذلك، ويجرُّ الويلات على نفسه، كما ينسب ذلك الى المعلّى بن خُنيس.

وبعضهم ما كان يخبر بذلك أحداً إلاّ بعد وفاة الامام الصادق (عليه السّلام).

الامام الصادق (عليه السّلام) والمعجزات

أيُّها القارئ الكريم: بعد أن أثبتنا أن المعجزة تَصدر من الامام كما تصدر من النبي، نذكر ـ في هذا الفصل ـ بعض المعجزات التي صدرت من سيدنا ومولانا الامام الصادق (عليه السّلام).. وتجد التفصيل في الموسوعة:

يتكلَّم (عليه السّلام) بالعربيَّة والحاضرون يسمعونه بلُغاتهم

١ـ روي أنَّ أبان بن تغلب قال: غَدوتُ من منزلي بالمدينة وأنا أُريد أبا عبدالله (عليه السّلام) فلمّا صرتُ بالباب خَرج عليَّ قوم من عنده لم أعرفهم ولم أرَ قوماً أحسنَ زَيّاً منهم ولا احسنَ سيماء منهم، كأنَّ الطير على رؤوسهم[1].

ثم دخلنا على أبي عبدالله (عليه السّلام) فجعل يُحدِّثنا بحديث، فخرجنا من عنده وقد فهم خمسة عشر نفراً منّا مُتفرِّقوا الألسُن: منها

١ـ كناية عن الوقار والسكينة التي كانت عليهم.

اللسان العربي والفارسي والنَّبطي والحَبَشي والسَّقْلبي[1] .

قال بعضٌ: ما هذا الحديث الذي حدَّثَنا به؟

قال له آخر ـ مَن لسانه عربي ـ: حدَّثني بكذا بالعربيَّة.

وقال له الفارسي: ما فهمتُ، انّما حدَّثني كذا وكذا بالفارسيَّة.

وقال الحَبشي: ما حدَّثني إلاّ بالحَبشيَّة.

وقال السَّقلبي: ما حدَّثني الاّ بالسَّقلبية.

فرجعوا اليه (عليه السّلام) فأخبروه.

فقال (عليه السّلام): الحديث واحد، ولكنَّه فُسِّر لكم بألسنتكم[2] .

أيُّها القارئ الكريم: لقد قرأتَ ـ في هذا الحديث الشريف ـ أن رجالاً من قوميّات مختلفة ولغات متعددة دخلوا على الامام الصادق (عليه السّلام) وحدَّثهم الامام، وسمع كلٌّ واحد منهم حديث الامام بلُغته الخاصَّة به.

ومن الواضح أن ذلك تحقَّق عن طريق المعجزة ومن خلال قدرة الامامة.. تلك القدرة التي زوَّد اللّه تعالى بها حُججه وأولياءه الطاهرين.

قد يقول قائل: إن هذا الأمر قد صار من الظواهر المألوفة في عصرنا الحاضر، ففي المؤتمرات التي تُعقد في شرق الأرض وغربها ويجتمع فيها الرؤساء والشخصيّات من البلاد المختلفة.. تراهم يستمعون الى الخطابات والمقالات بُلغاتهم، عَبْر الجهاز الذي يُترجم الكلام الى تلك اللغة..

فهل هذا معجزة.. أم أنه من التقدُّم العلمي؟

الجواب: ما نراه اليوم إنما هو من التقدُّم العِلمي الذي يزهر به عصرنا

١ـ السَّقلبي: نِسبة الى السَّقْلب وهو جيل من الناس (القاموس).

٢ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٩٩.

الحاضر، ولكنْ هناك فرق بين هذا وبين معجزة الامام الصادق (عليه السّلام) وهو أن أصحاب الامام سمعوا حديثَ الامام بلغاتهم بصورة مباشرة ومن فم الامام (عليه السّلام) لاعَبْر جهاز خاص. .

وهنا بيت القصيد.

يُعلِّم رجلاً كيف ينجو من السَّبُع

٢ـ روي عن عبدالله بن يحيى الكاهلي قال: قال أبو عبدالله (عليه السّلام): اذا لقيتَ السَّبُع ما تقول له؟

قلت: لا ادري.

قال: اذا لقيته فاقرأ في وجهه آية الكرسي وقل: «عَزمتُ عليك بعزيمة الله، وعزيمة محمد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعزيمة سليمان بن داود، وعزيمة علي أمير المؤمنين والأئمة من بعده».

فانه ينصرف عنك.

قال عبدالله الكاهلي: فقدمتُ الكوفة، فخرجتُ مع ابن عمٍّ لي الى قرية فاذا سَبُع قد اعترض لنا الطريق، فقرأتُ في وجهه آية الكرسي وقلت: عزمتُ عليك بعزيمة الله وعزيمة محمد رسول الله وعزيمة سليمان بن داود وعزيمة علي أمير المؤمنين والأئمة من بعده إلاّ تنحَّيتَ عن طريقنا ولم تؤْذنا، فانّا لانؤذيك.

قال: فنظرتُ اليه وقد طأطأ رأسه وأدخل ذَنبَه بين رجليه وركب الطريق راجعاً من حيث جاء.

فقال ابن عمي: ما سمعتُ كلاماً احسن من كلامك هذا الذي سمعتُه منك. !!

فقلت: أيَّ شيء سمعتَ؟ هذا كلام جعفر بن محمد.

فقال: أنا أشهد أنه امام فَرضَ اللّه طاعته.

وما كان ابنُ عمي يعرف قليلاً ولا كثيراً.

قال: فدخلتُ على أبي عبداللّه (عليه السّلام) من قابل فأخبرتُه الخبر، فقال: ترى أني لم أشهدْكما؟!! بئسما رأيتَ.

ثم قال: إن لي مع كلِّ وليٍّ أُذُناً سامعة وعيناً ناظرة ولساناً ناطقاً.

ثم قال: يا عبداللّه أنا ـ واللّهِ ـ صرفتُه عنكما، وعلامة ذلك انكما كنتما في البريَّة على شاطئ النهر، واسم ابن عمك مُثبتٌ عندنا، وما كان اللّه ليميته حتى يعرف هذا الأمر.

قال: فرجعتُ الى الكوفة فأخبرتُ ابنَ عمّي بمقالة أبي عبداللّه (عليه السّلام) ففرح فرحاً شديداً، وسُرَّ به، وما زال مستبصراً بذلك الى أن مات[1].

الفاكهة في غير أوانها

٣ـ روي أن داود بن كثير الرّقي قال: دخلت على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فدخل عليه ابنه موسى وهو ينتفض من البرد، فقال له أبو عبداللّه (عليه السّلام): كيف أصبحت؟

قال: أصبحت في كنف[2] اللّه، متقلّباً في نِعَم اللّه، أشتهي عنقود عنب حرشي ورمّانة خضراء.

قال داود: قلت: سبحان اللّه هذا الشتاء!!

فقال: ياداود إنَّ اللّه قادر على كلِّ شيء، أُدخل البستان، فدخلته فاذا شجرة عليها عنقود من عنب حرشي ورمّانة خضراء، فقلت: آمنتُ

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٩٥.

٢ـ الكَنَف: الحرز (مجمع البحرين).

بسرِّكم وعلانيتكم. فقطعتُها واخرجتُها إلى موسى، فقعد يأكل.

فقال (عليه السّلام): ياداود والله لهذا فضل من رزق قديم، خَصَّ الله به مريم بنت عمران من الأفق الأعلى[1].

تمييز الدراهم الخالصة من المغشوشة

٤ـ عن شعيب العقرقوفي قال: بَعث معي رجل بألف درهم فقال: إنّي أُحبُّ أن أعرف فضل أبي عبدالله (عليه السّلام) على أهل بيته، ثم قال: خذ خمسة دراهم سوقيّة[2] فاجعلها في الدراهم، وخذ من الدراهم خمسة فصرُها في لُبَّة قميصك، فانّك ستعرف فضله.

قال: فأتيت بها أبا عبدالله (عليه السّلام) فنشرها وأخذ الخمسة فقال: هاك خمستك، وهات خمستنا[3].

احياء الطيور الأربعة

٥ـ روي عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند الصادق (عليه السّلام) مع جماعة فقلت: قول الله تعالى لإبراهيم: ﴿فَخُذْ أربعة من الطير فصُرهنّ﴾[4] أَوَ كانت أربعة من أجناس مختلفة؟ أوْ من جنس واحد؟

قال: أتحبّون أن أُريكم مثله؟

قلنا: بلى.

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٠٠.

٢ـ في بحار الأنوار: ستوقة. والستوق: درهم زيف ملبَّس بالفضة (مجمع البحرين).

٣ـ بصائر الدرجات: ص٢٦٧ ح٩.

٤ـ سورة البقرة آية ٢٦٠.

قال: ياطاووس. فاذا طاووس طار إلى حضرته، ثمّ قال: ياغراب. فاذا غراب بين يديه، ثم قال: يابازي. فاذا بازي بين يديه، ثم قال: ياحمامة. فاذا حمامةٌ بين يديه، ثم أمر بذبحها كلّها وتقطيعها ونَتْف ريشها، وأن يُخلط ذلك كلّه بعضُه ببعض، ثم أخذ برأس الطاووس فقال: ياطاووس، فرأينا لحمه وعظامه وريشه، يتميّز من غيره حتى ألتزق ذلك كلّه برأسه، وقام الطاووس بين يديه حيّاً، ثمّ صاح بالغراب كذلك، وبالبازي والحمامة كذلك، فقامت كلّها أحيآء بين يديه[1].

إحياء الأخ الميّت

٦ـ عن محمّد بن راشد، عن جدّه قال: قصدت إلى جعفر بن محمّد (عليه السّلام) أسأله عن مسألة فقالوا: مات السيّد الحِمْيريُّ الشاعر، وهو في جنازته[2] فمضيتُ إلى المقابر فاستفتيته، فأفتاني، فلمّا أن قمت أخذ بثوبي فجَذَبه إليه ثمّ قال: إنّكم معاشر الأحداث تركتم العلم.

فقلت: أنت إمام هذا الزمان؟

قال: نعم.

قلت: فدليل أو علامة؟

قال: سلني عمّا شئت أُخبرك به إن شاء اللّه.

قلت: إني أُصبت بأخ لي ودفنته في هذه المقابر، فأحيه لي باذن اللّه.

قال: ما أنت بأهلٍ لذلك، ولكنّ اخاك كان مؤمناً واسمه كان عندنا أحمد.

١ـ الخرائج والجرائح: ج١ ص٢٩٧ ح٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١١١.

٢ـ أي: كان الامام قد خرج لتشييع جنازة السيد الحِمْيَري.

ودنا من القبر ودعا، قال: فانشقّ عنه قبره، وخرج إليَّ ـ واللّه ـ وهو يقول: يا أخي اتّبعه ولاتفارقه، ثمّ عاد إلى قبره، واستحلفني (عليه السّلام) على أن لا أخبر به أحداً[1].

إعادة البُردة المسروقة

٧ـ عن إبراهيم بن عبدالحميد قال: اشتريت من مكة بُردةً وآليتُ على نفسي أن لاتخرج عن مِلكي حتى تكون كَفَني، فخرجتُ فيها إلى عرفة، فوقفتُ فيها الموقف، ثم انصرفتُ إلى جمع[2]، فقمتُ إليها في وقت الصلاة، فرفعتها وطويتُها ـ شفقة مني عليها ـ وقمتُ لأتوضّأ، ثمّ عدت فلم أرها فاغتممتُ لذلك غمّاً شديداً، فلمّا أصبحتُ وقمتُ لأتوضّأ، أفضت مع الناس إلى منى، فانّي واللّه لفي مسجد الخيف إذ أتاني رسول أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقال لي: يقول لك أبو عبداللّه: أقبل إلينا الساعة، فقمتُ مسرعاً حتى دخلتُ إليه وهو في فسطاط، فسلّمتُ وجلستُ، فالتفتَ إليَّ ـ أو رفع رأسه إليَّ ـ فقال: يا إبراهيم أتحبُّ أن نعطيك بُردة تكون كفنك؟

قال: قلت: والذي يحلف به إبراهيم[3] لقد ضاعت بردتي.

قال: فنادى غلامه فأتى ببُردة، فإذا هي ـ واللّه ـ بردتي بعينها، وطيّي بيدي واللّه.

قال: فقال: خُذها يا إبراهيم واحمد اللّه[4].

١ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٧٤٢ ح٦٠. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١١٨.

٢ـ جمع: المزدلفة، وهي المشعر.

٣ـ يقصد من «ابراهيم» نفسه.

٤ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٩٢. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٤٧.

أقـول: حينما سُرقت البُردة من هذا الرجل استنقذها الامام الصادق (عليه السّلام) من السارق بطريق المعـجزة، ثم ردَّها الى صاحبها كـما كانت مَطويَّةً بيده.

الإخبار عن حال الميت في القبر

٨ـ عن عروة بن موسى الجعفي قـال: قال (أبو عبـدالله عليه السّلام) [لنا] يوماً ونحن نتحدَّث: الساعة انفقأت عين هشام في قبره.

قلنا: ومتى مات؟

قال: اليوم، الثالث.

قال: فحسبنا موته، وسألنا عنه فكان كذلك[1].

الإخبار عن عدم موت الأم وعن قُرب موتها

٩ـ روي عن صفـوان قال: كنت عند أبي عبدالله (عليـه السّلام) فأتاه غلام، فقال: ماتت أُمي.

فقال له (عليه السّلام): لم تمت.

قال: تركتُها مسجّى عليها!

فقـام أبو عبـدالله (عليـه السّلام) ودخل عليهـا، فاذا هي قـاعدة فـقال لابنها: ادخل إلى أُمّك فشهّها من الطعام ما شاءت فأطعمها.

فقال الغلام: يا أمّاه ما تشتهين؟

قالت: أشتهي زبيباً مطبوخاً.

١ـ إعلام الورى: ص٢٧٦.

فقال له: ائتها بغضارة[1] مملوّة زبيباً، فأكلتْ منها حاجتها، وقال (عليه السّلام) له: قل لها: إن ابن رسول اللّه بالباب يأمركِ أن توصين. فأوصتْ، ثمَّ توفيتْ، قال: فما برحنا حتى صلّى عليها أبو عبداللّه (عليه السّلام) ودُفنت[2].

يسجد والناس لايرونه

١٠ـ عن معاوية بن وهب قال: كنت مع أبي عبداللّه (عليه السّلام) بالمدينة وهو راكب حماره، فنزل وقدكنّا صرنا إلى السوق أو قريباً من السوق قال: فنزل وسجد وأطال السجود وأنا أنتظره، ثم رفع رأسه.

قال: قلت: جعلت فداك رأيتك نزلت فسجدت؟!

قال: إني ذكرت نعمة اللّه عليَّ.

قال: قلت: قُربَ السوق، والناس يجيئون ويذهبون؟!

قال: إنه لم يرني أحد[3].

تمييز دنانير الهديَّة من دنانير الزكاة

١١ـ عن أبي بصير قال: دخل شعيب العقرقوفي على أبي عبداللّه (عليه السّلام) ومعه صرَّة فيها دنانير فوضعها بين يديه فقال له أبو عبداللّه (عليه السّلام): أزكاة أم صلة؟

فسكت ثمّ قال: زكاة وصلة.

١ـ الغضارة: القصعة الكبيرة (أقرب الموارد).

٢ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦١٤ ح١٣. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٩٨.

٣ـ بصائر الدرجات: ص٥١٥ ح٢. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢١.

قال: فلاحاجة لنا في الزكاة [قال:] فَقَبَض أبو عبداللّه (عليه السّلام) قبضة فدفعها إليه.

فلمّا خرج قال أبو بصير: قلت له: كم كانت الزكاة [من هذه]؟

قال: بقدر ما أعطاني، واللّه لم يزد حبّةً ولم ينقص حبّة[1].

النخلة الخاوية تُثمر الرُّطب فوراً

١٢ـ عن سليمان بن خالد أن أبا عبداللّه البلخي كان مع الامام الصادق (عليه السّلام) فانتهى إلى نخلة خاوية قال: «أيّتها النخلة السامعة المطيعة لربّها أطعمينا ممّا جعل اللّه فيك».

قال: فتساقط علينا رُطَب مختلف ألوانه، فأكلنا حتى تضلّعنا[2].

فقال البلخي: جُعلت فداك سُنّة فيكم كسُنّة مريم[3].

نَبع الماءالعذب من البئر

١٣ـ عن سليمان بن خالد أيضاً، قال: كان معه (عليه السّلام) أبو عبداللّه البلخي في سفر فقال [الامام] له: انظر هل ترى هاهنا جُبّاً؟

فنظر البلخيّ يمنةً ويسرةً ثمَّ انصرف، فقال: ما رأيت شيئاً.

قال (عليه السّلام): بلى انظر.

فعاد أيضاً ثمَّ رجع إليه.

ثمَّ قال (عليه السّلام) بأعلى صوته: «ألا يا أيّها الجُبُّ الزاخر السّامع

١ـ اعلام الورى: ص٢٧٥.

٢ـ تضلّع الرجل: امتلأ مابين أضلاعه شبعاً وريّاً (لسان العرب).

٣ـ اشارة الى قوله تعالى: ﴿وهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾ والحديث في بصائر الدرجات: ص٢٧٤ ح٥.

المطيع لربّه اسقنا ممّا جعل اللّه فيك».

قال: فنبع منه أعذب ماء، وأطيبه وأرقّه وأحلاه.

فقال له البلخي: جُعلت فداك سُنّة فيكم كَسُنّة موسى[1].

أقول: لعلَّ قوله: «سُنّة فيكم كسُنّة موسى» اشارة الى قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾[2].

إخراج الورقة من التمرة

١٤ـ روي أن محمد بن مسلم قال: كنت عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) إذ دخل عليه المعلّى بن خنيس باكياً فقال: وما يبكيك؟

قال: بالباب قوم يزعمون أن ليس لكم عليهم فضل، وأنكم وهم شيء واحد، فسكت ثمّ دعا بطبق من تمر فأخذ منه تمرة فشقّها نصفين وأكل التمر وغرس النوى في الأرض فنبتت فحملت بُسراً، فأخذ منها واحدة فشقها [نصفين] وأكل وأخرج منها ورقاً ودفعه إلى المعلّى وقال [له]: إقرأ[ه]! فإذا فيه: بسم اللّه الرحمن الرحيم لا إله إلاّ اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ المرتضى، [و] الحسن والحسين وعليّ بن الحسين [وعدّهم] واحداً واحداً إلى الحسن بن علي وابنه[3].

الدنانير تنحدر من الطَّشت

١٥ـ قال بعض أصحابه (عليه السّلام): حملتُ مالاً إلى أبي عبداللّه

١ـ بصائر الدرجات: ص٥٣٢ ح٢٨. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٩٢.

٢ـ سورة البقرة آية ٦٠.

٣ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦٢٤ ح٢٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٠٢.

(عليه السّلام) فاستكثرتُه في نفسي، فلمّا دخلتُ عليه دعا بغلام، واذا طَشت في آخر الدّار، فأمره أن يأتي به، ثمَّ تكلَّم بكلام لمّا أُتي بالطشت فانحدرت الدَّنانير من الطشت، حتى حالت بيني وبين الغلام، ثم التفتَ إليَّ وقال: أترى نحتاج إلى ما في أيديكم؟!

إنّما نأخذ منكم ما نأخذ لنطهِّركم به[1].

إحياء البَقرة الميّتة

١٦ـ روي عن المفضّل بن عمر قال: كنت أمشي مع أبي عبدالله جعفر بن محمّد (عليهما السّلام) بمكّة [أو بمنى]، إذ مَررنا بامرأة بين يديها بقرة ميّتة، وهي مع صَبيّةٍ لها تبكيان، فقال (عليه السّلام) لها: ما شأنكِ؟

قالت: كنت أنا وصبياني نعيش من هذه البقرة، وقد ماتت، لقد تحيّرتُ في أمري.

قال: أفتحبين أن يحييها الله لك؟

قالت: أوَ تَسخر منّي مع مصيبتي؟

قال: كلاّ، ما أردتُ ذلك، ثم دعا بدعاء، ثم ركضها بِرِجله، وصاح بها، فقامت البقرة مسرعة سويّة.

فقالت: عيسى بن مريم وربِّ الكعبة. فدخل الصادق (عليه السّلام) بين الناس، فلم تعرفه المرأة[2].

١ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦١٤ ح١٢. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٠١.

٢ـ الخرائج والجرائح: ج١ ص٢٩٤ ح١. منه بحار الانوار: ج٤٧ ص١١٥.

تحرُّك الجبَل من مكانه

١٧ـ عن الحسن بن عطية قال: كان أبو عبدالله (عليه السّلام) واقفاً على الصَّفا، فقال له عباد البصري: حديث يُروى عنك.

قال: وما هو؟

قال: قلتَ: حرمة المؤمن أعظم من حُرمة هذه البنيَّة.

قال: قد قلتُ ذلك، إنَّ المؤمن لو قال لهذه الجبال: أقبلي أقبلت، قال: فنظرتُ إلى الجبال قد أقبلت فقال لها: على رسلك[1] إنّي لم أُردك[2].

الأخْذ بأُذُن الأَسَد

١٨ـ عن عبدالغفار بن الحسن قال: قدم إبراهيم بن أدهم الكوفة وأنا معه ـ وذلك على عهد المنصور ـ وقَدِمها جعفر بن محمد العَلَوي، فخرَج جعفر (عليه السّلام) يريد الرجوع إلى المدينة فشيّعه العلماء وأهلُ الفضل من أهل الكوفة، وكان فيمن شيَّعه: سفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم، فتقدّم المشيِّعون له، فاذا هم بأسد على الطريق فقال لهم إبراهيم بن أدهم: قِفُوا حتى يأتي جعفر فننظر ما يصنع؟

فجاء جعفر (عليه السّلام) فذكروا له الأسد، فأقبل حتى دنا من الأسد فأخذ بأذنه فنحّاه عن الطريق، ثم أقبل عليهم، فقال: أما إن الناس لو أطاعوا اللّه حقَّ طاعته لحملوا عليه أثقالهم[3].

١ـ أي على مهلك.

٢ـ الاختصاص: ص٣٢٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٨٩.

٣ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٤١. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٣٩.

النار في التنُّور لاتُحرق الرجل

١٩ـ عن مأمون الرَّقي قال: كنتُ عند سيدي الصادق (عليه السّلام) إذ دخل سهل بن الحسن الخراساني، فسلَّم عليه، ثم جلس، فقال له: يابن رسول اللّه! لكم الرأفة والرحمة، وأنتم أهل بيت الإمامة، ما الذي يمنعك أن يكون لك حَقٌّ تقعد عنه؟ وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف؟

فقال (عليه السّلام) له: إجلس ياخراساني، رَعَى اللّه حقّك.

ثم قال:

ياحنيفة! أسجري التَّنّور! فسجرته حتى صار كالجمرة، وابيضَّ عُلُوُّه، ثم قال: ياخراساني! قُم فاجلس في التَّنور!!

فقال الخراساني: ياسيدي يابن رسول اللّه لاتعذِّبني بالنار، أقِلْني! أقالك اللّه!

قال: قد أقلتُك.

فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكّي ـ ونَعلُه في سبّابته ـ فقال: السلام عليك يابن رسول اللّه.

فقال له الصادق (عليه السّلام): ألقِ النَّعل من يدك، واجلس في التنّور!

قال: فألقى النَّعل من سبّابته، ثم جَلَس في التنّور، فأقبل الإمام (عليه السّلام) يُحدِّث الخراساني حديثَ خراسان حتى كأنَّه شاهد لها، ثم قال: قُم ياخراساني، وانظر ما في التنّور.

قال: فَقُمتُ إليه، فرأيته متربّعاً، فخرج إلينا وسلَّم علينا.

فقال الامام (عليه السّلام) له [للخراساني]: كم تجد بِخراسان مثل هذا؟

فقال: واللّه ولا واحداً.

فقال (عليه السّلام): لا، واللّه ولا واحداً.

[فقال]: أمَا إنا لانخرج في زمانٍ لانجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت[١].

الإخبار عن حَملة الجَراد

٢٠ـ عن ابراهيم بن عبدالحميد، قال: خرجتُ إلى قُبا، لأشتري نخلاً[٢] فلقيته (عليه السّلام) وقد دخل المدينة، فقال: أين تريد؟

فقلت: لعلَّنا نشتري نخلاً.

فقال: أوَ أمنتم الجراد؟

فقلت: لا، واللّه لاأشتري نخلةً، فواللّه ما مضتْ إلاّ خمساً حتى جاء من الجراد مالم يترك في النخل حملاً[٣].

إرسال الخضر لإنقاذ العطشان في الصحراء

٢١ـ عن داود الرَّقّي، قال: خَرَج أخَوان لي يريدان المزار[٤] فعطش

١ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٣٧. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٢٣.

٢ـ أي أشتري التمر الذي على النخل قبل جذاذه.

٣ـ إعلام الورى: ص٢٧٥.

٤ـ لعل المقصود من المزار ـ هنا ـ المدينة المنوّرة.

أحدهما عطشاً شديداً حتى سقط من الحمار، وسقط الآخر في يده[١].

فقام، فصلّى، ودعا اللّه ومحمداً وأمير المؤمنين والأئمة (عليهم السّلام) كان يدعو واحداً بعد واحد، حتى بلغ الى آخرهم: جعفر بن محمد (عليهما السّلام) فلم يزل يدعوه ويلوذ به.

فاذا هو بِرجُل قد قام عليه، وهو يقول: ياهذا! ما قِصَّتك؟ فذكر له حاله.

فناوَله قطعة عُودٍ وقال: ضَع هذا بين شفتيه. ففَعل ذلك، فاذا هو قد فَتح عينيه واستوى جالساً، ولاعطش به، فمضى حتى زار القبر.

فلمّا انصرفا إلى الكوفة أتى صاحب الدعاء[٢] المدينة، فدخل على الصادق (عليه السّلام) فقال [الامام] له: إجلس، ما حال أخيك؟ أين العُود؟

فقال: ياسيدي! إني لمّا أُصبتُ بأخي إغتممتُ غمّاً شديداً، فلمّا ردّ اللّه عليه روحه نسيتُ العود من الفرح!

فقال الصادق (عليه السّلام): أمَا إنه ساعةَ صرتَ إلى غمِّ أخيك أتاني أخي: الخضر، فبعثت إليك ـ على يديه ـ قطعة عُودٍ من شجرة طوبى!

ثم التفت إلى خادمٍ له فقال له: عَلَيَّ بالسَّفَط. فأتى به، ففتحه وأخرج منه قطعة العود بِعينها، ثم أراها إياه، حتى عرفها، ثم ردَّها إلى السفط[٣].

١ـ سقط في يده: أي تحيَّر في أمره

٢ـ أي ذلك الأخ الذي دعا اللّه تعالى واستغاث بالنبي والائمة (عليهم السّلام).

٣ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٤٠. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٣٨.

الامام لايأكل اللّحم الحرام

٢٢ـ عن سعد الإسكاف، [قال:] كنت عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) ذات يوم، إذ دخل عليه رجل من [أهل] الجبل بِهدايا وألطاف[1] فكان ـ فيما أُهدي إليه ـ جراب من قديد وحش[2] فنثره أبو عبداللّه (عليه السّلام) ثم قال: خُذها فأطعمها الكلاب.

فقال الرجل: لِمَ؟

قال: ليس بِذكيّ..

فقال الرجل: إشتريتُه من رجل مسلم، ذكَرَ أنه ذكيّ. فردّه أبو عبداللّه (عليه السّلام) في الجراب، وتكلّم عليه بكلام لم أدرِ ما هو؟

ثم قال للرجل: قم، فأدخله ذلك البيت، وضَعه في زاوية البيت.

ففَعل، فسمع [الرجل] القديدَ يقول: ياعبداللّه! ليس مثلي يأكله الإمام، ولاأولاد الأنبياء لست بِذكيّ!

فحَمل الرجل الجراب، وخرج [من ذلك البيت] فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام) [له]: «ما قال؟».

قال: أخبَرَني بما أخبرتني به: أنه غير ذكي.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): «أما علمتَ ـ يا أبا هارون! ـ أنا نعلم مالايعلمه الناس؟!».

قال: بلى. فخرج وألقاه على كلبٍ لقيه[3].

١ـ الطاف ـ جمع لَطَف ـ: من طُرَف التُحَف (أقرب الموارد).

٢ـ قديد وَحْش: أي كان من لحوم الحيوانات الوحشيَّة.

٣ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٩٥.

مَسْخ الأعرابي ثم إعادته الى حالته الأولى

٢٣ـ قال علي بن أبي حمزة: حججتُ مع الصادق (عليه السّلام) فجلسنا في بعض الطريق تحت نخلة يابسة، فحرَّك شفتيه بِدعاءٍ لم أفهمه، ثم قال:

«يانخلة! أطعِمينا مما جعل اللّه فيك من رزق عباده».

قال: فنظرت الى النخلة، وقد تمايلتْ نحو الصادق (عليه السّلام) وعليها أعذاقها، وفيها الرطب قال: ادن فَسمِّ وكُلْ، فأكلنا منها رُطَباً أعذب رُطبٍ وأطيَبَه.

فاذا نحن بأعرابي يقول: ما رأيتُ ـ كاليوم ـ سِحراً أعظم من هذا!!

فقال الصادق (عليه السّلام): نحنُ ورثة الأنبياء، ليس فينا ساحر ولاكاهن، بل ندعوا اللّه فيجيب، فان أحببتَ أن أدعو اللّه فيمسخك كلباً تهتدي الى منزلك، وتدخل عليهم وتُبصبص لأهلك؟

قال الأعرابي ـ بجهله ـ: بلى.

فدعا اللّه فصار كلباً في وقته، ومضى على وجهه.

فقال لي الصادق (عليه السّلام): إتَّبِعه. فاتّبعته حتى صار الى حَيِّه، فدخل الى منزله، فجعل يبصبص لأهله وولده، فأخذوا له العصا حتى أخرجوه.

فانصرفتُ الى الصادق (عليه السّلام) فأخبرته بما كان منه، فبينما نحن في حديثه إذ أقبل حتى وقف بينَ يدي الصادق (عليه السّلام) وجعلتْ دموعه تسيل [على خديه]، وأقبل يتمرَّغ في التراب، ويعوي.

فرحَمه، فدعا اللّه [له]، فعاد أعرابياً.

فقال له الصادق (عليه السّلام): هل آمنتَ ياأعرابي؟

قال: نعم، ألفاً وألفاً!![1].

استخراج سبائك الذَّهب من الأرض

٢٤ـ عن يونس بن ظبيان ومفضّل بن عمر وأبي سلمة السرّاج والحسين بن ثوير بن أبي فاختة قالوا: كنا عند أبي عبدالله (عليه السّلام) فقال: عندنا خزائن الأرض ومفاتيحها ولو شئت أن أقول بإحدى رجلي أخَرجي ما فيك من الذهب لأخرجت.

قال: ثمَّ قال باحدى رجليه فخطَّها في الأرض خطّاً فانفرجت الأرض، ثمَّ قال بيده فأخرج سبيكة ذهب قدر شبرٍ ثم قال: انظروا حسناً، فنظرنا فاذا سبائك كثيرة بعضها على بعضٍ يتلألأ فقال له بعضنا: جُعلتُ فداك أُعطيتم ما أُعطيتم وشيعتكم محتاجون؟

قال: فقال: إن الله سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة ويدخلهم جنات النّعيم ويُدخل عدوَّنا الجحيم[2].

أقــــول: قوله (عليه السّلام): «.. إنَّ الله سَيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا...» لعلَّ المقصود هو في دَولة الامام المهدي المنتظَر (عجَّل الله تعالى فَرجَه الشريف) حيث تُخرج الأرض بركاتها وكنوزَها وذخائرها.

الأعمى ينقلب بَصيراً

٢٥ـ عن أبي بصير قال: تجسّست جسد أبي عبدالله (عليه السّلام)

١ـ الخرائج والجرائح: ج١ ص٢٩٦ ح٣. منه بحار الإنوار: ج٤٧ ص١١٠.

٢ـ الكافي: ج١ ص٤٧٤ ح٤.

ومناكبه قال: فقال: يا أبا محمد تحب أن تراني؟

فقلت: نعم جعلت فداك.

قال: فمسح يده على عيني فإذا أنا أنظر إليه.

قال: فقال: يا أبا محمد لولا شهرة الناس لتركتك بصيراً على حالك، ولكن لاتستقيم، قال: ثم مسح يده على عيني فإذا أنا كما كنت[1].

وعن أبي بصير أيضاً قال: قال لي أبو عبداللّه (عليه السّلام): تريد أن تنظر بعينك الى السماء؟

قلت: نعم، فمسح يده على عيني فنظرتُ إلى السماء[2].

تعلّم القرآن في ليلة

٢٦ـ روي أنّه كان لأبي عبداللّه (عليه السّلام) مولى يقال له مسلم، وكان لايحسن القرآن، فعلّمه في ليلة. فأصبح وقد أحكم القرآن[3].

الرَّمل يُباع بقيمة الذَّهب

٢٧ـ ومن كراماته (عليه السّلام) أنّ المنصور يوماً دعاه، فركب معه إلى بعض النواحي فجلس المنصور على تلال هناك، وإلى جانبه أبو عبداللّه (عليه السّلام) فجاء رجل وهَمَّ أن يسأل المنصور ثم أعرض عنه، وسأل الصادق (عليه السّلام) فحثى له من رملٍ هناك ملء يده ـ ثلاث مرات ـ

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٧٩.

٢ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٧٨.

٣ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٠١.

وقال له: اذهب واغْل[١] فقال له بعض حاشية المنصور: اعْرضْتَ عن الملك وسألت فقيراً لايملك شيئاً؟

فقال الرَّجل ـ وقد عرق وجهه خجلاً ممّا أعطاه ـ: إنّي سألت مَن أنا واثق بعطائه، ثمَّ جاء بالتّراب إلى بيته فقالت له زوجته: من أعطاك هذا؟

فقال: جعفر.

فقالت: وما قال [لك]؟

قال: قال لي: اغل.

فقالت: إنه صادق فاذهب بقليل منه إلى أهل المعرفة، فإني أشمُّ منه رائحة الغنى، فأخذ الرجل منه جزءاً ومرّ به إلى بعض اليهود فأعطاه فيما حَمل منه إليه عشرة آلاف درهم، وقال له: ائتني بباقيه على هذه القيمة[٢].

إحياء المرأة الميّتة

٢٨ـ عن العَبدي قال: قالت أهلي لي: قد طال عهدنا بالصادق (عليه السّلام) فلو حججنا، وجدّدنا به العهد.

فقلت لها: واللّه ما عندي شيء أحجُّ به.

فقالت: عندنا كسوة وحُليٌّ، فبع ذلك، وتجهَّز به. ففعلتُ.

فلمّا صرنا بِقرب المدينة مرضَتْ مرضاً شديداً حتى أشرفتْ على الموت، فلما دخلنا المدينة خرجتُ من عندها، وأنا آيس منها.

فأتيت الصادق (عليه السّلام) وعليه ثوبان مُمَصَّران[٣] فسلَّمتُ عليه،

١ـ أي: امره بأن يبيع ذلك التراب غالياً.

٢ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٥٦.

٣ـ الثوب الممصَّر: المصبوغ بالمِصر أي: الطين الاحمر أو المصبوغ بحمرة خفيفة، وقيل: مصبوغ فيه صفرة قليلة (أقرب الموارد).

فأجابني، وسألني عنها، فعرَّفته خبرها، وقلت: إني خرجتُ وقد أيستُ منها.

فأطرق مَلِيّاً، ثم قال: ياعبدي! أنت حزين بِسَبَبها؟

قلت: نعم.

قال: لابأس عليها، فقد دعوتُ اللّه لها بالعافية، فارجع إليها، فانك تجدها [قد أفاقت وهي] قاعدة، والخادمة تلقمها الطبرزد[1].

قال: فرجعت إليها مبادراً، فوجدتها قد أفاقت، وهي قاعدة، والخادمة تُلقمها الطبرزد! فقلت: ما حالُك؟

قالت: قد صبَّ اللّه عَلَيَّ العافية صبّاً، وقد اشتهيت هذا السُّكَّر.

فقلت: خرجتُ من عندك آيساً، فسألني الصادق عنكِ، فأخبرته بحالك، فقال: لابأس عليها، إرجع إليها فهي تأكل السكَّر.

قالت: خرجتَ من عندي وأنا أجود بنفسي، فدخل عليَّ رجل عليه ثوبان ممصّران قال: مالَكِ؟ قلتُ: أنا ميّتة، وهذا ملك الموت قد جاء لقبض روحي.

فقال: يا ملك الموت! قال: لبَّيك! أيّها الامام! قال: ألستَ أُمرتَ بالسمع والطاعة لنا؟ قال: بلى، قال: فاني آمرك أن تؤخّر أمرها عشرين سنة.

قال: السمع والطاعة.

قالت: فخرج هو وملك الموت من عندي، فأفَقتُ من ساعتي[2].

٢٩ـ وعن عيسى بن مهران قال: كان رجل من أهل خراسان من

١ـ الطبرزد: هو السكّر الأبلوج، وبه سُمّي نوع من أنواع التمر لحلاوته (مجمع البحرين).

٢ـ الخرائج والجرائح: ج١ ص٢٩٤ ح٢. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١١٥.

ماوراء النهر[1] وكان موسراً، وكان مُحبّاً لأهل البيت، وكان يحجّ في كل سنة، وقد وظَّفَ على نفسه لأبي عبداللّه (عليه السّلام) في كلّ سنة ألف دينار من ماله، وكانت تحته إبنة عمٍّ له، تُساويه في اليسار والديانة.

فقالت ـ في بعض السنين ـ : يابن عم! حجَّ بي في هذه السَّنة. فأجابها الى ذلك.

فتجهَّزت للحجّ، وحملت لعيال أبي عبداللّه (عليه السّلام) وبناته من فواخر ثياب خراسان ومن الجوهر وغيره أشياء كثيرة خطيرة، وصيَّر زوجها ألف دينار التي أعدَّها لأبي عبداللّه (عليه السّلام) في كيس، وصيَّر الكيس في ربعة[2] فيها حليّ [بنت عمّه] وطيب.

وشَخَصَ يريد المدينة، فلمّا وردها صار إلى أبي عبداللّه (عليه السّلام) فسلَّم عليه، وأعلمه أنّه حَجَّ بأهله، وسأله الإذن لها في المصير الى منزله للتسليم على أهله وبناته.

فأذن لها أبو عبداللّه (عليه السّلام) في ذلك، فصارت إليهم، وفرَّقت ـ ما حملت ـ عليهم، وأقامت يوماً عندهم، وانصرفت.

فلمّا كان من الغد، قال لها زوجها: أخرجي تلك الربعة لتسليم الألف دينار الى أبي عبداللّه (عليه السّلام).

فقالت: هي في موضع كذا، فأخذها وفتح القفل، فلم يجد الدنانير، وكان فيها حُليُّها، وثيابها، فاستقرض ألف دينار من أهل بلده، ورهَنَ الحُليَّ عندهم على ذلك، وصار الى أبي عبداللّه (عليه السّلام).

فقال (عليه السّلام): قد وصلت إلينا الألف!!

١ـ منطقة في أفغانستان.

٢ـ الرَّبعة: جونة العطّار. (أقرب الموارد).

قال: يامولاي! وكيف ذلك؟ وما عَلِمَ بمكانها غيري وغير بنت عمّي؟

قال: مسَّتنا ضيقة، فوجَّهنا من أتى بها من شيعتي من الجن. فاني كلَّما أُريد أمراً بعجلة أبعث واحداً منهم.

فزاد ذلك في بصيرة الرجل، وسُرَّ به واسترجع الحليّ ممن أرهنه.

ثمَّ انصرف إلى منزله، فوجد امرأته تجود بنفسها، فسأل عن خبرها فقالت خادمتها:

أصابها وجع في فؤادها فهي على هذه الحالة، فغمّضها وسجّاها، وشدّ حنكها وتقدّم في إصلاح ما تحتاج إليه من الكفن والكافور وحفر قبرها، وصار الى أبي عبداللّه (عليه السّلام)، فأخبره وسأله أن يتفضّل بالصلاة عليها.

فقام (عليه السّلام) وصلّى ركعتين ودعا، ثمَّ قال للرجل: انصرف إلى رحلك، فإنّ أهلك لم تمت، وستجدها في رحلك تأمر وتنهى، وهي في حال سلامة.

فرجع الرجل، فأصابها كما وَصف أبو عبداللّه (عليه السّلام)، ثمَّ خرج يريد مكّة وخرج أبو عبداللّه (عليه السّلام) للحجّ أيضاً، فبينا المرأة تطوف بالبيت إذ رأت أبا عبداللّه يطوف، والناس قد حفّوا به.

فقالت لزوجها: مَن هذا الرَّجل؟

قال: هذا أبو عبداللّه.

قالت: واللّه هذا الرّجل الذي رأيته يشفع الى اللّه حتّى ردّ روحي في جسدي. [ولم تكن رأته قبل][1].

١ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦٢٧ ح٢٨. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٠٣.

الإخبار عن الخيانة الماليَّة

٣٠ـ عن سدير الصيرفي قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السّلام) وقد اجتمع عليّ ماله فأحببت دفعه إليه، وكنت حبست منه ديناراً، لكي أعلم أقاويل الناس، فوضعت المال بين يديه.

فقال لي: ياسدير خُنْتَنا، ولم تُرد بخيانتك إيّانا قطيعتنا.

قلت: جُعلت فداك وما ذلك؟

قال: أخذت شيئاً من حقّنا لتعلم كيف مذهبنا.

قلت: صَدقت جُعلت فداك، إنما أردتُ أن أعلم قول أصحابي.

فقال لي: أما علمتَ أن كلَّ ما يُحتاج إليه نعلمه، وعندنا ذلك؟!! أما سمعتَ قول الله تعالى: ﴿وكلَّ شيء أحصيناهُ في إمامٍ مبين﴾[1]؟!!

اعلم أن عِلم الأنبياء محفوظ في عِلمنا، مجتمع عندنا وعِلمُنا من علم الأنبياء، فأين يُذهب بك؟!

قلت: صدقت جعلت فداك[2].

١ـ سورة يس آية ١٢.

٢ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٢٧. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٣٠.

مدرسة الامام الصادق (عليه السّلام)

ليس المقصود من المدرسة ـ هنا ـ البناية المشتملة على الصفوف وما فيها من الكراسي والرَحَلات والمختَبرات وأمثالها.

ولا الحلَقات الدراسيَّة التي نشاهدها في الحوزات العلميَّة.

بل المقصود من المدرسة ـ هنا ـ : ما هو المعروف في الاصطلاح الحديث ـ في جميع اللّغات والشعوب ـ : أن كلّ مجموعة من الأفكار والأراء المستحدثة التي تتبنّاها جماعة من الناس تسمّى مدرسة، ومؤسِّسُ تلك الأفكار يسمّى: صاحب المدرسة.

ولانقصد من هذا الاصطلاح ـ هنا ـ أن الامام الصادق (عليه السّلام) هو مؤسِّس الأحكام الاسلاميَّة، بل هو ناشر الأحكام الأسلامية بأوسع صورة ممكنة في ذلك العصر.

وبعبارة أُخرى: المقصود هو الخطّ والنهج الذي كان عليه الامام الصادق (عليه السّلام)، وهو نهج آبائه الأئمة الكرام الطاهرين، وهو خط رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ونهجه، وهو الاسلام الصحيح، السليم من التلاعب والزيادة والنقصان.

ولايوجد في هذا الكلام شيء من الغلوّ والمبالغة، فانَّ جميع المسلمين متَّفقون على أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) كان على الحق الواضح والصراط المستقيم، لا انحراف فيه ولا اعوجاج ولاشكّ فيه ولاضلال.

وهكذا الأئمّة الطاهرون (عليهم السّلام) ـ بدءاً من الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الى الامام الثاني عشر المهدي المنتظر (سلام اللّه عليهم أجمعين)ـ كانوا على سيرة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وسُنَّته.

ولاحاجة الى إثبات هذه الحقيقة، فالأئمة الأحد عشر ـ الذين عاشوا من بعد وفاة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) من سنة ١١ من الهجرة الى سنة ٢٦٠ من الهجرة ـ أي خلال قرنين ونصف ـ لم يُعهد منهم أيّ إنحراف عن الدين، أو مخالفة للاسلام، أو تغيير للشريعة، أو تلاعب بالأحكام، بل ساروا على نهج رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وسُنَّته، ولم ينحرفوا عنها قيد شعرة.

ومن الواضح انهم كانوا في المجتمعات البشرية، وكان المناوئون يراقبون حركاتهم وسكناتهم بكل دقَّة، لعلَّهم يجدون فيهم نقطة ضعف، حتى يُهرِّجوا ويُطبِّلوا ضدَّهم، ويُشنِّعوا عليهم، ولكنَّهم لم يجدوا فيهم أقلّ زلَّة أو عثرة، أو نقطة ضعف.

بل وجدوا كلَّ واحد منهم مَجْمَعاً للكمالات النفسيّة، ومَنبعاً للاخلاق الفاضلة، ومَظهراً للدِّين وفي ذروة التقوى، وقمّة الورع.

يتجسّد فيهم الاسلام ـ بجميع معنى الكلمة ـ وليس لأحد فيهم مَهْمَز ولالقائلٍ فيهم مَغمز.

وهذه مجلّدات التاريخ تشهد بصدق هذا الكلام.

ولايهمّنا بعض الكتب التائهة الساقطة، التي كُتبت بدوافع الحقد

والعداء، أو بأقلام أُناسٍ مفضوحين مهتوكين، استأجرهم الطواغيت، واشتروا منهم ضمائرهم ليُشوِّهوا الحقائق ويلبسوا الحق بالباطل، تقرُّباً الى الشيطان الرجيم.

نعود الى كلامنا عن مدرسة الامام الصادق (عليه السّلام):

قال المحقق الحلّي في كتابه: المعتبر:

«وكانت مدرسته في داره في المدينة، وفي المسجد، واينما وُجِد، وكان مَن يَرِد المدينة من الآفاق ـ في الموسم [موسم الحج] وغيره ـ يسأله، ويأخذ عنه، ويُهيِّىء له المسائل الى أن يتهيَّأ له الوصول إليه (عليه السّلام).

وآثَرَ عنه ـ في علم الكلام ـ الشيء الكثير، وروى عنه المفضّل بن عمر كتاباً يُعرف بـ (توحيد المفضّل) هو أجود كتاب في ردّ الدهرية...» إلى آخر كلامه طاب ثراه.

أصحاب الامام الصادق (عليه السّلام)

لقد تشرَّفت مجموعة كبيرة وجماعة كثيرة من الناس بالتتلمذ على يد الامام الصادق (عليه السّلام) والاستنارة بنور علمه والتزوُّد من منهل فضله..

وقد بَلَغ قِسمٌ منهم درجات عالية ومراتب سامية في العلم والفضل والكمال..

وقِسمٌ منهم كتبوا الكُتب وألَّفوا المؤلَّفات الكثيرة في مختلف العلوم والمعارف.

والمعروف أن عدد أصحاب الامام الصادق (عليه السّلام) وتلامذته بلغ أربعة آلاف رجل.. ولكننا استطعنا ـ والحمد لله ـ أنْ نحصي أكثر من خمسة آلاف من أصحابه الذين تشرَّفوا بلقائه والاستماع الى حديثه..

وقد ذكرنا اسماءهم بالتفصيل في المجلّد الخاص بأصحابه في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام).

مزايا مدرسة الامام الصادق (عليه السّلام)

أقول: والمدرسة قائمة بالاستاذ، والطّلاب والمحلّ.

وتختلف المدارس بعضها عن بعض إختلافاً عظيماً من حيث الاستاذ المدرّس، ومن حيث التلاميذ، ومن حيث المواضيع التي تُدرَّس، بل وحتى من حيث الزمان والظروف.

ومدرسة الامام الصادق (عليه السّلام) ـ التي كان هو أستاذها ومديرها ـ كانت تمتاز عن غيرها من المدارس، من كلّ الجهات المذكورة:

أمّا أُستاذها ومديرُها وقُطبُ رحاها فهو ألمع شخصية علميّة عالَميّة في عصره، وفي عشيرته، وفي المدينة المنوّرة، وعند كلٍّ من تَعرّف عليه أو تكلّم معه، من مختلف البلاد والمستويات.

شخصيّة جمعتْ علومَ الأوّلين والآخرين وأحاطتْ بأحكام الدين ﴿وكُلَّ شَيء أَحْصَيْنَاهُ في إمَامٍ مُّبِين﴾[١].

وأمّا الطُلاب ـ وهم الرواة عنه، وتلاميذه ـ فقد كان جُلُّهم من خيرة أهل زمانه وعصره، يعرفون مكانة الإمام العلمية، وقداسة الإمامة فيه، وتحلِّيه بأجمل مكارم الأخلاق، فكانت نظرتهم إليه نظرة تعظيم واحترام.

فالحلقات الدراسيّة في الحوزات العلميّة يكثر فيها النقاش بين الطلاب والأساتذة في الدليل أو في موضوع البحث بصورة عامّة.

ولكنَّ هذه الظاهرة لم تكن في مجلس درس الامام الصادق (عليه السّلام) لأنّ تلامذته ـ وهم أصحابه ـ كان أكثرهم يعتقدون بإمامته،

١ـ سورة يس آية ١٢.

ويعتبرون كلامه هو الحكم الإلهي الذي لايقبل الجدل، ولامجال فيه للإجتهاد وإبداء الرأي.

نعم، قد كان بعضهم يسأل عن العلّة في الحكم، وسؤاله سؤال تعلُّمٍ وتفهُّم، لاسؤال نقاش وجَدَل.

وكان مجلس درسه لايخلو من غير الشيعة ـ المعتقدين بامامته ـ وحتى اولئك كانوا يقبلون كلامه بِصِفته أُسطوانة من أساطين العلم والمعرفة، فلايسألونه عن مصدر قوله.

نعم، ربما كان الامام (عليه السّلام) يخبرهم أنّ ما ذكره لهم قد رواه عن آبائه الطّاهرين، عن جدّه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله).

وما كان هدف اصحاب وتلاميذ الامام الصادق (عليه السّلام): الرياء والسُّمعة والشهرة، ولا تحصيل شهادة التخرُّج من تلك المدرسة، كشهادة (الدكتوراه) و(الماجستر) وامثالهما المعروفة في هذا العصر.

بل كان هدفهم الأول والأخير: التعلّم، ثم خدمة الدين.

وكان الامام يقدّم الى أصحابه ـ في سبيل التعليم ـ أحسن التعليمات، وأثمن المواعظ والنصائح.

كان يأمرهم بالأمانة والصدق قبل تعلّم الحديث، ويأمرهم بالعمل بما يعلمون وان لايكتفوا بالعلم دون العمل.

ويأمرهم بتعليم الآخرين، وتنبيه الغافلين، وعدم التكبر على من يعلّمونه، ويحثُّهم على تحمّل المشاقّ في سبيل تحصيل العلم.

ويؤكِّد عليهم أن يأخذوا العلم من أهله، من المنابع الصّافية النظيفة الموثوق بها، لا المشكوك فيها، ولا الملوّثة.

ويأمرهم باحترام العلماء وتوقيرهم، والعناية بشأنهم، بل والعطف عليهم.

التخصُّص في مدرسة الامام الصادق (عليه السّلام)

من مزايا مدرسة الامام الصادق (عليه السّلام) ـ والتي لم يَسبق إليها أحد وتُعتبر ممّا تفرَّدت به ـ هو التخصُّص.

هذا الأمر الذي صار معروفاً في العصر الحاضر، في المجالات العلميّة والطبِّية وغيرها.

فكان للامام الصادق (عليه السّلام) تلامذة تخصَّصوا في بعض العلوم والمعارف، فبلغوا فيها مرتبةً عالية ودرجةً رفيعة.

وعلى سبيل المثال ـ لا الحصر ـ نذكر بعض النماذج:

١ ـ جابر بن حيّان

هذا الرجل الكبير الذي تخصَّص في علم الكيمياء، وتتلمذ على يد الامام الصادق (عليه السّلام) ووجَد الامام فيه الأهليَّة والقابليّة فجعل يزقّه من عِلم الكيمياء زقّاً. حتى صار يُعرف بـ: أب الكيمياء، ومعلّم الكيمياء واستاذ الكيمياء.

وله كتب كثيرة في مختلف العلوم من الفلسفة والأحكام

وخواصّ الأشياء والكيمياء والآلات الحربيّة وغيرها.

وله كتاب ضخم في الطب ورسائل متعددة في الكيمياء وعِلم المختبرات وغير ذلك.

ولازال بعض كتبه موجوداً حتى الآن وبخط يده، ومحفوظاً في بعض المكتبات العامَّة في بعض البلاد الغربيَّة.

وقد تُرجمت كتبه الى اللغة الانجليزيَّة وغيرها من اللُّغات العالمية.

والجدير بالذكر أن جابر بن حيّان يصدّر كتاباته كلّها بقوله:

حدّثني سيّدي ومولاي جعفر بن محمّد.

وقد حاز قَصَب السبق في بعض الاكتشافات والاختراعات التي قدَّمها للعالَم بعد تجارب كثيرة وجهود كبيرة.

وكان محمد بن زكريا الرازي يفتخر بأنه من تلاميذه.

هذا.. وقد تحدَّثنا بشيء من التفصيل ـ عن هذه الشخصيّة المتلألأة في سماء العلم والاسلام ـ في الجزء الخاص بأصحاب الامام الصادق (عليه السّلام) من الموسوعة.

وانّما ذكرناه هنا بمناسبة التحدُّث عن التخصُّص في مدرسة الامام الصادق (عليه السّلام).

٢ـ هشام بن الحَكَم

هذا العالِم الجليل الذي تخصَّص في عِلم الكلام والعقائد وكانت له اليد الطولى في الحوار والمناظرة، مع المنحرفين والمخالفين.

وكان الامام الصادق (عليه السّلام) يرتاح اليه ويستأنس به، وقد مَنَحه وساماً معنويّاً قيّماً، هو أغلى من تيجان الملوك واَوسمة المتفوِّقين،

حينما قال (عليه السّلام) له: «ناصرنا بيده ولسانه وقلبه».

هذا.. وقد ذكرنا بعض مناظراته، في هذا الكتاب، كما قد تحدّثنا عنه بالتفصيل في الجزء الخاص بأصحاب الامام الصادق (عليه السّلام) من الموسوعة.

٣ـ محمد بن مسلم

هذا الرجل النابغة في الفقه والحديث.. الذي كان يروي عن الامام الصادق (عليه السّلام) ستة عشر ألف حديث!!!

لقد تخصَّص هذا الرجل العظيم بعلم الفقه والحديث، فنال مرتبة سامية في هذا المجال..

هذا.. والنماذج التخصُّصيَّة في مدرسة الامام الصادق (عليه السّلام) كثيرة، وقد ذكرناها في أثناء تراجم الرواة وأصحاب الامام، في الأجزاء الخاصة بهم في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام).

من مزايا عصر الامام الصادق (عليه السّلام)

لقد إمتاز عصر الإمام الصادق (عليه السّلام) بمزايا عديدة نشير الى بعضها فيما يلي:

١ـ ازدهار العلم بسبب تفتّح الأذهان.

٢ـ وانتشار الوعي واليقظة في المجتمع.

٣ـ والرغبة الملحّة الى التزوّد من المعرفة.

٤ـ وقيام النهضة العلمية في المراكز الدينية، وخاصة في المدينة المنوَّرة بسبب وجود البقيَّة من الصحابة، وبعض التابعين ـ الذين ادركوا الصحابة ـ وتابعي التابعين.

٥ـ وكانت هِممُ الرجال متَّجهة الى العلوم الدينية ـ وهي الامور العقائدية المسمّاة بـ (علم الكلام) ـ والى التفسير والحديث، وهذه العلوم كانت لها الصّدارة، وبقيّة العلوم ـ كالنجوم والطّب وامثالهما ـ كانت في الهامش.

٦ـ وفي تلك الظروف تكوّنت ـ أو تبلورت أو ظهرت على منصّة الظهور ـ المذاهب العديدة، وصار لكلّ مذهب مدرسة خاصة، ومنهاجاً

يمتاز عن غيره، كالقَدَرية والكيسانية والمُرجئة والحَشْوية والخوارج وغيرهم، ولكلٍّ منها إمام يقود تلك الحركة، وله هُواة وهم أتباع كلِّ ناعق ويميلون مع كلّ ريح.

ومن العجب ان المجتمعات ـ على طول التاريخ ـ لاتخلو من هكذا أفراد وأتباع، الذين يتلوَّنون بكلّ لون، وليس لهم اتجاه معيّن، ويعتنقون كلّ مبدء عُرِض عليهم، بلاتفكّر أو تروّ.

أيُّها القارئ الكريم: وفي هذا الجوّ المليئ بالاتّجاهات، وفي هذا العصر ـ الذي ذكرنا بعض مزاياه ـ ازدهر المذهب الشيعي ببركة الامام الصادق (عليه السّلام) ومدرسته العلمية القيِّمة.. وصار يُعرف بالمذهب الجعفري. وإليك بعض التفصيل في الفصل القادم:

المذهب الجعفري

لقد اتّفق المسلمون على أن مصدر التشريع الاسلامي هو القرآن الكريم، والسُّنّة النبوية الشريفة.

ثم اختلفت الأراء حول الطُرُق التي تنتهي الى هذين المَصدَرين والمرجعين:

فهناك الكثيرون الذين أخذوا العقائد والأحكام من أُناس لايوثق بهم، ولايُعتمد عليهم بل أخذوا منهم ـ ما أخذوا ـ بدافع الهوى والتعصُّب للباطل والخطّ المناوئ لأهل البيت فقط، لابدافع طلب الحق والحقيقة.

ومن هنا تكوّنت المذاهب العديدة، وتفرّقت الطرق الكثيرة، بسبب اختلاف الأقوال التي ظنّ الناس أنها السُبُل التي تنتهي الى القرآن العظيم والسُّنّة النبوية.

وهاك مثالاً ليتّضح المقصود:

إن اللّه تعالى أمر عباده بالوضوء للصلاة فقال (عزَّ من قائل): ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اذا قُمْتُم الى الصلاة فاغْسِلُوا وجوهَكم وأيديَكم الى المرافق

وامسَحُوا برؤسِكم وارجُلَكم الى الكَعبين﴾[١] .

فترى بعض المسلمين يغسل يديه من المرافق الى رؤوس الأصابع، وبعضَهم من رؤوس الأصابع الى المرافق، وبعضهم يمسح الرأس كلّه، وبعضهم يمسح مقدّم الرأس فقط، وبعضهم يغسل القدمين، وبعضهم يمسح على ظاهر القَدَمين الى الكعبين فقط، وبعضهم يمسح على الخُفّين.

وعلى هذه فَقِس ما سواها من أنواع الاختلافات في الأحكام الشرعية.

فمن اين جاء هذا الإختلاف؟

فهل أمر اللّه تعالى ورسوله بهذا الإختلاف في الوضوء؟

أما كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) يتوضّأ بمرأى من الناس حتى يتعلَّموا منه؟

فهل كان يمسح رأسه كلّه، أو بعضه؟

وهل كان يغسل قدميه أو يمسح عليهما؟ أو كان تارة يغسل واخرى يمسح؟!!

وفي الصلاة: هل كان رسول الله (صلّى اللّه عليه وآله) يتكتَّف في الصلاة أو يرسل يديه؟

أنا لااريد ـ هنا ـ أن أتحدَّث حول كيفية الوضوء الصحيح الذي أمر اللّه به ورسولُه، فهذا البحث يحتاج الى شرح وتفصيل، وقد كفانا الفقهاء هذه المهمّة في مؤلّفاتهم القيّمة.

وانما ذكرتُ هذه المسألة الفقهية مثالاً لإختلاف المسلمين في القضايا الشرعية.

فمن الواضح ان سبب اختلاف الناس في الوضوء ـ مثلاً ـ هو

١ـ سورة المائدة آية ٦.

إختلاف الطرق التي أخذوا منها معالم دينهم .

ونفس هذا الكلام يجري في جميع القضايا الدينية، المختلف فيها : من اصول الدين وفروعه .

فالاختلاف في العقائدالأسلامية، والمسائل الفقهية أيضاً سببه إختلاف الطُرق التي أخذ الناس منها هذه الأحكام .

وهكذا تكوّنت المذاهب الإسلامية .

وأما المذهب الجعفري فهو المذهب الذي يُعَبَّر عنه بالمذهب الشيعي، أو الإمامي، باعتبارات متعددة .

فالشيعة هم المعتقدون بإمامة الإمام علي بن آبي طالب (عليه السّلام) وخلافته لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) بِلافصل .

والإماميَّة هم المعتقدون بامامة الأئمة الإثني عشر الذين نصَّ عليهم الرسول الأطهر .

والمذهب الجعفري باعتباره في مقابل المذاهب الأربعة عُرِف بالجعفري .

وليس معنى ذلك أن الامام الصادق (عليه السّلام) هو المرجع الوحيد للمذهب، بل ان الشيعة تستقي أُصول الدين وفروعه من القرآن الكريم، وسُنّة النبي العظيم (صلّى اللّه عليه وآله) والأحاديث المرويَّة عن الأئمة الطاهرين، لأنها تنتهي الى الرسول الأكرم، وإخبار عن سُنّته .

والسؤال الآن : كيف اشتُهر هذا المذهب باسم الامام جعفر الصادق ولم يُشتهر باسم غيره من الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام)؟

الجواب : للأسباب التالية :

الأول: حُريَّة الكلام .

فقد فسح الامام الصادق (عليه السّلام) المجال لأصحاب المبادئ الباطلة والأفكار المنحرفة ان يجلسوا معه على طاولة الحوار والمناظرة.

وكان (عليه السّلام) يراعي معهم آداب المناظرة واسلوب التفاهم والحوار القائم على المنطق والدليل.

ونستطيع أن نعرف شيئاً عن ذلك من خلال الحوار الذي جرى بين المفضّل بن عمر وأحد الملاحدة ـ واسمه ابن أبي العوجاء ـ .

فحينما سمع المفضَّل من ابن أبي العوجاء وصاحبه كلمات الكفر والإلحاد غَضب غضباً شديداً وقال له: يا عدوَّ اللّه! ألحدتَ في دين اللّه؟.. الى آخره.

فقال له ابن أبي العوجاء: «يا هذا إن كنتَ من أهل الكلام كلَّمناك، فان ثبتت لك حُجّة تبعناك، وان لم تكن منهم فلاكلام لك.

وإن كنتَ من أصحاب جعفر بن محمّد الصادق فما هكذا تَخاطبنا، ولا بمثل دليلك تَجادَلَ فينا، ولقد سَمع من كلامنا أكثر ممّا سمعتَ، فما أفحشَ في خطابنا، ولاتَعدّى في جَوابنا، وانه الحليم الرزين، العاقل الرَّصين، لايعتريه خُرق ولاطَيش ولانزق[1] .

يسمع كلامنا، ويُصغي إلينا، ويتعرَّف حُجتنا، حتى اذا استفرغنا ما عندنا وظنّنا أنّا قطعناه دَحَضَ حُجتنا بكلام يسير، وخطاب قصير، يُلزمنا به الحجَّة، ويَقطع العذر، ولانستطيع لجوابه ردّاً، فان كنتَ من أصحابه فخاطِبنا بمثل خطابه»[2] .

١ـ الخُرق: ضَعف الرأي، وان لايحسن الرجل العمل والتصرّف في الامور. النَزق: هو الطيش والخفّة عند الغضب. (أقرب الموارد).

٢ـ كتاب توحيد المفضّل، وقد ذكرناه بالكامل في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام).

إنّ هذا الكلام ـ من ذلك الملحد ـ يكشف عن سيرة الامام الصادق (عليه السّلام) مع أصحاب المبادئ المنحرفة، وكيف كان يفسح لهم المجال للحوار والمناظرة.. لعلَّهم يهتدون.

هذا.. وسوف نتحدّث عن هذا الأمر ـ بشيء من التفصيل ـ في الفصل القادم إن شاءاللّه تعالى.

الثاني: مواجهة الامام مع المذاهب الأخرى، فصار قوله أمام أُولئك ـ عند نقلهم له ـ مذهباً، فصار بعض الناس يعبّر عن الشيعة بالجعفريَّة، وبقي هذا الاسم إلى يومنا هذا ـ في بعض البلاد العربية وغير العربية ـ يُستعمل في حق الشيعة.

الثالث: الظروف السياسية (إن صحّ هذا التعبير) وهي الفترة ما بين سقوط الدولة الاموية، وقيام الدولة العباسية.

فان الدولة الأموية كانت على شفا جُرف السقوط والزوال، والدولةُ العباسية تأسَّست في بادىء أمرها في العراق، وبين العراق والحجاز مسافة بعيدة.

في هذا المقطع من الزمان خلا الجوّ من المناوئين للامام الصادق (عليه السّلام) وقلَّ الضغط والكَبت، فكانت فرصة ثمينة إنتهزها الامام للتعبير عن أهدافه، ونشر علومه، وتربيته جيلاً صالحاً، وطائفة مثقَّفة بالثقافة الدينية، وبثِّ الوعي العِلمي، والنشاط العملي فيما بينهم.

وكان لهذا الدور الكبير الذي قام به الامام الصادق (عليه السّلام) اكبر الأثَر في تسمية المذهب الشيعي باسمه الشريف.

هذا.. ولعلَّ هناك اسباباً اخرى يجدها الباحثون والمحقِّقون من أهل العِلم والمعرفة.

حُرِيَّة الكلام عند الامام الصادق (عليه السّلام)

لم يكن من السَّهل الهيِّن لأصحاب المبادىء الباطلة أن يُصرِّحوا ـ عند الناس ـ بعقائدهم المزيّفة، واذا تكلَّم أحدهم بالباطل، أو سأل سؤالاً حول ما يعتقده من الأفكار الضالّة كان جزاؤه من المجتمع: اسكت! إخسأ! كافر! مشرك! خبيث! رجس! وأمثال ذلك من كلمات التكفير والتضليل، المنافية لعِفّة المنطق، وأدب الإحتجاج.

فهل هذه الكلمات وأمثالها تحلّ المشاكل؟!!

وهل تعتبر إجابات صحيحة مقنعة على شبهات أهل الباطل؟!!

وهل السبّ والشتم هما العلاج لهذه المفاسد؟!!

ولكن الامام الصادق (عليه السّلام) كان يسمح لهم بالكلام، ويستمع الى أباطيلهم وتُرَّهاتهم، ثم يزيّف عقائدهم، ويُفنّد أفكارهم.

ولماذا لايسمح لهم أن يبوحوا بمعتقداتهم وهو يعلم أنه مُسلَّح بأقوى سلاح عِلمي لإبطال تلك المعتقدات ونَسْفها عِلمياً؟!

ولهذا كان (عليه السّلام) يُعطيهم فرصة الحديث وحريَّة الكلام.

وستعرف موقف الإمام مع أبي شاكر الديصاني الذي كان يحمل

عقيدة المَانويَّة[١] .

وهكذا مع نظرائه ـ كابن أبي العَوجاء وابن المقفّع وأمثالهما ـ من الذين كانوا يعترضون على المعتقدات الاسلامية، والأحكام الدينية، وكان اسلوب كلام بعضهم لايخلو من خشونة وسوء ادب .

فكان الامام الصادق (عليه السّلام) يسمح لأصحاب المذاهب الباطلة أن يبدوا آرائهم، فكان يستمع الى نقاشهم واعتراضهم على الأحكام الاسلامية، ثم يجيب عليها ويُفحمُهم ويُلقمهم الحَجر .

وربّما أمر الامام الصادق (عليه السّلام) بعض تلاميذه أن يقوم بهذه المهمّة، فكان الهدف يتحقَّق .

بينما الآخرون لم يكونوا يسمحون للمعترضين أن يتفوَّهوا بآرائهم، بل كانوا يرمونهم بكلمات منافية لعفّة المنطق، وادب الاحتجاج، ـ كما ذكرنا قبل قليل ـ .

---

(١) وهم أتباع ماني بن فاتك الفارسي، وقد ظهر في أيام الملك سابور الساساني، ومن مبتدعاته أن للعالَم أصلين: الظُلمة والنور، وهما أزَليّان، وزعم أن عيسى (عليه السّلام) جاء ليبشّر بظهور ماني، وقد دان قسم من الجهال بمذهبه، وقد أباح كلّ ما حرَّمته الشرائع السماوية .

لمحة خاطفة عن المذهب الشيعي والمذاهب الأربعة

لماذا تَرك الشيعة الأخذَ بمذهب الأشعري في أُصول الدين، وبالمذاهب الأربعة في فروع الدين، واكتفوا بمذهب أهل البيت (عليهم السّلام)؟

هذا السؤال يطرحه الكثيرون.. كما طرحه شيخ الأزهر: الشيخ سليم البشري على العلاّمة البحّاثة الخبير المرحوم السيد عبدالحسين شرف الدين (رضوان اللّه عليه) في الحوار الذي اجراه معه حول مذهب الشيعة، فأجابه السيد شرف الدين اجابة كافية، وفيما يلي نذكر السؤال والجواب:

قال الشيخ سليم البشري:

١ـ «إنما أسألك ـ الآن ـ عن السبب في عدم أخذكم بمذاهب الجمهور من المسلمين، أعني مذهب الأشعري في أُصول الدين، والمذاهب الأربعة في الفروع؟

وقد دانَ بها السلف الصالح، ورأوها أعدلَ المذاهب وأفضلها، واتّفقوا على التعبُّد بها في كل عصر ومصر، وأجمعوا على عدالة أربابها واجتهادهم، وأمانتهم ووَرعهم، وزُهدهم ونزاهة أعراضهم، وعفّة نفوسهم، وحُسن سيرتهم، وعلوّ قدرهم علماً وعملاً!

٢ـ وما أشدَّ حاجتنا ـ اليوم ـ إلى وَصْل حَبْل الشَّمل، ونَظْم عِقْد الإجتماع بأخْذكم بتلك المذاهب تَبعاً للرأي العامّ الاسلامي.

وقد عَقد اعداء الدين ضمائرهم على الغدر بنا، وسلكوا في نكايتنا كلَّ طريق، أيقَظوا لذلك آرائهم، وأسهروا قلوبهم، والمسلمون غافلون، كأنَّهم في غَمرة ساهون، وقد أعانوهم على أنفسهم، حيث صَدعوا شعبهم، ومزّقوا ـ بالتحزُّب والتعصُّب ـ شمْلهم، فذهبوا أيادي، وتفرّقوا قدداً، يُضلِّل بعضُهم بعضاً، ويَتبرَّأ بعضُهم من بعض، وبهذا ونحوه إفترستْنا الذئاب، وطمعتْ بنا الكلاب.

فهل تجدون غير الذي قلناه ـ هداكم الله ـ إلى نَمِّ هذا الشعب سبيلاً؟ فَقُل تُسمَع، ومُر تُطَع، ولك السلام»[1].

فأجابه السيد بما يلي:

١ـ «إنَّ تعبُّدنا ـ في الأُصول ـ بغير المذهب الأشعري، وفي الفروع بغير المذاهب الأربعة لم يكن لتحزُّب أو تعصُّب....

لكنَّ الأدلَّة الشرعيَّة أخذتْ بأعناقنا إلى الأخذ بمذهب الأئمة من أهل بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومُختلَف الملائكة، ومَهبط الوحي والتنزيل، فانقطعنا إليهم في فروع الدين وعقائده، وأُصول الفقه وقواعده، ومعارف السُّنَّة والكتاب، وعلوم الأخلاق والسلوك والآداب، نزولاً على حكم الأدلّة والبراهين، وتعبُّداً بُسنّة سيّد النبيِّين والمرسَلين (صلّى اللّه عليه وآله وعليهم أجمعين).

ولو سمحتْ لنا الأدلّة بمخالفة الأئمة من آل محمد، أو تمكنّا من تحصيل نيّة القربة للّه ـ سبحانه ـ في مقام العمل على مذهب غيرهم،

١ـ المراجعات: المراجعة رقم ٣.

لقصصنا أثَرَ الجمهور وجرينا على أُسلوبهم، تأكيداً لعقد الولاء، وتوثيقاً لِعُرى الإخاء، لكنها الأدلّة القطعية تقطع على المؤمن وِجهَته، وتحول بينه وبين مايروم.

٢ـ على أنه لادليل ـ للجمهور ـ على رجحان شيء من مذاهبهم، فضلاً عن وجوبها، وقد نظرنا في أدلّة المسلمين نظر الباحث المحقق بكل دقّة واستقصاء، فلم نجد فيها ما يمكن القول بِدلالته في ذلك إلاّ ما ذكرتموه من إجتهاد اربابها، وأمانتهم وعدالتهم وجلالتهم.

ولكنكم تعلمون ان الإجتهاد والأمانة والعدالة والجلالة غير محصورة بهم.

فكيف يمكن ـ والحال هذه ـ أن تكون مذاهبهم واجبة على سبيل التعيين؟

وما أظنّ أحداً يجرء على القول بفضلهم (في علم وعمل) على أئمتنا، وهم أئمة العترة الطاهرة، وسُفُن نجاة الأُمة، وباب حطّتها، وأمانُها من الإختلاف في الدين، وأعلام هدايتها، وثَقَل رسول الله وبقيّته في أُمَّته.

وقد قال (صلّى اللّه عليه وآله): «فلاتَقْدُموهم فتهلكوا، ولاتقصروا عنهم فتهلكوا، ولاتُعلِّموهم فانهم أعلم منكم».

ولكنّها السياسة، وما ادراك ما اقتضت في صدر الاسلام؟!

والعَجب من قولكم: «ان السلف الصالح دانوا بتلك المذاهب، ورأوها أعدل المذاهب وأفضلها، واتّفقوا على التعبُّد بها في كلّ عصر ومصر».

كأنكم لاتعلمون بأن الخَلَف والسَلَف الصالحين من شيعة آل محمد

(وهم نصف المسلمين في المعنى) إنما دانوا بمذهب الأئمة من ثَقَل رسول الله (صلّى اللّه عليه وآله) فلم يجدوا عنه حِولاً، وإنهم على ذلك من عهد عليّ وفاطمة (عليهما السّلام) إلى الآن حيث لم يكن الأشعري ولا واحد من أئمة المذاهب الأربعة ولا آباؤهم، كما لايخفى.

٣ـ على أن أهل القرون الثلاثة لم يدينوا بشيء من تلك المذاهب أصلاً، وأين كانت تلك المذاهب عن القرون الثلاثة (وهي خير القرون)؟!

وقد وُلد الأشعري سنة سبعين ومائتين، ومات سنة نيّف وثلاث مائة.

وابن حنبل وُلد سنة أربع وستين ومائة، ومات سنة إحدى وأربعين ومائتين.

والشافعي وُلد سنة خمسين ومائة، وتوفي سنة مائتين وأربع.

وَوُلد مالك سنة خمس وتسعين، ومات سنة تسع وسبعين ومائة.

وَوُلد أبو حنيفة سنة ثمانين، وتوفي سنة خمسين ومائة.

والشيعة يدينون بمذهب الأئمة من أهل البيت (وأهل البيت ادرى بالذي فيه).

وغير الشيعة يعملون بمذاهب العلماء من الصحابة والتابعين.

فما الذي أوجب على المسلمين كافّة (بعد القرون الثلاثة) تلك المذاهب دون غيرها من المذاهب التي كان معمولاً بها من ذي قبل؟

وما الذي عَدَلَ بهم عن أعدال كتاب الله، وسَفَرته، وثقل رسول الله وعيبَته، وسفينة نجاة الأُمّة وقادتها، وأمانها، وباب حِطّتها؟؟!

٤ـ وما الذي أرتج [أغلق] باب الإجتهاد في وجوه المسلمين بعد أن كان في القرون الثلاثة مفتوحاً على مصراعيه؟ لولا الخلود الى العجز،

والاطمئنان الى الكسَل، والرضا بالحرمان، والقناعة بالجهل؟

ومَن الذي يرضى لنفسه أن يكون (من حيث يشعر أو لايشعر) قائلاً: بأنَّ اللّه (عزّوجلّ) لم يبعث أفضل أنبيائه ورُسُله بأفضل أديانه وشرائعه؟

ولم يُنزل عليه أفضل كُتُبه وصُحُفه، بأفضل حكَمه ونواميسه؟

ولم يُكمل له الدين، ولم يُتمّ عليه النعمة، ولم يُعلِّمه عِلم ما كان وعلم ما بقي إلاّ لينتهي الأمر في ذلك كلّه الى أئمة تلك المذاهب فيحتكروه لأنفسهم، ويمنعوا من الوصول إلى شيء منه عن طريق غيرهم؟

حتى كأنَّ الدين الاسلامي ـ بِكتابه وسُننه ـ وسائر بيّناته وأدلَّته ـ من أملاكهم الخاصّة!!

وأنهم لم يُبيحوا التصرّف به على غير رأيهم؟

فهل كانوا ورَثة الأنبياء؟

أم ختَم اللّه بهم الأوصياء والأئمة؟ وعلَّمهم علم ما كان وعلم ما بقى؟ وآتاهم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين؟

كلاّ، بل كانوا كغيرهم من أعلام العلم ورُعاته، وسَدَنَته ودعاته!!

وحاشا دُعاة العلم أن يوصدوا [يغلقوا] بابه، أو يصدّوا عن سبيله، وما كانوا ليعتقلوا العقول والأفهام، ولاليَسْملوا أنظار الأنام، ولا ليجعلوا على القلوب أكِنَّةً، وعلى الأسماع وقراً، وعلى الأبصار غشاوة، وعلى الأفواه كُمامات، وفي الأيدي والأعناق أغلالاً، وفي الأرجُل قيوداً.

لاينسب ذلك إليهم إلاّ من افترى عليهم، وتلك أقوالهم تشهد بما نقول.

٥ـ هَلُمَّ بنا الى المهمَّة التي نبَّهتَنا إليها مِن لَمِّ شعث المسلمين.

والذي أراه أن ذلك ليس موقوفاً على عدول الشيعة عن مذهبهم،

ولا على عدول السُّنَّة عن مذهبهم.

وتكليف الشيعة بذلك ـ دون غيرهم ـ ترجيح بلامُرجِّح، بل ترجيح للمرجوح، بل تكليف بغير المقدور، كما يُعلَم مما قدَّمناه.

نعم، يُلَمُّ الشعث، ويُنتظم عِقد الاجتماع بتحريركم مذهب أهل البيت، وإعتباركم إياه كأحد مذاهبكم، حتى يكون نظر كلٍّ من الشافعيّة والحنفيّة، والمالكيّة والحنبليّة ـ إلى شيعة آل محمد (صلّى اللّه عليه وآله) ـ كنظر بعضهم إلى بعض.

وبهذا يجتمع شمل المسلمين، وينتظم عقد إجتماعهم.

والإختلاف بين مذاهب أهل السُّنَّة لايَقلُّ عن الإختلاف بينها وبين مذهب الشيعة، تشهد بذلك الألوف المؤلَّفة في فروع الطائفتين وأُصولهما.

فلماذا نَدَّدَ المُنددِّون ـ منكم ـ بالشيعة في مخالفتهم لأهل السُّنَّة ولم يندّدوا بأهل السُّنَّة في مخالفتهم للشيعة؟ بل في مخالفة بعضهم لبعض؟

فاذا جاز أن تكون المذاهب أربعة فلماذا لايجوز أن تكون خمسة؟

وكيف يمكن أن تكون الأربعة موافقة لاجتماع المسلمين، فاذا زادت مذهباً خامساً تمزَّق الاجتماع، وتفرَّق المسلمون طرائق قِدَداً؟!

وليتَكم ـ إذ دعوتمونا الى الوحدة المذهبيّة ـ دعوتم أهل المذاهب الأربعة إليها، فإنَّ ذلك أهون عليكم وعليهم، ولِمَ خصصتمونا بهذه الدعوة؟

فهل ترون إتّباع أهل البيت سبباً في قَطْع حَبْل الشَّمل؟ ونَثر عِقد الإجتماع؟ وإتّباع غيرهم موجباً لاجتماع القلوب واتحاد العزائم، وإن اختلفت المذاهب والآراء، وتعدّدت المشارب والأهواء؟!

ما هكذا الظّنّ بكم، ولا المعروف من مودَّتكم للقربى، والسلام[1].

١ـ المراجعات: المراجعة رقم ٤.

الإمام الصادق (عليه السّلام) والمذاهب المعاصرة له

كلمة في البداية:

قبل أن نتحدَّث عن المذاهب المعاصرة للامام الصادق (عليه السّلام) نطرح هذا السؤال: ما هي أسباب إنتشار الأفكار والمذاهب الباطلة؟

الجواب: من الظواهر الإجتماعية الثابتة في المجتمعات الإسلامية أنه كلّما ظهرتْ بَوادر الحق خفيتْ معالم الباطل، وكلّما ضَعُفَ الحق تقوّى الباطل.

والتاريخ الإسلامي أصدق شاهدٍ على هذا القول، بل وحتى التاريخ المعاصر أيضاً لايخلو من هذه الظاهرة، فان الفترة التي كان يرتفع فيها صوت الحق بكلّ حريّة، كان صوت الباطل يختنق ويضمحلّ، وحينما كان يضعف جهاز الدين، ويُطارَد من قبل السُلُطات الغاشمة، كان أهل الباطل ينتعشون، وتظهر نواياهم وخفاياهم ونشاطاتهم، لأنهم لايجدون مانعاً ولا رادعاً في طريق نشر أهدافهم.

فاذا ضعفت السلطة أو تبدّل جهاز الحكم حصل تغيير في ذلك الجانب أيضاً.

ولقد ذكرنا كثيراً ـ فيما كتبنا ـ : أن أهل البيت النبويّ الطاهر ـ وكلّ مَن كان يدور في فَلَكهم ـ كانوا يعانون من الحكم القائم في تلك العصور أنواع الضغط والكبت.

وكلّ حاكم من بني أُمية وبني العباس حينما كان يتربّع على مسند الحكم كان يبذل طاقاته وإمكاناته لتطويق أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) وتقليص نشاطاتهم، والتضييق عليهم بكلّ ما أمكن، والقضاء عليهم بكلّ صورة.

وفي نفس الوقت كان المجال مفتوحاً، والحريّة ممنوحة لغيرهم أن يفعل ما يشاء، وأن يقول ما يريد وخاصّة إذا انسجم واندمج مع السلطة الحاكمة، واتّفق معها في أهدافها وأفعالها.

فالسلطات ـ في تلك العصور ـ كانت تُشجّع على انتشار المبادىء الباطلة في المجتمعات الاسلامية، كالجَبْرية والمفوّضة، والأشاعرة والمعتزلة، والغلاة والملاحدة، وإنتشار عقيدة الحُلول والتناسخ وغيرها.

أليس الحكام هم الذين أمروا بترجمة كُتُب الفلسفة اليونانية (بما فيها من العقائد الكافرة) الى اللّغة العربية، ونشرِها في الأوساط الاسلامية؟!

أيّها القارئ الكريم: انّما ذكرنا هذه المقدّمة الوجيزة حتى تظهر لنا أسباب إنتشار الأفكار الهدّامة والعقائد الباطلة في المجتمعات الإسلامية في أوائل القرن الثاني الهجري.

فالسبب الأول: هو إزاحة أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) عن مراتبهم التي رتَّبهم اللّه فيها، وغلْق الأبواب في وجوههم، وإيجاد جوٍّ من الخوف والرعب والتهديد لكلّ من يمتُّ إليهم بِصِلةٍ، حتى التحدّث عنهم، أو التصريح بأسمائهم.

ومن الطبيعي أن إبعاد الأئمة (عليهم السّلام) عن الساحة معناه إفساح المجال لظهور غيرهم من المناوئين الذين كانوا يعترفون بتلك السلطات، ويُصحِّحون أخطاءهم، ويبرّرون جناياتهم، ويعتذرون عن مخازيهم، بل ويطوّقونهم بِهالاتٍ من القداسة.

ولهذا مَنحت السلطات لهم المجال الواسع، وفتحتْ أمامهم الطريق ليتصرَّفوا ما شاؤا، سواءً في القضاء أم الفتوى أم نقل الأحاديث المزيّفة، أم تفسير الآيات القرآنيَّة حسب الآراء والميول والظروف!!

حتى كأنّ القرآن أداة طيّعة بيد الناس، يفسِّرونه كما أعجبهم.

وهذا هو السبب الثاني من أسباب انتشار الأفكار الباطلة، والعقائد الكافرة.

أليس الأعتقاد بالتجسيم (بأن اللّه (عزّوجلّ) جسم) إنتشر في المجتمعات الإسلامية، من ذلك العهد الى يومنا هذا؟

ولقد سمعتُ ـ مرّات ـ من إذاعة دولة عربية ـ ليلة عرفة : ـ «بان اللّه (تعالى علوّاً كبيراً) ينزل الى السماء الدنيا»!!

وسمعتُ ـ أيضاً ـ من بعض مشايخ السوء، في بعض البلاد العربية بأن النبي (صلّى اللّه عليه وآله) رأى ربّه ـ ليلة المعراج ـ رؤية عين!!

مع العلم أن هذه العقيدة مناقضة للتوحيد، ومخالفة لصريح القرآن، إذ يقول (عزّ من قائل): ﴿لاتُدْرِكُهُ الأبْصَارُ﴾[1] و﴿لَن تَرَاني﴾[2].

هذا بالإضافة الى الأدلّة العقليّة ـ حول نفي التجسيم عن اللّه تعالى ـ المذكورة في محلّها، والأحاديث الصحيحة حول هذا الموضوع.

١ـ سورة الانعام آية ١٠٣.

٢ـ سورة الاعراف آية ١٤٣.

إنّ علماء السوء ـ في تلك العصور ـ تلاعبوا حتى بعقيدة التوحيد، فكيف بغيرها.

وقد ذكر ابن أبي الحديد الكثير من تلك الأباطيل والكفريّات في كتابه (شرح نهج البلاغة) مما يندى منه جبين الاسلام والمسلمين!!

السبب الثالث: حُبُّ الظهور والشُّهرة بين الناس، وقديماً قيل: «خالِفْ تُعرفْ» فالكثير من أصحاب الأفكار والمذاهب المنحرفة كانوا شخصيّات مُهملة، لا يُشار إليهم بالبَنان، ولايُعار لهم أيّ احترام واهتمام. فكأنَّ عُقدة الشعور بالنقص والحقارة النفسيّة دفعتْهم الى تكوين مذهب خاص، ودعوة الناس الأغبياء البسطاء اليه.

وبهذه الطريقة الشيطانيّة القذرة صار لهم بعض الشُّهرة والظهور في الساحة.

أيها القارئ: كان المقصود من استعراض هذه الامور ـ بصورة موجزة ـ هو بيان بعض أسباب انتشار المذاهب العديدة والأفكار الباطلة في عصر الإمام الصادق (عليه السّلام).

وكان لكلّ مذهب من تلك المذاهب أتباع وأفراد ينشرون أفكارهم، ويبثّون آراءَهم بين السُذَّج والمغفَّلين من الناس.

ومن الصحيح أن نقول: إن كل مذهب من تلك المذاهب كان بمنزلة جبهة من جبهات الحرب الباردة ضدّ خطّ الإمام الصادق (عليه السّلام) الذي هو خطّ جدّه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله).

وهنا تظهر عظمة حكمة الإمام الصادق (عليه السّلام) في مكافحة تلك المذاهب، وأنواع قدراته الواسعة في تضعيف تلك المبادىء وتفنيدها وتحطيمها علميّاً، بالرغم من محدوديَّة إمكاناته بحسب الظروف.

وأمّا المذاهب المعاصرة

أيُّها القارئ الكريم: فيما يلي نستعرض ـ بصورة موجزة ـ بعض المذاهب الباطلة المنحرفة المعاصرة للامام الصادق (عليه السّلام)، وقد باد بعضها واندثر وسقط في مزبلة التاريخ ـ والحمد للّه تعالى ـ وبعضها الآخر لازال له أتباع ينعقون له:

١ـ المجبِّرة

لقد كانت الفكرة المنحرفة تصدر من انسان، وتنتقل الى أتباعه، وكان أتباعه يضيفون الى تلك الفكرة إضافات من عند أنفسهم، وكان الهمج من الناس يتقبّلون منهم تلك الاباطيل، وكأنها وحيٌ يوحى!!

والمصيبة العظمى: أن اولئك الضُّلال كانوا يفرضون آراءَهم وأفكارهم على ذات اللّه تعالى أيضاً!!

فتارةً يثبتون له تعالى العلم، وتارة ينفونه عنه.

وتارة يثبتون له القدرة، وتارة ينفونها عنه.

وهكذا صارت المقدّسات الاسلاميّة، والمعتقدات الدينية خاضعة للأهواء، ومحكومة بالآراء التي ما انزل اللّه بها من سلطان!!

ومن المذاهب الباطلة ـ التي صدرت من مصانع الشيطان الرجيم ـ هو مذهب الجبريَّة ـ أو المُجبِّرة ـ وهم القائلون بالجبر، فهم ينسبون أفعال العبد ـ من خير أو شرّ ـ الى اللّه تعالى، ويقولون: ليس لنا صُنع. أي لسنا مخَيَّرين في أفعالنا التي نفعلها، بل نحن مُجبَرون بارادة اللّه ومشيئته، فاذا شاء اللّه أن نصلّي صلَّينا، واذا شاء أن نشرب الخمر شربناها.

واستدلوا على هذا الإعتقاد الباطل بآيات من القرآن، وتأوَّلوها حسب أهوائهم وآرائهم، وفسَّروها على خلاف ماأراده اللّه سبحانه.

وهذه العقيدة الفاسدة تُنسب الى الأشاعرة.

ومن الواضح ان المعتنِق لهذه العقيدة يُبيح لنفسه كلَّ جريمة ومعصية من ترك الواجبات وارتكاب المحرّمات.

يشرب الخمر، ويزني، ويسرق، ثم يقول: شاء اللّه أن أسرق فسرقتُ وشاء اللّه أن أزني فزنيتُ، وشاء اللّه أن لاأُصلّي فما صلَّيت. وهكذا وهلم جراً.

ومعنى ذلك ان اللّه (تعالى عُلوّاً كبيراً) يشاء أن يسرق السارق، فيسرق بِلا إختيار منه، ثم يعذّبه اللّه تعالى يوم القيامة!!!

اليس معنى ذلك هو اسناد الظلم الى اللّه؟

تعالى عن ذلك.

٢ـ الجارودية

ويقال لهم: السرحوبية أيضاً، لنسبتهم الى أبي الجارود: زياد بن المنذر، السرحوب، الأعمى، المذموم بالذم المفرط.

٣ـ الحروريَّة = الخوارج

وقد تكوَّن هذا المذهب في واقعة صفين، بسبب تحكيم الحَكَمين. والبحث مفصَّل، وحيث انهم خرجوا على الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) قيل لهم: خوارج.

وحيث ان الحرب التي قُتلوا فيها كانت في ارض حَروراء قيل هم:

حَروريَّة وهي موضع بقرب الكوفة.

٤ـ الكيسانيّة

هم أتباع محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) وهُم أول فرقة شذّت وانحرفت من الإماميّة.

وأمّا سبب تسميَتهم بـ (الكيسانية) فقيل: انهم منسوبون الى كيسان غلام الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام).

وقيل: إن كيسان اسم للمختار بن أبي عبيدة الثقفي، وان أباه حَمَله ووضعه بين يدَي أمير المؤمنين (عليه السّلام) فجعل الإمام يمسح بيده على رأسه ويقول: كيس كيس.

وهذه الفرقة كانت تعتقد بأن الامام بعد الامام الحسين (عليه السّلام) هو أخوه محمد بن الحنفية، وأنه المهدي الذي يملأ اللّه الأرض به قسطاً وعدلاً، وأنه حيّ لايموت، وقد غاب في جبل (رضوى) باليمن.

وبالرغم من عدم توفّر شرائط الامامة ومؤهّلاتها في محمد بن الحنفيَّة فقد قفز على منصّة الظهور جماعة، ونسَبوا إليه الامامة، واستدلُّوا على إمامته بأباطيل وأساطير وتُرَّهات تضحك منها الثكلى.

ولايُعلم ـ بالضبط ـ سبب تكوّن هذا المذهب، ومَن هم الذين تبنَّوا هذا العمل، وبذلوا المساعي لنشر هذه الفكرة في المجتمع الشيعي يومذاك؟ وما هي أهدافهم الشيطانية؟

فهل كان مبدأ هذه الفكرة هو محمد بن الحنفية؟

ام ان جماعة من الناس نسبوا اليه ذلك؟

وعلى كلِّ تقدير فقد اختمرتْ هذه الفكرة في بعض الأذهان، واعتنق

جماعة هذا المذهب.

وبعد موت ابن الحنفية اعتقدوا بامامة ولده عبداللّه ويكنّى أبا هاشم، وعُرفوا بالهاشمية.

ودسّ سليمان بن عبدالملك سُمّاً إليه فمات منه بالحميمة من ارض الشام[1].

والظاهر أن هذا المذهب إنقرض ولم يبق من يعتنقه ويعتقد به.

٥ـ الحيانيَّة

وهم أصحاب حيّان السرّاج، ويزعمون ان الامام بعد علي (عليه السّلام) إبنه محمد بن الحنفية، ولايرون للحَسنين (عليهما السّلام) إمامة، ومنهم الرزاميّة.

٦ـ الرزاميّة

وهم أتباع رزام، ساقوا الإمامة بعد أبي هاشم ابن محمد بن الحنفية الى عبداللّه بن العباس بالنص.

هو رزام بن مسلم مولى خالد بن عبداللّه القسري الكوفي، عدّه الشيخ من أصحاب الامام الصادق (عليه السّلام) وروى الكشي أحاديث تتعلّق به.

٧ـ المرجئة

هذه الكلمة مشتقة من الإرجاء بمعنى التأخير، ومأخوذة من قوله

١ـ مقاتل الطالبيّين: ص٨٥.

تعالى: ﴿وآخرون مُرجَون لأمر اللّه إما يُعذّبهم وإما يتوب عليهم واللّه عليم حكيم﴾[١].

أي مؤخَّرون موقوفون لما يَرِد من أمر اللّه تعالى فيهم (إمّا يعذِّبهم وإمّا يتوب عليهم).

وقيل: الإرجاء: تأخيرحكم صاحب[المعصية] الكبيرة الى يوم القيامة، فلايحكمون عليه بحكمٍ مّافي الدنيا، من كونه من أهل الجنّةأومن أهل النار.

وقد تبرّأ الامام الصادق (عليه السّلام) منهم ولعنهم ونهى المؤمنين عن مجالستهم، كما روي ذلك عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) قال: لاتُجالسوهم ـ يعني المرجئة ـ لَعَنَهم اللّه ولَعن [اللّه] مِلَلَهم المشركة الذين لايعبدون اللّه على شيء من الأشياء[٢و٣].

٨ـ المفوّضة

هذا العنوان أو الإسم ينطبق على فئات عديدة، فمنهم:

المفوّضة الذين يزعمون ان اللّه تعالى خلق محمداً (صلّى اللّه عليه وآله) وفوَّض إليه أمر العالَم، فهو الخلاّق للدنيا وما فيها، وقيل: فوَّض ذلك الى علي (عليه السّلام) أو الأئمة (عليهم السّلام) وهذا كفر صريح، وشرك واضح.

وهناك معاني اخرى للتفويض لاحاجة لنا الى ذكرها.

١ـ سورة التوبة آية ١٠٦.

٢ـ أي على عبادة من العبادات أو على ملّة من الملل. (مرآة العقول).

٣ـ الكافي: ج٢ ص٤٠١ ح٦.

والشيء المقصود بيانه ـ هنا ـ هو التفويض بمعنى ان اللّه تعالى لاصُنع له ولادخل في أفعال العباد، سوى أنه خَلَقهم وأعطاهم القدرة ثم فوّض إليهم أمر الأفعال، يفعلون ما يشاؤون بصورة مُستقلّة، ومعنى ذلك: عَزلُ اللّه تعالى عن كلّ إحاطة وتصرُّف في خَلقه، وهذه العقيدة تُنسب الى المعتزلة.

ولاشك في فساد هذه العقيدة أيضاً.

وخير الكلام وأصحّ الاعتقادات هو كلام الإمام الصادق (عليه السّلام) حيث يقول: «لاجَبرَ ولاتفويض، بل أمرٌ بين الأمرين».

وقد ذكرنا في كتاب (الامام الهادي من المهد الى اللحد) رسالة للإمام حول إبطال الجبر والتفويض، وبيان كلام الامام الصادق (عليه السّلام).

٩ـ الخطّابيَّة

وهم المنسوبون الى أبي الخطّاب، محمد بن مقلاص الأسدي، الأجدع.

وكان أبو الخطاب من اصحاب الامام الصادق (عليه السّلام) ثم انحرف انحرافاً كبيراً وارتدَّ عن الدين وقال بألوهيّة الامام الصادق (عليه السّلام) وادّعى أنه نبيٌ من قبَل الامام، وأنه عُرج به الى السماء و.. الى آخر اكاذيبه.

وتبرّأ الامام الصادق (عليه السّلام) منه ولَعنه وأمر أصحابه بالبراءة منه..

فقد روي عن حنّان بن سُدير ـ في حديثٍ له ـ أن الامام الصادق (عليه السّلام) قال:

«عَلى أبي الخطّاب لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين، فأشهدُ باللّه أنه كافرٌ فاسق، مشرك، وإنه يُحشر مع فرعون في أشدِّ العذاب، غُدَوّاً وعشيّاً.

ثم قال: أما: واللّه إني لأنفَسُ على أجساد أُصليتْ معه النار»[١].

وعن زيد النرسي: قال: لمّا لبّى أبو الخطّاب بالكوفة، وادّعى في أبي عبداللّه (عليه السّلام) ما إدّعاه، دخلتُ على أبي عبداللّه (عليه السّلام) مع عبيد بن زرارة فقلت له: جُعلتُ فداك! لقد إدّعى أبو الخطّاب وأصحابه فيك أمراً عظيماً: إنه لبّى بـ «لبّيك جعفر، لبّيك معراج».

وزعم أصحابه أن أبا الخطاب أُسري به إليك، فلما هبط الى الأرض من ذلك دُعي[٢] إليك، ولذلك لبّى بك.

قال: فرأيت أبا عبداللّه (عليه السّلام) قد أرسل دمعته من حماليق[٣] عينيه، وهو يقول:

«يارِبّ! برئت إليك مما إدّعى فيَّ الأجدع، عبْدُ بني أسد.

خشع لك شَعري وبَشَري، عَبدٌ لك ابن عبد لك، خاضع ذليل.

ثم أطرق ساعةً في الأرض، كأنَّه يناجي شيئاً، ثم رفع رأسه وهو يقول:

أجَل، أجَل، عَبدٌ خاضع خاشع، ذليل لربّه، صاغرٌ، راغمٌ، من ربه خائف وَجِلٌ، لي ـ واللّه ـ رَبٌّ أعبده، لاأشرك به شيئاً.

مالَه؟ أخزاه اللّه، وأرعَبَه، ولاآمَنَ روعته يوم القيامة.

١ـ اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٥٨٤ ح٥٢٤. منه بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٨٠.

٢ـ في بحار الأنوار: دعا.

٣ـ حماليق: باطن أجفان العين (مجمع البحرين).

ما كانت تلبية الأنبياء هكذا، ولاتلبية الرُّسل، إنما لبَّتْ بـ «لبّيك اللهم لبّيك، لبّيك لاشريك لك».

ثم قمنا من عنده، فقال: يازيد إنما قلت لك هذا لأستقرَّ في قبري، يازيد استر ذلك عن الأعداء[1].

وعن المفضّل بن مزيد[2] قال: قال أبو عبدالله (عليه السّلام) ـ وذكر أصحاب أبي الخطاب والغلاة ـ فقال لي: يامفضّل لاتقاعدوهم ولاتؤاكلوهم ولاتشاربوهم ولاتصافحوهم ولاتؤاثروهم[3و4].

وعن عمران بن علي قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السّلام) يقول: لعن اللّه أبا الخطّاب ولعن [اللّه] من قُتِل معه ولعن [اللّه] من بقي منهم ولعن اللّه من دخل قلبه رحمة لهم[5].

هذا .. وقد تحدَّثنا ـ بشيء من التفصيل ـ عن الفرقة الخطّابيَّة في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام).

١ـ الاصول الستة عشر: ص١٩٢ ح١٦١. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٧٨.

٢ـ في بحار الأنوار: مفضل بن يزيد.

٣ـ في بحار الأنوار: بيان: قوله (عليه السّلام): «لاتؤاثروهم» بالهمزة على المفاعلة من الأثر بمعنى الخبر، أي لاتحادثوهم ولاتعاوضوهم بالآثار والأخبار.
وفي نسخة: «لاتوارثوهم» على المفاعلة من الموارثة، أي لاتواصلوهم بالمصاهرة الموجبة للتوارث.

٤ـ اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٥٨٦ ح٥٢٥. منه بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٩٦ وفيه: ولاتوارثوهم.

٥ـ اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٥٨٤ ح٥٢١. منه بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٧٩.

١٠ـ المغيرية

نسبة الى المغيرة بن سعيد العجلي. وكان المغيرة يسكن الكوفة، ويحمل عقائد منحرفة وآراء باطلة، ويتلاعب بالمقدَّسات الاسلاميَّة، ويكذب على الامام محمد الباقر (عليه السّلام) وينسب اليه الأباطيل والأكاذيب. وقد التفّ حولَه جماعة من الجهلاء الأغبياء واخذوا بآرائه. وقد لعنه الامام الصادق (عليه السّلام) وتبرّأ منه.

واليك بعض ما روي في هذاالمجال ـ والتفصيل في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) ـ:

عن عبدالرحمن بن كثير، قال: قال أبو عبداللّه (عليه السّلام) ـ يوماً لأصحابه ـ: لَعن اللّه المغيرة بن سعيد، ولعن اللّه يهوديّة كان يختلف إليها، يتعلّم منها السِّحر والشعبذة والمخاريق[1].

إن المغيرة كَذب على أبي (عليه السّلام) فسَلَبه اللّه الإيمان، وإنَّ قوماً كذبوا عَلَيَّ، مالهم؟ أذاقهم اللّه حَرَّ الحديد!

فواللّه ما نحن إلاّ عَبيدُ الذي خَلَقنا واصطفانا، ما نقدر على ضَرّ ولانفعٍ، وإنْ رَحِمنا فَبِرحمته، وإنْ عذّبنا فَبِذُنُوبنا، واللّه مالنا على اللّه من حُجّة، ولامعنا مِن اللّه براءة، وإنا لَميّتون ومقبورون ومنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون!

ويلهم!

١ـ الشعبذة: هي الحركة الخفيفة (مجمع البحرين) والشعوذة: خِفّة في اليد وأخذٌ كالسحر يُري الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين. والمخاريق: جمع مخراق، وهو في الأصل: ثوب يُلفُ، ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً (لسان العرب). ولعلّ السحرة والمشعوذين كانوا يستعملون المخاريق في أعمالهم السحرية.

مالهم؟ لعنهم اللّه!

فلقد آذوا اللّه وآذوا رسوله (صلّى اللّه عليه وآله) في قبره، وأميرَ المؤمنين، وفاطمةَ والحسنَ والحسينَ، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي (صلوات اللّه عليهم).

وها أنا ذا بين أظهركم، لحمُ رسول اللّه، وجِلْدُ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) أبيتُ على فراشي خائفاً وَجلاً، مرعوباً، يأمنون وأفزع، ينامون على فُرُشهم وأنا خائف ساهرٌ وَجِل، أتقلقل بين الجبال والبراري.

أبرأ إلى اللّه مما قال فيَّ الأجدع البرّاد، عبد بني أسد: أبو الخطّاب، لعنه اللّه.

واللّه لو إبتُلوا بنا، وأمرناهم بذلك، لكان الواجب ان لايقبلوه، فكيف وهم يروني خائفاً وجلاً؟

أستعدي اللّه عليهم، وأتبرأ إلى اللّه منهم.

أُشهدكم: أني إمرؤٌ وَلَدني رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وما معي براءة من اللّه، إن أطعتُه رَحمني، وأن عصيتُه عذّبني عذاباً شديداً، أو أشدَّ عذابه[١].

أيُّها القارئ الكريم: لعلّ الحديث يحتاج الى شيء من الشرح والتفصيل.. فنقول:

يَعتبر الامام الصادق (عليه السّلام) نفسه ـ في هذا الحديث ـ أحد المسلمين المكلَّفين بالتكاليف الإلهيّة ـ بِصَرف النظر عن مقام الإمامة ـ فهو عبدٌ مخلوق، لايملك لنفسه نفعاً ولاضرّاً بصورة مستقلّة.

وأمّا قوله: «فلقد آذوا اللّه...» الى آخره فهو إشارة الى قوله

١ـ اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٤٩١ ح٤٠٣. منه بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٨٩.

تعالى: ﴿إنَّ الذين يُؤذونَ اللّه ورسوله لَعَنهم اللّه في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً﴾[١].

(فقد ذكر المفسرون ـ في تفسير الآية ـ: أن معنى قوله: ﴿يؤذون اللّه﴾: يُخالفون أمره، ويَصِفونه بما هو منزّه عنه، ويشبّهونه بغيره.

فان اللّه (عزّ إسمه) لايلحقه أذى، ولكن لمّا كانت مخالفة الأمر فيما بيننا تُسمّى إيذاءً، خوطبنا بما نتعارفه.

وقيل: معناه: يؤذون رسول اللّه، فقدّم ذكر اللّه على وجه التعظيم، إذ جَعل أذى رسوله أذىً له، تشريفاً له وتكريماً، فكأنه يقول: لو جاز أن يناله أذى من شيء لكان ينالني من هذا)[٢].

وأمّا قوله (عليه السّلام): «واللّه لو ابتلوا بنا...» الى آخره فهذا فرْضُ المحال، أي لو أنّ اللّه تعالى كان يَختبرهم ويمتحنهم بنا، بأن كنّا نأمرهم بالغلوّ لكان الواجب عليهم أن لايقبلواقولنا، فكيف ونحن ننهاهم عن ذلك؟

وأمّا قوله (عليه السّلام): «إن أطعتُه رحمني، وإن عصيته عذَّبني» فهذا شيء لايختصّ بالامام الصادق (عليه السّلام) بل يشمل جميع المكلّفين حتى الأنبياء على فرض صدور المعصية منهم، وقد قيل: «فرضُ المحال ليس بمحال».

عن المفضَّل بن عمر قال: قلت لأبي عبداللّه (عليه السّلام): روي عن المغيرة أنه قال: إذا عرف الرجل ربّه ليس عليه وراء ذلك شيء.

قال: مالَه؟ لعنه اللّه.. أليس كلّما ازداد باللّه معرفة فهو أطوع له؟

١ـ سورة الأحزاب آية ٥٧.

٢ـ مجمع البيان: ج٤ ص٣٧٠.

أفيطيع اللّهَ (عزّوجلّ) مَن لايعرفه؟

إن اللّه (عزّوجلّ) أمر محمداً (صلّى اللّه عليه وآله) بأمر، وأمر محمد (صلّى اللّه عليه وآله) المؤمنين بأمر، فهم عاملون به إلى أن يجيء نهيُه، والأمر والنهي عند المؤمن سواء.

قال: ثم قال: لاينظر اللّه (عزّوجلّ) إلى عبد ولا يزكّيه إذا ترك فريضة من فرائض اللّه، أو ارتكب كبيرة من الكبائر.

قال: قلت: لاينظر اللّه إليه؟

قال: نعم، قد أشرك باللّه.

قال: قلت: أشرك؟

قال: نعم إنّ اللّه (جلّ وعزّ) أمر بأمر، وأمره إبليس بأمر، فترك ما أمر اللّه (عزّوجلّ) به وصار إلى ما أمر إبليس به فهذا مع إبليس في الدرك السابع من النار[1].

وعن ابن مسكان، عمن حدثه من أصحابنا، عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) قال: سمعته يقول: لَعن اللّه المغيرة بن سعيد إنه كان يكذب على أبي فأذاقه اللّه حَرَّ الحديد، لَعن اللّه مَن قال فينا مالانقوله في أنفسنا، ولعن اللّه من ازالنا عن العبودية للّه الذي خَلَقنا وإليه مآبنا ومعاذنا وبيده نواصينا[2].

١ـ ثواب الأعمال: ص٢٩٤ ح١. منه بحار الأنوار: ج٧١ ص٢٠٧.

٢ـ إختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٤٨٩ ح٤٠٠. منه بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٩٧.

الإمام الصادق (عليه السّلام)

في مواجهة الإلحاد والزندقة

لقد اجتاحت بعضَ المدن الاسلامية موجةٌ من الإلحاد والزندقة، وراحت ضحيَّةَ هذه الموجة جماعات من الناس.

والسؤال الآن: كيف تولّدت فكرة الإلحاد والزندقة في المراكز الاسلامية يومذاك؟

مع العلم انه ينبغي ان يكون الأمر بالعكس، لأن المجتمع الاسلامي ينبغي ان ينشر عقيدة الايمان والتوحيد في الناس، لا الإلحاد والزندقة.

إنّني لااستبعد أن يكون السبب ـ أو أحد الأسباب ـ في تكوُّن فكرة الإلحاد والزندقة في ذلك العصر هو:

أن الذين إدَّعوا خلافة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) كذباً وزوراً، وعرّفوا أنفسهم أنهم أقرب الخلائق الى اللّه تعالى، كانت حياتهم كلها فجور ومُجون، واراقة الدماء، وهَدْر الكرامات، ومُصادرة الأموال، وغير ذلك من مظاهر الظلم الفاحش، والإعتداء المكشوف.

أضف الى ذلك: ضئالة الثقافة الدينية عند الأكثرية من الناس، وعدم وعْيهم للحقيقة، وانخداعهم بالادّعاءات الفارغة، فهم كانوا يتصوّرون أن الخلافة الاسلامية المتجسِّدة في طواغيت بني أُمية وفراعنة بني العباس هي الخلافة الصحيحة، وأنهم يمثّلون صاحب الشريعة الاسلامية (صلّى اللّه عليه وآله) في تصرّفاتهم الشاذّة، وحياتهم المخزية، وأعمالهم المضادّة للاسلام، وأن الاسلام القائم في ذلك النظام هو إسلام الخمور والفجور، والشذوذ الجنسي، وحَصْد رؤوس الأبرياء الذين لاينقادون لتلك السلطة، وغير ذلك.

فاذا كانت القيادة الدينية بهذا المستوى النازل المشين، وبهذه الصورة المشوَّهة القبيحة، فان إساءة الظن تسري وتتجاوز الحدود، حتى يصل الأمر إلى أن يشكّ بعض الناس في وجود اللّه تعالى.

ومن الطبيعي ان الذي يشكُّ في الأصل يشكُّ في الفرع قطعاً، فالشكُّ في وجود اللّه (عزّوجلّ) يوجب الشكَّ في النبوة والأنبياء، والكتب السماوية، والأوامر الإلهيَّة بِطريق أولى.

وهكذا إنتشرت فكرة الإلحاد في ذلك المجتمع الاسلامي لهذا السبب فقط أو مع أسباب اخرى.

ورافقت فكرة الالحاد مَوجةٌ عارمة من الاسئلة والشبهات المختلفة حول التوحيد ومايتعلَّق بالتوحيد.

وبما أن علماء السوء وفقهاء السلاطين كانوا يجهلون ابسط ادلَّة التوحيد واَوضحَ براهين العقيدة.. لذلك انهمرت الاسئلة على الامام الصادق (عليه السّلام) ـ الذي ورث علوم جدِّه رسول اللّه وآبائه الطاهرين (صلوات اللّه عليهم أجمعين) ـ.

وكان الملاحدة ـ ومَن وقَع في فخّ الشيطان ـ يقصدون دار العلم والايمان . . دار النبوَّة والامامة . . دار الامام جعفر الصادق (عليه السّلام) ويطرحون على الامام مايدور في اذهانهم من اسئلة وشبهات ، فكان الامام الصادق (عليه السّلام) يستقبلهم برحابة صدر ، ويستمع الى اسئلتهم ويجيب عليها . . ويحاول ارشادهم الى الصراط المستقيم .

وقد ذكرنا ـ في فصل : حريَّة الكلام عند الامام الصادق (عليه السّلام) ـ بعض مايتعلّق بهذا الموضوع ، والآن نذكر لك ـ أيها القارئ الكريم ـ بعض المناظرات التي دارت بين الامام الصادق (عليه السّلام) والملاحدة حول التوحيد وغيره :

١ـ روي أن أبا شاكر الديصاني وقف ذات يوم في مجلس أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقال له : إنك لأَحَد النجوم الزَّواهر ، وكان آباؤك بُدوراً بَواهر ، وأُمّهاتك عقيلات عَباهر ، وعُنصرك من أكرم العناصر ، واذا ذُكِرَ العلماء فعليك تُثنى الخَناصر .

خَبِّرنا أيها البحر الزاخر : ما الدليل على حدوث العالَم؟

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام) : من أقرب الدليل على ذلك ما أُظهره لك ، ثم دعا ببيضة فوضعها في راحته ، وقال :

هذا حِصنٌ مَلمومٌ ، داخله غِرقىء رقيق[1] يطيف به كالفضّة السائلة ، والذهبة المائعة ، أتَشُكُّ في ذلك؟

قال أبو شاكر : لاشكَّ فيه .

قال أبو عبداللّه (عليه السّلام) : ثم إنه ينفلق عن صورة كالطاووس ، أدَخَلَه شيء غيرُ ما عرفتَ؟

١ـ الغرقىء : هي القشرة الملتزقة ببياض البيض (أقرب الموارد) .

قال: لا.

قال: فهذا الدليل على حدوث العالم.

فقال أبو شاكر: دللتَ ـ يا أبا عبداللّه ـ فأوضحتَ، وقلتَ فأحسنتَ، وذكرتَ فأوجزتَ، وقد علمتَ أنا لانقبل إلاّ ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بآذاننا، أو ذُقناه بأفواهنا، أو شَممناه بأنوفنا، أو لَمسناه بِبَشَرَتنا.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): «ذكرتَ الحواسّ الخَمس وهي لاتنفع في الاستنباط إلاّ بِدليل كما لاتقطع الظُلمة بغير مصباح».

يريد به (عليه السّلام) أن الحواسّ بغير عقل لاتوصل الى معرفة الغائبات، وان الذي أراه من حدوث الصورة معقول، بُني العلم به على محسوس[1].

٢ـ وسأل ابن أبي العوجاء، أبا عبداللّه (عليه السّلام): لماذا إختلفتْ مَنيّاتُ الناس، فماتَ بعضهم بالبَطَن وبعضهم بالسِّلّ؟

فقال (عليه السّلام): لو كانت العلّة واحدة اَمِنَ الناسُ حتى تجيىء تلك العلّة بِعَينها، فأحبَّ اللّه أن لايؤمَن [على] حال.

قال: ولِمَ يميل القلب الى الخُضرة أكثر مما يميل إلى غيرها؟

قال: مِن قِبَل أن اللّه تعالى خَلَق القلب أخضر، ومِن شأن الشيء أن يميل الى شكله[2].

٣ـ وجاء ابن أبي العَوجاء ـ واسمه: عبدالكريم ـ الى الامام الصادق (عليه السّلام) فقال له الامام: ما اسمك؟ فلم يجبه.

١ـ الارشاد للشيخ المفيد: ص٢٨١.

٢ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٥٦.

وأقبل (عليه السّلام) على غيره، فانكفأ [ابن أبي العوجاء] راجعاً الى أصحابه، فقالوا: ما وراءك؟

قال: شرٌّ، إبتدأني فسألني عن إسمي، فان كنتُ قلت: عبدالكريم. فيقول: مَن هذا الكريم الذي أنت عبده؟ فإمّا أن أُقِرَّ بمليك، وإما أُظهر منّي ما أكتم.

فقالوا: إنصرف عنّا.

فلمّا إنصرف، قال أبو عبدالله (عليه السّلام): وأقبل ابن أبي العوجاء إلى أصحابه محجوجاً (مغلوباً) قد ظهر عليه ذلّة الغَلَبة.

. . . . فقال ابن أبي العوجاء ـ لأصحابه ـ: أوليس بابن الذي نكَّل بالخَلق[1] وأمَر بالحَلق، وشَوَّهَ عَوراتهم، وفرَّق أموالهم، وحرَّم نساءهم؟[2].

أقول: إن اللعين حينما ظهر منه العجز والذلّ قال لأصحابه: «أوليس بابن الذي نكّل بالخلق. . .» الى آخره.

ويقصد من كلامه هذا أن الامام الصادق (عليه السّلام) هو ابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الذي قَتل الكفّار والمشركين في الحروب، وأمَر الحُجّاج بحَلق رؤوسهم، وأمَر المسلمين بالختان، وأمَر بالزكاة، وحرّم النساء المحارم على الرجال، وحرَّم الزنا وحتى النظر الى المرأة الأجنبيّة بقصد التلذذ.

١ـ نكل بفلان: اذا صنع به صنيعاً يحذَر غيره منه اذا رآه (لسان العرب).

٢ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٥٧. منه بحار الأنوار. ج١٠ ص٢٠١.

الامام الصادق (عليه السّلام)

في مواجهة فكرة الغلوّ والغُلاة

قال اللّه تعالى: ﴿يا أهلَ الكتاب لاتَغْلُوا في دينكم ولاتقولوا على اللّه إلاّ الحق انَّما المسيحُ عيسى ابن مريم رسول اللّه وكلمته ألقاها إلى مريم ورُوحٌ منه فآمِنوا باللّه ورسله ولاتقولوا ثلاثة إنتهوا خيراً لكم إنما اللّه إلهٌ واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى باللّه وكيلاً﴾[1] .

﴿قل يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولاتتّبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السَّبيل﴾[2] .

الغُلوّ: مجاوزة الحدّ، إمّا في الزّيادة أو في النقيصة، وكلُّ مَن تجاوَزَ الحدَّ الذي حدَّه اللّه تعالى ـ سواء كان التجاوز الى الزيادة أم الى النقصان ـ

١ـ سورة النساء آية ١٧١ .

٢ـ سورة المائدة آية ٧٧ .

فهو غال.

وأمّا الآيتان:

فالأولى خطاب الى النصارى فقط، أو الى اليهود والنصارى، لأن كلَّ فريق منهما تجاوز الحدّ في عقيدته في حقّ المسيح عيسى بن مريم (عليه السّلام).

أمّا النصارى فاعتقدوا فيه أنه إبن اللّه، وبعضهم قال: انه اللّه، وبعضهم قال: هو ثالث ثلاثة: الأب والإبن وروح القدس.

وامّا اليهود فقد غلوا فيه أيضاً، فنَسبوه إلى أب، وطعَنوا في نسبه أيضاً، فَهُم ـ أيضاً ـ تجاوزوا الحدّ، وهكذا غَلَوا في عُزيرٍ كما قال تعالى: ﴿قالت اليهود عُزير ابن اللّه﴾[1].

إذن، فمن الصحيح أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب﴾ اليهود والنصارى، لأنهم اعتقدوا في اللّه غير الحق، وغلوا في عيسى بن مريم وعُزير.

والآية الثانية أيضاً نفس المضمون مع اختلاف يسير، وزيادة، وهي النهي عن اتّباع أهواء وآراء قوم قد ضلّوا من قبل، وهم أسلافهم أي رؤساء الفريقين من اليهود والنصارى الذين اختلقوا وابتدعوا الآراء والمذاهب، فاتَّبعهم الناس، فأضلّوهم من ناحية العقيدة، وضلّوا عن الطريق المستقيم.

بعد هذه اللَّمحة الموجزة عن الغلوّ المنهي عنه في القرآن الكريم.. نقول:

يستفاد من هاتين الآيتين وغيرهما أن فكرة الغلوّ كانت في الأُمم الماضية، وكانت الفكرة تصدر من انسان واحد، ثم تنتشر، ثم تصبح مذهباً

١ـ سورة التوبة آية ٣٠.

ومبدءاً بين المعتنقين لها.

ولانستطيع أن نتأكّد من أسباب تكوّن هذه الفكرة، ومعرفة الأدلَّة التي كان أصحابها يستدلّون بها، ويجعلونها سهلة القبول عند أتباعهم.

وبعد الانتباه الى النهي عن الغلوّ الوارد في الآيتين (وبصَرف النظر عن المخاطَبين المقصودين بذلك الخطاب وهم أهل الكتاب) يتَّضح لنا أن تجاوز الحدود في مدح الأفراد يُعتبر من مصاديق الضلالة، ويصير سبباً لإضلال مَن يتقبّلها.

ومِن أشدّ الأسف أن هذه الفكرة التائهة اختلقها أُناس من هذه الأُمّة لدوافع يعلمها اللّه، ونشروها في المجتمعات الاسلامية، فتقبّلها شرذمة من الناس على خوف من السلطات، ومن الجهات الدينية.

اختلاف نوعيَّة الغلوّ

وكانت نوعيّة الغلوّ تختلف في اولئك الأفراد، فبعضهم كان يعتقد في الامام الصادق (عليه السّلام) أنه نبيّ من الأنبياء، وبعضهم يعتقد إنه إله، وبعضهم كان يدّعي النبوّة لنفسه، أو لغيره من أهل زمانه!!

ومن أعجب العجائب ـ في ذلك الزمان ـ إسناد الرّبوبيَّة الى المخلوقين، مع العلم ان كلّ مسلم في ذلك العهد ـ مهما كانت ثقافته الدينية ضئيلة ـ كان يحفظ سورة التوحيد، ويقرؤها في صلاته، وخاصّة قوله تعالى: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ وهم كانوا يعلمون بأن الذين نُسبت إليهم الربوبيَّة وُلدوا ووَلدوا، وكان الناس يعرفون آباءهم وأبناءهم، وزوجاتهم وهم يتلونَ قوله تعالى: ﴿ما اتّخذ صاحبة ولا ولداً﴾.

فكيف خفيتْ عليهم هذه الحقائق؟

وكيف إلتبستْ عليهم هذه الامور التي كانت من أوضح الواضحات واقوى المعتقدات؟

وكيف غلبت أباطيلُهم عقولَهم، بالرغم من الآيات القرآنية؟

وكيف انتصرت كفريّاتهم في مقابل معالم الحق، ومعتقدات الاسلام والمسلمين؟

وخلاصة القول: ان من جملة الظواهر العجيبة في القرنين ـ الأول والثاني من الهجرة ـ هو ظهور فكرة الغلوّ في بعض الناس، ونقصد من الغلوّ ـ هنا ـ إسناد الألوهية والربوبيّة الى البشر المخلوق.

ومن الواضح ان هذه الفكرة تناقض الإسلام الصحيح، بل تعتبر من المبادىء الهدّامة التي لاتنسجم مع التوحيد لأنها هي الشرك الواضح المكشوف، المناقض لوجود اللّه الواحد الأحد تبارك وتعالى.

والدين الاسلامي يعتبر الغلاة أنجس وارجس جميع الفرق الضالّة الكافرة.

اسباب انتشار فكرة الغلوّ

ويمكن أن نقول: إن أسباب إنتشار هذه الفكرة في المجتمعات الاسلامية لها ثلاثة جذور:

الأوّل: فلسفة الحلول التي انتقلت من العهد الجاهلي ومن فلاسفة اليونان، وانتشرت في الجزيرة العربية وغيرها، وبناءً على تلك الفلسفة كان المشركون يعبدون الأصنام معتقدين بان اللّه (تعالى عمّا يقول الكافرون عُلواً كبيراً) قد حَلَّ في تلك الأصنام.

ثم تبلورتْ تلك الفلسفة وتطوّرت وتسرّت الى المجتمعات الاسلامية،

فجعل مَن يدّعي الاسلام يعتقد الحلول في بعض أفراد الناس، فاعتقدوا الربوبيَّة في بعض العظماء، حَسب الفلسفة الساقطة عندهم.

الثاني: الدسيسة أو الدسائس التي قام بها بعض الفاسدين المفسدين لإلقاء الشبهات في المجتمعات الاسلامية بدافع التفرقة، وهدْم الكيان العقائدي، والتلاعب بالمقدَّسات، وايجاد الشك في بعض القلوب.

وهذه خطط شيطانية قد تنجح في بعض الظروف، وعند السُذَّج من الناس، من فاقدي الوعي والثقافة الدينية.

الثالث: الفضائل التي اجتمعت وتوفّرت في أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) من المعاجز والكرامات، والتخلّق بأعلى درجات الأخلاق، فامتازوا عن سواهم بمزايا لايلحقهم فيها لاحق، ولايسبقهم سابق، ولايفوقهم فائق.

وحين المقارنة بينهم وبين غيرهم كان يظهر البَون الشاسع والفَرق العظيم، وصار هذا سبباً لانحراف العقائد في بعض ضعفاء الإيمان.

وبعبارة أُخرى:

إن من الثابت أن الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) كانوا بمنزلة سامية، ومرتبة عالية من السُموّ والكمال والرفعة، ولم ير الناس نظيراً لهم في مزاياهم وخصائصهم.

فَهُم في أعلى جوٍّ، وأرفع أُفُق من المواهب، فكأنَّهم ليسوا من البشر العادي.

فالإنسانية ـ بجميع معانيها ومفاهيمها ـ تجسّدت وتمثّلت فيهم، من ناحية طهارة النفس وقداسة الروح، وطيب القلب، وسُموّ الأخلاق، وغزارة العلم، وخاصة إخبارهم عن المغيّبات وغيرها.

ومن الطبيعي: ان المتَّصِف بهذه الصفات تكون له منزلة رفيعة في القلوب من المحبَّة والتقدير، وهذه الخصائص والمزايا هي التي أجبرت النفوس أن تنحني لهم إجلالاً، وتقديساً وتعظيماً، على إختلافٍ وتفاوت في درجات المحبّة والتعظيم، فهناك المعتدل، وهناك المسرف.

والإمام الصادق (عليه السّلام) لم يكن رجلاً عادياً حتى يعتبره الناس عالماً من العلماء فقط، أو مُحدِّثاً من المحدِّثين فحسب، بل آثار الكمال النفسي كانت تظهر في حركاته وسكناته، وحميدُ صفاته كان يتجلّى في تصرّفاته.

فلاعَجَب من تكوّن فكرة الغلوّ عند بعض ضعفاء العقيدة، وانتهاء أمرهم الى الانحراف والضلال والكفر.

وما ذنب الامام الصادق إذا كان الشواذ من الناس يعتقدون فيه اعتقاداً باطلاً؟

فهل يكتم علومه؟ ويخفي مواهبه عن الناس، ويغطّي جمال فضائله، ويستر نفسيّاته الزكيّة، وصفاته الحميدة حتى لاتظهر للناس، فيعتقد فيه بعض الجهلة السفلة إعتقاداً لايليق بالمخلوق؟!!

وسنذكر بعض الأحاديث التي تذكر مواقف الامام الصادق (عليه السّلام) من اولئك الضالّين، وقد ذكرنا ـ في تراجم بعض أصحابه في الموسوعة ـ المزيد من التفصيل.

موقف الامام الصادق (عليه السّلام) من الغلاة

وكان الإمام الصادق (عليه السّلام) يفنِّد أباطيلهم، ويزيّف أدلَّتهم، ويجيب على أسئلتهم، ويدحض حُجَجهم، فاذا لم يجد منهم التجاوب

والتفاهُم كان يقاوم ويكافح تلك الجبهات بكل صرامة وخشونة وبلاهوادة ويُعلن براءته منهم، ويتجاهر بِلَعنِهم والدعاء عليهم، فيدمّرهم تدميراً، ويُحطّم أباطيلهم، ويُشوّه سُمعتهم، ويأمر شيعته والخطَّ الموالي له بالإبتعاد عنهم، والبراءة منهم، بل ولَعَنهم، بل وربّما أمَر بقَتلهم ـ كما في بزيع الحائك ـ.

وكان هذا الموقف الممتاز من الامام الصادق (عليه السّلام) ضرورياً جداً، فهو في الوقت الذي يحارب تلك المنكرات، في نفس الوقت يُبرِّىء ساحته ومدرسته من اولئك الضالّين الذين كانوا يتردَّدون على دار الامام الصادق كي يُظهروا للناس أنهم محسوبون على الإمام، وينتمون الى مدرسته.

فكانت تلك المواقف من الامام نافعة وناجعة وموفَّقة، لأن الغُلاة ـ بعد أن تلطخوا بوصمات الخزي والعار ـ لم يستطيعوا التخلّص من آثار اللعن الذي شملهم، والتبرىء الذي طردهم من المجتمعات الشيعيّة، فكانوا يشعرون أنهم يعيشون عيشة الإنعزال والانفصال عن المجتمعات الشيعيّة وغيرها بسبب شذوذهم العقائدي.

وكان الامام الصادق (عليه السّلام) ـ يتألَّم من تلك العقائد الكافرة اشَدَّ التألُّم، وتسلبه الراحة وتورثه الأرَق والقَلق، ويتبرّأ من معتنقيها أشدَّ التبرّي.

واليك بعض الأحاديث المذكورة في هذا المجال:

عن خالد بن نجيح الجوَّان قال: كنّا عند أبي عبدالله (عليه السّلام) وأنا أقول في نفسي: ليس يَدرون هؤلاء بين يدي مَن هم؟ قال: فأدناني (عليه السّلام) حتى جلست بين يديه ثم قال لي: يا هذا إن لي ربّاً أعبده ـ

ثلاث مرّات ـ[1] .

وعن الامام الصادق (عليه السّلام) قال: «لعن اللّه المغيرة بن سعيد، إنه كان يكذب على أبي، فأذاقه اللّه حرَّ الحديد، لعن اللّه مَن قال فينا مالانقوله في أنفسنا، ولعن اللّه مَن أزالنا عن العبوديّة لِلّه الذي خَلَقنا، وإليه مآبنا ومعادنا، وبيده نواصينا»[2] .

وعن مالك الجُهني، قال: كنّا بالمدينة حين اجلبت[3] الشيعة، وصاروا فِرَقاً، فتنحَّينا عن المدينة ناحية، ثم خلونا، فجعلنا نذكر فضائلهم، وما قالت الشيعة .

إلى أن خَطَرَ بِبالنا الربوبيَّة، فما شَعُرنا بشيء إذا نحن بأبي عبداللّه (عليه السّلام) واقف على حمار، فلم ندرِ من أين جاء فقال: يا مالك! ويا خالد! مَتى أحدثتما الكلام في الربوبيَّة؟

فقلنا: ما خَطَرَ بِبالنا إلاّ الساعة، فقال: «اعلما أن لنا ربّاً يكلؤنا[4] بالليل والنهار، نعبده .

يامالك! وياخالد! قولوا فينا ماشئتم، واجعلونا مخلوقين» .

فكرّرها علينا مراراً وهو واقف على حماره[5] .

وعن سُدير، قال: قلتُ لأبي عبداللّه (عليه السّلام): إنّ قوماً يزعمون أنّكم آلهة! يتلون بذلك علينا قرآنا: ﴿وهو الذي في السماء إلهٌ

١ـ بصائر الدرجات: ص٢٦١ ح٢٤ . منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٧١ .

٢ـ إختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٤٨٩ ح٤٠٠ . منه بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٩٧ .

٣ـ في بحار الأنوار: اجليت .

٤ـ يكلؤنا: يحفظنا ويحرسنا .

٥ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٩٧ . منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٤٨ .

وفي الأرض إله﴾[1] .

فقال: يا سدير! سمعي وبَصَري وبَشَري ولحمي ودمي وشَعري من هؤلاء براء، وبرىء اللّه منهم، ما هؤلاء على ديني، ولا على دين آبائي، واللّه لايجمعني اللّه وإياهم يوم القيامة إلاّ وهو ساخط عليهم.

قال: قلتُ: وعندنا قوم يزعمون أنكم رُسُل، يقرؤن علينا بذلك قرآناً: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيّبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾[2] .

فقال: ياسُدير! سمعي وبَصَري، وشَعري وبَشَري ولحمي ودمي من هؤلاء براء، وبرىء اللّه منهم ورسوله، ما هؤلاء على ديني، ولا على دين آبائي، واللّه لايجمعني اللّه وإياهم يوم القيامة إلاّ وهو ساخطٌ عليهم.

قال: قلت: فما أنتم؟

قال: «نحن خزّان علم اللّه، نحن تراجمة[3] أمر اللّه، نحن قوم معصومون، أمر اللّه (تبارك وتعالى) بِطاعتنا ونهى عن معصيتنا.

نحن الحُجّة البالغة على مَن دون السماء وفوق الأرض»[4] .

وعن أبان بن عثمان، قال: سمعت أبا عبداللّه (عليه السّلام) يقول: لعن اللّه عبداللّه بن سبأ، إنه إدّعى الربوبيّة في أمير المؤمنين (عليه السّلام) وكان ـ واللّه ـ أمير المؤمنين (عليه السّلام) عبداً للّه طائعاً.

الويل لمن كذب علينا، وإن قوماً يقولون فينا ما لانقوله في أنفسنا،

١ـ سورة الزخرف آية ٨٤.

٢ـ سورة المؤمنون آية ٥١.

٣ـ جمع ترجمان وهو المفسِّر للّسان (مجمع البحرين).

٤ـ الكافي: ج١ ص٢٦٩ ح٦.

نبرأ الى اللّه منهم، نبرأ إلى اللّه منهم[١].

وعن أبي عبداللّه (عليه السّلام) قال:

«مَن قال: إنّا أنبياء فعليه لعنة اللّه، ومَن شكَّ في ذلك فعليه لعنة اللّه»[٢].

وعن صالح بن سهل قال: كنت أقول في أبي عبداللّه (عليه السّلام) بالربوبيّة، فدخلت عليه، فلما نظر إليَّ قال: «ياصالح! إنّا ـ واللّه ـ عبيد، مخلوقون، لنا رَبٌّ نعبده، وإن لم نعبده عذَّبنا»[٣].

وعن المفضّل بن عمر قال: كنت أنا وخالد الجوّاز، ونجم الحطيم، وسليمان بن خالد على باب الصادق (عليه السّلام) فتكلَّمنا فيما يتكلّم به أهل الغلوّ، فخرج علينا الصادق (عليه السّلام) بِلاحذاء، ولارداء، وهو ينتفض[٤] ويقول: ياخالد! يامفضّل، ياسليمان، يانجم! لا، ﴿بل عباد مُكْرمون * لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾[٥].

وعن الفضيل بن عثمان الأعور، قال: سمعتُ أبا عبداللّه (عليه السّلام) يقول:

«اتقوا اللّه، وعظِّموا اللّه، وعظِّموا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ولاتُفضِّلوا على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) أحداً، فانّ اللّه (تبارك وتعالى) قد فَضَّله.

وأحبّوا أهل بيت نبيِّكم حُبّاً مقتصداً، ولاتغلوا فيَّ، ولاتفرّقوا، ولاتقولوا مالانقول، فانكم إن قُلتم وقُلنا، ومِتُّم ومتنا، ثم بعثكم اللّه

١ـ إختيار معرفة الرجال: ج١ ص٣٢٤ ح١٧٢. منه بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٨٦.

٢ـ اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٥٩٠ ح٥٤٠. منه بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٩٦.

٣ـ اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٦٣٢ ح٦٣٢. منه بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٠٣.

٤ـ ينتفض: يرتعد ويرتجف.

٥ـ سورة الأنبياء آية ٢٦ و٢٧. والحديث في مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢١٩.

وبَعثَنا، فكُنّا حيث يشاء اللّه، وكنتم»[1].

أقول: لعل المقصود من الجملات الأخيرة: إنكم اذا اتفقتم معنا في العقيدة كنتم معنا في الآخرة، واذا اختلفتم معنا في العقيدة كان مكانكم غير مكاننا، أي كنتم محرومين عن لقائنا.

وعن فضيل بن يسار، قال: قال الصادق (عليه السّلام): «إحذروا ـ على شبابكم ـ الغُلاة، لايُفسدوهم، فان الغلاة شرُّ خلقِ اللّه، يُصغّرون عظمة اللّه، ويدّعون الربوبيّة لعباد اللّه.

واللّه إن الغلاة أشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا.

ثم قال(عليه السّلام): إلينا يرجع الغالي فلانقبله. وبنايلحق المُقصِّر فنقبله

فقيل له: كيف ذلك يابن رسول اللّه؟

قال: لانَّ الغالي: قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج، فلايقدر على ترك عادته وعلى الرجوع الى طاعة اللّه (عزّوجلّ) أبداً، وإن المقصِّر اذا عرف عمل وأطاع»[2].

وعن اسماعيل بن عبداللّه العزيز، قال: قال لي أبو عبداللّه (عليه السّلام): يا اسماعيل! ضَع لي في المتوضَّأ ماءً[3]. قال: فقُمتُ، فوضعتُ له، فدخل، قال: فقلت ـ في نفسي ـ: أنا أقول فيه كذا وكذا ويدخل المتوضَّأ [يتوضّأ]!!

قال: فلم يلبث أن خرج فقال: يا إسماعيل! لاترفع البناء فوق طاقته فينهدم، إجعلونا عبيداً مخلوقين، وقولوا فينا ما شئتم، [فلن تبلغوا].

فقال اسماعيل: وكنت أقول: إنه وأقول وأقول[4].

١ـ قرب الاسناد: ص٦١. منه بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٦٩.

٢ـ أمالي الطوسي: ج٢ ص٢٦٤. منه بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٦٥.

٣ـ المتوضَّأ: الكنيف والمستراح والخلاء (مجمع البحرين).

٤ـ بصائر الدرجات: ص٢٦١ ح٢٢. منه بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٧٩.

كَذِبوا على أهل البيت (عليهم السّلام)!!

أيُّها القارئ الكريم: إن من جملة الوسائل الشيطانيَّة والطُرق الخبيثة التي استخدمها اعداء رسول اللّه وآله الطيّبين الطاهرين لتشويه سمعتهم والنَّيل من قدسيَّتهم ومكانتهم السّامية هو الكذب على النبي وأهل بيته (عليهم الصّلاة والسّلام) ونِسْبة مالايليق اليهم، ووضْع الأحاديث المزوَّرة في فضل أعدائهم الظالمين الغاصبين ونِسْبتها الى أهل البيت (عليهم السّلام).

وقد روي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أنه قال: «قد كَثُرت عليَّ الكذّابة وستكثر، فمَن كَذِب عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار...» الى آخر الحديث[1].

وقد بذل بنو أُميَّة ومرتزقتُهم قصارى جهودهم في هذا المجال.. وخاصة ضد آل رسول اللّه المظلومين (صلوات اللّه عليهم أجمعين).

يقول الامام محمد الباقر (عليه السّلام) ـ في حديثٍ له ـ :

١ـ بحار الأنوار: ج٢ ص٢٢٥.

«ثم لم نزَل ـ أهلَ البيت ـ نُسْتذلُّ ونُستضام، ونُقصى ونُمتَهَن، ونُحْرم ونُقتل، ونخاف، ولانأمن على دمائنا ودماء أوليائنا.

ووَجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم مَوضعاً يتقرَّبون به الى أوليائهم وقضاة السوء وعمّال السوء، في كلّ بلدة، فحدَّثوهم بالأحاديث المكذوبة، ورووَا عنّا ما لم نقُلْه ولم نفعله، ليُبغِّضونا الى الناس...»[1].

وروي عن الامام الصادق (عليه السّلام) أنه قال: «إنّا أهلُ بيتٍ صادقون لانخلو من كذّاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) أصدق البريّة لهجةً وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين (عليه السّلام) أصدق من برأ اللّه من بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه بما يفتري عليه من الكذب عبداللّه بن سبأ لعنه اللّه...

ـ الى أن قال (عليه السّلام) ـ: لعنهم اللّه إنّا لانخلو من كذّاب يكذب علينا أو عاجز الرأي، كفانا اللّه مؤونة كلِّ كذّاب وأذاقهم حرّ الحديد»[2].

فالامام الصادق (عليه السّلام) هو أحد الأئمة الطاهرين الذين لم يَسْلم من افتراءات الضالّين المضلّين..

فكم من الأحاديث المكذوبة التي نَسجتْها اَلسنة المخالفين واَفواه المعاندين ونَسبَتْها الى الامام الصادق (عليه السّلام) وانتشرت في الكتب والموسوعات؟!!!

١ـ بحار الأنوار: ج٤٤ ص٦٨.

٢ـ بحار الأنوار: ج٢ ص٢١٧.

والجدير بالذكر أن بعض هذه الأحاديث المزوَّرة قد وُضع في عصر الائمة الطاهرين (صلوات اللّه عليهم أجمعين) ولكنَّ الظروف الصَّعبة والأجواء الخانقة كانت تمنع آلَ رسول اللّه المعصومين مِن نفي تلك الأحاديث ـ بصورة عَلَنيَّة ـ وردِّها وتكذيبها والتبرّي من واضعيها الخائنين.

وهذا يعكس جانباً من مظلوميَّة أهل البيت (عليهم السّلام) فالانسان العادي اذا كُذب عليه تراه يُسرع الى الإعلان عن براءته من ذلك القول أو الفعل.. ولكنَّ الامام لم يملك حتى هذا القِسط من الحريَّة!!

فوالهفتاه عليكم.. يا آلَ رسول اللّه!!!

وا أسفاه عليكم.. ايُّها المظلومون.. المضطَهَدون!!

أيُّها القارئ الكريم: واليكَ هذا الحديث الذي يَعرض جانباً من هذه المآسي:

عن ميمون بن عبداللّه قال: أتى قومٌ أبا عبداللّه (عليه السّلام) ـ يسألونه الحديث ـ من الأمصار، وأنا عنده، فقال لي: اتعرف أحداً من القوم؟

قلت: لا.

فقال (عليه السّلام): كيف دخلوا عليَّ؟

قلت: هؤلاء قوم يطلبون الحديث من كلِّ وجه، لايُبالون ممَّن أخذوا.

فقال (عليه السّلام) لرجل منهم: هل سمعتَ من غيري مِن الحديث؟

قال: نعم.

قال (عليه السّلام): فحدِّثني ببعض ما سمعتَ

قال: إنّما جئتُ لأسمع منك، لم أجئ أُحدِّثك.

... الى أن قال له (عليه السّلام): فسَمِّعْنا بعض ما اقتبستَ من العِلم حتى نعتدَّ بك ان شاء اللّه.

قال: حدَّثني سفيان الثوري عن جعفر بن محمد قال: النبيذُ كلُّه حلال الاّ الخمر.

ثم سكت.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): زدنا.

قال: حدَّثنا سفيان عمَّن حدَّثه عن محمد بن علي [الباقر] أنه قال: مَن لم يمسح على خُفَّيه فهو صاحب بدعة، ومن لم يشرب النبيذ فهو مُبتدع ومن لم يأكل الجرِّيث[1] وطعام أهل الذمّة فهو ضالّ.....

.. فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): زدنا.

قال: حدَّثني سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر أنه رأى علياً [عليه السّلام] على منبر بالكوفة وهو يقول: لئن أُتيتُ برجل يُفضّلني على أبي بكر وعمر لأجْلدنَّه حدَّ المفتري!!!

فقال له أبو عبداللّه (عليه السّلام): زدنا.

فقال: حدَّثني سفيان عن جعفر أنه قال: حُبُّ ابي بكر وعمر ايمان، وبغضهما كفر!!

.... فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): زدنا.

فقال: حدَّثني نعيم بن عبيداللّه عن جعفر بن محمد انه قال: وَدَّ عليٌّ بن أبي طالب أنه بنُخيلات ينبُع، يستظلّ بظلِّهن ويأكل من حَشْفهن ولم يشهد يومَ الجمل ولا النهروان!!

١ـ الجرّيث: ضرب من السمك يشبه الحيّات (مجمع البحرين) واكله حرام.

وحدَّثني به سفيان عن الحسن.

قال أبو عبداللّه (عليه السّلام): زدنا.

قال: حدَّثنا عبّاد عن جعفر بن محمد انه قال: لمّا رأى علي بن أبي طالب يوم الجمل وكثرة الدماء قال لابنه الحسن: يابُني هلكتُ. قال له الحسن: يا أبت أليس قد نهيتُك عن هذا الخروج؟! فقال علي: يابُني لم ادْر أن الأمر يبلغ هذا المبلغ.

فقال له أبو عبداللّه (عليه السّلام): زدنا.

قال: حدَّثنا سفيان الثوري عن جعفر بن محمد أن علياً ـ لمّا قتَل أهل صفّين ـ بكى عليهم، ثم قال: جَمع اللّه بيني وبينهم في الجنّة.

قال [الراوي: ميمون بن عبداللّه]: فضاق بي البيت، وعرقتُ وكدتُ أن اخرج من مسكي[1] فأردتُ أنْ أقوم اليه فأتوطّأه[2] ثم ذكرتُ غمز أبي عبداللّه (عليه السّلام) فكففتُ.

فقال له أبو عبداللّه (عليه السّلام): مِن أيِّ البلاد أنت؟

قال: من أهل البصرة.

قال (عليه السّلام): هذا الذي تُحدِّث عنه وتذكر اسمه جعفر بن محمد تعرفه؟

قال: لا.

قال (عليه السّلام): فهل سمعتَ منه شيئاً قطّ؟

قال: لا.

قال (عليه السّلام): فهذه الأحاديث عندك حق؟

١ـ أي: صوابي وهُدوئي.

٢ـ الوطء: هو الايقاع والابادة (مجمع البحرين).

قال: نعم.

قال (عليه السّلام): فمتى سمعتَها؟

قال: لا احفظ ـ قال ـ إلاّ أنها أحاديث أهل مصرنا، منذ دهرنا لايمترون فيها.

قال له أبو عبدالله (عليه السّلام): لو رأيتَ هذا الرجل الذي تُحدِّث عنه فقال لك: هذه التي ترويها عني كذب وقال: لا اعرفها ولم أُحدِّث بها، هل كنتَ تُصدِّقه؟

قال: لا.

قال (عليه السّلام): لمَ؟

قال: لأنه شهد على قوله رجال لو شهد أحدهم على عتق رجلٍ لجاز قوله.

فقال (عليه السّلام): اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، حدَّثني أبي عن جدّي.

قال: ما اسمك؟

قال (عليه السّلام): ما تسأل عن إسمي.

إن رسول الله قال: «خَلَقَ الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، ثم أسكنها الهواء، فما تعارَفَ منها ثَمَّ ائتلف هاهنا، وما تناكَرَ ثَمَّ اختلف هاهنا.

ومَن كذبَ علينا ـ أهلَ البيت ـ حَشَره الله يوم القيامة أعمى يهوديّاً، وانْ ادرك الدجّال آمن به، وانْ لم يدركه آمن به في قبره».

يا غلام ضَعْ لي ماءً[1].

١ـ أي: قام (عليه السّلام) وذهب لقضاء الحاجة، وترك القومَ وأعرض عنهم.

ثم غمزني وقال: لاتبرح.

وقام القوم فانصرفوا وقد كتبوا الحديث الذي سمعوه منه.

ثم انه (عليه السّلام) خرج ووجهُه مُنقبض فقال: أما سمعتَ مايُحدّث به هؤلاء؟!!

قلت: اصلحك اللّه، ما هؤلاء وحديثهم؟!

قال (عليه السّلام): اعجب حديثهم كان عندي: الكذب عليَّ والحكاية عنّي ما لم أقل ولم يسمعه عنّي أحد. وقولهم: لو أنكر الأحاديث ما صدّقناه!!

ما لهؤلاء؟! لا أمهل اللّه لهم، ولا أملى لهم.

ثم قال (عليه السّلام) لنا: إن علياً (عليه السّلام) لمّا أراد الخروج من البصرة قال على اطرافها.. ثم قال: «لعنكِ اللّه يا أنتن الأرض تراباً وأسرعها خراباً وأشدَّها عذاباً، فيكِ الداءالدوي.

قيل: ما هو يا أمير المؤمنين؟

قال: كلام القَدَر الذي فيه الفرية على اللّه، وبغضُنا أهلَ البيت وفيه سَخَطُ اللّه وسخطُ نبيِّه (صلّى اللّه عليه وآله) وكذبُهم علينا أهلَ البيت واستحلالهم الكذب علينا»[1].

أقول: الظاهر أن ذمّ الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) للبصرة وأهلها كان نابعاً من سوء تصرُّفاتهم في ذلك اليوم، حيث خرجوا على امام زمانهم وشهروا السيوف في وجهه وحاربوه وقتلوا جماعة كبيرة من المؤمنين الذين كانوا معه.

بالاضافة الى كذبهم وافترائهم على الامام (عليه السّلام) ـ كما قرأتَ

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٥٤ ح٦٤ ذكرناه مُلخّصاً.

شيئاً موجزاً منه في الحديث السابق ـ .

أمّا اليوم فالبصرة ـ والحمد للّه ـ تُعتبر من مراكز الايمان والولاء لآل رسول اللّه الطيّبين الطاهرين (عليهم السّلام) وقد شبَّ أهلُها على محبَّة أهل البيت (عليهم السّلام) والدفاع عنهم.

ولهم مواقف مُشرِّفة تجاه الشعائر الحسينيَّة وخاصة في أيّام عاشوراء والأربعين.

الحياة السياسيّة للإمام الصادق (عليه السّلام)

السياسة ـ في اللغة ـ: التدبير، والأمر والنهي، والقيام بالأمر، وتولّي أُمور الرعيّة بما يصلحهم.

وفي الخبر: «كان بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم»[1] أي تتولّى أُمورهم كالامراء والولاة.

وخلاصة القول: معنى السياسة: ادارة شؤون البلاد، وتدبير أُمور العباد بما يُصلحهم.

ولكن السياسة ـ في زماننا ـ أخذت طابعاً خاصّاً، ومعنى آخر غير المعنى اللُّغوي.. وهو عدم الإلتزام بخطّ مُعيَّن، ومذهب خاصّ، فالسياسي ـ بهذا المعنى ـ هو الذي يتلوّن بكل لون حسب الظروف، فهناك الحُبّ المفتعَل، أو البُغض المزوَّر، أو التظاهر بالديانة، أو ضربُ ما يسمّى بالدين ومكافحة كلّ نشاط ديني حتى أن بعضهم قال: القضاء على الدين دينٌ.

١ـ مجمع البحرين، مادّة: سَوَسَ.

وتارة يرى التشجيع على الامور الدينية، والقضايا الاسلامية.

وانّما يتلوّن السياسي بهذه الألوان رعايةً للجوانب الماديّة، والمصالح الشخصيَّة لا الامور الدينية، والقضايا الاسلامية حقيقة.

وفي بعض البلاد تلعب السياسة دورها حسب الوحي الاستعماري، وأوامر الكفّار والمشركين.

وحُكّام تلك البلاد لاحول لهم ولاقوّة، بل هم أدواة طيّعة لتنفيذ أوامر أسيادهم، ولايحقّ لهم إبداء الرأي، أو إظهار النظر، أو التأمّل في التنفيذ والتطبيق وإلاّ فان كَراسِيَهم تتضعضع، وكراماتهم تتزلزل!!

والسياسة ـ بهذا المعنى ـ واسعة النطاق، كثيرة المصداق، لايمكن حَدُّها وعَدُّها.

فقد تقتضي السياسة قتل الأبرياء، ثم البكاء والنياحة على اولئك القتلى الأبرياء وملاحقة مَن ساهم في قتلهم.

وقد تقتضي السياسة كيل التّهم للصالحين ثم تقديس الصالحين المتَّهَمين! والإشادة بجلالة قَدرهم، وعِظَم شأنهم ..

وهكذا تكون القضايا السياسية مُضحكة ومُبكية.

مُضحكة، لأنها تخالف الواقع، ولها صورة تشبه الحقيقة.

ومُبكية، لأنها تُنزِل الفجائع والمذابح والمصائب والمآسي على البشر المسكين الذي لايعلم لماذا صارفريسة لتلك الألعاب وضحيّة لتلك المساومات.

فالسياسة اللَّعينة ـ بهذا المعنى ـ لاتنسجم مع الدين الاسلامي ابداً وقطعاً، بل الدين الاسلامي يجعل السياسة خاضعةً له، بأن تدور في فَلَكه، لا أن الدين يخضع للسياسة ويفقد مقوّماته ومعنوياته.

وأولياءُ اللّه بعيدون عن هذه الألعاب إبتعاد المشرق عن المغرب، ومنزّهون عن هذه المخازي والأقذار.

وقد عاب المستشرق (سيكس) على الامام أمير المؤمنين عليّ (عليه السّلام) إصراره على الأمانة والشرف، لأنهما لايتَّفقان مع السياسة!![1].

نعم السياسة ـ عند ائمة أهل البيت (عليهم السلام) ـ هي ادارة شؤون البلاد، وتدبير امور العباد بما يُصلحهم على ضوء الدين الاسلامي فقط ولاغير، وحسب المقاييس الشرعية الصحيحة فحسب.

هذا إذا كانت القدرة بأيديهم (عليهم السّلام) والسلطة لهم، والامور طيّعة، والناس منقادة والأجواء ملائمة.

وامّا اذا كان الأمر بالعكس من ذلك ـ بأن كانوا مسلوبي الامكانيات بسبب استيلاء الظالمين على منصّة الحكم، وإلتفاف الناس حولهم، وتفرُّقهم عن اولياء اللّه، وإضعاف جانبهم ـ فهناك يتبدّل التكليف الشرعي، ويتغيّر الحكم الإلهي.

لأن القدرة شرط التكليف، ولايكلّف اللّه نفساً إلاّ وُسْعها، فاذا كانت القدرة مسلوبة فأيُّ تكليف يتوجّه الى الإنسان؟!

نعم، قد تكون القدرة ـ وهي السلطة التنفيذيّة ـ مفقودة، ولكن توجد قُدُرات أُخرى يمكن استغلالها واستثمارها في سبيل نصرة الحق وخدمة الدين.

وذلك ـ مثلاً ـ عن طريق تعليم الافراد وتربيتهم تربيةً ممتازة، بحيث يكون كلّ فرد منهم مُولِّداً للطاقة العقائدية، ومركزاً للثقافة الدينية.

فاذا كان الاستيلاء على منصّة الحكم غير مقدور، فان التفاعل مع

١ـ العراق في ظل العهد الأموي: ص٥٢

الأفكار مقدور، وعمليّة غَسل المخ ـ في بعض الأفراد ـ ميسورة، خاصة اذا حصل التجاوب والتفاهم والشوق والرغبة الى التعلُّم، فهناك تكون النتيجة قطعيّة.

واختار الامام الصادق (عليه السّلام) هذا الطريق لنشر العلوم الاسلامية، والأحكام الدينيّة، والتعاليم الشرعيّة، والقيم الأخلاقيّة، حتى يُكوِّن جيلاً صالحاً، أو يغرس نواة الصلاح والإصلاح في القلوب، لعلَّها تؤتي أُكُلها، وتظهر بركاتها ولو بعد حين.

وأمّا حياته السياسية:

فلقد حدثت ـ في فترة قيامه (عليه السّلام) بأعباء الإمامة ـ حوادث، تسمّى اليوم بـ (السياسة) فكان موقفه ـ تجاه تلك الحوادث ـ موقفاً مشكوراً عليه، فلقد قاوَمَ وقابَلَ تلك الحوادث بكلّ حكمة وحَنَكة، ومعرفة وبصيرة بالأمور، قد يعجز أقوياء الرجال عن الصُّمود والثبات أمام تلك الأحداث المزعجة، ويتحيَّر العقلاء عن اتّخاذ أيّ تدبير تجاه تلك القضايا المدهشة.

والحوادث تلك عبارة عن ثورات دامية قام بها بعض العلويين للإطاحة بالنظام الأموي الغاشم في ذلك العهد، انخداعاً من العلويين بالوعود الزائفة من بعض العناصر التي إدّعت الولاء لهم بألسِنَتها لابقلوبها.

وكان اولئك العلويّون يريدون من الإمام الصادق (عليه السّلام) أن ينخدع أيضاً كما انخدعوا، وان يجرفه تيّار الوعود كما جَرَفَهم، يريدون منه التعاون معهم، والتخلّي عمّا يعلمه من العواقب الوخيمة، والنتائج غير المرضيّة لتلك الثورات الفاشلة.

لقد عقد العديد من العلويين ـ يشاركهم أُناس آخرون ـ مؤتمرات ولم يراعوا فيها الحكمة، ولم ينظروا إليها من جميع جوانبها، ولم يتّخذوا التدابير اللازمة ولم يدركوا الظروف الملائمة للنهضة والثورة.

فكانت ثوراتهم فاقدة الشروط، غير متكاملة الجوانب، وكأنَّهم لم يتفطّنوا أن قلبَ النظام القائم ليس بالشيء الهيِّن، وخاصّة اذا كان النظام حاكماً على نصف الكرة الأرضيّة وذا إمكانات واسعة، وقدرات مترامية الأطراف، يحصد الرؤوس، ويطحن العظام ويزهق الأرواح ويهدر كلّ كرامة، ولايقف شيء أمام جُموحه وشراسته، وبطشه وفتكه.

وكأنهم لم ينتبهوا الى أن التضحية وبذل النفس عند البشر ليس مُستسهَلاً، لأن غريزة حُبِّ الحياة لاتفارق الإنسان الى آخر نَفَس من حياته، إلاّ اذا كان إيمانه باللّه أقوى من غريزة حُبّه للحياة.

كلّ هذه الامور والمقدّمات ـ التي هي من مقوّمات الثورة ـ كانت غائبة عن أذهان قادة الثورات، وكلُّ مَن نَظَر الى شيء من جانب واحد خفيتْ عليه جوانب اخرى من ذلك الشيء!

كانت هذه الحقائق واضحة وبديهيّة عند الإمام الصادق (عليه السّلام) لأنه كان ينظر الى القضايا من جميع جوانبها، من بدايتها الى نهايتها، ومن ظاهرها إلى باطنها، ويعرف مقاييس المجتمع.

لقد كان تاريخ أسلافه الطاهرين مشفوعاً بالمآسي التي جرَّتها عليهم الوعود الكاذبة، والمواثيق الزائفة.

فقد خان الناس جدَّه الاكبر: الامام علي أمير المؤمنين وعمّه الامام الحسن المجتبى وجدّه الامام الحسين (صلوات اللّه عليهم أجمعين). وقد أدرك الامام الصادق (عليه السّلام) جدَّه: الامام زين العابدين، وأباه الامام

الباقر (عليهما السّلام) اللذَين عاشا فاجعة كربلاء الدامية، ولعلّه سمع منهما الكثير الكثير عن تلك الفاجعة التي لامثيل لها في تاريخ البشر.

ومن الطبيعي ان الاطلاع على التاريخ يعطي الإنسان خبرة وعبرة وبصيرة، وكأنها تجارب مرّت في حياته، فكيف اذا كان إماماً مزوّداً بِعلم الامامة ومواريث الأنبياء؟!

ولقد كانت لبداية تلك الثورات مضاعفات تشغل فكر الإمام (عليه السّلام) من الحزن وتراكُم الهموم والغموم، فالثورات كانت تبتدىء بصورة غير مطلوبة، وتنتهي بصورة مؤلمة لأن قادة الثورات كانوا يستجلبون الخط الشيعي، المعتقِد بامامة الإمام الصادق (عليه السّلام) ويعرّفون أنفسهم بالقلب النابض النشيط للشريعة الاسلامية، ومن الطبيعي انهم ـ في هذه الصورة ـ يعتبرون الامامَ الصادق رجلاً يفضِّل الخمولَ، والصلاة والأذكار، والنظر في الكتب التي ورثها من آبائه على النهضة لتطهير المجتمع، وتقويض الحكم الغاشم!!

هكذا كانوا يفكّرون، ويُسيئون الظنَّ بالإمام المعصوم.

ومن المؤسف أن يختار اولئك السادة ـ العلويُّون ـ هذه الطُرُق الخاصة لتحقيق أهدافهم والوصول الى الحكم.

ومن المؤسف أيضاً أن لايتفطّن اولئك السادة الى ان هدوء الإمام الصادق (عليه السّلام) المعروف به يُعتبر مبدأ حركة كبرى، وإعتزاله مجالس السياسة يرمي الى سياسة أعلى، وحكمة أتقن.

فليس اعتزاله السياسة أمراً سلبياً، بل ايجابي.. وما يتذكَّر إلاّ اولو الألباب.

وإليك بعض الروايات الواردة في المقام:

عن العيص بن القاسم قال: سمعت أبا عبداللّه (عليه السّلام) يقول: اتَّقوا اللّه وانظروا لأنفسكم، فانَّ أحقّ مَن نَظر لها أنتم، لو كان لأحدكم نفسان فقدّم إحداهما وجرَّب بها استقبل التوبة بالأُخرى كان، ولكنّها نفس واحدة إذا ذهبتْ فقد ذهبت واللّه التوبة، إنْ أتاكم منّا آت يدعوكم إلى الرضا منّا فنحن ننشدكم أنّا لانرضى، إنه لايطيعنا اليوم وهو وحده، فكيف يطيعنا إذا ارتفعت الرايات والأعلام؟!![1].

وعن الحارث ابن حصيرة الأزدي، قال: قَدِمَ رجل من أهل الكوفة إلى خراسان فدعا الناس إلى ولاية جعفر بن محمد (عليه السّلام) قال: ففرقة أطاعته وأجابت، وفرقة جحدت وأنكرت، وفرقة ورعت ووقفت.

قال: فخرج من كلّ فرقة رجل فدخلوا على أبي عبداللّه (عليه السّلام) قال: فكان المتكلّم منهم: الذي ورع ووقف، وقد كان في بعض القوم جارية فخلا بها الرجل ووقع عليها.

فلمّا دخلنا على أبي عبداللّه (عليه السّلام) وكان هو المتكلّم فقال له: أصلحك اللّه قَدِم علينا رجل من أهل الكوفة فدعا الناس إلى طاعتك وولايتك فأجاب قوم، وأنكر قوم، وورع قوم ووقفوا.

قال: فمِن أي الثلاث أنت؟

قال: أنا من الفرقة التي وَرعت ووقفت.

قال: فأين كان وَرعُك ليلة كذا وكذا؟!!

قال: فارتاب الرجل[2].

وعن عبدالحميد بن أبي الديلم قال: كنت عند أبي عبداللّه (عليه

١ـ علل الشرايع: ص٥٧٧ ح٢. منه بحار الأنوار: ج٤٦ ص١٧٨.

٢ـ بصائر الدرجات: ص٢٦٤ ح٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٧٢.

السّلام) فأتاه كتاب عبدالسلام بن عبدالرحمن بن نعيم، وكتاب الفيض بن المختار، وسُليمان بن خالد يخبرونه أن الكوفة شاغرة برجلها[١]، وأنــه ـ إن أمرهم ـ أن يأخذوها أخذوها.

فلما قرأ (عليه السّلام) كتابهم رمى به. ثم قال: ما أنا لهؤلاء بامام، أما علموا أن صاحبهم السفياني؟[٢].

١ـ أي: لم تمتنع من غارة أحد لخلوّها (أقرب الموارد).

٢ـ إختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٦٤١ ح٦٦٢. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٥١.

الحكومات المعاصرة
للامام الصادق (عليه السّلام)

إنّ العُمـر أغلى، والوقت أثمـن من أن يُصرف في سَرد هذه الامـور التي ينزعج القلم من ذكرها، ويتألّم الضمير من مطالعتها، وتورث الأسف في النفس، والألم في القلب.

ولكن أُسلوب الكتاب يفرض علينا أن نتحدَّث عن اولئك الحكام الذين عاصرهم الامام الصادق (عليه السّلام) وتجرّع منهم أنواع الغصص، وتحمّل منهم أنواع الأذى.

ولقد عاصَرنا ـ منذ عشرات السنين ـ الحكومات المنحرفة، المتأخّرة، المتوحّشة ورأينا مواقفها تجاه الطوائف التي لاتنسجم معها فكريّاً، أو الفئات التي لاتتّحد معها عقائدياً أو الأحزاب التي لاتتعاون معها سياسيّاً.

رأينا كيف كانت مواقف تلك الأنظمة سلبيّة، وكيف كانت نظرة رجالها الى غيرهم نظرة عِداء واستخفاف، وكان عِداؤهم وحقدهم مُركّزاً على رؤساء تلك الطوائف، وخاصّةً الطوائف الدينية، فان السلطات كانت تنزعج من تجاوب تلك الطوائف لرؤسائهم، واحترامهم وانقيادهم

وإطاعتهم لهم.

فكانت المحاولات الجهنميّة، والنشاطات الخبيثة، والجهود الكافرة تُبذل في سبيل القضاء على قُدسيَّة أُولئك الرؤساء، وتدنيس سُمعتهم، وكانت المؤامرات تُدَبَّر لأجل محو تلك الطائفة عن الوجود بشتّى الأساليب، من الإبعاد، والتسفير والتشريد، والسجن والإذلال، والإعدام بلامحاكمة، وبلا أيّة تهمة أو مبرِّر، سوى الدكتاتورية، وسحق حقوق البشر.

ولعل القارىء النبيه يشعر بما ذكرته ـ هنا ـ في حياته المعاصرة، وان الذي يُسمّى بالقانون لايُعمل به أبداً.

وانما القانون الحاكم القائم هو إرادة السلطة وهواها، لاغير.

في هكذا أجواء مليئة بالإرهاب والإرعاب، والضغط والكبت، وهدر الكرامات، وسحق الحقوق كان الامام الصادق (عليه السّلام) يعيش هو وشيعته.

وقد ذكرنا الجبهات العديدة التي حاربت الامام الصادق (عليه السّلام) بشتّى الأساليب.

وإليك بعض ما يتعلَّق بهذه المواضيع:

موقف الإمام من الحكومتين

من الواضح ان الامام الصادق (عليه السّلام) كان له موقف خاص تجاه الحكومتين: الأمويّة والعباسيّة، ففي الوقت الذي كان يراعي التقيّة معهم كان له موقف صارم وبلاتقيّة.

وكان يمنع الشيعة من التعاون ـ بجميع معنى الكلمة ـ مع السلطة، ويعتبر كل تعاون معهم من المحرّمات التي تسبّب دخول النار يوم القيامة.

والسبب واضح جداً، فان الموظّف الحكومي يجب عليه تنفيذ الأوامر الموجّهة إليه، حتى إذا أمروه بِهَدم الكعبة وإحراق القرآن ـ والعياذ باللّه ـ فانه لابُدَّ له من امتثال الأوامر المفوّضة إليه، ولايستطيع أن يخالف قيد شعرة، لأنه موظف عندهم يتقاضى منهم الرواتب في مقابل تنفيذ الأوامر والتكاليف الحكومية، وعلى هذا جرت العادة كما في التاريخ القديم والمعاصر.

ومن خلال الأحاديث ـ التي سوف نذكرها ـ يتَّضح لنا شيء من موقف الامام تجاه الحكومتين، وخاصة موقفه تجاه الحكومة الأموية.

وقبل الدخول في صميم الموضوع لابأس بذكر كلمة وجيزة حول موقف المناوئين تجاه الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) فنقول:

الأئمة الطاهرون ومُناوؤهم

النزاع والخلاف بين الخير والشرّ، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين الحق والباطل من أقدم الظواهر البشرية على وجه الكرة الأرضية.

ولامانع من أن نعتبر مبدأ هذا النزاع من عهد هابيل وقابيل ابنَي آدم (عليه السّلام) كما يقول القرآن الكريم: ﴿إذ قرّبا قرباناً فَتُقُبِّل من أحدهما ولم يُتَقبَّل من الآخر قال لأقتلنَّك قال إنّما يَتقبَّل اللّه من المتَّقين * لئنْ بَسطتَ إليَّ يدك لتقتلني ما انا بِباسط يَدِيَ إليكَ لأقتلك إنّي أخافُ اللّه رَبَّ العالمين. . . . فطوَّعت له نفسُه قتلَ أخيه فَقَتَله فأصبح من الخاسرين﴾[1].

والقرآن الكريم يحدِّثنا ـ كثيراً ـ عن موارد النزاع والخلاف بين الامم الكافرة وبين أنبياء اللّه.

وفي مبدأ البعثة النبوية الشريفة تجلّى هذا النزاع بصورة واضحة، فالحروب التي أجَّج الكفار والمشركون نيرانها كانت منبعثة من هذا المنطلق.

والتُّهَم التي وجَّهها المشركون الى النبي الأقدس (صلّى اللّه عليه وآله)

١ـ سورة المائدة الآيات ٢٧ ـ ٣٠.

ـ كالسحر والجنون وأمثالهما ـ أيضاً كانت من نتائج النزاع المذكور.

ومن الواضح ـ الذي لايشك فيه أحد ـ أن بني أُمية كانوا في طليعة المحاربين والمقاتلين لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله). . من يوم بدر الى يوم أُحد، وهكذا وهلم جرّاً.

وتوضيحاً للمقصود من المناسب أن اذكر ـ هنا ـ شيئاً من الكتاب الذي كتبه المعتضد العباسي حول معاوية، وتقرر أن يُقرأ على الناس حتى تعرف شيئاً من مواقف بني أُميّة تجاه رسول اللّه وعترته الطاهرة:

كتاب المعتضد العباسيّ

جاء في تاريخ الطبري: في سنة أربع وثمانين ومأتين عزم المعتضد باللّه على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر وأمر بإنشاء كتاب بذلك يقرأ على الناس فخوّفه عبيداللّه بن سليمان بن وهب اضطراب العامة وأنه لايأمن أن تكون فتنة، فلم يلتفت إلى ذلك من قوله.

وبعد ذكر التفاصيل. . ذكر الطبري نصَّ الكتاب، ونحن نُلخّصه هنا، ذاكرين اهمَّ النقاط التي جاءت فيه.

قال ـ بعد الحمد والثناء على اللّه سبحانه، والصلاة على محمّد وآله الطيّبين، وما قام به رسول اللّه من تبليغ الرسالة والنصيحة لأُمَّته، وما خصَّ اللّه به أهلَ بيته. . . ـ : فجعلهم اللّه أهلَ بيت الرحمة وأهلَ بيت الدين، الذين أذهب عنهم الرّجسَ وطَهَّرهم تطهيراً ومعدن الحكمة وورثة النبوة وموضع الخلافة وأوجب لهم الفضيلة وألزم العباد لهم الطاعة.

وكان ممّن عانَده ونابذَه وكذَّبه وحاربه من عشيرته: العددُ الأكثر والسوادُ الأعظم، يتلقّونه بالتكذيب والتثريب، ويقصدونه بالأذيَّة

والتخويف ويبارزونه بالعداوة وينصبون له المحاربة، ويصدّون عنه مَن قصَده وينالون بالتعذيب من أتّبعه.

وأشدّهم في ذلك عداوةً وأعظمهم له مخالفة وأوّلهم في كلّ حرب ومناصَبَة ـ لايرفع على الإسلام راية إلاّ كان صاحبها وقائدها ورئيسها في كلّ مواطن الحرب من بدر وأُحد والخندق والفتح ـ: أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية الملعونين في كتاب اللّه ثمّ الملعونين على لسان رسول اللّه في عدَّة مواطن وعدَّة مواضع، لماضي عِلم اللّه فيهم وفي أمرهم ونفاقهم وكفر أحلامهم، فحارب مجاهداً ودافع مكابداً وأقام منابذاً حتى قهَره السيف، وعلا أمرُ اللّه وهم كارهون، فتقوَّل بالإسلام غير منطو عليه، وأسرَّ الكفر غير مُقلِع عنه، فعرفه بذلك رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) والمسلمون وميَّز له المؤلفة قلوبهم، فقبله وولده على عِلم منه.

فممّا لَعَنهم اللّه به على لسان نبيّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) وأنزل به كتاباً قولُه: ﴿وَالشَّجَرَةَ المَلعونَةَ في القُرآنِ وَنُخَوِّفُهم فَما يَزيدُهُم إلاّ طُغياناً كَبيراً﴾[1] ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أمية.

ومنه: قول الرسول (عليه السّلام) وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به: لَعن اللّه القائدَ والراكب والسائق.

ومنه: ما يرويه الرواة من قوله ـ أبي سفيان ـ: يابني عبدمناف تلقَّفوها تلقُّف الكرة فما هناك جنّةٌ ولانار.

وهذا كفر صراح يلحقه به اللَّعنة من اللّه كما لحقت الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

١ـ سورة الاسراء آية ٦٠.

ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أُحُد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده: هاهنا ذببنا محمداً وأصحابه.

ومنه: الرؤيا التي رآها النبي (صلّى اللّه عليه وسلّم) فَوجَم لها فما رُؤي ضاحكا بعدها، فأنزل اللّه: ﴿وما جَعلنا الرؤيا الّتي أريناك إلاّ فتنة للناس﴾[1] فذكروا أنه رأى نفراً من بني أمية ينزون على منبره.

ومنه: طرد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) الحَكَم بن أبي العاص لحكايته إيّاه، وألحقه اللّه بدعوة رسوله آية باقية حين رآه يتخلج، فقال له: كن كما أنت، فبقى على ذلك سائر عُمره.

إلى ما كان من مروان في افتتاحه أول فتنة كانت في الإسلام واحتقابه لكلّ دم حرام سُفك فيها أو أريق بعدها.

ومنه: ما أنزل اللّه على نبيّه في سورة القدر: ﴿ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر﴾[2] من مُلك بني أُمية.

ومنه: أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه فدافع بأمره واعتلّ بطعامه، فقال النبي: لا أشبع اللّهُ بطنه، فبقى لايشبع ويقول: واللّه ما اترك الطعام شبعاً ولكن اعياءاً.

ومنه: أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) قال: «يَطْلع من هذا الفَجّ رجل من أُمّتي يُحشر على غير ملّتي» فطلع معاوية.

ومنه: أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) قال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه».

ومنه: الحديث المرفوع المشهور أنه قال: «إن معاوية في تابوت من نار

١ـ سورة الاسراء آية ٦٠.

٢ـ سورة القدر آية ٣.

في أسفل درك منها ينادي: يا حنّان يامنّان الآن وقد عصيتُ قبلُ وكنتُ من المفسدين».

ومنه: انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً وأقدمهم إليه سبقاً وأحسنهم فيه أثرا وذِكراً: عليّ بن أبي طالب، ينازعه حقّه بباطله، ويجاهد أنصاره بضلاله وغواته، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور اللّه وجحود دينه، ويأبى اللّه إلاّ أن يُتم نوره ولو كره المشركون، يستهوى أهل الغباوة، ويموّه على أهل الجهالة بمكره وبغيه، الذين قدَّم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) الخبر عنهما فقال لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنّة ويدعونك إلى النار» مؤثراً للعاجلة، كافراً بالآجلة، خارجاً من ربقة الإسلام، مستحلاً للدّم الحرام، حتّى سُفك في فتنته وعلى سبيل ضلالته ما لايحصى عدده من خيار المسلمين الذابّين عن دين اللّه والناصرين لحقِّه، مجاهداً للّه مجتهداً في أن يُعصى اللّه فلايطاع، وتُبطل أحكامه فلاتقام، ويخالف دينه فلايدان، وأن تعلو كلمة الضلالة وتُرتفع دعوة الباطل، ـ وكلمةُ اللّه هي العليا ودينُه المنصور وحكمه المتَّبع النافذ، وأمرُه الغالب، وكيد من حادّه المغلوب الداحض ـ حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما اتبعها، وتطوّق تلك الدماء وما سُفك بعدها، وسنَّ سُنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة، وأباح المحارم لمن أرتكبها، ومَنَع الحقوق أهلَها واغترَّه الإملاء واستدرجه الإمهال، واللّه له بالمرصاد.

ثم ممّا أوجب اللّه له به اللّعنة قَتله من قُتل صَبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة، مثل عَمرو بن الحَمق وحجر بن عدي فمن قتل أمثالهم في أن يكون له العزّة والملك والغلبة وللّه العزّة والملك والقدرة

والله (عزّوجلّ) يقول: ﴿ومَن يقتُل مؤمناً مُتعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغَضب الله عليه ولعنهُ وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾[١].

ومّما استحقّ به اللّعنة من الله ورسوله: ادّعاؤه زياد بن سُميّة، جرأةً على الله، والله يقول: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾[٢] ورسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يقول: «ملعون من ادعى الى غير أبيه وانتمى الى غير مواليه» ويقول: «الولد للفراش وللعاهر الحجَر» فخالَف حكم الله (عزّوجلّ) وسنّة نبيِّه (صلّى الله عليه وسلّم) جهاراً وجعل الولد لغير الفراش والعاهر لايضرُّه عهره، فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبة زوجة النبي (صلّى الله عليه وسلّم) وفي غيرها من سُفور وجوه ما قد حرّمه الله، وأثبت بها قربى قد باعدها الله، وأباح بها ما قد حظره الله، ممّا لم يدخل على الإسلام خَلل مثلُه ولم ينل الدين تبديل شبهه.

ومنه: ايثاره بدين الله ودعاؤه عبادَ الله الى ابنه يزيد المتكبّر الخمّير صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخْذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدّد والرهبة، وهو يعلم سَفَهه ويطّلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكرانه[٣] وفجوره وكفره، فلمّا تمكن منه ما مكّنه منه ووطأهُ له، وعصى الله ورسوله فيه طَلب بثأرات المشركين وطوائلهم عند المسلمين، فأوقع بأهل الحرَّة الوقيعةَ التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش مما ارتكب من الصالحين فيها، وشفى بذلك

١ـ سورة النساء آية ٩٣.

٢ـ سورة الاحزاب آية ٥.

٣ـ هكذا في المصدر ولعلّ الأصح: سُكره. وفي بحار الأنوار: سكراته.

عبْد نفسه وغليله، وظنَّ أن قد انتقم من أولياء اللّه وبلَغ النَوى لاعداء اللّه، فقال مجاهراً بكفره ومُظهراً لشركه:

ليتَ أشياخي ببدرٍ شَهِدوا ... جزَعَ الخزرَجِ مِن وقْع الأسَل
قد قتلنا القوم من ساداتهم ... وعدَلنا ميلَ بدر فاعتدَل
لأهَلّوا واستهَلّوا فَرَحاً ... ولقالوا يا يزيد لا تشل
لستُ من خندِفَ إنْ لم أنتقم ... من بني أحمدَ ما كان فعل
لعبتْ هاشمٌ بالمُلكِ فلا ... خبرٌ جاءَ ولا وحيٌ نزَل

هذا هو المروق من الدين، وقولُ من لا يرجع إلى اللّه ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله ولا يؤمن باللّه ولا بما جاء من عند اللّه.

ثمّ مِن أغلظ ما انتهك وعظم ما اخترَم: سَفكه دم الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) مع موقعه من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل، وشهادة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه سلّم) له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة، اجتراءً على اللّه وكفراً بدينه وعداوة لرسوله ومجاهدة لعترته واستهانة بحرمته، فكأنّما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفار أهل الترك والديلم، لايخاف من اللّه نقمة ولايرقب منه سطوة، فَبَتَر اللّه عُمرَه واجتثّ أصله وفرعَه، وسَلبه ما تحت يده وأعدّ له من عذابه وعقوبته ما استحقّه من اللّه بمعصيته.

هذا إلى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب اللّه وتعطيل أحكامه واتخاذ مال اللّه دُوَلاً بينهم وهدْم بيته واستحلال حرامه ونَصْبهم المجانيق عليه ورَمْيهم إيّاه بالنيران، لا يألون له إحراقاً وإخراباً، ولما حرّم اللّه منه

استباحة وانتهاكاً ولمن لجأ إليه قتلاً وتنكيلاً ولمن أمّنه اللّه به إخافة وتشريداً. . .

فانتهُوا ـ معاشر الناس ـ عمّا يُسخط اللّه عليكم، وراجعوا مايرضيه عنكم، وارضوا من اللّه بما اختار لكم والزموا ما أمركم به، وجانبوا ما نهاكم عنه، واتّبعوا الصراط المستقيم والحجَّة البيِّنة والسُبُل الواضحة وأهل بيت الرحمة . . . ، والعنوا مَن لَعنه اللّه ورسوله، وفارِقوا من لاتنالون القربة من اللّه إلاّ بمفارقته. . .) الى آخر كتابه[1] .

نعم. . . ـ أيّها القارئ الكريم ـ هذا أبو سفيان، وهذا معاوية إبنه، وتلك هند زوجته، هؤلاء هم اصول الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن وذاك يزيد بن معاوية من ثمار تلك الشجرة وفروعها.

أليس في القرآن أمثلة حول عناصر البشر؟!

﴿ألم تر كيفَ ضَربَ اللّه مَثَلاً كلمةً طيّبةً كشَجرةٍ طيّبة أصلُها ثابت وفرعُها في السماء * تؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ باذنِ ربِّها ويَضْربُ اللّهُ الأمثالَ للناس لَعلّهم يتذكَّرون * ومَثَلُ كلمةٍ خبيثة كشجرةٍ خبيثة اجتُثَّتْ مِن فَوق الأرضِ مالَها من قرار﴾[2] .

﴿واذْ قلنا لك إنّ ربَّكَ أحاطَ بالناس وما جَعلنا الرُّؤيا التي أريناكَ إلاّ فتنةً للناس والشجرةَ الملعونة في القرآن ونُخوّفُهم فما يزيدُهم إلاّ طغياناً كبيراً﴾[3] .

١ـ تاريخ الطبري: ج١٠ ص٥٤ . ونحوه في بحار الأنوار: ج٣٣ ص٢٠٢ ـ ٢١٣ .

٢ـ سورة ابراهيم الآيات ٢٤ ـ ٢٦ .

٣ـ سورة الاسراء آية ٦٠ .

وذاك الحكَم بن العـاص ـ المستـهـزىء برسـول اللّه (صلّى اللّه عـليـه وآله) الذي لـعنه الرسـول ولعن مَن يخـرج من صُلبـه ـ وذاك ابنه مـروان، وابناؤه الذين حكموا على العباد والبلاد.

والمصيبة العظمى أنهم محسوبون على الاسلام والمسلمين!!

واللّهِ انهم وَصْمة عارٍ على جبين تاريخ الاسلام، لأنَّ الاسلام شيء، وهم كانوا أشياء أُخرى.

وتجد أن ستة من أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) كـانوا معـاصرين لهـذه العناصر القـذرة والجراثيم الخبيثة، والامـام الصـادق (عليـه السّلام) عـاصَرَهم في النصف الأول من حيـاته، وعـاصَر طائفـة اخـرى في النصف الأخير من حياته، وهم العباسيون الذين كانوا أضرّ واسْوأ من بني أُمية.

وقـد بذلوا جـهـوداً كـثـيـرة وعظيـمـة، ومـحـاولات طويـلة وعـريضة لتقويض الحكم الأموي والتخلّص من شروره، وانقاذ المجتمع الاسلامي من ذلك النظام الفاسد، فكان عدد الذين قَتلهم ابو مسلم الخراساني فقط ٨٠٠ ألف انسان.

الامام الصادق (عليه السّلام) والتقيّة

قبل كلِّ شيء . . نذكر كلمةً موجزة عن التقيّة . . ثم ندخل في صُلب الموضوع:

ما هي التقيّة؟

الجواب: التقيّة، والتُقاة، والتقوى: مصادر، يقال: إتّقاه تُقاةً وتقيَّةً: أي حذره وخافه.

والتقيّة: كتمان العقيدة، أو إخفاء الأعمال والأفعال، أو تركها، إتقاءً من شرّ الأشرار واجتناباً من المشاكل المتوقّعة عند عدم التقيّة، قال تعالى: ﴿وقال رجلٌ مؤمن من آلِ فرعونَ يكتُم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقولَ ربي اللّه. . .﴾[1].

وهذا شيء يوافق عليه العقل، بل وينسجم مع الفطرة البشَريّة.

ماهي موارد التقيَّة؟

من الواضح: أن موارد التقيّة تختلف إختلافاً كثيراً، فاذا كان المسلم

١ـ سورة غافر آية ٢٨.

في بلد غير اسلامي وخاف على نفسه من اداء الشعائر الاسلامية، كالصلاة ـ مثلاً ـ فانه ينبغي أن يصلّي في مكان لايراه مَن يخاف ويحذر منه!

وإذا كان في بلد إسلامي يختلف أهله معه في الفروع الفقهيّة فَهُنا أيضاً من موارد التقية، كالتكتّف في الصلاة أو الإسبال أو المسح على الرِّجلين أو غسلهما في الوضوء وأمثال ذلك.

وقد تكون التقية من السلطان.

وقد يتّقي الإنسان من أبناء مذهبه، فيكتم رأيه عمَّن يخشى منه، بل وقد يتّقي الإنسان من أهله وأولاده وأقربائه، فيُخفي عنهم أشياء لو اطّلعوا عليها لكانت هناك مشاكل لاتُحمَد عقباها.

التقيَّة.. عقلاً وشرعاً

ونحن نرى أن العقل السليم يفرض على الإنسان أن يراعي التقية في مواردها اللاّزمة، واذا أهمل التقيّة، فحدثت أضرار في الأموال والأنفس، فان العقلاء يلومونه على ترك التقية.

وأمّا شرعاً: فقد أباح اللّه تعالى لعباده التقيّة عند الإحساس بالخطر، أو احتمال وقوع الضرر، فقال (عزّوجلّ): ﴿لايتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من اللّه في شيء إلاّ أن تتقوا منهم تُقاةً﴾[1] وأنت ترى الصراحة المكشوفة في الآية بجواز تقيّة المسلمين من الكفار.

وقوله تعالى: ﴿مَن كفر باللّه من بعد إيمانه إلاّ مَن أُكره وقلبُه مُطمئنٌ بالإيمان﴾[2].

١ـ سورة آل عمران آية ٢٨.

٢ـ سورة النحل آية ١٠٦.

فقد ذكر المفسرون أن قوله تعالى: ﴿إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ نزل في جماعة، وهم عمار وياسر أبوه، وأُمّه سُمَيَّة، وآخرون، وقُتل أبو عمار وأُمّه، وأعطاهم عمّار بلسانه ما أرادوا منه.

ثم أخبر سبحانه بذلك رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) فقال قوم: كَفَر عمار. فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله): كلاّ، إن عماراً مُلِىءَ إيماناً من قرنه الى قَدَمه، واختلط الايمان بلحمه ودمه.

وجاء عمّار الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وهو يبكي فقال (صلّى اللّه عليه وآله): ما وراءَك؟

فقال: شرٌّ، يارسول اللّه، ما تُركتُ حتى نِلتُ منك[1] وذكرتُ آلهتهم [أصنامهم] بخير!!

فجعل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) يمسح عينَي عمّار ويقول: «إن عادوا لك فَعُد لهم بما قلتَ» فنزلت الآية[2].

قوله تعالى: ﴿إلاّ أن تتَّقوا منهم تقاةً﴾ قال الطبرسي: والمعنى إلاّ أن يكون الكُفّار غالبين، والمؤمنون مغلوبين، فيخافهم المؤمن إن لم يُظهر موافقتهم، ولم يُحسن العِشرة معهم، فعند ذلك يجوز له إظهار مودَّتهم بِلسانه ومداراتهم، تقيّةً منه، ودفعاً عن نفسه، مِن غير أن يعتقد ذلك.

وفي هذه الآية دلالة على أن التقيّة جائزة في الدِّين عند الخوف على النفس.

وقال أصحابنا: إنها جائزة في الأحوال كلّها عند الضرورة، وربّما وجبتْ فيها لضرب من اللُّطف والاستصلاح، وليس تجوز من الأفعال في

١ـ أي ما تركوني حتى ذكرتك بمالاينبغي.

٢ـ تفسير مجمع البيان.

قتل المؤمن، ولا بما يُعلم أو يغلب على الظن أنه استفساد في الدين.

قال الشيخ المفيد: إنها قد تجب أحياناً، وتكون فرضاً، وتجوز أحياناً من غير وجوب، وتكون في وقت أفضل من تركها، وقد يكون تركها أفضل، وإن كان فاعلها معذوراً، معفوّاً عنه، متفضَّلاً عليه بترك اللّوم.

وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي: ظاهر الروايات يدل على أنها واجبة عند الخوف على النفس، وقد روي رخصة في جواز الإفصاح بالحقّ عنده.

وروى الحسن: ان مسيلمة الكذّاب أخذ رجُلين من أصحاب رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول اللّه؟ قال: نعم. قال: أفتشهد أني رسول اللّه؟ قال: نعم.

ثم دعا بالآخر فقال: أتشهد أن محمداً رسول اللّه؟ قال: نعم. قال: أفتشهد أني رسول اللّه؟ فقال: إني أَصَمّ. قالها ثلاثاً، كلُّ ذلك يجيبه بمثل الأول، فضرب عنقه.

فَبلَغ ذلك رسولَ اللّه فقال: أمّا ذلك المقتول فمضى على صدقه ويقينه، وأخذ بفضله، فهنيئاً له، وأمّا الآخر: فَقَبِل رخصة اللّه، فلاتبعة عليه[1].

أقول: فاذا كانت التقيّة جائزة أو واجبة على المسلمين حينما كانوا مغلوبين، وكان الكفّار غالبين، كذلك الحكم يجري على كلّ أقليّة تعيش بين أكثريّة ساحقة، تختلف معها في العقيدة.

الشيعة والتقيّة

وكما يشهد التاريخ فان الشيعة كانوا أقليّة من حيث العدد، وضعفاء

ــــــــــــــــ

١ـ مجمع البيان: ج١ ص٤٣٠.

من حيث القدرة والسلطة، كما هم عليه الآن في كثير من البلاد الاسلامية، فما المانع أن يكتموا عقائدهم، ولايتجاهروا حتى في المسائل الفقهية. . تحفظاً على حياتهم، أو دفعاً للضرر المحتمل؟؟!

ومن الواضح ان التقيّة تختلف درجاتها حسب الأزمنة والأمكنة والسلطات الحاكمة، فقد كانت التقية تفرض على بعض الشيعة أن يتجاهلوا مذهبهم، أو يُظهروا عدم ارتباطهم بالأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) نهائياً.

وهكذا فرضت التقيَّة على بعض العلويِّين ان يُخفي نَسَبه، وأن يغيّر إسمه وكنيته.

أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) والتقيّة

وهكذا فرضت التقيَّة على بعض الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) ـ في بعض الظروف ـ أن يعلنوا براءتهم أو غَضَبَهم أو لعنَتَهم على بعض المشاهير والشخصيات المرموقة من الشيعة دفعاً للخطر المتوقَّع عن أُولئك.

ومما يبيح لهم هذا العمل هو ما ذكره القرآن الكريم في قصّة الخضر وموسى بن عمران (عليه السّلام) قال (عزّوجلّ): ﴿فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرَقها﴾ إلى أن يقول: ﴿أمّا السفينةُ فكانت لمساكينَ يعملونَ في البحر فأردتُ أن أَعيبها وكان وراءَهم مَلِكٌ يأخذ كلَّ سفينة غَصْباً﴾ وأخيراً يقول الخضر: ﴿وما فعلتُه عن أمري﴾[١].

فان العقل والشرع يسمحان للأنبياء والأوصياء بايجاد عيب في أموال الناس، تحفّظاً عليها من المصادرة وغَصْب المال كلّه.

١ـ سورة الكهف الآيات ٧١ ـ ٨٢.

إنطلاقاً من هذه الآية ومن هذه القاعدة، كان ائمة اهل البيت (عليهم السّلام) يخبرون بعض أصحابهم بأنّا نعيبكم (أي نذمّكم) لهدف التحفظ على دمائكم، أي حتى يبلغ الخبر الى تلك السلطات الغاشمة بأن الامام قد ذمَّ الرجل الفلاني، وهذا يدلّ على أنه ليس من الشيعة، وليس محسوباً على الامام، وبهذا الأسلوب يدفع الخطر عن ذلك الرجل الشيعي.

وهكذا تجري التقيّة في بيان الأحكام، فان السلطات ـ من الحُكام والقضاة والفقهاء ـ كانت تختلف مع الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) في كثير من المسائل الفقهيّة.

ولم يكن من السّهل تحدّي أقوالهم وفتاواهم، فكان الأئمة الطاهرون ربما أجابوا السائل عن مسائل فقهيّة بما يوافق آراء اولئك الفقهاء، لا بمايوافق مذهب أهل البيت..

وجميع هذه المحاولات التي قام بها الأئمة الطاهرون أو شيعتهم إنما كانت لأجل المحافظة على خطّ التشيع لأن بقاء الشيعة يعني بقاء الخط الشيعي.

الامام الصادق (عليه السّلام) والتقيَّة

أيُّها القارئ الكريم: بعدما ذكرناه عن التقيَّة.. يأتي دور التحدّث عن الامام الصادق (عليه السّلام) والتقيَّة التي كان يمارسها.. بسبب الظروف الصَّعبة التي كان يعيشها هو وشيعته في حكومة الطغاة الظالمين..

في هذا المجال.. تجد مجموعة من الأحاديث الشريفة التي تعطي صورة صغيرة عن تلك الأجواء الخانقة التي كانت تخيِّم على حياة الامام وشيعته.. وكيف حافظ الامام على حياته وحياة أصحابه الأبرار ودَفَع

عنهم شرَّ الفسقة الفجّار. . واليك بعض تلك الأحاديث:

١ـ عن داود بن الحصين، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبدالله (عليه السّلام) أنّه قال ـ وهو بالحيرة في زمان أبي العباس [السفاح] ـ: إني دخلت عليه وقد شكَّ الناس في الصوم وهو ـ والله ـ من شهر رمضان فسلّمت عليه، فقال: يا أبا عبدالله أصُمتَ اليوم؟

فقلت: لا. والمائدة بين يديه

قال: فادن فَكُل.

قال: فدنوتُ فأكلتُ.

قال: وقلت: الصوم معك والفطر معك.

فقال الرجل لأبي عبدالله (عليه السّلام): تفطُر يوماً من شهر رمضان؟!!

فقال: إي والله، إن أُفطر يوماً من شهر رمضان أحبُّ إليَّ من أن يُضرب عنقي[1].

٢ـ وعن داود الرقّي قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السّلام) فقلت له: جعلت فداك كم عدّة الطهارة؟[2]

فقال: ما أوجبه الله فواحدة، وأضاف إليها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واحدة لضعف الناس، ومن تَوضّأ ثلاثاً ثلاثاً فلاصلاة له[3].

[قال الراوي]: أنا معه في ذا حتى جاء داود بن زربي وأخذ زاوية من البيت فسأله عمّا سألته في عدّة الطهارة فقال له: ثلاثاً. ثلاثاً، مَن نَقَص

١ـ الكافي: ج٤ ص٨٣ ح٩.

٢ـ المقصود من الطهارة ـ هنا ـ غَسْل اعضاء الوضوء.

٣ـ أي يغسل أعضاء الوضوء ثلاث مرّات.

عنه فلاصلاةَ له.

قال: فارتعدتْ فرائصي، وكاد أن يدخلني الشيطان، فأبصر أبو عبداللّه (عليه السّلام) إليّ وقد تغيّر لوني فقال: اسكن يا داود، هذا هو الكفر أو ضرب الأعناق.

قال: فخرجنا من عنده، وكان بيت ابن زربي إلى جوار بستان أبي جعفر المنصور، وكان قد أُلقي إلى أبي جعفر أمر داود بن زربي، وأنه رافضي يختلف إلى جعفر بن محمد، فقال أبو جعفر [الدوانيقي]: إني مطّلع على طهارته، فإنْ هو توضّأ وضوء جعفر بن محمد ـ فاني لأعرف طهارته ـ حقّقت عليه القول وقتلته.

فاطّلع، وداود يتهيّأ للصلاة من حيث لايراه، فأسبغ داود بن زربي الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ـ كما أمره أبو عبداللّه (عليه السّلام) ـ فما تمّ وضوؤه حتى بعث إليه أبو جعفر المنصور فدعاه.

قال: فقال داود: فلمّا أن دخلتُ عليه رحّب بي وقال: ياداود قيل فيك شيء باطل، وما أنت كذلك، قال: قد إطّلعتُ على طهارتك وليست طهارتك طهارة الرافضة، فاجعلني في حِلّ. فأمر له بمائة ألف درهم.

قال: فقال داود الرقّي: ألتقيت أنا وداود بن زربي عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقال له داود بن زربي: جَعلني اللّه فداك حقنتَ دماءنا في دار الدنيا ونرجوا أن نَدخل بيُمنك وبركتك الجنّة.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): فَعَل اللّه ذلك بك وبإخوانك من جميع المؤمنين.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام) لداود بن زربي: حَدِّث داود الرقّي بما مرّ عليكم، حتى تسكن روعته.

قال: فحدَّثه بالأمر كلّه.

قال: فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): لهذا أفتيتُه، لأنه كان أشرفَ على القتل من يد هذا العدوّ.

ثم قال: ياداود بن زربي توضأ مثنى مثنى ولاتَزِدنَّ عليه فانّك إن زدتَ عليه فلاصلاة لك[1].

٣ـ ودخل عليه سفيان الثوري فقال (عليه السّلام): انت رجل مطلوب، وللسلطان علينا عيون، فاخرج عنّا غيرَ مطرود[2].

٤ـ وروي عن حمّاد بن واقد اللّحام قال: استقبلتُ أبا عبداللّه (عليه السّلام) في طريقي فأعرضتُ عنه بوجهي ومضيتُ، فدخلتُ عليه بعد ذلك فقلتُ: جُعلت فداك إنّي لألقاك فاصرف وجهي كراهةً أنْ اَشقَّ عليك.

فقال لي: رحمك اللّه، ولكن رجلاً لقيني امس ـ في موضع كذا وكذا ـ فقال: عليك السلام ياأبا عبداللّه. ما احسن ولا اجمل[3].

٥ـ وروي عن الامام الصادق (عليه السّلام): أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) قال: ما وجدتم في كتاب اللّه (عزّوجلّ) فالعمل لكم به[4] ولاعذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب اللّه (عزّوجلّ) وكان في سُنَّة منّي فلاعذر لكم في ترك سنّتي، وما لم يكن فيه سُنّة منّي فما قال أصحابي

١ـ إختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٦٠٠ ح٥٦٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٥٢.

٢ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٩.

٣ـ الكافي: ج٢ ص٢١٨ ح٩. وقوله (عليه السّلام): «ما احسَنَ ولا اجمل» أي: لم يفعل حَسَناً ولاجميلاً حيث ترك التقيَّة وسلَّم عليَّ أمام المخالفين والمناوئين.

٤ـ في بحار الأنوار: فالعمل به لازم.

فقولوا به، فإنّما مَثَل أصحابي فيكم كَمَثَل النجوم بأيّها اخذ اهتدى، وبأيّ أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة.

قيل يارسول اللّه: من أصحابك؟

قال: أهل بيتي.

قال محمد بن الحسين بن بابويه القمي (رضوان اللّه عليه): إنّ أهل البيت لايختلفون ولكن يفتون الشيعة بمرّ الحقّ، وربّما أفتوهم بالتقيّة فما يختلف من قولهم فهو للتقيّة، والتقيّة رحمة للشيعة.

ويؤيّد تأويله (رضي اللّه عنه) أخبار كثيرة منها:

٦ـ ما رواه محمد بن سنان، عن نصر الخثعمي قال: سمعت أبا عبداللّه (عليه السّلام) يقول: مَن عَرف من أمرنا أن لانقول إلاّ حقّاً فليكتف بما يعلم منّا، فإنْ سَمع منّا خلاف ما يعلم فليعلم أن ذلك منّا دفاع واختيار له[1].

٧ـ وعن الحسين بن خالد الكوفي، عن أبي الحسن الرضا (عليه السّلام) قال: قلت: جعلت فداك حديث كان يرويه عبداللّه بن بكير عن عبيد بن زرارة.

قال: فقال (عليه السّلام) لي: وما هو؟

قلت: روي عن عبيد بن زرارة، انه لقي أبا عبداللّه (عليه السّلام) ـ في السنة التي خرج فيها إبراهيم بن عبداللّه بن الحسن ـ فقال له: جعلت فداك انّ هذا قد ألف الكلام وسارع الناس اليه، فما الذي تأمر به؟

قال: فقال: اتّقوا اللّه واسكنوا ما سكنت السماء والأرض.

قال: وكان عبداللّه بن بكير يقول: واللّه لئن كان عبيد بن زرارة

١ـ الاحتجاج: ص٣٥٥. منه بحار الأنوار: ج٢ ص٢٢٠.

صادقاً فما من خروج وما من قائم.

قال: فقال لي أبو الحسن [الرضا] (عليه السّلام): ان الحديث على ما رواه عبيد، وليس على ما تأوَّله عبداللّه بن بكير. إنما عنى أبو عبداللّه (عليه السّلام) بقوله: «ما سكنت السماء» من النداء بإسم صاحبكم [الامام المهدي] وما سكنت الأرض من الخسف بالجيش[1].

٨ـ وعن محمد بن بشير وحريز، عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) قال: قلت له: إنه ليس شيء أشدّ عليَّ من اختلاف أصحابنا.

قال: ذلك من قِبَلي[2].

قال العلاّمة المجلسي (طاب ثراه): بيان: أي بما اخبرتُهم به من جهة التقيّة وامرتُهم به للمصلحة.

٩ـ وعن عبيد بن زرارة، عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) قال: ما سمعتَ منّي يشبه قول الناس فيه التقيّة، وما سمعتَ منّي لايشبه قول الناس فلاتقيّة فيه[3].

أقول: يقصد (عليه السّلام) بـ «الناس»: المخالفين المنحرفين عن الحق.

١٠ـ وعن اسحاق بن عمّار الصيرفي، قال: دخلتُ على أبي عبداللّه (عليه السّلام)، وكنتُ تركتُ التسليم على أصحابنا في مسجد الكوفة، وذلك لتقيَّة علينا فيها شديدة، فقال لي أبو عبداللّه: يا إسحاق! متى أحدثتَ هذا الجفاء لإخوانك! تمرُّ بهم فلاتُسلِّم عليهم؟

١ـ عيون أخبار الرضا: ج١ ص٣١٠ ح٧٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٧٣.

٢ـ علل الشرايع: ص٣٩٥ ح١٤. منه بحار الأنوار: ج٢ ص٢٣٦.

٣ـ التهذيب: ج٨ ص٩٨ ح٣٣٠.

فقلت له: ذلك لتَقيَّة كنت فيها.

فقال: ليس عليك في التقيَّة ترك السلام، وإنّما عليك في التقيَّة الإذاعة.

إنّ المؤمن ليمرُّ بالمؤمنين فيسلِّم عليهم، فتردّ الملائكة: «سلام عليك ورحمة اللّه وبركاته أبداً»[1].

١١ـ وعن عبداللّه بن زرارة قال: قال لي أبو عبداللّه (عليه السّلام): «اقرأ مني على والدك السلام وقل له: انّي إنّما أعيبك دفاعاً منّي عنك، فإنّ الناس والعَدوّ يسارعون إلى كلِّ مَن قَرّبناه وحَمَدنا مكانه لإدخال الأذى في مَن نُحبّه ونُقرّبه، ويَرمونه لمحبّتنا له وقُربه ودُنوِّه منّا، ويرون إدخال الأذى عليه وقَتْلَه، ويَحمدون كلَّ من عبناه نحن، فإنّما أعيبك لأنّك رجل اشتهرتَ بنا ولميلك إلينا، وأنت في ذلك مذموم عند الناس، غير محمود الأثر لمودّتك لنا ولميلك الينا، فأحببتُ أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدِّين بعيبك ونقصك، ويكون بذلك منّا دافع شرّهم عنك، يقول اللّه (جلّ وعزّ): ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[2] هذا التنزيل من عند اللّه صالحة، لا واللّه ما عابها الاّ لكي تَسْلم من الملك ولاتعطَبْ على يديه، ولقد كانت صالحة ليس للعيب منها مساغ، والحمد للّه.

فافهم المَثَل ـ يرحمك اللّه ـ فإنّك واللّه أحبُّ الناس اليَّ وأحبُّ أصحاب أبي (عليه السّلام) حيّاً وميّتاً، فإنّك أفضل سُفن ذلك البحر

١ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٩٧.

٢ـ سورة الكهف آية ٧٩.

القَمقام الزاخر.

إنّ من ورائك مَلِكاً ظلوماً غَصوباً يرقب عبورَ كلِّ سفينة صالحة تَرِدُ من بحر الهُدى ليأخذها غَصباً ثمّ يغصبها وأهلها.

فرحمة اللّه عليك حيّاً ورحمته ورضوانه عليك ميتاً...» الى آخر الرسالة[١].

١ـ اختيار معرفة الرجال: ج١ ص٣٤٩ ح٢٢١.

لَقَب أمير المؤمنين

لقد كان لقب (أمير المؤمنين) لقباً خاصاً للإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) لقَّبه به رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لايشاركه فيه أحد من أئمة أهل البيت فضلاً عن غيرهم.

ولكن لمّا انقلبت الامور يوم السقيفة، وسلبوا عن الامام علي (عليه السّلام) كلّ إمكانياته، وأزاحوه عن مسند الحكم والقيادة الاسلامية، سلبوه اختصاص هذا اللّقب أيضاً، ولقّبوا به أنفسهم!.

وبعد أن كان هذا اللَّقب خاصاً بالإمام علي (عليه السّلام) صار عامّاً يُطلق على كلّ من استولى على منصَّة الحكم والقيادة، حتى صار يُطلق على ابن آكلة الأكباد وعلى نغله يزيد، وعلى مَن جاء بعده من أرجاس بني أُمية منابع الفساد، وجراثيم الرذائل.

ولمّا انقرضت الحكومة الامويَّة الملوَّثة القذرة، وانتقلت إلى بني العباس ـ الذين كانوا أرجس وأنجس وأخبث من بني أُمية ـ تلقّبوا أيضاً بهذا اللقب المقدَّس.

ومعنى ذلك ان هذا اللَّقب صار رمزاً للخلافة، وصار عَلَماً لكل

خليفة كائناً من كان، وبهذا العمل زالت قدسيّة هذا اللّقب، وتبخّرت شرافته وكرامته.

ولأئمة أهل البيت (عليهم السّلام) كلمات حول هذا اللقب، تكشف لنا عن حقائق مهمَّة، ونطّلع ـ من خلالها ـ على أسرار ونكات دقيقة.

وقد وردت أحاديث كثيرة ـ مذكورة في الجزء السابع والثلاثين من بحار الأنوار صفحة٢٩٠ ـ ٣٤٠ ـ حول اختصاص هذا اللقب بالإمام علي ابن أبي طالب (عليه السّلام) ونقتطف من تلك الأحاديث حديثين بمناسبة المقام:

١ـ دخل رجل على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين!!

فقام [الامام] على قدميه فقال: مَه، هذا إسم لايصلح إلا لأمير المؤمنين (يعني علياً (عليه السّلام)) سمّاه اللّه به.

ولم يُسَمَّ به أحد غيره فرضي به إلاّ كان منكوحاً، وإن لم يكن به ابتُلي به، وهو قول اللّه في كتابه: ﴿إنْ يدْعون من دونه إلاّ إناثاً وإن يَدعون إلا شيطاناً مريداً﴾[1].

قال: قلت: فماذا يُدعى به قائمكم؟[2].

فقال: يقال له: السلام عليك يابقيَّةاللّه، السلام عليك يابن رسول اللّه[3].

١ـ سورة النساء آية ١١٧. اقول: لعلّ وجه الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿إنْ يَدعُون من دونه إلاّ اناثاً﴾ هو وجود الشَبَه بين الرجل المنكوح والمرأة المنكوحة.

٢ـ يقصد بـ «القائم»: الامام المهدي المنتظر (عجَّل اللّه تعالى ظهوره).

٣ـ تفسير العياشي: ج١ ص٢٧٦ ح٢٧٤. منه بحار الأنوار: ج٣٧ ص٣٣٢.

٢ـ وجاء في كتاب مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج٣ ص٥٥ قوله: «ولم يُجوِّز أصحابُنا أن يُطلق هذا اللفظ لغيره (أي لغير الامام علي) من الأئمة (عليهم السّلام)».

وقال رجل ـ للصادق (عليه السّلام) ـ : يا أمير المؤمنين.

قال: مَه، فإنه لايرضى بهذه التسمية أحدٌ إلاّ ابتُلي ببلاء أبي جهل[1].

أيُّها القارئ الكريم:

بعد استعراض هذين الحديثين نذكر مايلي:

١ـ إننا نجد في أحاديث كثيرة أن أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) كانوا يخاطبون طواغيت زمانهم ـ من مُدَّعي الخلافة ـ بكلمة: (يا أمير المؤمنين) وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على التقية التي كان ينتهجها الأئمة الطاهرون (عليهم السّلام) حقناً لدمائهم ودماء شيعتهم، ولئلا تكون الحجة لأعدائهم عليهم.

٢ـ وفي نفس الوقت يظهر لنا ـ بكلّ وضوح ـ أن اولئك الحكام كانوا يرضون بهذا اللقب لأنفسهم، وقد عرفت أن الامام الصادق (عليه السّلام) قال: «ولم يُسَمَّ به (أي بهذا اللقب) أحدٌ غيره (أي غير الإمام علي) فرضي إلاّ كان منكوحاً، وإن لم يكن به ابتُلي به».

فتكون النتيجة: أن الأئمة (عليهم السّلام) ـ حينما كانوا يخاطبون اولئك الحكام بكلمة: «يا أمير المؤمنين» ـ كان من أهدافهم أن يعرّفوا اولئك

١ـ لقد ألَّف السيد ابن طاووس كتاباً سمّاه: اليقين في إمرة أمير المؤمنين، وقد ذكر فيه أكثر من مائتي حديث ـ من كتب الشيعة والسُنَّة ـ حول إختصاص هذا اللَّقب بالامام علي بن أبي طالب (عليهما السّلام) ومنها: عن فضيل عن الإمام الباقر (عليه السّلام) أنه قال: يافضيل... لم يُسمَّ به ـ و الله ـ بعدَ علي أمير المؤمنين إلاّ مفترٍ كذّاب، إلى يوم الناس. (اليقين ص٩٢).

المدَّعين للخلافة، ويُبيِّنوا ماهيَّتـهم، ويكشفوا الغطاء عن هُويِّتهم، ويُظهروا سرائرهم، لأن اولئك المدّعين للخلافة كانوا يرضون بهذا اللقب والخطاب، بل لايرضون بغيره.

فهـذا مولانا زين العابدين علي بـن الحسين (عليهـما السّلام) لما أُدخل على يزيد بن معاوية قال الإمام: يايزيد أتأذن لي بالكلام؟

فقال يزيد: قُل، ولاتَقُل هُجراً![1]

إن يزيد كان يرفض أن يخاطـبه أحد باسمه، ولهـذا قال ـ للامام ـ قل ولاتقل هُجراً، أي: لماذا لاتخاطبني بـ(يا أمير المؤمنين)!!

وذكر الطبري في أحوال المعتـصم العباسي: «ثمّ إن المعتصم ركب يوم عيـد فقام إليـه شيخ فقـال له: يا أبا اسحـاق. فاراد الجند ضَربه»[2] لأنـه لـم يخاطب المعتصم بكلمة: (يا أمير المؤمنين).

أيّها القـارىء الكريم: إنّما ذكرنا هذا البحث مقدَّمة لبعض الأحاديث التي تتـضمَّن مخـاطبة الامـام الصادق (عليـه السّلام) ـ للسفّاح والمـنصور أو غيـرهما ـ بكلمـة: «يا أميـر المؤمنين» حتى يُعرَف أن هذا الخـطاب من الامام للسفّاح والمنصور ليـس إعترافاً بِشرعيّة خـلافتهما، وإنمـا هو بيان للإضطهاد الذي كـان الامـام يُعـانيه مـن اولئك الحكام، حتى اضطر الى أن يخـاطبـهم بهذا اللَّقب المغصوب.

ومن ناحـيـة أُخرى: يعرِّفـهم للتـاريخ وللأجيـال القـادمـة بأن اولئك الحكّام كانوا يرضون بهذا اللقب، فليعرف الناس السوابق السيئة المسجّلة في ملفّات اولئك الفـجرة، وأن بيـوت الأمويين والـعبـاسيين كـانت بؤراًللفسـاد وأن جميع المنكرات كانت مباحةبين الذكوروالإناث!!

١ـ بحار الأنوار: ج٤٥ .

٢ـ الكامل: ج٦ ص٤٥٢ .

موقف الإمام الصادق (عليه السّلام) تجاه الحكومة الأموية

كان الامام الصادق (عليه السّلام) يكره الحكومة الامويّة كراهيَّة شديدة.. وذلك:

أوَّلاً: لأنها حكومة غير شرعيَّة.. بل باطلة وجائرة وفاسدة، جاءت الى الحكم بالسيف والقوّة والارهاب.. لا غير.

ثانياً: لأنها تلاعبت بدين اللّه، وحلّلتْ حرام اللّه وحرَّمت حلال اللّه وهتكت حُرمة أولياء اللّه.

ثالثاً: لأن لها سوابق سيّئة وماضٍ اسود ومواقف حاقدة تجاه الاسلام - من يوم طلوعه - وتجاه نبيّ الاسلام (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

رابعاً: لأن ايديها ملطَّخة بدماء ذريّة رسول اللّه وعترته الطاهرة التي أذهب اللّه عنها الرجس وطهّرها تطهيراً.

فكم من الدماء الزاكية التي سُفكت بسيف بني أُميّة؟!

وكم من المجازر التي وقعت بأمرهم؟!

وكم من المآسي والمصائب التي انصبّت على آل محمّد في عهد هذه الشجرة الملعونة؟!

وكم.. وكم.. ؟!

وفي طليعة تلك المجازر والمصائب: فاجعة كربلاء الدامية.. التي اقرحت جفون آل رسول اللّه واسبلت دموعهم واذلَّت عزيزهم واورثْتهم الكرب والبلاء.

واليك شيئاً من التفصيل:

من الواضح ان الامام الصادق (عليه السّلام) وُلد في عهد جدّه: الامام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السّلام).

ذلك الامام المستضام الذي شاهَدَ فجائع كربلاء ومصائبها، وتحمّل من الآلام والاحزان مالاتحمله الجبال الرواسي، وانصبَّت عليه النوائب، وكأنَّها حلقات متسلسلة:

لقد فُجع الامام علي بن الحسين (عليه السّلام) بِرجالات أُسرته، وعلى رأسهم أبوه: الامام الحسين سيد شباب أهل الجنّة، وسبط رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) الذي استُشهد بأفجع صورة، وأفظع كيفية.

ثم توالَت عليه المآسي مِن نَهْب وسَلْب وأسْر، وأنواع الإهانة، ومحاولات عديدة لقتله سواء في كربلاء أم الكوفة أم الشام، وتسيير آل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) بكيفية تندى منها جبهة الإنسانية حياءً وخجلاً.

والكلّ يعلم ان تلك الجنايات والجرائم قام بها أغصان الشجرة الملعونة، من يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، والدّعي بن الدّعي: عبيداللّه بن زياد، الى عمر بن سعد بن أبي وقاص المطعون في نَسبه، الى نظرائهم

وأشباههم في الخزي والعار.

لقد حدثتْ كلُّ تلك الحوادث المزعجة المؤلمة في كربلاء والكوفة والشام بمرأى ومسمَع من الإمام زين العابدين (عليه السّلام).

والإمام الصادق حفيد الامام زين العابدين ـ كما ذكرنا ـ، ويعلم اللّه تعالى كم حدَّث الجدُّ حفيده عما جرى عليه في تلك الرحلة المؤلمة؟!

ولعلّ الكثير من الأخبار المرويَّة عن الإمام الصادق حول فاجعة كربلاء هو من مسموعاته من جدّه الامام زين العابدين وأبيه الامام الباقر (عليهما السّلام).

أيها القارئ الكريم: انطلاقاً من هذه النقاط المذكورة.. وغيرها وغيرها.. كان الامام الصادق (عليه السّلام) يقف من الحكومة الامويَّة موقف العداء والكراهيَّة ويحذّر الشيعة من التعاون معها، والانضواء تحت قيادتها الفاسدة.

وبهذه الأحاديث يتَّضح لنا جانب من موقف الامام (عليه السّلام) منها:

قصَّة الرجل التائب

عن علي بن أبي حمزة، قال: كان لي صديق من كُتّاب بني أُميّة، فقال لي: إستأذن لي على أبي عبداللّه (عليه السّلام).

فاستأذنتُ له عليه، فأذنَ له، فلما أن دخل سلَّمَ وجلس، ثم قال:

«جُعلت فداك! إني كنت في ديوان هؤلاء القوم، فأصبتُ من دنياهم مالاً كثيراً، وأغمضت في مَطالبه»[1].

١ـ أغمضت في مطالبه: أي تساهلت في تحصيله ولم أجتنب فيه الحرام والشبهات (مجمع البحرين).

فقال أبو عبدالله (عليه السّلام): «لولا أن بني أُميّة وجدوا مَن يكتب لهم، ويُجبي لهم الفييء[١] ويقاتل عنهم، ويشهد جماعتهم. لَما سلبونا حقّنا، ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا شيئاً إلاّ ما وقع في أيديهم».

قال: فقال الفتى: جُعلت فداك! فهل لي مَخرج منه؟

قال: إن قلتُ لك تفعل؟

قال: أفعل.

قال له: فاخرج من جميع ما اكتسبتَ في ديوانهم، فَمَن عرفتَ منهم رددتَ عليه ماله، ومَن لم تعرف تصدَّقتَ به، وأنا أضمن لك على اللّه (عزّوجلّ) الجنّة.

قال: فأطرق الفتى رأسه طويلاً، ثم قال: قد فعلتُ، جُعلت فداك!

قال ابن أبي حمزة: فرجع الفتى معنا الى الكوفة، فما ترك شيئاً على وجه الأرض إلاّ خرج منه، حتى ثيابه التي كانت على بدنه.

قال: فقسَّمتُ له قسمة[٢] واشترينا له ثياباً، وبعثنا إليه بنفقة.

قال: فما أتى عليه إلاّ أشهرُ قلائل حتى مرض، فكُنّا نعوده. قال: فدخلت عليه يوماً وهو في السَّوق[٣] قال: ففتح عينيه ثم قال لي: يا علي! وفى ـ لي ـ واللّه صاحبك.

قال: ثم مات، فتولَّينا أمره، فخرجتُ حتى دخلت على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فلمّا نظر إليَّ قال: يا علي! وفَينا ـ واللّه ـ لصاحبك.

١ـ أي يجمع لهم الخراج.

٢ـ فقسمتُ: أي اخذتُ مَن كلّ رجل من أصدقائي له شيئاً.

٣ـ السوق ـ بفتح السين ـ: حالة الإحتضار وخروج الروح.

قال: فقلت: صدقتَ، جُعلت فداك، هكذا ـ واللّه ـ قال لي عند موته[١].

التوبة من التعاون مع الظالمين

عن أبي بصير قال: كان لي جارٌ يتّبع السلطان، فأصاب مالاً، فأعَدَّ قِياناً[٢] وكان يجمع الجميع إليه، ويشرب المسكر، ويؤذيني، فشكوته إلى نفسه غير مرّة[٣] فلم ينته.

فلما ألحَحتُ عليه قال لي: يا هذا! أنا رجلٌ مبتلى، وأنت رجلٌ مُعافى، فلو عرضتني لصاحبك[٤] رجوتُ أن ينقذني اللّه بك.

فوقَع ذلك له في قلبي، فلما صِرتُ إلى أبي عبداللّه (عليه السّلام) ذكرت له حاله، فقال لي: إذا رجعت الى الكوفة سيأتيك فَقُل له: يقول لك جعفر بن محمد: دَع ما أنت عليه، وأضمن لك على اللّه الجنّة.

فلما رجعتُ الى الكوفة أتاني فيمن أتى، فاحتبستُه عندي حتى خلا منزلي، ثم قلت له:

ياهذا! إنّي ذكرتُك لأبي عبداللّه: جعفر بن محمد الصادق (عليه السّلام) فقال لي:

«إذا رجعتَ الى الكوفة سيأتيك، فَقُل له: يقول لك جعفر بن محمد: دع ما أنت عليه، وأضمن لك على اللّه الجنّة».

١ـ الكافي: ج٥ ص١٠٦ ح٤.

٢ـ القيان ـ جمع قينة ـ: الإماء المغنيّات (مجمع البحرين).

٣ـ أي أكثر من مرّة.

٤ـ أي ذكرت مشكلتي عند الإمام الصادق (عليه السّلام).

قال: فبكى، ثم قال لي: اللّه[1]، لقد قال لك أبو عبداللّه هذا؟

قال: فحلفتُ له أنه قد قال لي ما قلتُ، فقال لي: حسبُك. ومضى.

فلمّا كان بعد أيام بعث إليَّ فدعاني، وإذا هو خلف داره عريان، فقال لي: يا أبا بصير! لا واللّه ما بقى في منزلي شيء إلاّ وقد أخرجتُه، وأنا كما ترى!

قال: فمضيتُ إلى إخواننا فجمعتُ له ما كسوتُه به، ثم لم تأتِ عليه أيام يسيرة حتى بعث إليَّ: أني عليل، فأتني.

فجعلتُ أختلف إليه، وأُعالجه حتى نزل به الموت، فكنت عنده جالساً وهو يجود بنفسه فَغُشي عليه غشية، ثم أفاق فقال لي: يا أبا بصير! قد وفى صاحبك لنا.

ثم قُبِض ـ رحمة اللّه عليه ـ فلمّا حججتُ، أتيت أبا عبداللّه (عليه السّلام) فاستأذنت عليه، فلمّا دخلتُ قال لي ـ ابتداءً من داخل البيت، وإحدى رجليَّ في الصحن، والأُخرى في دهليز داره ـ يا أبا بصير! قد وفينا لصاحبك[2].

أيّها القارئ الكريم: قد ذكرنا ـ في فصل: الامام الصادق (عليه السّلام) وضمان الجنّة ـ أن الامام المعصوم الوجيه عند اللّه تعالى له أن يضمن الجنّة لمن يلتزم بطاعته وتنفيذ أوامره.

١ـ أي باللّه عليك.

٢ـ الكافي: ج١ ص٤٧٤ ح٥.

حرمة التعاون مع الظالمين

عن ابن أبي عمير، عن داود بن زربي قال: أخبرني مولى لعلي بن الحسين (عليه السّلام) قال: كنتُ بالكوفة، فقَدم أبو عبدالله (عليه السّلام) الحيرة، فأتيته فقلت له: جُعلت فداك! لو كلَّمتَ داود بن علي، أو بعض هؤلاء فأدخل في بعض هذه الولايات [الوظائف الحكومية].

فقال: ما كنتُ لأفعل.

قال: فانصرفتُ الى منزلي، فتفكَّرتُ فقلت: ما أحسبه منعني إلاّ مخافة أن أظلم أو أجور، واللّه لآتينَّه ولأُعطينَّه الطلاق والعتاق والأيمان المغلّظة أن لاأظلم أحداً ولاأجور، ولأعدلنّ.

قال: فأتيته فقلت: جُعلت فداك! إني فكّرت في إبائك [امتناعك] عليَّ فظننت أنك إنما منعتني وكرهتَ ذلك مخافة أن أجور أو أظلم.

وإن كلّ إمرأة لي طالق، وكلّ مملوك لي حُرٌّ، علَيَّ وعلَيَّ إن ظلمتُ أحداً، أو جُرتُ عليه، وإن لم أعدل.

فقال: كيف قلت؟

قال: فأعدتُ عليه الأيمان، فرفع رأسه الى السماء فقال: تناوُلُ السماء أيسر عليك من ذلك!![1و2].

عن محمد بن عذافر، عن أبيه قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السّلام): ياعذافر إنّك تعامل أبا أيّوب والربيع، فما حالك إذا نودي بك

١ـ أي لايمكنك الوفاء بتلك الأيمان، والدخول في أعمال هؤلاء ـ بغير ارتكاب الظلم ـ محال، فتناول السماء بيدك أيسر مما عزمت عليه (مرآة العقول).

٢ـ الكافي: ج٥ ص١٠٧ ح٩.

في أعوان الظلمة؟

قال: فَوجَم أبي[١].

فقال له أبو عبدالله (عليه السّلام) ـ لمّا رأى ما أصابه ـ: أي عذافر إنّما خوّفتك بما خوّفني الله (عزّوجلّ) به.

قال محمد: فقدم أبي فلم يزل مغموماً مكروباً حتى مات[٢].

عن جهم بن حميد قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السّلام): أما تغشى سلطان هؤلاء؟

قال: قلت: لا.

قال: ولم؟

قلت: فراراً بديني.

قال: فعزمتَ على ذلك؟

قلت: نعم.

فقال لي: الآن سَلِم لك دينُك[٣].

١ـ الوجم: الذي اشتد عليه الحزن حتى أمسك عن الكلام. (النهاية).

٢ـ الكافي: ج٥ ص١٠٥ ح١.

٣ـ الكافي: ج٥ ص١٠٨ ح١٠.

الحكّام الامويّون
المعاصرون للإمام الصادق (عليه السّلام)

لا أراني بحاجة الى نبش التاريخ، والتحدّث عن نواة هذه الشجرة الملعونة في القرآن، وماضيها المخزي.

فالجرائم التي سجَّلَتها في سجلّ التاريخ متراكمة كتراكم الغيوم، ظلمات بعضها فوق بعض.

لا أُريد أن ابدأ حديثي من هناك، فانها رحلة طويلة متعبة ومزعجة، بل اكتفي بالتحدّث اليسير عن اولئك الفراعنة والطواغيت الذين عاصروا الامام الصادق (عليه السّلام) يجرّعونه الغُصص.

لأن من المناسب ـ ونحن في مقام التحدُّث عن حياة الامام الصادق (عليه السّلام) السياسية ـ ان نذكر أسماء الحكام الامويّين والعباسيّين الذين عاصرهم الامام الصادق (عليه السّلام) حسَب سنوات ذلك العصر.

ومن خلال ذلك تعرف ـ أيها القارىء الكريم ـ كيف انتقلت السلطة الى أُولئك المدَّعين للخلافة، وسوف يظهر لنا أنه لم يكن هناك انتخاب

ولاشورى ولامؤهّلات للخلافة، من العلم والتقوى والورع أو العدالة أو التدبير في امور العباد والبلاد، بل كانت السلطة تنتقل من أحدهم الى الآخر حَسَب الهوى لاغير، أو بالتلاعب والتزوير ممّن عنده خاتم الخليفة الذي كان يختم به الرسائل وغيرها، فكان الرجل يكتب عن لسان الخليفة(!) وينصّ بالخلافة على من يريد ويختم ذلك بخاتم الخليفة والخليفة لايعلم ذلك ابداً.

وإليك أسماء الحكّام الأمويّين المعاصرين للإمام الصادق (عليه السّلام):

١ـ عبدالملك بن مروان

ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أُمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة ابن أبي العاص، فهو امويٌ بين أمويَّين. وكان جدُّه المغيرة من أشدِّ الناس عداءً لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)، فظفر به (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في خروجه لغزوة (حمراء الأسد) فامر بضرب عنقه.

وقال ابن كثير: المغيرة جدُّ عبدالملك لأمُّه، وهو الذي جَدَع انف حمزة يوم أُحُد.

تولى عبدالملك الحكم بعهدٍ من أبيه مروان سنة ٦٥ هـ. وبقي في الملك إلى سنة ٨٦ هـ. وهي سنة وفاته.

وكان قبل ولايته يجالس العلماء، ويحفظ الحديث ويتعبَّد في المسجد وكان متقشّفاً، وقد انكر على يزيد بن معاوية حربَه لعبداللّه بن الزبير، وقال ـ لبعض من سار في ذلك الجيش ـ: ثكلتك أمك أتدري إلى من تسير؟ إلى أول مولود وُلد في الإسلام، ومَن حَنَّكَهُ رسول اللّه (صلّى اللّه

عليه وآله وسلّم) وابن حواريه، وابن ذات النطاقَين. أما واللّه إن جئتَه نهاراً وجدتَه صائماً، وإن جئته ليلاً وجدته قائماً، فلو أن أهل الأرض اطبقوا على قتله لأكبهم اللّه جميعاً في النار.

قال ذلك الرجل ـ الذي خاطبه عبدالملك بهذا ـ: فلما صارت الخلافة إلى عبدالملك وجَّهنَا عبدالملك مع الحَجّاج حتى قتلناه، أي ابن الزبير.

وذلك أن عبدالملك بن مروان ـ عندما ولي السلطة ـ ارسل الحَجّاج ابن يوسف لحرب ابن الزبير في جيشٍ من أهل الشام، وحوصر ابن الزبير ستة أشهر وسبع عشرة ليلة. وكان الحجّاج يرمي الكعبة بالمنجنيق من جبل أبي قبيس.

روى ابن عساكر: أن الحجّاج لمّا رمى الكعبة بالمنجنيق أخذ قومه يرمون من أبي قبيس ويرتجزون:

خطارة مثل الفنيق المزبد　　　ارمي بها اعواد هذا المسجد

فجاءت صاعقة فاحرقتهم، فامتنع الناس من الرمي، وخطب بهم الحجّاج فقال: ألم تعلموا أن بني اسرائيل كانوا اذا قرَّبوا قرباناً فجاءت نار فأكلته، علموا أنه قد تُقبِّل منهم، وان لم تأكله النار علموا أن القربان لم يقبل؟!!

ولم يزل يخدعهم حتى عادوا فرموا. ودام الحصار والرمي للكعبة حتى قُتل عبداللّه بن الزبير في جمادي الآخرة سنة ٨٣ وصَلَبه الحجاج منكوساً بعد قتله وبعث برأسه إلى عبدالملك بن مروان فطيف به في البلاد.

ولما أفضى الأمر إليه [عبدالملك] كان المصحف بيده فاطبقه وقال: هذا آخر العهد بك أو هذا فراق بيني وبينك.

قال ابن كثير: حَجَّ عبدالملك في سنة ٧٥ هـ وخطب الناس بخطبة

قال فيها: انه كان من قبلي من الخلفاء يأكلون ويؤكلون، واني والله لاأداوي أدواء هذه الأُمَّة إلاّ بالسيف، ولستُ بالخليفة المستضعَف ـ يعني عثمان ـ ولا الخليفة المداهن ـ يعني معاوية ـ ولا الخليفة المأبون ـ يعني يزيد ابن معاوية ـ.

أيُّها الناس: انّا نحتمل منكم ما لم يكن عقد راية، أو وثوب على منبر، هذا عمرو بن سعيد حقُّه حقُّه، قرابته وابنه، قال برأسه هكذا فقلنا بسيفنا هكذا. وان الجامعة التي خلعها من عنقه عندي، وقد أعطيت الله عهداً أن لاأضعها في رأس أحد إلا أخرجها الصعداء فليبلِّغ الشاهد الغائب.

وعمرو بن سعيد هو المعروف بالاشدق، قتله عبدالملك بيده سنة ٦٩ وقال ـ بعد أن فرغ من قتله ـ: كان أبو أُمية أحبّ اليّ من زهر النواظر ولكن والله ما أجتمع فحلان في شول قط إلاّ أخرج أحدهما صاحبه.

وكان قَتْله لعمرو بن سعيد غَدراً لأنه آمنه وحَلف له وجعله وليَّ عهده من بعده.

وكان عبدالملك له اقدام على سفْك الدماء، ولمّا قالت له أُمُّ الدرداء: بلغني انك شربتَ الطُلى[1] بعد العبادة والنسك!!

فقال: أي والله والدماء أيضاً شربتُها.

وكانت أول بادرة صدرتْ منه ـ وتُعتبر منهاجاً لسيرته ـ أنه نهى عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال: لايأمرني أحد بتقوى الله إلاّ ضربتُ عنقه.

وهو الذي حَمل الحجّاج بن يوسف على رقاب المسلمين عندما ولاّه

١ـ الطلاء: الشراب (لسان العرب).

على الحجاز والعراق.

وسُئل الحسن البصري عن عبدالملك بن مروان فقال: ما أقول في رجل، الحجاج سيّئة من سيّئاته.

ولمّا حضرته الوفاة أوصى ولده الوليد، في أخذ البيعة له بالسيف وقال وهو في آخر ساعة من الدنيا: ياوليد حَضر الوداع وذهب الخداع وحلَّ القضاء. فبكى الوليد.

فقال له عبدالملك: لاتعصر عينيك كما تعصر الأَمَة الوكاء. اذا أنا متُّ فغسِّلني وكفِّني وصَلِّ عليّ واسلمني الى عمر بن عبدالعزيز يدليني في حفرتي، وأخرج أنت إلى الناس والبس لهم جِلْد نمر. واقعد على المنبر، وادع الناس إلى بيعتك فمَن مال بوجهه كذا فَقُل له بالسيف كذا. وتَنكَّر للصَديق والقريب، واسمع للبعيد، وأوصيك بالحَجّاج خيراً.

وبهذا نأخذ صورة عن كيفية أخذ البيعة من الناس لخليفة جديد، يتولّى ادارة شؤون الأمَّة، فهل للأُمَّة اختيار في الانتخاب أم انها مُرغمة ليس لها أيّ رأي؟! ولايحق لها الاعتراض على شيء من ذلك. والمعارض يُقتل!!

فهل تصحُّ مثل هذه البيعة التي سنَّ نظامها العهد الاموي؟

وهل يصحُّ ان يسمّى من يفوز بمثل هذا التعيين الاجباري بأمير المؤمنين ويكتب ذلك بحروف بارزة؟!!

انا لا أدري ولعلّ هناك من يدري، وإلى القارىء النبيه الحُكم.

وكان عبدالملك يبتعد عن دماء بني هاشم لاتديُّناً ولكنه رأى عاقبة آل أبي سفيان السيئة من وراء ذلك، كما يشير في كتابه للحجّاج بن يوسف في عدم التعرُّض لهم، ومع هذا فقد حَمل الامامَ زين العابدين (عليه السّلام)

مقيَّداً من المدينة إلى الشام، كما حدّث الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء[١].

هذا. . ولايسعنا التوسُّع في البحث عن عبدالملك واعماله وسوء سيرة عُمّاله في الرعية[٢].

٢ـ الوليد بن عبدالملك

وَليَ الأمر بعد أبيه يوم الخميس في النصف من شوال سنة ٨٦ هـ وهو اليوم الذي مات فيه عبدالملك. وكان الوليد ولي عهده. وبقي والياً الى أن مات يوم السبت في النصف من جمادي الاولى سنة خمس وتسعين. وكانت مدة ولايته تسع سنين وسبعة أشهر وله ست واربعون سنة. وأُمُّه ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة العبسي. وكان الوليد له سطوة شديدة لايتوقّف اذا غضب. وكان كثير النكاح والطلاق، يقال إنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة غير الاماء، وكان لَجوجاً، كثير الاكل. وكان يغلب عليه اللَّحن.

وهو الذي بنى جامع دمشق، والذي عُرف بالجامع الأموي، وأنفق على ذلك أربعمائة صندوق من الذهب. وفي كل صندوق أربعة عشر ألف دينار. وقيل: كان في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار. وقد لامه الناس على ذلك وأنه انفق من بيت مال المسلمين فخَطبهم وقال: انما هذا كلُّه من مالي. !!

لأن الأمويين يعدُّون الاموال التي تجيء لهم هي ملكهم يتصرَّفون بها كيف شاءوا. كما أنه زاد في مسجد النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)

١ـ حلية الأولياء: ج٣ ص١٣٥.

٢ـ الامام الصادق والمذاهب الأربعة: ج١ ص١٠٩ ـ ١١٣.

وزَخرَفه ونمَّقه، ورصَّعه بالفسيفساء وهي الفصّ المذهَّب. وأدخل فيه حجرات ازواج النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وسائر المنازل التي حوله، فقال له حبيب بن عبداللّه بن الزبير: انشدك اللّه أن تهدم آية من كتاب اللّه ﴿انّ الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾[1]. فأمر الوليد بضربه حتى مات!!

استشهاد الامام زين العابدين (عليه السّلام)

وفي أيّامه تُوفّي الامام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السّلام) مسموماً، في الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ٩٥ هـ وكان الوليد هو الذي دَسَّ اليه السُّم، ويقال: إنّ هشام بن عبدالملك هو الذي دسَّ إليه السُّم بأمر من الوليد.

[ومات الوليد] في السنة الثانية ٩٦ هـ في النصف من جمادي الآخرة أو الأولى.

وكان يدَّعي نزول الوحي عليه وانّه لايعمل إلاّ بوحي من اللّه تعالى...[2].

الامام الصادق (عليه السّلام) يرفض التعاون مع المخالفين

وبعد هلاك الوليد خطّط بعض المخالفين من اجل الوصول الى السلطة، ولمّا رأوا في الامام الصادق (عليه السّلام) الشخصيّة الدينية المرموقة، قرّروا أن يتّخذوا من شخصيته وسيلة لتحقيق هدفهم المنشود، ولهذا اجتمعوا بالامام (عليه السّلام) وطلبوا منه التعاون معهم، فرفض

١ـ سورة الحجرات آية ٤.

٢ـ الامام الصادق والمذاهب الأربعة: ج١ ص١١٣ ـ ١١٥.

الامام ذلك، وردّ عليهم. . . فخرجوا صاغرين.

والآن. . . إليك هذا الحديث الذي يروي جانباً من القصة:

عن عبدالكريم بن عتبة الهاشمي قال: كنت قاعداً عند أبي عبدالله (عليه السّلام) بمكّة إذ دخل عليه أُناس من المعتزلة ـ فيهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وحفص بن سالم مولى ابن هبيرة وناس من رؤسائهم ـ وذلك حدثان[1] قتل الوليد واختلاف أهل الشام بينهم فتكلّموا وأكثروا وخطبوا فأطالوا، فقال لهم أبو عبدالله (عليه السّلام): إنّكم قد أكثرتم عليّ فاسندوا أمركم الى رجل منكم وليتكلّم بحججكم [ويوجز].

فأسندوا أمرهم إلى عَمرو بن عبيد، فتكلّم فأبلغ وأطال، فكان فيما قال [أن قال:] قد قَتَل أهل الشام خليفتهم وضَرَب الله (عزّوجلّ) بعضهم ببعض[2] وشتَّت الله أمرهم فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروّة وموضع ومعدن للخلافة وهو محمد بن عبدالله بن الحسن فأردنا أن نجتمع عليه فنبايعه ثم نظهر معه فمَن كان بايعنا فهو منّا وكنا منه، ومن اعتزلنا كففنا عنه، ومن نَصَب لنا جاهدناه ونصبنا له على بغيه وردِّه إلى الحق وأهله.

وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك فتدخل معنا [فيه] فإنّه لاغنى بنا عن مِثلك لموضعك وكثرة شيعتك.

فلمّا فرغ قال أبو عبدالله (عليه السّلام): أكُلّكم على مثل ما قال عمرو [بن عبيد]؟

١ـ حِدثان الأمر: أوله وابتداؤه (أقرب الموارد) والمراد سنة قتل الوليد بن عبدالملك الأموي.

٢ـ كناية عن الخلاف والشقاق بينهم.

قالوا: نعم.

فحمد اللّه وأثنى عليه وصلّى على النبي (صلّى اللّه عليه وآله) ثم قال: إنّما نسخط إذا عُصي اللّه، فأمّا إذا أُطيع رضينا، أخبِرني ـ ياعمرو ـ لو أنّ الأُمة قلّدتْك أمرها وولَّتك بغير قتال ولامؤونة وقيل لك: ولّها مَن شئت، مَن كنت تولّيها؟

قال: كنتُ أجعلها شورى بين المسلمين

قال: بين المسلمين كلّهم؟

قال: نعم.

قال: بين فقهائهم وخيارهم؟

قال: نعم.

قال: قريش وغيرهم؟

قال: نعم.

قال: والعرب والعجم؟

قال: نعم.

قال: أخبرني ـ ياعمرو ـ أتتولّى أبا بكر وعمر أو تتبرّأ منهما؟

قال: أتولاّهما.

فقال: فقد خالفتهما.

ما تقولون أنتم: تتولّونهما أو تتبرّؤون منهما؟

قالوا: نتولاّهما.

قال [له]: ياعَمرو إن كنتَ رجلاً تتبرّءُ منهما فإنّه يجوز لك الخلاف عليهما، وإن كنت تتولاّهما فقد خالفتهما، قد عهِد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور [فيه أحداً ثم ردّها أبو بكر عليه ولم يشاور فيه] أحداً ثم

جعلها عمر شورى بين ستّة وأخرج منها جميع المهاجرين والأنصار غير أولئك الستّة من قريش وأوصى فيهم شيئاً لا أراك ترضى به أنت ولاأصحابك إذا جعلتها شورى بين جميع المسلمين.

قال: وما صَنع؟

قال: أمَر صهيباً[1] أن يصلّي بالناس ثلاثة أيام وأن يشاور أُولئك الستّة ليس معهم أحد إلاّ ابن عمر [يشاورونه] وليس له من الأمر شيء، وأوصى من بحضرته من المهاجرين والأنصار إنْ مضت ثلاثة أيام قبل أن يفرغوا أو يبايعوا [رجلاً] أن يضربوا أعناق أُولئك الستة جميعاً، فإن اجتمع أربعة قبل أن تمضي ثلاثة أيام وخالف اثنان أن يضربوا أعناق [اولئك] الاثنين، أفترضون بهذا أنتم فيما تجعلون من الشورى في جماعة من المسلمين؟

قالوا: لا.

ثم قال: ياعمرو! دع ذا، أرأيت لو بايعت صاحبك الذي تدعوني إلى بيعته ثم اجتمعت لكم الأُمّة فلم يختلف عليكم رجلان فيها فأفضتم إلى المشركين الذين لايُسْلمون ولايؤدّون الجزية أكان عندكم وعند صاحبكم من العلم ما تسيرون [فيه] بسيرة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) في المشركين في حروبه؟

قال: نعم.

قال: فتصنع ماذا؟

قال: ندعوهم إلى الإسلام فإن أبوا دعوناهم إلى الجزية.

قال: وإن كانوا مجوساً ليسوا بأهل الكتاب؟

١ـ هو صهيب بن سنان الصحابي الذي توفي سنة ثمان وثلاثين. ودفن بالبقيع. (الاستيعاب).

قال: سواءٌ.

[قال: وإن كانوا مشركي العرب وعبدة الأوثان؟

قال: سواءٌ].

قال: أخبرني عن القرآن تقرؤه؟

قال: نعم.

قال: اقرأ ﴿قاتلوا الّذين لايؤمنون باللّه ولا باليوم الآخر ولايُحرِّمون ما حرّم اللّه ورسولُه ولايدينون دينَ الحقّ مِن الذين أُوتوا الكتاب حتّى يُعطُوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾[1] فاستثناء اللّه (عزّوجلّ) واشتراطه من الذين أُوتوا الكتاب فيهم والذين لم يؤتوا الكتاب سواء؟

قال: نعم.

قال: عمّن أخذت ذا؟

قال: سمعت الناس يقولون.

قال: فدع ذا، فإن هُم أبَوا الجزية فقاتلتَهم فظهرتَ عليهم كيف تصنع بالغنيمة؟

قال: أُخرج الخمس وأُقسِّم أربعة أخماس بين مَن قاتل عليه.

قال: أخبرني عن الخُمس مَن تعطيه؟

قال: حيثما سمّى اللّه، قال: فقرأ ﴿واعلموا أنّما غنمتُم من شيء فانَّ للّه خُمُسَه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾[2].

قال (عليه السّلام): الذي للرسول مَن تعطيه؟ ومَن ذو القربى؟

قال: قد اختلف فيه الفقهاء فقال بعضهم: قرابة النبي (صلّى اللّه

١ـ سورة التوبة آية ٢٩.

٢ـ سورة الانفال آية ٤١.

عليه وآله) وأهل بيته، وقال بعضهم: الخليفة، وقال بعضهم: قرابة الذين قاتلوا عليه من المسلمين.

قال: فأي ذلك تقول أنت؟

قال: لاأدري.

قال: فأراك لاتدري.. فدع ذا.

ثم قال: أرأيت الأربعة أخماس تقسّمها بين جميع من قاتل عليها؟

قال: نعم.

قال: فقد خالفتَ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) في سيرته، بيني وبينك فقهاء أهل المدينة ومَشْيختهم فاسألهم فإنّهم لايختلفون ولايتنازعون في أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) انّما صالح الأعراب على أن يَدَعهم في ديارهم ولايهاجروا، على إنْ دَهَمه مِن عدوّه دهم[1] أن يستنفرهم فيقاتل بهم وليس لهم في الغنيمة نصيب، وأنت تقول: بين جميعهم. فقد خالفت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) في كلّ ما قلتَ في سيرته في المشركين، ومع هذا ما تقول في الصدقة؟

فقرأ عليه الآية: ﴿إنّما الصدقاتُ للفقراء والمساكين والعاملين عليها... إلى آخر الآية﴾[2].

قال: نعم، فكيف تقسّمها؟

قال: أُقسّمها على ثمانية أجزاءٍ فأُعطي كلّ جزءٍ من الثمانية جزءاً.

قال: وإن كان صنف منهم عشرة آلاف وصنفٌ [منهم] رجلاً واحداً أو رجلين أو ثلاثة جعلت لهذا الواحد مثل ما جعلت للعشرة آلاف؟

١ـ دهمه: غشيه. والدَهْم: العدد الكثير (أقرب الموارد).

٢ـ سورة التوبة آية ٦٠.

قال: نعم.

قال: وتجمع صدقات أهل الحضر وأهل البوادي فتجعلهم فيها سواء؟

قال: نعم.

قال: فقد خالفتَ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) في كلّ ما قلت في سيرته، كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) يقسِّم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي، وصدقة أهل الحَضَر في أهل الحضَر، ولايقسّمه بينهم بالسويّة وإنما يقسِّمه على قَدر ما يحضره منهم، وما يرى، وليس عليه في ذلك شيء موقَّت موظَّف وإنّما يصنع ذلك بمايرى على قدرمن يحضره منهم.

فإن كان في نفسك مما قلتُ شيء فالق فقهاء [أهل] المدينة فإنّهم لايختلفون في أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) كذا كان يصنع.

ثم أقبل على عمرو بن عبيد فقال له: اتّق اللّه، وأنتم أيّها الرهط فاتّقوا اللّه فإنّ أبي حدّثني ـ وكان خيرَ أهل الأرض وأعلَمهم بكتاب اللّه (عزّوجلّ) وسنّة نبيّه (صلّى اللّه عليه وآله) ـ: أنَّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) قال: مَن ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلّف[1].

٣ـ سليمان بن عبدالملك

وَليَ الامر بعد أخيه الوليد يوم السبت في النصف من جمادي الآخرة سنة ٩٦ بعهد من أبيه عبدالملك، وبقي والياً الى أن مات يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ هـ. وكانت ولايته عامين وتسعة أشهر وأيام، وهو

ـــــــــــــ

١ـ الكافي: ج٥ ص٢٣ ح١ ـ التهذيب: ج٦ ص١٤٨ ح٢٦١.

شقيق الوليد، وأراد الوليد أن يعزل سليمان عن ولاية العهد ويبايع لولده عبدالعزيز فأبى سليمان، فكتب الوليد الى عماله، ودعا الناس الى ذلك. فلم يُجبه الاّ الحجّاج وقتيبة بن مسلم. ولهذا غضب سليمان على آل الحجّاج ونَكَبهم. وقَتل قتيبة بن مسلم سنة ٩٦ وعزل عمّال الحجّاج، وعذّب أهله، وأطلق في يوم واحد من المسجونين في سجن الحجّاج احدى وثمانين ألفاً من الأسراء، وأمَرهم أن يلحقوا بأهاليهم، ووجد في سجن الحَجّاج ثلاثين ألفاً ممن لاذنب لهم، وثلاثين ألف إمرأة. وسَجن يزيدَ بن أبي مسلم كاتب الحَجّاج، وأُدخل عليه وهو مكبَّل بالحديد فلما رآه سليمان إزدراه فقال: ما رأيت كاليوم قط، لعن اللّه رجلاً أجَرَّكَ رَسَنه[1] وحكمك في أمره.

فقال له يزيد: لاتفعل يا أمير المؤمنين فانّك رأيتني والأمرعني مدبر وعليك مقبل.

ثم قال سليمان: عزمت عليك لتخبرني عن الحَجّاج ما ظنك به: أتراه يَهوي بعدُ في جهنم أم قد استقر؟.

قال: لاتقل هذا في الحَجّاج، فقد بذَل لكم نُصحَه، وأحقن دونكم دمَه، وأمن وليَّكم، وأخاف عدوَّكم، وانّه يوم القيامة لعن يمين أبيك عبدالملك، ويسار أخيك الوليد، فاجعله حيث شئت.

فقال سليمان: اخرج عني إلى لعنة اللّه.

وكان سليمان يأخذ برأي عمر بن عبدالعزيز في بعض أموره يستشيره فيها. وقال له: انّه قد وَلينا ما ترى، وليس لنا علم بتدبيره فما رأيتَ من مصلحة العامة فمر به فليُكتَب.

فكان ردّ الصلاة إلى ميقاتها، بعد أن كانوا يؤخِّرونها إلى آخر وقتها.

١ـ الرَسَن: الحبل (مجمع البحرين).

وقد أجمع المؤرخون على شدّة نَهم سليمان وأنّه كان يأكل كثيراً يجوز المقدار. وقال بعضهم: كان يأكل مائة رطل، وغير ذلك مما ذكروه.

وكان يلبس الثياب الرقاق، وثياب الوشي، ولبس الناس جميعاً الوشي جُباباً وأردية وسراويل، وعمائم وقلانس. والبس جميع أهله وحاشيته الوشي. حتى الطباخين وأمر أن يُكفَّن فيه. وكان مُجحفاً في جباية الأموال.

فمن ذلك أنّه كتَب الى عامله على خراج مصر ـ وهو أسامة بن زيد التنوخي ـ: أحلب الدَّر حتى ينقطع، وأحلب الدم حتى ينصرم.

قال الكندي: فذلك أول شدة دخلت على أهل مصر.

وقد أعجب سليمان بفعل اسامة وقال: هذا أسامة لايرتشي ديناراً ولادرهماً.

فقال له عمر بن عبدالعزيز: أنا أدلُّك على مَن هو شرٌ من أسامة ولايرتشي ديناراً ولادرهماً.

فقال سليمان: ومن هو؟

قال: هو عدوُّ اللّه ابليس. فغَضب سليمان وقام من مجلسه.

وقَدِم أُسامة على سليمان بما اجتمع عنده من الخراج وقال: يا أمير المؤمنين إنّي ماجئتك حتى نهكت الرعية وجهدت، فان رأيت أن ترفق بها وتُرفِّه عليها. وتخفِّف من خراجها ما تقوى به على عمارة بلادها فافعل، فانّه يستدرك ذلك في العام المقبل.

فقال له سليمان: هبلتك أمك. أحلب الدَّر فاذا انقطع فاحلب الدم.

وغضب سليمان على أعظم قائد فتح الفتوحات العظيمة في بلاد المغرب وهو موسى بن نصير، وكان من رجالات الكوفة العسكريين،

وزهادها المؤمنين! ممن عُرف بولائه لأهل البيت واستقامته، ولعلّ من هذا كان سخط سليمان عليه بعد تلك الأعمال الجليلة والفتوحات العظيمة، كما هو مشهور.

وقد أهمل كثير من المؤرخين عظيمَ بلائه وجهاده في نشر الإسلام، واتساع رقعته، وأشادوا بذكر مولاه طارق بن زياد الذي كان تحت إمرته ويسير على مخطّطاته العسكرية.

كانت لموسى هذا مواقف مشهورة، ففَتح بلاد المغرب، وغَنم أموالاً طائلة وكان يوجِّه ولده عبدالعزيز، ومولاه طارق بن زياد لافتتاح المدن، ولكن سليمان وجَد على موسى فقَتل ولده عبدالعزيز الذي افتتح في امارته مدائن كثيرة.

وكان عبدالعزيز متَّصفاً بالزُّهد والصلاح ولكنَّ بعض المؤرخين حاكوا حوله تهمة لاتتفق مع ما يتَّصف به من الاستقامة وحُسن السيرة، وكان قتله سنة ٩٨ هـ. قال ابن الأثير: ويُعدُّون ذلك من زلاّت سليمان.

وكان والده موسى قد سخط عليه سليمان وعذّبه أنواع العذاب، وضمنه أربعة آلاف دينار وثلاثين ألف درهم.

ولمّا قُتل وَلده عرض رأسه عليه فتجلَّد للمصيبة وقال: هنيئاً له بالشهادة وقد قتلتموه واللّه صوّاماً قواماً.

وكان موسى ممن عُرف هو وأبوه نصير بولائه لآل محمّد، ولقد غضب معاوية عليه إذ لم يخرج معه لصفّين[1].

١ـ الامام الصادق والمذاهب الأربعة: ج١ ص١١٥ ـ ١١٧.

٤ـ عمر بن عبدالعزيز

أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم، وأُمّه أُم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

وليَ بعهدٍ من سليمان بن عبدالملك، يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ هـ. وبقى والياً الى أن مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة ١٠١ هـ. ومدّة خلافته سنتان وخمسة أشهر وخمسة أيام. وكان أبوه عبدالعزيز المتوفى سنة ٨٦ هـ ولي عهد مروان بعد أخيه عبدالملك، ولكنه مات قبله.

وكان عمر بن عبدالعزيز يعيش في تَرف وبَذَخ ويبذل الأموال الطائلة في سبيل مأكله وملبسه، حتى ذُكر انه كان يلبس الثوب الذي اشتراه بأربعمائة دينار ويقول: ما اخشنه؟![1].

وكان قد تقنّع بقناع الدين والصلاح، مقدّمة تمهيدية لوصوله الى الحكم والسلطة.

ولمّا تسلّم زمام الحكم، كانت الحكومة الامويَّة مهدَّدة بالسقوط والانهيار، فالأوضاع الاقتصادية متردّية جداً، والضرائب الباهظة قد اثقلت كاهل الأُمَّة، والحالة الأمنية مفقودة، والقتل والارعاب قد ساد العباد والبلاد، والاستياء العام من الحكومة قد بَلَغ اشُدّه.

فأسرع الى تبديل سياسة اسلافه، محاولةً منه للمحافظة على حكومته المذبذبة.. فأمر بتخفيف الضرائب والخراج عن الناس، كما ردَّ فدك الى وُلد فاطمة (عليها السّلام) ومَنع الناس من لعْن خليفة رسول اللّه:

١ـ طبقات الصحابة: ج٥ ص٢٤٦.

الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) والذي كان قد ساد على المنابر والمجامع سبعين سنة!!

كما منَح بعض الحريّات للناس، امتصاصاً للنقمة العارمة على بني أميَّة.

هذه الخطوات غَطَّت على شخصيَّته المنحرفة، فاغترَّ الناس باعماله ومدَحَه المؤرخون واثنوا عليه..

إلاَّ أن ائمة اهل البيت (عليهم السّلام) كانوا يدركون حقائق الأمور بصورة جيّدة، بل كانوا يخبرون عنها قبل وقوعها، وذلك لِما ورثوه من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) من المواريث والعلوم، ولما مَنَحهم اللّه سبحانه من التوسُّم ﴿إنَّ في ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِين﴾[1] ولذا وَرد ذمُّه ـ على لسانهم ـ وأنّه ملعون.

وفي هذا المجال نذكر هذين الحديثين:

١ـ روي انّ الامام زين العابدين (عليه السّلام) قال لعبداللّه بن عطاء: «اترى هذا المترف؟؟ ـ واشار الى عمر بن عبدالعزيز ـ انه لن يموت حتى يلي الناس، فلايلبث إلا يسيراً حتى يموت، فاذا مات لَعنه أهلُ السماء واستغفر له أهل الأرض»[2].

٢ـ وعن أبي بصير قال: كنتُ مع الباقر (عليه السّلام) في المسجد اذ دخل عمر بن عبدالعزيز وعليه ثوبان ممصَّران، متّكئاً على مولىً له، فقال (عليه السّلام): لَيَلينَّ هذا الغلام [أي: سوف يتولّى السلطة] فيُظهر العدل... ثم يموت، فيبكي عليه أهل الأرض ويلعنه أهل السماء.

١ـ سورة الحجر آية ٧٥.

٢ـ بحار الأنوار: ج٤٦ ص٢٣.

قال (عليه السّلام): يجلس في مجلس لا حقّ له ـ أي الخلافة ـ[1].

أقـــول: يكفي في ذمٍّ عمر بن عبدالعزيز قول الامام الباقر (عليه السّلام) ـ في الحديث المذكور ـ : «يجلس مجلساً لاحقَّ له» فالخلافة مَنصب الهي جعله اللّه تعالى لأئمة أهل البيت (عليهم السّلام)، وكلّ من استولى على هذا المنصب ـ غَصْباً وظلماً ـ فهو غاصب ظالم، حتى لو كان عابداً عادلاً، فمن الطبيعي أنْ يلعنه أهلُ السماء. قال تعالى: ﴿إنَّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ المُتَّقِين﴾[2].

٥ـ يزيد بن عبدالملك

يزيد بن عبدالملك بن مروان أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية. تولى الحكم بعد عمر بن عبدالعزيز سنة ١٠١ هـ. وبقي الى أن مات ليلة الجمعة لأربع بقين من شعبان سنة ١٠٥ هـ فكانت ولايته أربعة أعوام وشهراً واحداً ويومين. وكان يزيد صاحب لهو ولذّة، وهو صاحب حبابة وسلامة وهما جاريتان وكان مشغوفاً بهما. وماتت حبابة فمات بعدها بيسير أسفاً عليها. وكان قد تركها أياماً لم يدفنها، لعدم استطاعته فراقها، فعوتب على ذلك، فدفنها. ويقال إنه نَبشَها بعد الدفن حتى شاهدها[3].

٦ـ هشام بن عبدالملك

هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم، وليَ الامر بعهد من أخيه

١ـ سفينة البحار: ج١ ص٢٧٢.

٢ـ سورة المائدة آية ٢٧.

٣ـ الامام الصادق والمذاهب الأربعة: ج١ ص١٢١ و١٢٢.

يزيد بن عبدالملك سنة ١٠٥ هـ لخمس بقين من شعبان وبقي إلى سنة ١٢٥هـ وهي سنة وفاته. وكانت مدّة مُلكه تسع عشرة سنة وسبعة أشهر غير أيام. وأمه بنت هشام بن اسماعيل المخزومي.

كان هشام يُعدُّ من دهاة بني أمية، وقَرنوه بمعاوية وعبدالملك. وقد عُرف بالغلظة، وخشونة الطبع، وشدّة البخل وسوء المجالسة، وكان أحول، وهو الرابع من أولاد عبدالملك الذين تولوا الحكم.

وكان شديد البغض للعلويّين، حاول الانتقام منهم، والانتقاص لهم كلّما أمكنته الفرصة.

[بين هشام والفرزدق الشاعر]

حجَّ هشام قبل أن يلي السلطة فطاف بالبيت ولم يتمكن من استلام الحَجَر من شدّة الزُحام، فنُصب له منبر وجلس عليه، وأهل الشام حوله، وبينما هو كذلك إذ أقبل الامام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السّلام) فانفرج الناس له وصاروا سماطَين، اجلالاً وهيبة واحتراماً، فعظُم على هشام وغاضه ذلك وقال: من هذا؟! ـ استنقاصاً له ـ وكان الفرزدق حاضراً فقال: أنا أعرفه.

فقال هشام: من هو؟

فأنشأ الفرزدق قصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها:

هذا الذي تعرفُ البطحاء وَطْأته ... والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحَرَمُ

هذا ابنُ خير عباد اللّه كلّهمُ ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العَلَمُ

إلى آخر القصيدة.

فغضب هشام وأمر بسجن الفرزدق.

[بين هشام وزيد بن علي]

ودخل عليه زيد بن الامام علي بن الحسين (عليه السّلام) فسلَّم عليه بالامرة، فلم يردّ السلام اهانة له، واغلظ في الكلام ولم يفسح له في المجلس.

فقال زيد: السلام عليك يا أحول، فانك ترى نفسك أهلاً لهذا الاسم. فغضب هشام، وجرت بينهما محاورة كان نصيب هشام فيها الفشل، وخرج زيد وهو يقول: ما كرهَ قوم حَرَّ السيوف إلاّ ذلّوا.

وأمر هشام بِرَدّه وقال له: اذكر حوائجك.

فقال زيد: أما وأنت ناظر على أمور المسلمين فلا.

وخرج من عنده وقال: مَن أحبَّ الحياة ذلّ.

ومضى زيد الى الكوفة وبها استُشهد في الثالث من صفر سنة١٢١ هـ بعد ثورة آزرته فيها مختلف الطبقات. وبعد شهادته (رضوان اللّه عليه) صُلب جَسده عرياناً منكوساً بأمر من هشام، وبقي الجسد مصلوباً أربع سنين[1].

أيُّها القارئ الكريم: سيأتيك الحديث عن زيد الشهيد بعد قليل، ان شاء اللّه تعالى.

[بين هشام والامام الباقر (عليه السّلام)]

عن عمارة بن زيد الواقدي قال: حجَّ هشام بن عبدالملك بن مروان سنة من السنين، وكان حجَّ في تلك السنة محمد بن علي الباقر (عليه

١ـ الامام الصادق والمذاهب الأربعة: ج١ ص١٢٢ ـ ١٢٤.

السّلام) وابنه جعفر، فقال جعفر ـ في بعض كلامه ـ: «الحمد للّه الذي بعث بالحق محمداً نبيّاً واكرمنا به، فنحن صفوة اللّه على خَلقه وخيرته من عباده، فالسعيد من اتَّبعنا والشقي مَن خالفنا، ومن الناس من يقول انه يتولانا وهو يتولّى اعداءنا ومن يليهم من جلسائهم وأصحابهم، فهو لم يسمع كلام ربِّنا ولم يعمل به».

[قال أبو عبداللّه:] فأخبر مسيلمة بن عبدالملك أخاه، فلم يعرض لنا حتى انصرف الى دمشق وانصرفنا الى المدينة، فأنفذ بريداً الى عامل المدينة بإشخاص ابي واشخاصي معه، فاشخَصَنا اليه، فلما وردْنا دمشق حَجَبنا ثلاثة أيام ثم اذن لنا في اليوم الرابع، فاذا هو قد قعد على سرير الملك وجنده وخاصَّته وقوف على أرجلهم سماطَين متسلّحين، وقد نُصب البُرجاس حذاءه[1] وأشياخ قومه يرمون، فلمّا دخل أبي وأنا خلفه ما زال يستدنينا منه حتى حاذيناه وجلسنا قليلاً، فقال لأبي: يا أبا جعفر لو رميتَ مع اشياخ قومك الغرض.

وانما اراد أن يضحك بأبي، ظنّاً منه انه يقْصر فلايُصيب الغرض لِكبَر سنّه، فيشتفي منه. فاعتذر أبي وقال: اني قد كبرتُ فان رأيتَ ان تعفيني، فلَم يقبل وقال: لا والذي اعزَّنا بدينه ونبيِّه.

ثم أومأ الى شيخ من بني أُميّة أن أعطه قوسَك، فتناولها منه أبي وتناول منه الكنانة، فوضع سهماً في كبد القوس فرمى وسَط الغرض فأثبته فيه، ثم رمى الثاني فشقَّ فوق السهم الأوّل الى نَصله، ثم تابع حتى شقَّ تسعة أسهم فصار بعضها في جوف بعض، وهشام يضطرب في مجلسه، فلم يتمالك انْ قال: اجدتَ يا أبا جعفر فأنت أرمى العرب والعجم،

١ـ البُرجاس: غَرضٌ في الهواء يرمى بالسهام. (أقرب الموارد). والحذو والحذاء: الازاء والمقابل (لسان العرب).

زعمتَ انك قد كبرت؟! كلا.

ثم ندم على مقالته وتكنيته له، وكان مِن تكبُّره لايكنّي أحداً في خلافته، فاطرق اطراقة يرتأي فيه رأياً، وأبي واقف ازاءه ومُواجه له، وأنا وراء أبي، فلمّا طال الوقوف غضب أبي وكان اذا [غضب] نظر [الى] السماء نظر غضبان يتبيَّن الغضبُ في وجهه، فلمّا نظر هشام ذلك من أبي قال: إصعد يامحمد، فصعد أبي السرير وصعدت، فلمّا دنا من هشام قام اليه واعتنقه واقعده عن يمينه، ثم اعتنقني وأقعدني عن يمين أبي وأقبل على أبي بوجهه وقال: يامحمد لاتزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مِثلك، ولله دَرُّك، مَن علّمك هذا الرمي؟ وفي كم تعلّمته؟

فقال أبي: قد علمتَ أنَّ أهل المدينة يتعاطونه فتعاطيتُه أيام حداثتي ثم تركتُه، فلمّا أراد أمير المؤمنين[1] مني ذلك عُدت اليه.

فقال: ما رأيتُ مثل هذا الرمي قطّ مذ عقلتُ، وما ظننتُ أن أحداً في أهل الأرض يرمي مثل هذا، فأين رمي جعفر من رميك؟

فقال (عليه السّلام): إنّا نتوارث الكمال والتمام والدِّين، اذ أنزل اللّه تعالى على نبيِّه قوله: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[2] فالارض ـ ممن يُكمل دينه ـ لاتخلو، فكان ذلك علامة هذه الامور التي يقْصر عنها غيرنا.

فلمّا سمع ذلك انقلبتْ عينه اليمنى فاحولَّت واحمرَّ وجهه، وكان ذلك علامة غضبه اذا غضب، ثم اطرق هنيهة ورفع رأسه الى أبي وقال: ألسنا بني عبدمناف نَسَبُنا ونَسبكم واحدا؟

١ـ قد ذكرنا ـ في هذا الكتاب ـ كلمة حول لقب «أمير المؤمنين».

٢ـ سورة المائدة آية ٣.

[أهل البيت (عليهم السّلام) هم الأفضل]

فقال أبي: ونحن كذلك، ولكن اللّه (جل ثناؤه) اختصَّنا بمكنون سرّه وخالص عِلمه ما لم يختصّ احداً غيرنا.

فقال: أليس اللّه بعث محمداً من شجرة عبدمناف الى الناس كافَّة، ابيضها وأسودها واحمرها؟ فمِن أين ورثتم ما ليس لغيركم ورسول اللّه مبعوث الى الناس كافة [وذلك لقول اللّه (تبارك وتعالى): ﴿وللّه ميراث السماوات والأرض﴾ الى آخر الآية][1]؟ ومن أين أورِثتم هذا العِلم وليس بعد محمد نبي، وما أنتم أنبياء؟!!

فقال أبي: من قوله تعالى: ﴿لاتحرِّك به لسانَك لتعجَل به﴾[2] فالذي ابداه فهو للناس كافّة، والذي لم يُحرِّك به لسانه أَمَر اللّه تعالى أن يخصَّنا به دون غيرنا، فلذلك كان يناجي به أخاه عليّاً دون أصحابه، وأنزل اللّه تعالى قرآنا فقال: ﴿وتعيَها أُذنٌ واعية﴾[3]، فقال له رسول اللّه بين أصحابه: «سألتُ اللّه أن يجعلها أُذُنك ياعلي»، ولذلك قال علي بالكوفة: «علَّمني رسولُ اللّه ألف باب من العلم، ينفتح من كلّ باب ألف باب» خصَّه رسول اللّه من مكنون عِلمه ما خصَّه اللّه به، فصار إلينا وتوارثناه من دون قومنا.

فقال له هشام: إنّ علياً كان يدَّعي عِلم الغيب، واللّه لم يطَّلع على غيبه أحداً، فكيف ادّعى ذلك؟ ومن أين؟

فقال أبي: انّ اللّه أنزل على نبيِّه كتاباً بيّن فيه ما كان وما يكون الى

١ـ الآية في سورة آل عمران آية ١٨٠ وما بين المعقوفتين من بحار الأنوار.

٢ـ سورة القيامة آية ١٦.

٣ـ سورة الحاقة آية ١٢.

يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلِّ شيء وهدى وموعظة للمتقين﴾[١] وفي قوله تعالى: ﴿وكلَّ شيء أحصيناه في إمامٍ مبين﴾[٢]، وفي قوله: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾[٣]، وفي قوله: ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلاّ في كتاب مبين﴾[٤] وأوحى الى نبيِّه أن لايُبقي في غيبه وسرِّه ومكنون عِلمه شيئاً إلاّ ناجاه به، وأَمَرَه أن يؤلّف القرآن من بعده، ويتولّى غسله وتحنيطه وتكفينه من دون قومه، وقال لأهله وأصحابه: «حرام أن تنظروا الى عورتي غير أخي علي، فهو مني وأنا منه، له مالي وعليه ماعليَّ، وهو قاضي ديني ومُنجز وعدي» وقال لاصحابه: «عليٌ يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله» ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلاّ عند علي، ولذلك قال لأصحابه: «أقضاكم علي» وقال عمر بن الخطاب: لولا علي لهلك عمر، أفيشهد له عمر ويجحد غيره؟!!

فأطرق هشام ثم رفع رأسه وقال: سل حاجتك؟

فقال: خلّفتُ أهلي وعيالي مستوحشين لخروجي.

فقال: قد آمنَ اللّه وحشَتَهم برجوعك اليهم، فلاتقم أكثر من يومك، فاعتنقه أبي وودَّعه، وفعلتُ فعله، ونهض ونهضتُ، وخرجنا الى بابه، فاذا على بابه ميدان وفيه اناس قعود في آخره، فسأل عنهم أبي فقال الحُجّاب: هؤلاء القسّيسون والرّهبان، وهذا عالِم لهم يقعد لهم في كلّ

١ـ سورة النحل آية ٨٩.

٢ـ سورة يس آية ١٢.

٣ـ سورة الانعام آية ٣٨.

٤ـ سورة النمل آية ٧٥.

سَنة يوماً واحداً يستفتونه فيفتيهم. فلفَّ أبي رأسه بفاضل ردائه وفعلتُ فعله وأقبل حتى قَعد عندهم وقعدتُ وراء أبي، فرُفع الخبر الى هشام، فأمر بعض غلمانه أن يحضره وينظر ما يصنع، فأتى ومعه عدد من المسلمين فأحاطوا بنا.

[بين الامام الباقر (عليه السّلام) وعالِم النصارى]

وأقبل عالِم النصارى وقد شدَّ حاجبيه بعصابة صفراء فتوسَّطَنا وقام اليه جميع الحاضرين مسلِّمين، فتوسَّط صدر المجلس قعد فيه وأحاطوا به، وأبي وأنا بينهم فأدار نَظَره فيهم فقال لأبي: أمِنّا أم من هذه الأُمّة المرحومة؟

فقال أبي: بل من هذه الامّة المرحومة.

فقال: أمن علمائها أم من جهّالها؟

فقال أبي: لستُ من جهّالها؟

فاضطرب وقال: أسألك؟

فقال: سل.

قال: مِن أين ادّعيتم انّ أهل الجنة يأكلون ويشربون ولايُحْدثون ولايبولون؟ وما الدليل؟ وهل من شاهد لايُجهل؟

قال أبي: الدليل الذي لايُنكر: مشاهدة الجنين في بطن أُمّه يطعم ولايُحْدث.

فاضطرب اضطراباًشديداًوقال: كلاّ.. زعمتَ انّك لستَ من علمائها.

فقال أبي: قلت: لستُ من جهّالها.

قال: فأسألك عن مسألة اخرى.

قال: سل.

قال: مِن أين ادَّعيتم انّ فاكهة الجنة ابداً غضَّة طريَّة؟ وما الدليل من المشاهدات؟

قال: انّ الفرات غضٌ طريّ موجود غير معدوم لاينقطع.

فاضطرب اضطراباً شديداً وقال: كلاّ.. زعمتَ انك لستَ من علمائها.

فقال أبي: قلتُ: لستُ من جهالها.

فقال: أسألك عن مسألة أُخرى؟

قال: سَلْ.

قال: أسألك عن ساعة من ساعات الدنيا ليست من الليل ولامن النهار؟

قال أبي: هي الساعة التي بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس، يهدأ فيها المبتلى ويرقد فيها الساهر ويفيق فيها المغمى عليه، جعلها اللّه في الدنيا رغبة للراغبين وفي الآخرة للعاملين، وجعلها دليلاً واضحاً وحجَّة بالغة على الجاحدين والتاركين.

فصاح صيحة ثم قال: بقيتْ مسألة واحدة لأسألنّك عنها ولاتهتدي الى الجواب عنها ابداً.

قال أبي: فسل انّك حانث[1] في قولك.

فقال: أخبرني عن مولودَين وُلدا في يوم واحد وماتا في يوم واحد، عُمر أحدهما مائة وخمسون سنة، والآخر خمسون سنة في الدنيا؟

١ـ الحِنث: أن يقول الانسان غير الحق (لسان العرب).

فقال أبي: ذلك عُزير وعزرة وُلدا في يوم واحد، ولمّا بلَغا مبلغ الرجال خمسة وعشرين عاماً مرَّ عُزير على حماره بقرية في أنطاكية ﴿وهي خاوية على عروشها قال أنّى يُحيي هذه اللّه بعد موتها﴾[1] وكان اللّه قد اصطفاه وهداه، فلمّا قال ذلك غضب اللّه عليه وأماته مائة عام ثم بعثه على طعامه وحماره وشرابه وعاد الى داره واخوه عزرة لايعرفه. فاستضافه وبعث الى أولاده وأحفاده وقد شاخوا[2] وعُزير شاب في سن خمس وعشرين وهو يذكّر عزرة بنفسه فيقول له: مارأيتُ شاباً أعلم بعُزير منك فمِن أهل السماء أنت أم من أهل الأرض؟ فقال عُزير لأخيه: أنا عُزير، سَخط اللّه تعالى عليّ بقول قلته فأماتني مائة سنة ثم بعثني، ليزدادوا بذلك يقيناً، انّ اللّه على كل شيء قدير، وهذا حماري وطعامي وشرابي الذي خرجتُ به من عندكم، أعاده لي كما كان بقدرته، فأعاشه اللّه بينهم تمام الخمسين وقبضه اللّه وأخاه في يوم واحد.

فنهض ـ عند ذلك ـ عالِم النصارى وقاموا معه فقال: جئتموني بأعلم مني فأقعدتموه بينكم ليفضحني ويعلم المسلمون بأنّ لهم من يحيط بعلومنا وعنده مالا نحيط به؟!!

فلا واللّه لاكلّمتُكم ولاقعدتُ لكم ان عشتُ سَنة.

فتفرَّقوا، وأبي قاعد مكانه، ورَفع ذلك الرجل الخبر الى هشام فاذا رسوله بالجائزة والأمر بانصرافنا الى المدينة من وقتنا فلانبقى، لأنّ أهل الشام ماجوا وهاجوا فيما جرى بين أبي وعالِم النصارى، فركبنا دوابّنا منصرفين.

١ـ سورة البقرة آية ٢٥٩.

٢ـ من الشيخوخة وهي الهرم وطول العمر.

[محاولة يائسة من هشام الاموي
ضد الامام الباقر والامام الصادق (عليهما السّلام)]

وقد سبَقنا بريدُ[1] هشام الى عامل مَديَن في طريقنا الى المدينة يذكر له: (انّ ابن أبي تراب السّاحر محمد بن علي وابنه جعفر الكذابَين ـ بل هو الكذّابُ الأشِر، عليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين الى يوم الدين ـ فيما يظهران من الاسلام، قد وردا عليَّ فلمّا صرفتُهما الى المدينة مالا الى القسِّيسين والرُّهبان، وتقرَّبا اليهم بالنصرانيَّة، فكرهتُ النكال بهما لقرابتهما، فاذا مرّا بانصرافهما عليكم فليناد في الناس: بَرأتِ الذمَّة ممّن باعهما وشارَهما وصافَحهما وسَلّم عليهما.

ورأى أمير المؤمنين قَتْلهما ودوابِّهما وغلمانهما لارتدادهما، والسلام).

فلمّا ورد البريد الى مَدين وشارفناها بعده قدَّم أبي غلمانه ليشتروا لدوابّنا عَلفاً ولنا طعاماً، فلمّا قربوا من المدينة أغلق أهلُها الباب في وجوههم وشَتَموهم وذكروا بالشتم عليّاً وقالوا لهم: لانُزولَ لكم عندنا ولابيع ولاشراء، فأنتم كفار مشركون.

فوقف غلماننا الى الباب حتى انتهينا اليهم، فكلَّمهم أبي وليَّن لهم القول، قال: اتقوا اللّه فلسنا كما بَلَغكم، فأجابوه بمثل ماأجابوا الغلمان.

فقال لهم أبي: هَبُونا كما قلتم، فافتحوا الباب وبايعونا[2] كما تبايعون اليهود والنصارى والمجوس!!

فقالوا: انتم اشرّ منهم، لأنّ هؤلاء يؤدُّون الجزية وأنتم لاتؤدّون.

١ـ البريدُ: الرسول (مجمع البحرين).

٢ـ بمعنى طلب البيع، أي بيعونا الطعام وغيره.

فقال لهم أبي: افتحوا الباب وخذوا منّا الجزية كما تأخذونها منهم!!

فقالوا: لانفتح ولاكرامة، حتى تموتوا على ظهور دوابّكم جياعاً وتموت دوابُّكم تحتكم.

فوعَظهم أبي فازدادوا عُتّواً.

[الامام الباقر يهدِّد بنزول العذاب]

فثنى أبي رِجلَه عن سَرجه وقال لي: مكانك ياجعفر لاتبرح، فصعد الجبل المُطلّ على مدينة مَدْين وهم ينظرون مايصنع، فلمّا صار في اعلاه استقبل بوجهه المدينة ووضع اصبعيه في أُذنيه ونادى: ﴿والى مَدْين أخاهم شُعيباً (الى قوله) بقيّة اللّه خيرٌ لكم انْ كنتم مؤمنين﴾[1]، نحن واللّهِ بقيَّة اللّه في أرضه.

فأمر اللّه تعالى ريحاً سوداء مظلمة فهبَّت واحتملت صوته فألقته في أسماع الرجال والنساء والصبيان والاماء، فما بقي أحد من اهلِ مَدْين إلاّ صَعَد السطح من الفزع، وفيمن صعد: شيخ كبير السِّن، فلمّا نظر الجبل صَرَخ بأعلى صوته: اتَّقوا اللّه يا أهل مَدْين، فانّه قد وقف الموقف الذي وَقف فيه شُعيب حين دعا على قومه، فانْ لم تفتحوا له الباب نزل بكم العذاب، وقد أعذر من انذر.

ففتحوا لنا الباب وأنزلونا، وكَتب العامل بجميع ذلك إلى هشام، فارتحلنا من مَدْين الى المدينة في اليوم الثاني، وكتب هشام الى عامله بأن يأخذوا الشيخ ويدفنوه في حفيرة ففعلوا، وكتب أيضاً الى عامله بالمدينة أن يحتالوا في سمِّ أبي بطعام أو شراب، ومضى هشام ولم يتهيّأ له»[2].

١ـ سورة هود الآيات ٨٤ ـ ٨٦.

٢ـ دلائل الامامة: ص١٠٤ ـ ١٠٩. منه بحار الأنوار: ج٤٦ ص٣٠٦.

زيد الشهيد

ابن الإمـام علي زين العابـدين، بن الامـام أبي عـبدالله الحسين بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهم السّلام).

شـخصـيّة قد اختلفت حـولها الأقلام، واضطربت ـ في شـأنها ـ الأقوال. . .

وقد ألَّف الـكثيرون ـ مـن علمائنا وغيرهم ـ في ترجـمتـه كُتباً بـصورة مستقلَّة، أو ذكروه ضمن التّراجم.

فالرّجل يعتبر إماماً عند طائفة كبيرة من المسلمين منذ اثني عشر قرناً تقريباً، وهم الزيدية، ولكننا لانكذب إذا قلنا: إن زيداً شيء والزيدية شيء آخر.

وقد ذكرنا ـ في بداية كتابنا هذا ـ أن الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) قـد صرَّح ونصَّ على إمـامـة الأئمـة الإثـني عشـر (عليـهم السّلام) باسـمـائهم وأنسـابهم، ولـم يكن زيد بن علي مـذكـوراً ضـمن اولئك الأئمة الطاهرين، وهكذا لم يَرِد نصٌّ من بقيّة الأئمة على إمامة زيد.

نعم قـد وردت أخبـار عديدة في قـتله وصـلبه وأمـثـال ذلك، ولكنّهـا

خالية عن الإعتراف بإمامته.

وعلى كلّ حال.. فقد كان زيد رجلاً عابداً زاهداً جليلاً ذا شخصيّة محترمة بين الناس، وكان يُعرف بـ: حليف القرآن واسطوانة المسجد ـ لكثرة صلاته وعبادته ـ وكان معروفاً بالفصاحة والخطابة والشجاعة. وقد قام بثورة مسلَّحة ضد الطّاغية: هشام بن عبدالملك الاموي، وكادت الثورة أن تنتصر لولا تقاعس اهل الكوفة وخذلانهم ايّاه، ممّا ادّى الى استشهاده.

وممّا دعاه الى الثورة ضد هشام هو الظلم والجور الذي انتشر في عَهده انتشاراً فضيعاً، واستخفافه بالمقدَّسات الاسلاميَّة حتى أن رجلاً سبَّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عند هشام فلم يردَّ عليه ولم ينكر عليه ذلك!!.

هذا.. وقد ذكرنا ـ في الموسوعة ـ بعض ما يتعلّق بشخصيّته وثورته وقيامه في الكوفة، وموقفه من الامام الصادق (عليه السّلام) وموقف الامام منه ومن ثورته وبعد شهادته.. وإليك بعض التفصيل:

عن عمرو بن خالد قال: قال زيد بن عليٍّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السّلام): في كلِّ زمان رجلٌ منّا أهل البيت، يَحتجُّ اللّه به على خَلقه، وحجّة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد، لايضلُّ من تبعه، ولايهتدي من خالفه[1].

وعن معتّب قال: قُرِع باب مولاي الصادق (عليه السّلام) فخرجت فاذا بزيد بن علي (عليه السّلام) فقال الصادق (عليه السّلام) لجلسائه: أُدخلوا هذا البيت، وردّوا الباب، ولايتكلّم منكم أحد، فلمّا دخل قام إليه فاعتنقا وجلسا طويلاً يتشاوران ثمّ علا الكلام بينهما فقال

ـــــــــــــــ

١ـ أمالي الصدوق: ص٤٣٦ ح٦. منه بحار الأنوار: ج٤٦ ص١٧٣.

زيد: دع ذا عنك يا جعفر! فواللّه لئن لم تمدَّ يدك حتى أُبايعك أو هذه يدي فبايعني لأتبعنّك ولأُكلّفنّك مالاتطيق، فقد تركتَ الجهاد وأخلدتَ إلى الخفض[1] وأرخيتَ الستر، واحتويتَ على مال الشرق والغرب.

فقال الصادق (عليه السّلام): يرحمك اللّه ياعمّ، يغفر اللّه لك يا عم [يغفر لك اللّه ياعم]، وزيد يسمعه ويقول: موعدنا الصبح أليس الصبح بقريب، ومضى.

فتكلّم الناس في ذلك فقال (عليه السّلام): مه لاتقولوا لعمّي زيد إلاّ خيراً، رحم اللّه عمّي، فلو ظفر لوفى.

فلمّا كان في السَّحر قَرع الباب، ففتحت له الباب فدخل يشهق ويبكي ويقول: ارحمني ياجعفر، يرحمك اللّه، ارض عنّي ياجعفر، رضي اللّه عنك، اغفر لي ياجعفر، غفر اللّه لك.

فقال الصادق (عليه السّلام): غفر اللّه لك، ورحمك ورضي عنك، فما الخبر ياعمّ؟

قال: نمتُ فرأيت رسولَ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) داخلاً عليَّ وعن يمينه الحسن، وعن يساره الحسين، وفاطمة خلفه، وعليٌّ أمامه، وبيده حربة تلتهب التهاباً كأنّه نار، وهو يقول: إيّهاً يازيد آذيت رسول اللّه في جعفر، واللّه لئن لم يرحمك، ويغفر لك، ويرضى عنك، لأرمينّك بهذه الحربة فلأضعها بين كتفيك ثم لأُخرجها من صدرك، فانتبهتُ فزعاً مرعوباً، فصرتُ إليك فارحمني يرحمك اللّه.

فقال: رضي اللّه عنك، وغفر لك، أوصني فانّك مقتول مصلوب

١ـ أخلد بالمكان: أقام به. والخفض: الراحة والسكون (مجمع البحرين).

محرَّق بالنار، فوصّى زيد بعياله وأولاده، وقضاء الدَّين عنه[١].

وعن عمّار الساباطي قال: كان سليمان بن خالد خرج مع زيد بن علي حين خرج، فقال له رجل ـ ونحن وقوف في ناحية وزيد واقف في ناحية ـ: ماتقول في زيد هو خير أم جعفر؟!

قال سليمان: قلت: والله لَيومٌ من جعفر خير من زيد أيام الدنيا، قال: فحرّك دابّته وأتى زيداً وقصَّ عليه القصة قال: ومضيت نحوه فانتهيت الى زيد وهو يقول: جعفر، إمامنا في الحلال والحرام[٢].

وعن زرارة قال: قال لي زيد بن عليّ (عليه السّلام) وأنا عند أبي عبدالله (عليه السّلام): ما تقول يافتى في رجل من آل محمد استنصرك؟

فقلت: إن كان مفروض الطاعة [نصرته، وإن كان غير مفروض الطاعة] فلي أن أفعل، ولي أن لاأفعل، فلمّا خرج قال أبو عبدالله (عليه السّلام): أخذته والله من بين يديه ومن خلفه، وما تركت له مخرجاً[٣].

وعن سورة بن كليب قال: قال لي زيد بن علي (عليه السّلام): ياسورة كيف علمتم أن صاحبكم على ما تذكرون؟

قال: فقلت له: على الخبير سقطت.

قال: فقال: هات.

فقلت له: كنّا نأتي أخاك محمد بن عليّ (عليهما السّلام) نسأله فيقول: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقال الله (جلّ وعزّ) في كتابه، حتّى مضى أخوك فأتيناكم آل محمد وأنت فيمن أتيناه فتخبرونا

١ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٢٤و٢٢٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٢٨.

٢ـ اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٦٥٢ ح٦٦٨.

٣ـ اختيار معرفة الرجال: ج١ ص٣٦٩ ح٢٤٨.

ببعض، ولاتخبرونا بكلِّ الّذي نسألكم عنه، حتى أتينا ابن اخيك جعفراً فقال لنا كما قال أبوه: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وقال تعالى.

فتبسّم وقال: أما واللّه إن قلت هذا، فانّ كتب عليّ (صلوات اللّه عليه) عنده[1].

وعن أبي بكر الحضرمي قال: ذكرنا أمر زيد وخروجه عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقال: عمّي مقتول، إن خرج قُتل فقرُّوا في بيوتكم، فواللّه ما عليكم بأس.

فقال رجل من القوم: إن شاء اللّه[2].

وعن ابن ابي عبدون، عن أبيه قال: لمّا حُمل زيد بن موسى بن جعفر الى المأمون ـ وقد كان خرج بالبصرة وأحرق دور ولد العباس [بني العباس] ـ وَهَب المأمون جُرمه لأخيه علي بن موسى الرضا (عليهما السّلام) وقال له: يا أبا الحسن لئن خَرج أخوك وفَعل ما فعل لقد خَرج قبله زيد بن علي فقُتل ولولا مكانك مني لقتلته فليس ما أتاه بصغير.

فقال الرضا (عليه السّلام): يا أمير المؤمنين لاتقس أخي زيداً الى زيد ابن علي فانّه كان من علماء آل محمد، غضب للّه (عزّوجلّ) فجاهد اعداءه حتّى قُتل في سبيله، ولقد حدَّثني أبي موسى بن جعفر (عليهما السّلام) انّه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي (عليهم السّلام) يقول: رَحم اللّه عمّي زيداً انّه دعا الى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا اليه، ولقد استشارني في خروجه فقلت له: ياعمّ انْ رضيتَ ان تكون المقتول المصلوب

١ـ اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٦٧٣ ح٧٠٦. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٦.

٢ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٩٨ و١٩٩. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٤٨.

بالكناسة[1] فشأنك، فلمّا ولّى قال جعفر بن محمد: ويل لمن سمع واعيته [داعيته] فلم يجبه.

فقال المأمون: يا أبا الحسن اليس قد جاء فيمن ادعى الامامة بغير حقّها ما جاءَ؟.

فقال الرضا (عليه السّلام): ان زيد بن علي لم يدَّعِ ما ليس له بحق، وانّه كان أتقى للّه من ذلك، انّه قال: أدعوكم الى الرضا من آل محمد (عليهم السّلام) وانما جاء ما جاء فيمن يدَّعي انّ اللّه تعالى نصّ عليه ثم يدعو الى غير دين اللّه ويضلّ عن سبيله بغير علم، وكان زيد [بن علي (عليه السّلام)] واللّه ممن خوطب بهذه الآية ﴿وجاهِدوا في اللّه حَقَّ جهادِهِ هو اجتباكم﴾[2و3].

قصَّة خروج زيد وشهادته

في كتاب الكامل في التاريخ: سنة اثنتين وعشرين ومائة كان زيد واعَدَ أصحابه أوّل ليلةٍ من صفر، وبلغ ذلك يوسف بن عمر. فبعث إلى الحَكَم، يأمره أن يجمعَ أهل الكوفة في المسجد الأعظم، يحصرهم فيه، فجمعهم فيه، وطلبوا زيداً في دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاريّ، فخرج منها ليلاً. ورفعوا الهراديَّ فيهِا النيران ونادوا: «يامنصور، أمت أمت». حتى طلع الفجر، فلمّا أصبحوا بعث زيد القاسم التُّبّعي ثمّ الحَضرميَّ، وآخر من أصحابه يناديان بشعارهما.

١ـ الكُناسة: القمامة. واسم موضع بالكوفة. (مجمع البحرين).

٢ـ سورة الحج آية ٧٨.

٣ـ عيون أخبار الرضا: ج١ ص٢٤٨ ح١.

فلمّا كانا بصحراء عبدالقيس لقيهما جعفر بن العباس الكنديّ، فحملا عليه وعلى أصحابه. فقُتل الذي كان مع القاسم التُّبّعيّ، وارتُثّ القاسم وأُتي به الحكم، فضرب عنقه، فكانا أوّل من قُتل من أصحاب زيد. وأغلق الحكم دروب السوق وأبواب المسجد على الناس، وبعث الحَكَمَ إلى يوسف بالحيرة فأخبره الخبر. . . فسار يوسف إلى تلّ قريب من الحيرة، فنزل عليه ومعه أشراف الناس، فبعث الريّان بن سَلَمة الأرّاني، في ألفَين ومعه ثلاثمائة من القيقانيّة رجّالة معهم النشّاب. وأصبح زيد فكان جميع من وافاه تلك اللّيلة مائتَي رجل وثمانية عشر رجلاً. فقال زيد: سبحان اللّه أين الناس؟.

فقيل: إنّهم في المسجد الأعظم محصورون.

فقال: واللّه ما هذا بعذر لِمَن بايعنا.

. . وأقبل زيد على جبّانة سالم حتّى انتهى إلى جبّانة الصائدين وبها خمسمائة من أهل الشام، فحمل عليهم زيد في مَن معه وهزمهم. فانتهى زيد إلى دار أنس بن عمرو الأزدي. وكان في مَن بايعه وهو في الدار، فنودي فلم يجبهم. وناداه زيد فلم يخرج إليه، فقال زيد: ما أخلفكم؟ قد فعلتموها؟! اللّه حسيبكم.

ثمّ إنتهى زيد إلى الكناسة فحمل على مَن بها من أهل الشام، فهزمهم. ثمّ سار زيد ويوسف ينظر إليه في مائتي رجل، فلو قصده لقتله. والريّان يتبع أثر زيد بن عليّ بالكوفة في أهل الشام، فأخذ زيد على مصلّى خالد حتّى دخل الكوفة، وسار بعض أصحابه نحو جبّانة مخيف بن سُليم، فلقوا أهل الشام فقاتلوهم، فأسر أهلُ الشام منهم رجلاً، فأمر به يوسف ابن عمر فقُتل.

فلمّا رأى زيد خذلان الناس إياه قال: يانصر بن خزيمة أنا أخاف أن يكونوا قد فعلوها حسينيَّة.

قال: أمّا أنا والله لأقاتلنّ معك حتّى أموت، وإنّ الناس في المسجد فامضِ بنا نحوهم فلقيهم عبيدالله بن العبّاس الكنديّ عند دار عمر بن سعد، فاقتتلوا فانهزم عبيدالله وأصحابه، وجاء زيد حتى إنتهى إلى باب المسجد فجعل أصحابه يدخلون راياتهم من فوق الأبواب ويقولون: يا أهل المسجد اخرجوا من الذلّ إلى العزّ، اخرجوا إلى الدين والدنيا فإنّكم لستم في دين ولادنيا. فرماهم أهل الشام بالحجارة من فوق المسجد[1].

وفي مقاتل الطالبيِّين: بعث يوسف بن عمر الريان بن سلمة في خيل إلى دار الرزق فقاتلوا زيداً (عليه السّلام) قتالا شديداً. وخرج من اهل الشام جرحى كثيرة وشلَّهم اصحاب زيد من دار الرزق حتى انتهوا إلى المسجد الأعظم، فرجع اهل الشام مساء يوم الأربعاء وهم أسوأ شيء ظناً، فلما كان غداة يوم الخميس دعى يوسف بن عمر الريان ابن سلمة فأنف به فقال له: اف لك مِن صاحب خيل. ودعا العباس بن سعد المري صاحب شرطته فبعثهً الى اهل الشام فسار بهم حتى انتهوا إلى زيد في دار الرزق، وخرج اليهم زيد وعلى مجنبته نصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق، فلما رآهم العباس نادى: يا اهل الشام الأرض. فنزل ناس كثير. واقتتلوا قتالاً شديداً في المعركة . . .

ثم إن زيداً (عليه السّلام) هزمهم، وانصرفوا يومئذ بأسوء حال، فلمّا كان العشي عبّأهم يوسف ثم سرَّحهم نحو زيد، واقبلوا حتى التقوا فحمل عليهم زيد فكشفهم ثم تبعهم حتى اخرجهم إلى السبخة ثم شدَّ عليهم حتى

١ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٥ ص٢٤٣ ـ ٢٤٥.

اخرجهم من بني سليم، فأخذوا على المسناة ثم ظهر لهم زيد فيما بين بارق وبين دواس فقاتلهم قتالا شديداً وصاحب لوائه من بني سعد بن بكر يقال له: عبدالصمد.

قال سعيد بن خيثم: وكنا مع زيد في خمسمائة واهل الشام اثنا عشر الفاً ـ وكان بايع زيداً اكثر من اثني عشر الفاً فغدروا ـ إذ فصل رجل من اهل الشام ـ من كلب، على فرس رائع ـ فلم يزل شتماً لفاطمة بنت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) فجعل زيد يبكي حتى ابتلّت لحيته وجعل يقول: أما احد يغضب لفاطمة بنت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله)؟

أما احد يغضب لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله)؟

اما احد يغضب للّه؟

قال: ثم تحوَّل الشامي عن فرسه فركب بغلة. قال: وكان الناس فرقتين: نظارة ومقاتلة. قال سعيد: فجئت إلى مولى فأخذتُ منه مَشملاً كان معه ثم استترتُ من خلف النظارة حتى إذا صرتُ من ورائه [أي: من وراء الرجل الذي شتم الزهراء (سلام اللّه عليها)] ضربتُ عنقه وانا متمكّن منه بالمِشْمَل فوقع رأسه بين يدَي بغلته ثم رميتُ جيفته عن السرج وشدَّ أصحابه عليّ حتى كادوا يرهقونني، وكبَّر اصحاب زيد وحملوا عليهم واستنقذوني، فركبتُ فأتيت زيداً فجعل يقبّل بين عيني ويقول: ادركتَ واللّه ثأرنا، ادركتَ واللّه شرف الدنيا والآخرة وذخرها، إذهب بالبغلة فقد نفلتُكها.

قال: وجعلتْ خيل اهل الشام لاتثبت لخيل زيد بن علي. فبعث العباس بن سعد إلى يوسف بن عمر يعلمه ما يلقى من الزيدية وسأله ان يبعث اليه الناشبة، فبعث اليه سليمان بن كيسان في القيقانية وهم نجارية

وكانوا رماة فجعلوا يرمون أصحاب زيد.

وقاتل معاوية بن إسحاق الانصاري يومئذ قتالاً شديداً فقُتل بين يدي زيد. وثبت زيد في اصحابه حتى اذا كان عند جنح الليل رُمي زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى، فنزل السهم في الدماغ، فرجع ورجع اصحابه ولايظن اهل الشام انهم رجعوا إلاّ للمساء والليل.

... وانطلق ناس من أصحابه فجاؤا بطبيب يقال له: سفيان مولى لبني دواس. فقال له: إنك إنْ نزعتَه من رأسك مت.

قال: الموت ايسر عليَّ مما انا فيه.

قال: فأخذ الكلبتين فانتزعه فساعة انتزاعه مات (صلوات اللّه عليه).

قال القوم: اين ندفنه؟ واين نواريه؟

فقال بعضهم: نلبسه درعَين ثم نلقيه في الماء. وقال بعضهم: لا، بل نحتزُّ رأسه ثم نلقيه بين القتلى.

قال: فقال يحيى بن زيد: لا واللّه لا يأكل لحم ابي السباع.

وقال بعضهم: نحمله إلى العباسية فندفنه فيها. فقبلوا رأيي.

قال: فانطلقنا فحفرنا له حفرتين وفيها يومئذ ماء كثير حتى إذا نحن مكنّا له دفناه ثم اجرينا عليه الماء، ومعنا عبدٌ سِندي....[1].

وقال الكلبي في كتاب جمهرة النسب: «إن زيد بن علي (رضي اللّه عنهما) أصابه سهم في جبهته فاحتمله أصحابه، وكان ذلك عند المساء. ثم دَعَوا الحجام فانتزع النشابة وسالت نفسه (رضي اللّه عنه)[2].

١ـ مقاتل الطالبيين: ص٩٥ ـ ٩٧.

٢ـ وفيات الأعيان: ج٥ ص١٢٢.

وفيه أيضاً: . . . فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجروا الماء على ذلك. وحضر الحجّام مواراته فعرف الموضع، فلمّا أصبح مضى إلى يوسف مُنتصحاً له، فدلّهُ على موضع قبره، فاستخرجه يوسف وبعث رأسه إلى هشام. فكتب إليه هشام، «أن اصلبه عرياناً». فصلبه يوسف كذلك. ففي ذلك يقول بعض شعراء بني أُمية يخاطب آل أبي طالب وشيعتهم من جملة أبيات:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة

ولم أر مهديّاً على الجذع يُصلبُ

وبنى تحت خشبه عموداً. ثم كتب هشام إلى يوسف يأمره باحراقه وتذريته في الرياح. وكان ذلك في سنة إحدى وعشرين، وقيل إثنتين ومائة[1].

وفي وفيات الأعيان أيضاً: وذكر أبو بكر بن عياش وجماعة من الأخباريين أن زيداً أقام مصلوباً خمس سنين عرياناً فلم ير أحد له عورة ستراً من اللّه سبحانه وتعالى له.

وقال بعضهم:

إن العنكبوت نسج على عورته وذلك بالكناسة بالكوفة. فلمّا كان في أيام الوليد بن يزيد، وظهر ولده يحيى بن زيد بخراسان وهي واقعة مشهورة. كتب الوليد إلى عامله بالكوفة: «أن أحرق زيداً بخشبته». ففعل ذلك، وأذرى رماده في الرياح على شاطىء الفرات»[2].

١ـ وفيات الأعيان: ج٦ ص١١٠و١١١.

٢ـ وفيات الأعيان: ج٦ ص١١١.

بكاء الإمام الصادق (عليه السّلام) على زيد الشهيد

عن مهزم بن أبي بردة الأسدي قال: دخلت المدينة ـ حَدَثان صلب زيد (رضي اللّه عنه) ـ قال: فدخلت على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فساعة رآني قال: يامهزم ما فعل زيد؟

قال: قلت: صُلب.

قال: أين؟

قال: قلت: في كناسة بني أسد.

قال: أنت رأيته مصلوباً في كناسة بني أسد؟

قال: قلت: نعم.

قال: فبكى حتّى بكت النساء خلف الستور.

ثمّ قال: أما واللّه لقد بقي لهم عنده طلبة ما أخذوها منه بعد.

قال: فجعلت أفكّر وأقول: أيُّ شيء طلبتهُم بعد القتل والصلب؟ [قال]: فودَّعته وانصرفت، حتى انتهيت إلى الكناسة فإذا أنا بجماعة، فأشرفت عليهم فإذا زيد قد أنزلوه من خشبته، يريدون أن يحرقوه قال: قلت: هذه الطَلِبة التي قال لي[1].

وعن فضيل الرسان قال: دخلت على أبي عبداللّه (عليه السّلام) بعدما قُتل زيد بن علي (رحمة اللّه عليه) فأُدخلت بيتاً جوف بيت فقال لي: يا فضيل قُتل عمّي زيد؟

قلت: نعم جُعلت فداك.

قال: رَحمه اللّه، أما إنّه كان مؤمناً، وكان عارفاً، وكان عالِماً،

١ـ أمالي الطوسي: ج٢ ص٢٨٤.

وكان صدوقاً، أما إنّه لو ظَفَر لَوفى، أما إنّه لو مَلَك لَعرف كيف يضعها.

قلت: ياسيّدي ألا أُنشدك شعراً؟

قال: أمهِلْ، ثمَّ أمر بستور فسُدلت، وبأبوابٍ ففتحت، ثمَّ قال: أنشد فأنشدته:

لأُمِّ عَمروٍ باللّوى مَرْبَعُ ... طامسةٌ أعلامه بَلْقعُ

لمّا وقفتُ العيسَ في رَسْمه ... والعين من عرفانه تَدمعُ

ذكرتُ مَن قد كنتُ أهوى به ... فَبتُّ والقلبُ شجى موجَع

عجبتُ من قومٍ أتوا أحمدا ... بخطّةٍ ليس لها مَدْفعُ

قالوا له لو شئتَ أخبرتَنا ... إلى مَن الغاية والمفزعُ

إذا تولّيتَ وفارقتنا ... ومنهم في المُلك مَن يطمع

فقال: لو أخبرتُكم مَفْزعاً ... ماذا عسيتم فيه أن تصنعوا؟

صنيعَ أهلِ العجْل إذ فارقوا ... هارون فالتركُ له أودع

فالنّاس يوم البعث راياتهم ... خمسٌ فمنها هالكٌ أربعُ

قائدها العِجلُ وفرعونها ... وسامريُّ الأُمّة المفظعُ

ومخدع من دينه مارقٌ ... أخدعُ[1] عبدٌ لُكَّعٌ أوكع

وراية قائدها وجهه ... كأنَّه الشمس اذا تَطْلعُ

قال: فسمعت نحيباً من وراء الستر.

فقال (عليه السّلام): مَن قال هذا الشعر؟

قلت: السيّد بن محمد الحميريّ.

١ـ في بحار الأنوار: أجدع.

فقال: رحمه اللّه. . . الى آخر الخبر[١] .

وعن حمزة بن حمران قال: دخلت إلى الصادق جعفر بن محمد (عليه السّلام) فقال لي: ياحمزة من أين أقبلت؟

قلت له: من الكوفة.

قال: فبكى (عليه السّلام) حتّى بلّت دموعُه لحيتَه.

فقلت له: يابن رسول اللّه مالك أكثرت البكاء؟

فقال: ذكرتُ عمّي زيداً (عليه السّلام) وما صُنع به فبكيت.

فقلت له: وما الّذي ذكرتَ منه؟

فقال: «ذكرتُ مقتله وقد أصاب جبينه سهم فجاءه ابنه يحيى فانكبَّ عليه، وقال له: أَبشر يا أبتاه فانّك تَرِدُ على رسول اللّه وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين (صلوات اللّه عليهم)، قال: أجل يابنيَّ، ثمَّ دعا بحدَّاد فنَزع السهم من جبينه، فكانت نفسه معه، فجيء به إلى ساقية تجري عند بستان زائدة، فحُفر له فيها ودُفن وأُجري عليه الماء، وكان معهم غلام سنديٌّ لبعضهم، فذهب إلى يوسف بن عمر من الغد فأخبره بدفنهم إيّاه، فأخرجه يوسف بن عمر فصَلَبه في الكناسة أربع سنين ثمَّ أمر به فأُحرق بالنار وذرِّي في الرِّياح، فلَعَنَ اللّه قاتله وخاذله، وإلى اللّه (جلَّ اسمه) أشكو ما نَزل بنا أهلَ بيت نبيِّه بعد موته، وبه نستعين على عدوِّنا، وهو خير مستعان»[٢] .

وعن الفضيل بن يسار ـ في حديث له أنه دخل على الامام الصادق (عليه السّلام) ـ قال: فأقبل (عليه السّلام) يبكي ودموعه تنحدر على

١ـ اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٥٦٩ ح٥٠٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٢٥.
٢ـ أمالي الصدوق: ص٣٢١ ح٣.

ديباجَتَي خَدِّه كأنّها الجُمان ثمَّ قال: يافضيل شهدتَ مع عمّي قتال أهل الشام؟

قلت: نعم.

قال: فكم قتلتَ منهم؟

قلت: ستّة.

قال: فلعلّك شاكٌّ في دمائهم؟

قال: فقلتُ: لو كنتُ شاكّاً ما قتلتهم.

قال [الفُضيل]: سمعتُه وهو يقول: أشركني اللّه في تلك الدِّماء، مضى ـ واللّهِ ـ زيد عمّي وأصحابه شهداء، مثل ما مضى عليه عليٌّ بن أبي طالب وأصحابه[1].

وعن عبداللّه بن سيابة قال ـ في حديثٍ له أن الامام الصادق (عليه السّلام) وصَل اليه كتاب فيه خبر مقتل زيد فبكى (عليه السّلام) ـ ثمّ قال: إنّا للّه وإنا إليه راجعون، عند اللّه تعالى أحتسب عمّي، إنّه كان نعمَ العمُّ، إنَّ عمّي كان رجلاً لدُنيانا وآخرتنا، مضى واللّه عمّي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وعلي والحسن والحسين (صلوات اللّه عليهم)[2].

وفي كتاب كشف الغمّة: قال الصادق (عليه السّلام) لأبي ولاّد الكاهلي: أرأيتَ عمّي زيداً؟

قال: نعم رأيته مصلوباً، ورأيت الناس بين شامت حنق[3]، وبين

١ـ أمالي الصدوق: ص٢٨٦ ح١.

٢ـ عيون أخبار الرضا: ج١ ص٢٥٢ ح٦.

٣ـ الحَنَقُ: الغيظ. (مجمع البحرين).

محزون محترق.

فقال: أمّا الباكي فمعه في الجنّة، وأمّا الشامت فشريك في دمه[١].

وعن عبدالرحمن بن سيابة قال: دفع إليَّ أبو عبداللّه الصادق جعفر بن محمد (عليهما السّلام) ألف دينار وأمرني ان اقسِّمها في عيال مَن أصيب مع زيد بن علي (عليه السّلام) فقسَّمتها فأصاب عبداللّه بن الزبير أخا الفضيل الرسّان أربعة دنانير[٢].

و عن أبي سعيد المكاريِّ قال: كنّا عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) فذكر زيد ومن خرج معه، فهمّ بعض أصحاب المجلس يتناوله[٣] فانتهره أبوعبداللّه (عليه السّلام) وقال: مهلاً ليس لكم أن تدخلوا فيما بيننا إلاّ بسبيل خير، إنّه لم تمت نفس منّا إلاّ وتدركه السعادة قبل أن تخرج نفسه ولو بفواق ناقة.

قال: قلت: وما فواق ناقة؟

قال: حلابها[٤].

وعن الحسن بن علي الوشّاء، عمن ذكره، عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) قال: إن اللّه (عزّ ذكره) أذن في هلاك بني أُميّة بعد إحراقهم زيداً بسبعة أيّام[٥].

وعن داود الرقي قال: سأل أبا عبداللّه (عليه السّلام) رجلٌ وأنا

١ـ كشف الغمّة: ج٢ ص٢٠٤.

٢ـ أمالي الصدوق: ص٢٧٥ ح١٣.

٣ـ أي: أراد بعض الحاضرين أن يقع فيه ويذكره بسوء، فزجَره الامام (عليه السّلام) ومَنَعه.

٤ـ معاني الأخبار: ص٣٩٢ ح٣٩. والحلاب: اللبن الذي تحلبه. وفواق ناقة: قدر مابين الحلبتين (لسان العرب).

٥ـ الكافي: ج٨ ص١٦١ ح١٦٥.

حاضر عن قول اللّه: ﴿عسى اللّه أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين﴾[1] فقال: أذن في هلاك بني أُميّة بعد إحراق زيد بسبعة أيّام[2].

وعن محمد بن علي الحلبي قال: قال أبو عبداللّه (عليه السّلام): إنّ آل أبي سفيان قتلوا الحسين بن عليّ (صلوات اللّه عليهما) فنزع اللّه مُلكهم، وقَتل هشام زيد بن علي فنزع اللّه ملكه، وقَتل الوليد يحيى بن زيد (رحمه اللّه) فنزع اللّه ملكه، على قتله ذرية رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) [عليهم لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين][3].

خلاصة البحث

لقد ذكرنا فيما مضى بعض ما يتعلق بزيد بن علي بن الحسين (صلوات اللّه عليهم).

ولايخفى ـ على القارىء الكريم ـ ان الروايات الواردة في مدح زيد وشهادته هي اكثر عدداً وأصح سنداً وأوضح دلالة من الروايات الذامّة فهي قليلة جداً وعليها علامة الاستفهام والتقية.

ومن المؤسف أن بعض المؤرخين من العامّة أظهروا عداءهم وبغضهم لأهل بيت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) من خلال كتابتهم عن زيد وثورته.

فهذا ابن الاثير ـ المعروف ببغضه وعدائه لاهل البيت ـ يصف الذين

١ـ سورة المائدة آية ٥٢.

٢ـ تفسير العياشي: ج١ ص٣٢٥ ح١٣٣.

٣ـ ثواب الأعمال: ص٢٦١ ح١١.

خرجوا مع زيد بالاراذل والاوباش، في الوقت الذي يذكر المحقّق العلاّمة المرحوم السيد عبدالرزاق المقرّم في كتابه (زيد الشهيد) قائمة باسماء الفقهاء والمحدّثين والقضاة والشخصيّات الذين خرجوا مع زيد بن علي بن الحسين (عليهم السّلام) وكانوا معه.

من هنا فالقول الأرجح هو توثيق زيد وتعظيم شأنه، وأن قيامه كان من أجل الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانه كان يدعو الى الرضا من آل محمّد (صلوات اللّه عليهم).

وأمّا شخصية زيد في الكتب الرجالية المعتبرة عندنا فلاخلاف يُعتدُّ به في كونها شخصية معتدلة مستقيمة ممدوحة. وقد ذكرنا ـ في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) ـ أقوال العلماء وآراءهم حول زيد، فراجع.

أيها القارىء الكريم: لقد تلخّص ممّا ذكرنا ما يلي:

١ـ إن خروج زيد الشهيد كان انتصاراً لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ كما سبقت الاشارة اليه ـ وذلك ما روي عنه (رضوان اللّه عليه) قال: شهدتُ هشاماً ورسول اللّه يُسَبُّ عنده، فلم يُنكر ذلك ولم يغيّر، فواللّهِ لو لم يكن الاّ أنا وآخر لخرجتُ عليه[1].

٢ـ ان خروجه كان من اجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والطَلب بثارات الامام الحسين (عليه السّلام) ورفع الظلم عن رقاب المسلمين.

٣ـ انه كان يدعو الى الرضا من آل محمّد (عليهم السّلام) وكان يهدف تسليم السلطة الى الامام الصادق (عليه السّلام).

١ـ بحار الأنوار: ج٤٦ ص١٩٢.

٤ـ ان اهل الكوفة بايعوه ثم غدروا به، كما عبَّر هو (رحمه اللّه) حيث قال: «فعلوها حسينية» أي: غدروا بي كما غَدروا بالامام الحسين (عليه السّلام).

وكانت خاتمة حياته الشهادة في سبيل اللّه سبحانه، فسلام اللّه عليه يوم وُلد ويوم استُشهد ويوم يبعث حيّاً.

كلمة لابدَّ منها

أيّها القارىء الكريم: ان الذي يراجع الكتب التاريخية المفصَّلة يجد أن أعداء أهل البيت (عليهم السّلام) ـ سواء من الحكام ام غيرهم ـ كانوا لايألون جهداً ولايتركون فرصة تمرُّ عليهم، الاّ واغتنموها ضد أهل البيت.

كانوا يراقبونهم مراقبة شديدة ليسجِّلوا عليهم كلَّ ما يرونه في أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم لعلّهم يجدوا في حياة المعصومين من أهل البيت ثلمة أو عثرة أو خطأ يستطيعوا من خلالها النيل منهم وتشويه سمعتهم، والوصول الى مرادهم.

وعندما فشلوا بالنسبة الى الائمة الطاهرين عدلوا الى أبناء الائمة المعصومين وأحفادهم ومن يرتبط بهم من أصحابهم لعلّهم يجدوا فيهم مَهمزاً فينالوا منهم ويُهرِّجوا ضدهم كوسيلة للنيل من قدسيَّة آبائهم واجدادهم المعصومين (عليهم السّلام).

وبلَغ الأمر أن الحاكم ـ الأموي أو العباسي ـ كان يدعو بعض العَلويِّين الى قصره ومجلس لهوه ويغريه بالمال ليشاركه في لهوه، أو يأمر باحضار بعضهم ـ تحت العنف والتهديد ـ فينال من آبائه وأجداده الطاهرين أمام ندمائه وجلسائه.

ولهذا كان بعض أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) يمنع بعض العَلويِّين من مجالسة الحكام والتردد اليهم، لئلا تتحقق اهدافهم الشيطانية.

ومن أراد تفصيل ما ذكرناه فليراجع المصادر التاريخية لمعرفة ذلك.

هذا . . . ولم تَسْلم ثورات العلويِّين ـ من أبناء المعصومين (عليهم السّلام) ـ من أحاديث الدسّ والتشويه والتشويش، فالكثير من الروايات الواردة في ذمّهم روايات ضعيفة السَّنَد وفي رواتها اناس وضّاعون دجّالون مدلِّسون، وهم معروفون في الكتب الرجالية بذلك.

وأمّا الروايات المعتبرة الواردة في ذمِّهم فهي قليلة وينبغي حملها على التقيّة، فان الجوّ السياسي الخانق كان يفرض على الامام المعصوم ان يذمّ بعض أصحابه أو يذمّ بعض أصحاب الثورات للمحافظة على البقيّة الباقية من شرّ الحاكم الجائر، وقد استدلّ الامام الصادق (صلوات اللّه عليه) بهذه الآية الكريمة حينما ذم بعض اصحابه ذمّاً شديداً: ﴿أمّا السفينة فكانت لمساكينَ يعملونَ في البحرِ فاردتُ أن اَعيبها وكان وراءهم مَلِكٌ يأخذ كلَّ سفينة غَصْباً﴾[1].

طبعاً . . لايَعني كلامنا هذا تبرئة ساحة جميع العلويين من كلّ شين وباطل، أو تقديس جميع ثوراتهم وحركاتهم ضدّ الحكومتين الأموية والعباسية، بل المقصود هو الدفاع عن أُولئك الذين وردت في مدحهم أحاديث كثيرة، وأنهم نهضوا وثاروا ضد الظلم وبهدف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أمثال زيد بن علي والحسين بن علي شهيد فخ ومن أشبههما.

أيّها القارئ الكريم: كانت هذه لمحة خاطفة عن زيد الشهيد، وقد

١ـ سورة الكهف آية ٧٩.

ذكرناها هنا بمناسبة الحديث عن هشام بن عبدالملك، والآن نعود لنواصل الحديث عن الحكّام الامويّين المعاصرين للامام الصادق (عليه السّلام):

٧ـ الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان

وأُمّه أمّ الحجاج بنت محمّد بن يوسف أخي الحجاج الثقفي.

وليَ الأمر بعد هشام بعهد من يزيد بن عبدالملك، وتربّع على كرسي الحكم يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الاول سنة ١٢٥ هـ. وقيل لعشر خلون من ربيع. بقيَ في الحكم الى أن قتل يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر جمادي الآخرة سنة ١٢٦ هـ. فكانت ولايته سنة واحدة وشهرين.

قال ابن حزم: وكان الوليد فاسقاً خليعاً ماجناً.

وقال ابن فضل اللّه في المسالك: الوليد بن يزيد فرعون ذلك العصر الذاهب، يأتي يوم القيامة فيورد قومه النار ويرد بهم العار، وبئس الورد المورود، رَشَقَ المصحف بالسهام، ولم يخش الآثام.

وقال القلقشندي: وكان مصروف الهِمّة إلى اللّهو، والاكل، والشرب، وسماع الغناء.

وقال ابن كثير: كان هذا الرجل مُجاهراً بالفواحش، مُصرّاً عليها، منتهكاً محارم اللّه (عزّوجلّ) لايتحاشى من معصية، وربما اتّهمه بعضهم بالزندقة والانحلال.

واشتدّت النقمة على الوليد، وثار الناس عليه بقيادة ابن عمّه يزيد بن الوليد، وقال له يزيد بن عنبسة: مانقم عليك في انفسنا، لكن نقم عليك انتهاك حرم اللّه، وشرب الخمر، ونكاح امهات أولاد أبيك، واستخفافك

بأمر اللّه.

وقُتل يوم الخميس لليلتين من جمادي الآخرة سنة ١٢٦ هـ. وحمل رأسه إلى يزيد بن الوليد، فأمر أن يطاف به في البلد.

وفي أيامه قُتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين (عليه السّلام) وذلك أنه خرج من الكوفة بعد مقتل أبيه زيد وتوجه إلى خراسان[١].

٨ـ يزيد الناقص

يزيد بن الوليد بن عبدالملك بن مروان.

وليَ الأمر بعد قتل الوليد سنة ١٢٦ هـ. وبقى الى أن مات من نفس السنة، ومدّة حكمه خمسة أشهر وليلتان!!

وانما سمّي بالناقص لأنه نقص الزيادة التي كان الوليد زادها في عطيّات الناس، وهي عشرة عشرة، وردَّ العطاء الى ما كان أيام هشام.

وفي أيّامه إضطرب حبل الدولة أشدّ مما كان عليه من قبل، ووقع خلاف بين ولاة الأمصار، وثار أهل حمص، ووثب أهل فلسطين، ووقعت الحرب بين أهل اليمامة وعاملِهم، الى غير ذلك من الامور.

ومات يزيد ولم يعهد لأحد من بعده.

وكان مولاه قطن (وهو الموكَّل بخاتم الخلافة) قد افتعل عهداً على لسان يزيد بن الوليد لأخيه ابراهيم بن الوليد، ودعا أُناساً فشهدوا عليه زوراً[٢].

١ـ الامام الصادق والمذاهب الأربعة: ج١ ص١٢٧ ـ ١٣٠.

٢ـ العقد الفريد: ج٣ ص١٩٤.

٩ـ ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك

ابن مروان، وأُمُّه أُمُّ وَلد اسمها: نعمة. ولي الأمر بعد أخيه يزيد بعهد منه زوَّره الموكَّل بالخاتم وهو مولاهم قطن. وذلك في ذي الحجة سنة ١٢٦ هـ. ولم يتمّ له الامر لكثرة الثورات واختلاف الكلمة، وسقوط هيبة الدولة، وكان أتباعه يسلّمون عليه تارة بالخلافة وتارة بالامارة. وكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر. وقيل شهرين وأيام. وقد خلع نفسه وسلّم الأمر لمروان، وذلك في صفر سنة ١٢٧هـ. وقيل: ان مروان قتله بعد أن ظفر به وصَلبه وقتل جميع أصحابه، وقيل: غرق في الزاب أو أنه قُتل فيه[1].

١٠ـ مروان الحمار

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ـ المعروف بالحمار ـ وأُمّه أُم ولد من الاكراد اسمها لبابة، وليَ الحكم في صفر سنة ١٢٧هـ إلى أن قُتل ببوصير من أرض مصر لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع سنة ١٣٢هـ. وبه انتهى الحكم الاموي وانتقل الأمر الى بني العباس. وتفرّق الامويون في البلاد، وكانوا طعمة للسيف وزالت دولتهم بعد أن حكمت البلاد احدى وتسعين سنة، وتسعة أشهر.

وأول من وليَ الحكم من بني العباس هو: أبو العباس السفّاح عبدالله ابن محمّد بن علي بن عبدالله بن العباس، بويع في ربيع الآخر سنة ١٣٢هـ. ومات في ذي الحجة سنة ١٣٦هـ[2].

١ـ الامام الصادق والمذاهب الاربعة: ج١ ص١٣١.

٢ـ الامام الصادق والمذاهب الأربعة: ج١ ص١٣١و١٣٢.

أيها القارىء الكريم : كانت هذه لمحة سريعة عن تاريخ الحكام الأمويّين (المروانيين)، وقد عرفت أن استيلاءهم على منصّة القيادة الاسلامية لم يكن بانتخاب المسلمين، ولا بالشورى ولا بالمؤهّلات اللاّزمة للخليفة ولا بالنَصّ الشرعي، ولا . . ولا . . .

بل كان يكفى أن يوصى السابق الى اللاّحق، وعلى المسلمين أن يطيعوا، وإلاّ فهم خوارج، مفسدون، يشقّون عصا المسلمين، ويثيرون الفتنة . . وامثال هذه الكلمات التي كانوا يلصقونها بكلّ من لايخضع لتلك الأنظمة العفنة.

مَن هو المهدي الموعود؟

الذين كانت اسماؤهم: (عبداللّه) في التاريخ كثيرون لايحصيهم إلاّ اللّه تعالى، ومن القطع واليقين أن بعض هؤلاء سمّى إبناً له: (محمّداً) فصار محمد بن عبداللّه.

ومن جملة هؤلاء هو عبداللّه بن الحسن المثنّى الذي سمّى أحد أبنائه محمداً، وهكذا المنصور الدوانيقي الذي كان اسمه ايضاً عبداللّه سمّى أحد أبنائه محمداً.

ولعلّ آلاف الناس ـ في ذلك الزمان ـ المسمَّين بعبداللّه سمّوا أبناءهم محمداً.

إحتفظ بهذه المقدّمة حتى تعرف النتيجة.

الأحاديث الواردة عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) حول الامام المهدي (عليه السّلام) المشهورة عند المسلمين ـ يومذاك ـ كانت كثيرة، ونبذة من تلك الأحاديث تعرِّف نَسَب الامام المهدي بأنّه من ذرية الامام الحسين (عليه السّلام).

وفي بعضها تصريح بِسلسلة نَسَبه، وأنه ابن الامام الحسن بن الامام

علي الهادي بن الامام محمد الجواد بن الامام علي الرضا بن الامام موسى الكاظم، بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر، بن الامام علي زين العابدين، بن الامام الحسين بن الامام علي بن أبي طالب (عليهم السّلام).

ولكن بالرغم من هذه التصريحات من الرسول الأقدس (صلّى اللّه عليه وآله) والأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) ظهر على منصّة الظهور حديث مجهول، لايُعرف مصدره وأصله، وعليه علائم الإستفهام، وقد نَسبوه الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) انه قال ـ على زعمهم ـ: «المهدي من وُلدي، إسمه إسمي، واسم أبيه اسم أبي».

فتكون النتيجة ان الامام المهدي اسمه: محمد بن عبداللّه، لا محمد بن الحسن العسكري!!

إذن، يحقّ لكل من كان اسمه عبداللّه، وسمّى إبنه محمداً أن يعتبر إبنه هو الامام المهدي الذي بشّر به القرآن الكريم، وبشّرت به الأحاديث.

وعلى هذا الأساس المنهار، إعتبر عبداللّه بن الحسن إبنه محمداً هو الامام المهدي!!!

ومن مهازل التاريخ أن المنصور الدوانيقي ـ الذي لم يكن من ذريّة رسول اللّه ـ سمّى إبنه محمداً، واعتبره المهدي، لأن اسم المنصور: عبداللّه!!

وأكثر سخريّةً من ذلك هو أن المنصور بايع إبنه لأنه المهدي!!

أيُّها القارىء الكريم: انما ذكرنا هذه الكلمة الموجزة، تمهيداً لما ستقرأه ـ في الفصل القادم ـ عن مؤتمر الأبواء وعن قيام محمد بن عبداللّه المعروف بالنفس الزكيّة.

مؤتمر الأبواء

الأبواء: إسم مكان بين المدينة المنوَّرة ومكة المكرّمة، يبعد عن المدينة ثلاثين ميلاً فيه قبر السيدة آمنة بنت وهب والدة النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

وقد إجتمع رجال الثورة ـ من العلويِّين والعباسيين ـ في هذا المكان للتشاور حول إنتخاب خليفة منهم حتى ينهضوا معه لتأسيس حكومة عادلة بعد تقويض حكومة الأمويّين، وذلك بعدما قُتل الخليفة الاموي: الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان، وضعفت حكومة بني أُمية وتزلزلت أركانها.

وكان فيهم ـ من العلويِّين ـ عبداللّه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السّلام) وإبناه محمد وإبراهيم، ومحمد الديباج وغيرهم.

ومن العباسيِّين: أبو جعفر المنصور، وأخواه أبو العباس السفّاح وإبراهيم، وعمُّهم صالح بن علي وغيرهم.

ثم إتّفقوا على بيعة محمد بن عبداللّه وترشيحه للخلافة، وزعموا أنه المهدي الموعود.

وفيما يلي نذكر بعض ما ذكره المؤرّخون في هذا المجال:

في كتاب مقاتل الطالبيّين: ان جماعة من بني هاشم أجتمعوا بالأبواء، وفيهم: ابراهيم [السفّاح] بن محمد بن علي بن عبداللّه بن العباس وأبو جعفر المنصور، وصالح بن علي، وعبداللّه بن الحسن بن الحسن وإبناه: محمد وابراهيم، ومحمد بن عبداللّه بن عمرو بن عثمان.

فقال صالح بن علي: قد علمتم أنّكم الذين تمدُّ الناس أعينهم إليهم، وقد جمعكم اللّه في هذا الموضع، فاعقدوا بيعةً لرجل منكم تعطونه إياها من أنفسكم، وتواثقوا على ذلك حتى يفتح اللّه وهو خير الفاتحين.

فحمد اللّه عبدُاللّه بن الحسن، وأثنى عليه ثم قال: قد علمتم أنَّ إبني هذا هو المهدي، فهلمّوا لنبايعه.

وقال أبو جعفر [المنصور]: لأي شيء تخدعون أنفسكم، وواللّه لقد علمتم ما الناس الى أحد أطول أعناقاً، ولاأسرع إجابةً منهم إلى هذا الفتى ـ يريد محمد بن عبداللّه ـ.

قالوا: قد ـ واللّه ـ صدقتَ، إن هذا لهو الذي نعلم، فبايَعوا جميعاً محمّداً، ومسحوا على يده.

قال عيسى: وجاء رسول عبداللّه بن الحسن إلى أبي، أن ائتنا، فإنّنا مجتمعون لأمر.

وأرسل بذلك الى جعفر بن محمد (عليهما السّلام).

هكذا قال عيسى.

وقال غيره: قال لهم عبداللّه بن الحسن: لانريد جعفراً، لئلاّ يُفسد عليكم أمركم!!

قال عيسى [بن عبداللّه بن محمد] فأرسلني أبي أنظر ما اجتمعوا عليه، وأرسل جعفر بن محمد (عليه السّلام) محمد بن عبداللّه (الأرقط)

ابن علي بن الحسين، فَجِئناهم، فإذا بمحمد بن عبداللّه يصلّي على طنفسة رَحلٍ مَثنيَّة، فقلت: أرسلني أبي إليكم لأسألكم لأيِّ شيء إجتمعتم؟

فقال عبداللّه [بن الحسن]: إجتمعنا لنبايع المهدي: محمد بن عبداللّه!!

قالوا: وجاء جعفر بن محمد، فأوسع له عبداللّه بن الحسن إلى جنبه، فتكلّم بمثل كلامه.

فقال جعفر: لاتفعلوا فإنّ هذا الأمر لم يأتِ بعد، إن كنت ترى ـ يعني عبداللّه ـ أنّ إبنك ـ هذا ـ هو المهدي فليس به، ولاهذا أوانه، وإن كنتَ إنما تريد أن تخرجه غضباً للّه، وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإنّا ـ واللّه ـ لانَدَعُك وأنت شيخنا، ونبايع إبنك في هذا الأمر.

فغضب عبداللّه [بن الحسن] وقال: علمتُ خلاف ما تقول، وواللّه ما أطلعك اللّه على غيبه، ولكن يحملك على ـ هذا ـ الحسد لإبني!!

فقال: واللّه ماذاك يحملني ولكن هذا وإخوته وأبناؤه دونكم. وضرب بيده على ظَهر أبي العباس [السفّاح].

ثم ضرب بيده على كتف عبداللّه بن الحسن، وقال: إنها [أي السلطة]ـ واللّه ـ ما هي إليك، ولا إلى إبنيك، ولكنها لهم [أي للعباسيّين] وإنَّ ابنيك لمقتولان.

ثم نهض وتوكّأ على يد عبدالعزيز بن عمران الزهري فقال (عليه السّلام): أرأيت صاحب الرداء الأصفر؟ ـ يعني أبا جعفر [المنصور]ـ.

قال: نعم.

قال: فإنّا ـ واللّه ـ نَجِدُه يقتله[1].

١ـ أي نجد في الكتب الموجودة عندنا ان المنصور يقتل محمد بن عبداللّه.

قال له عبدالعزيز: أيقتل محمّداً؟

قال: نعم.

قال: فقلت ـ في نفسي ـ: حَسَدَه وربّ الكعبة.

قال: ثم واللّه ما خرجتُ من الدنيا حتى رأيته قَتَلهما.

قال: فلما قال جعفر ذلك إنفضّ القوم فافترقوا، ولم يجتمعوا بعدها.

وتبعه [أي: الامام] عبدالصمد، وأبو جعفر [المنصور] فقالا: يا أبا عبداللّه أتقول هذا؟[1].

قال: نعم، أقوله ـ واللّه ـ وأعلمه[2].

وعن علي بن عمرو، عن ابن داحة أن جعفر بن محمّد (عليه السّلام) قال لعبداللّه بن الحسن: إنّ هذا الأمر واللّه ليس إليك، ولا إلى ابنيك، وإنّما هو لهذا ـ يعني السفّاح ـ ثم لهذا ـ يعني المنصور ـ ثمّ لولده من بعده، لايزال فيهم حتّى يؤمّروا الصّبيان، ويشاوروا النساء.

فقال عبداللّه: و اللّه يا جعفر ما أطلعك اللّه على غيبه، وما قلت هذا إلاّ حسداً لابني.

فقال: لا واللّه ما حسدتُ ابنك، وإنّ هذا ـ يعني أبا جعفر ـ يقتله على أحجار الزَّيت ثم يقتل أخاه بعده بالطفوف وقوائم فَرسه في الماء.

ثمّ قام (عليه السّلام) مُغضَباً يجرُّ رداءه فتَبعه أبو جعفر وقال: أتدري ما قلتَ يا أباعبداللّه؟

قال: إي واللّه أدريه، وإنه لكائن.

١ـ أي أتقول: بأن السُلطة ستكون للعباسيين؟

٢ـ مقاتل الطالبيين: ص١٤٠. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٧٦.

قال: فحدَّثني مَن سمع أبا جعفر يقول: فانصرفتُ لوقتي فرتّبتُ عُمّالي وميّزتُ أُموري، تمييز مالكٍ لها. . .) الى آخره[1].

أيُّها القارىء: سوف نتحدث عن محمّد بن عبدالله بن الحسن (النفس الزكيّة) في فصلٍ قادم ان شاء الله.

١ـ مقاتل الطالبيين: ص١٧٢. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٦٠.

الإمام الصادق (عليه السّلام) والعبّاسيُّون

عندما لاحت علامات سقوط دولة بني أُميَّة واستعدَّ العبّاسيُّون للثورة حاول ثوّار بني العباس أن يستميلوا الإمام الصادق (عليه السّلام) إليهم كي يدْعو الناس إليهم ويصوِّت باسمهم.

إلاّ أن الإمام الصادق (عليه السّلام) كان يُدرك جيّداً أن هؤلاء لايَصلحون للحكم، وأنهم ـ ان تسلّموا السلطة ـ فسوف يستأثرون بالحكم ويرتكبون ابشع الجرائم وأفجع المآسي من أجل المحافظة على كراسيهم، ولهذا رفض (عليه السّلام) أن يتعاون معهم بأيّ وجه.

وقد أخبر (عليه السّلام) عن سيرتهم في دولتهم الآتية. . فقد روى حمّاد بن عثمان عن الامام الصادق (عليه السّلام) أنه قال: وُلد المرداس[1] مَن تقرّبَ منهم أكفروه ومَن تباعَد منهم أفقروه ومَن ناواهم قتلوه[2] ومَن تحصَّن منهم أنزلوه ومَن هرَب منهم أدركوه، حتى تنقضي

١ـ ولد المرداس كناية عن العباس وهذا التعبير للتقية والاخفاء، والوجه فيه أن عباس بن مرداس السلمي صحابي شاعر فلعل المراد ولد سَميّ ابن المرداس. (مرآة العقول).

٢ـ ناواهم أي عاداهم.

دولتهم[١].

وفيما يلي نذكر بعض ما جرى بين الإمام (عليه السّلام) ورجال الثورة العباسيّة في بداية الثورة كما نذكر عرضاً خاطفاً عن تصرّفات الثوّار العباسيين قبل استلامهم الحكم وبعده:

١ـ أبو سَلمة الخلاّل

واسمه: حفص بن سليمان، وهو الذي عَرَض الخلافة على الامام الصادق (عليه السّلام) فأبى وامتنع وأخبره ان السلطة ستكون لأبي العباس السفّاح ثم لأخيه المنصور ثم لأولاده من بعده..

وقد تسأل: لماذا رفض الامام قبول الخلافة؟

الجواب: اولاً: لأن خلافته وامامته ثابتة من اللّه سبحانه، وبنصٍّ من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لابترشيح من أبي سلمة الخلاّل وغيره.

ومَن الذي مَنح ابا سلمة حقَّ توزيع الخلافة على هذا وذاك؟!!

وماهي شرعيَّة أبي سَلمة؟!

وهل له الولاية الالهيّة للتصدّي لهذا الأمر الخطير؟!!

كلاّ.. وألف كلاّ.

اذن: الامام الصادق (عليه السّلام) هو الامام وهو الخليفة الشرعي لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بأمرٍ من اللّه لا من هذا وذاك.

ثانياً: لأنّه (عليه السّلام) كان يعلم ـ بعِلم الامامة الالهيّ ـ ان السلطة ستكون لبني العباس.. وبالتحديد لأبي العباس السفّاح ثم لأخيه..

١ـ الكافي: ج٨ ص٣٤١ ح٥٣٩.

وأولاده ـ كما ذكرنا قبل قليل ـ .

اذن: كلّ نشاط ومحاولة من الآخرين للوصول الى السلطة ستكون فاشلة.. كالهواء في الشبَك.

ثالثاً: لأنه (عليه السّلام) كان يعلم أن هؤلاء لايريدونه الاّ ليكون جسراً لهم للوصول الى السلطة، لما كان يتمتّع به (عليه السّلام) من مكانة سامية بين الناس، فمنهم من يعتقد بامامته ومنهم من يعتقد بصلاحه وعبادته.

فالجميع سوف يُصوِّتون باسمه، ويتسلّم الامام السلطة ثم يتآمر العبّاسيُّون عليه ويقتلونه ويستبدُّون بالحكم من بعده.

فلماذا يجعل الامام الصادق (عليه السّلام) نفسه وشخصيّته وسيلةً لوصول الآخرين الى الحكم ممّن لاشرعيَّة له ولا اهليَّة؟!!

وقد يقول قائل: كان بامكان الامام (عليه السّلام) أن يقوم بتصفية خصومه ـ بعد أن تستقرَّ له الامور ـ.

الجواب: كلا.. ان الامام الصادق (عليه السّلام) ـ كجدّه الاكبر الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) ـ لايبيع دينه بدنياه، فلايقوم بالأعمال المتعارفة عند الحكّام والرؤساء من تصفية الخصوم والقضاء على كلّ مَن قد يُشكِّل وجوده خَطراً عليه.

لأن هذه العاب شيطانية واعمال ارهابيّة، وتصرُّفات محرَّمة لاتوافق عليها الشريعة الاسلامية.

اذن: الأفضل أن يرفض الامام قبول السلطة المقتَرَحة عليه.. منذ البداية.

أيّها القارئ الكريم: بعد هذه الكلمة الموجزة.. نذكر بعض ماذكره

المؤرّخون حول وصول العبّاسيّين الى الحكم:

في كتاب الفَرَج بعد الشدّة: انّ أبا سلمة الخلاّل لمّا قوي الدعاة، وشارفوا العراق، وقد ملكوا خراسان وما بينها وبين العراق، إستدعى بني العباس فَستَرهم في منزله بالكوفة، وكان له سرداب فجعل فيه جميع من كان حيّاً ـ في ذلك الوقت ـ من وُلد عبدالله بن العباس، وفيهم السفّاح والمنصور [الدوانيقي] وعيسى بن موسى. وهو يراعي الأخبار.

وكان الدعاة يأمرون بقصده اذا ظهروا وغلبوا على الكوفة ليصرفهم الإمام فيسلّمون الأمر إليه.

فلمّا أوقع قحطبة وابن هبيرة الوقعة العظيمة على الفرات، وغرق قحطبة، وانهزم ابن هبيرة ولحق بواسط وتحصَّن بها، ودخل إبنا قحطبة الكوفة بالعسكر كلّه، قالوا لأبي سلمة: «أخرج إلينا الإمام».

فدافَعَهم، وقال: لم يحضر الوقت الذي يجوز فيه ظهور الإمام.

وأخفى الخبر عن بني العباس، وعَمِل على نقل الأمر عنهم الى ولد فاطمة (رضي الله عنهم) وكاتَبَ جماعة منهم، فتأخّروا عنه، وساء ظنّ بني العباس، فاحتالوا حتى أخرجوا مولىً لهم أسود كان معهم في السرداب، وقالوا له: اعرف لنا الأخبار.

فصار يُعرِّفهم أن قحطبة غرق، وان ابن هبيرة انهزم، وان إبني قحطبة قد دخلا الكوفة بالعسكر منذ كذا وكذا.

فقالوا: أُخرج، وتعرَّض لابني قحطبة، وأعلِمهما بمكاننا، ومُرهما أن يكبسا الدار علينا، ويُخرجانا.

فخرج المولى ـ وكان حميد بن قحطبة عارفاً به ـ فتعرّض له، فلما رآه أعظَمَ رؤيته وقال: ويلك! ما فَعَل سادتنا، وأين هم؟

فخبره بخبرهم، وأدّى إليه رسالتهم.

فركب في قطعة من الجيش ـ وأبو سلمة غافل ـ فجاء حتى وَلَج الدار، وأراه الأسود السرداب فدخل ومعه نفر من الجيش فقال: السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

فقالوا: وعليكم السلام.

فقال: أيُّكم ابن الحارثيَّة؟

وكانت [الحارثية] أمَّ أبي العباس [السفاح] عبداللّه بن محمد بن علي ابن عبداللّه.

وكان ابراهيم بن محمد الذي يقال له: الامام. لمّا بثَّ الدعاة قال لهم:

«إنْ حَدَثَ بعدي حَدَث فالإمام ابن الحارثيَّة، الذي معه العلامة، وهي:

﴿ونُريدُ أنْ نَمنَّ على الذين استُضعِفوا في الأرض ونَجعَلهم أئمَّةً ونَجعَلَهم الوارثين * ونُمكِّن لهم في الأرض ـ الى قوله ـ: ما كانوا يَحذرون﴾[1].

قال: فلمّا قال ابن قحطبة: أيّكم ابن الحارثية؟ إبتَدَره أبو العباس [السفاح] وأبو جعفر [الدوانيقي] كلاهما يقول: أنا ابن الحارثية.

فقال ابن قحطبة: فأيُّكما معه العلامة؟

فقال أبو جعفر [الدوانيقي]: فعلمتُ أني قد أُخرجت من الأمر، لأنه لم يكن معي علامة.

فقال أبو العباس: «ونريد أن نمنّ...» وتلا الآية، فقال له حميد بن قحطبة:

١ـ سورة القصص آية ٥و٦.

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة اللّه وبركاته، مُدَّ يدك.

فبايعه، ثم انتضى سيفه وقال: بايعوا أمير المؤمنين!!

فبايعه إخوته وبنو عمه وعمومته، والجماعة الذين كانوا معه في السرداب، فأخرجه الى المنبر بالكوفة، وأجلسه عليه، فَحَصَرَ [عجز] أبو العباس عن الكلام، فتكلَّم عنه عمُّه: داود بن علي.

فقام دونه عمّه على المنبر بمرقاة.

وجاء أبو سلمة، وقد استوحش وخاف، فقال حميد:

يا أبا سلمة! زعمتَ أن الإمام لم يقدم بعد؟!

فقال أبو سلمة: انما أردتُ أن ادفع بخروجهم إلى أن يهلك مروان، وإنْ كانت لهم كَرّة لم يكونوا قد عُرفوا بها فيهلكوا، وإن هلك مروان أظهرتُ أمرهم على ثقة.

فأظهر أبو العباس قبول هذا العذر منه، وأقعده الى جانبه، ثم دبَّر عليه بعد مدّة حتى قتله.

وقد دار هذا الخبر على غير هذا السياق، فقالوا:

قدم أبو العباس السفّاح وأهله على أبي سلمة سراً، فَسَتَر أمرهم، وعزم أن يجعلها شورى بين وُلد علي والعباس، حتى يختاروا منهم من أرادوا.

ثم قالوا: خاف ان لايتّفق الأمر فعزم أن يعدل بالأمر الى وُلد الحسن والحسين (رضي اللّه عنهم) وهم ثلاثة:

١ـ جعفر بن محمد بن علي بن الحسين.

٢ـ وعبداللّه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

٣ـ وعُمر بن علي بن الحسين.

ووجَّه بِكُتُبهم مع رجل من مُواليهم من ساكني الكوفة، فبدأ بجعفر ابن محمد، فلقيه ليلاً، فأعلمه أني رسول أبي سلمة، وان معه كتاباً إليه.

فقال: ما أنا وأبو سلمة؟ وهو شيعة لغيري!

فقال له الرسول: تقرأ الكتاب، وتجيب عنه بما رأيت.

فقال جعفر ـ لخادمه ـ: قَرِّب مني السراج، فقرَّبه، فوضع عليه كتاب أبي سلمة فأحرقه.

فقال [الرسول]: ألا تجيب عنه؟

فقال: قد رأيت الجواب!!

ثم أتى [الرسول] عبداللّه بن الحسن، فقبل كتابه، وركب الى جعفر، فقال جعفر: أمرٌ جاء بك ـ يا أبا محمد ـ لو أعلمتني لَجئتُك!؟

فقال: وأي أمر هو؟! مما يجلّ عن الوصف!

فقال: وماهو؟

قال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني الى الأمر، ويراني أحقّ الناس به! وقد جاء به شيعتنا من خراسان!

فقال له جعفر (رضي اللّه عنه): ومتى صاروا شيعتك؟

أنت وجَّهتَ أبا مسلم الى خراسان، وأمرته بلبس السواد؟

أتعرف أحداً منهم باسمه ونسبه؟

قال: لا.

قال: كيف يكونون شيعتك وانت لاتعرف واحداً منهم، ولايعرفونك؟

فقال عبداللّه: هذا الكلام منك لشيء.

فقال جعفر: قد عَلم اللّه تعالى أني أُوجب النُّصح على نفسي لكلّ

مسلم، فكيف أدخره عليك؟ فلاتمنينَّ نفسك الاباطيل، فان هذه الدولة ستتمُّ لهؤلاء القوم، وما هي لأحد من وُلد أبي طالب، وقد جاءني مثل ماجاءَك.

فانصرف [عبدالله] غير راضٍ بما قال له.

وأمّا عُمر بن علي بن الحسين، فردَّ عليه الكتاب، وقال: لاأعرف مَن كَتَبَه!

قال: وأبطأ أبو سلمة على أبي العباس ومن معه، فخرج أصحابه يطوفون بالكوفة فلقي حميد بن قحطبة ومحمد بن صول أحد مواليهم، فعرفاه، لأنه كان يحمل كُتُب محمد بن علي، وابراهيم بن محمد إليه، فسألاه عن الخبر، فأعلَمهما أن القوم قد قدموا، وإنهم في سرداب، فصارا الى الموضع، فسلَّما عليهم، وقالا: أيُّكما عبدالله؟

فقال المنصور وأبو العباس: كِلانا عبدالله.

فقالا: أيُّكما ابن الحارثية؟

فقال أبو العباس: أنا.

فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

ودنوا فبايعوه، واحضروه الى المسجد الجامع، فصعد على المنبر، فحصر وتكلّم عنه عمّه داود بن علي. وقام دونه بمرقاة[1].

٢ـ أبو مسلم الخراساني

واسمه: عبدالرحمن ـ وقيل: عثمان، وقيل: ابراهيم ـ بن مسلم الخراساني، وهو من رجال الثورة العبّاسيّة واعمدتها الرئيسيّة.. وقد قاد

١ـ الفَرَج بعد الشِّدّة: ص٣٤٧.

الجيوش والعساكر من خراسان الى العراق وكان له دَور كبير في نجاح الثورة. . ولكن المنصور العبّاسي قضى عليه وقتله حينما احسَّ بخطر وجوده على حكومته!!.

وكان الامام الصادق (عليه السّلام) قد اخبر عن مستقبل أبي مسلم قبل سنوات عديدة من قيام الثورة.

فقد روي عن بشير النبّال قال: كنت عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) إذ استأذن عليه رجل فأذن له، ثم دخل فجلس.

فقال له أبو عبداللّه (عليه السّلام): ما أنقى ثيابك هذه وألينها!!

قال: هي لباس بلادنا، ثمَّ قال: جئتك بهديّة، فدخل غلام ومعه جراب فيه ثياب فوضعه، ثم تحدَّث ساعة، ثم قام.

[فـ] قال أبو عبداللّه (عليه السّلام): إنْ بلغ الوقت وصدق الوصف فهو صاحب الرايات السود من خراسان يتقعقع[1].

ثم قال لغلام قائم على رأسه: الحقه فاسأله ما اسمك؟

فقال: عبدالرحمن.

فقال أبو عبداللّه(عليه السّلام): عبدالرحمن واللّه ـ ثلاث مرّات ـ [هو] هو وربِّ الكعبة.

قال بشير: فلمّا قدم أبو مسلم جئتُ حتى دخلت عليه، فاذا هو الرجل الذي دخل علينا[2].

ووصف المدائني أبا مسلم فقال: «كان قصيراً أسمر جميلاً، حلواً نقي البشرة، أحور العين عريض الجبهة، حسن اللحية وافرها، طويل

١ـ القعقعة: حكاية صوت السلاح ونحوه. (مجمع البحرين).

٢ـ الخرائج والجرائح: ج٢ص٦٤٥ ح٥٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٠٩.

الشعرة طويل الظهر، قصير الساق والفخذ. خافض الصوت، فصيحاً بالعربية والفارسيّة، حُلو المنطق، راوية للشعر، عالماً بالأمور، لم يُر ضاحكاً ولامازحاً إلا في وقته. ولايكاد يُقَطّب في شيء من أحواله. تأتيه الفتوحات العظام، فلايظهر عليه أثر السرور. وتنزل به الحوادث الفادحة، فلايُرى مكتئباً. وإذا غضب لم يستفزّه الغضب. . .

قَتلَ في دولته: ستمائة ألف صبراً. فقيل لعبداللّه بن المبارك: «أبو مسلم خير أو الحجاج؟».

قال: «لاأقول إن أبا مسلم كان خيراً من أحد، ولكنَّ الحجاج كان شرّاً منه».

وذكر الزمخشريّ في كتاب ربيع الأبرار ـ في باب (الأسنان وذكر الصِّبا والشباب) ـ أن أبا مسلم نهض للدعوة وهو ابن ثماني عشرة سنة، وقُتل وهو إبن ثلاث وثلاثين سنة. . . .

ولمّا ظهر بخراسان، كان أول ظهوره بمرو يوم الجمعة لتسع بقين ـ وقال الخطيب: لخمس بقين ـ من شهر رمضان، سنة تسع وعشرين ومائة. والوالي بخراسان يومئذ نصر بن سَيَّار الليثي، من جهة مروان بن محمد. آخر ملوك بني أمية. فكتب نصر إلى مروان:

«أرى جَذَعاً إن يُثنِ لم يَقوَ ريّضٌ

عليه، فبادِر قَبل أن ينثني الجَذَع»

وكان مروان مشغولاً عنه بغيره من الخوارج، بالجزيرة الفراتية وغيرها ـ منهم الضحاك بن قيس الحروري ـ وغيره فلم يجبه عن كتابه. وأبو مسلم يوم ذاك في خمسين رجلاً. . .

فانتظر ابن سيار ما يكون من مروان. فجاءه جوابه وهو يقول: إنا حين ولّيناك خراسان، والشاهد يرى مالايرى الغائب، فاحسم الثؤلول قِبَلك.

فقال نصر حين أتاه الجواب: قد أعلمكم أن لانصر عنده.

ثم كتب ثانياً، فأبطأ عنه الجواب. واشتدَّت شوكة أبي مسلم، فهرب نصر من خراسان وقصد العراق، فمات في الطريق بناحية ساوة. . .

وفي يوم الثلاثاء ـ لليلتين بقيتا من المحرَّم سنة إثنتين وثلاثين ومائة ـ وثَبَ أبو مسلم على علي بن جديع بن علي الكرماني، بنيسابور فقتله بعد أن قيّده وحبسه، وقعد في الدست وسُلم عليه بالامرة وصلّى وخطب ودعا للسفاح أبي العباس، عبداللّه بن محمّد أول خلفاء بني العباس. وصفَت له خراسان وإنقطعت عنها ولاية بني أمية. ثم سيَّر العساكر لقتال مروان بن محمّد. وظهر السفّاح بالكوفة، وبويع بالخلافة ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر. وقيل: الأول ـ سنة إثنتين وثلاثين ومائة، وقيل غير هذا التاريخ.

وتجهزت العساكر الخراسانية وغيرها، من جهة السفّاح لقصد مروان بن محمّد. ومُقَدَّمها عبداللّه بن علي ـ عمّ السفاح ـ فتقدم مروان إلى الزاب، النهر الذي بين الموصل واربيل. وكانت الوقعة على كُشاف ـ بضم الكاف وهي قرية هناك ـ وانكسر عسكر مروان وهرب إلى الشام. فتبعه عبداللّه بجيوشه، فهرب إلى مصر. . .

فاستقلَّ السفاح بالخلافة وخَلا له الوقت من منازع. وكان

السفّاح كثير التعظيم لأبي مسلم لِما صنعه ودبَّره.

ولما مات السفّاح... وتولّى الخلافة أخوه أبو جعفر المنصور... صدرتْ من أبي مسلم أسباب وقضايا غيّرت قلب المنصور عليه، فعزم على قتله. وبقي حائراً بين الاستبداد برأيه في أمره والاستشارة. فقال يوماً لسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي: ما ترى في أمر أبي مسلم؟.

قال: ﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ اللّه لفسدتا﴾[1].

فقال: حسبُكَ يابن قتيبة، لقد أودعتَها أُذُناً واعية.

وكان أبو مسلم قد حجّ، فلمّا عاد نزل الحيرة التي عند الكوفة...

فلم يزل المنصور يخدعه بالرسائل حتى أحضره إليه.

ورتَّب المنصور له جماعة يقفون وراء السرير الذي خلف أبي مسلم. فاذا عاتبه لايظهَرون، فإذا ضَرب يداً على يد ظهروا وضَربوا عنقه. ثم جلس المنصور، ودخل عليه أبو مسلم فسلَّم فردَّ عليه وأذن له في الجلوس، وحادَثه ثم عاتبه. وقال: فعلتَ وفعلتَ.

فقال أبو مسلم: «ما يقال هذا لي بعد سعيي وإجتهادي وما كان مني».

فقال له: يا بن الخبيثة إنما فعلتَ ذلك بجَدِّنا وحَظِّنا، ولو كان مكانك أمَة سوداء لعملتْ عَملك، ألستَ الكاتب إليَّ تبدأ بنفسك قبلي؟

ألستَ الكاتب تخطب عمَّتي آسية وتزعم أنك ابن سليط بن

١ـ سورة الأنبياء آية ٢٢.

عبداللّه بن العباس؟، لقد إرتقيت ـ لا أُمَّ لك ـ مُرتقىً صعباً.

فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويقبّلها ويعتذر إليه.

فقال له المنصور، وهو آخر كلامه: قتلني اللّه إن لم أقتلك.

ثم صفق بإحدى يديه على الأخرى. فخرج إليه القوم وخبطوه بسيوفهم، والمنصور يصيح: اضربوا قطع اللّه أيديكم. وكان أبو مسلم قد قال عند أول ضربة: إستبقني يا أمير المؤمنين لعدوّك.

قال: لاأبقاني اللّه أبداً إذاً، وأيّ عدوٍّ أعدى منك؟.

ولمّا قتله أدرجه في بساط. فدخل عليه جعفر بن حنظلة فقال له المنصور: ماتقول في أمر أبي مسلم؟.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت أخذتَ من رأسه شعرة فاقتل ثم أقتل ثم أقتل.

فقال المنصور: وفّقك اللّه، هاهو في البساط. فلمّا نظر إليه قتيلاً قال: يا أمير المؤمنين، عُدَّ هذا اليوم أول خلافتك.

فأنشد المنصور:

فألقت عصاها واستقرَّت بها النوى
كما قرَّ عينا بالاياب المسافر[1]

٣ـ أبو العباس السفّاح

واسمه: عبداللّه بن محمد بن عليّ بن عبداللّه بن عبّاس، وكنيته أبو العبّاس، وأمّه ريطة بنت عبيداللّه بن عبداللّه بن عبدالمدان بن الديّان الحارثيّ، بويع يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع

١ـ وفيات الأعيان لابن خلّكان: ج٣ ص١٤٥.

الأول، وقيل: يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجّة سنة ١٣٢هـ .

ولمّا بويع أبو العباس صعد المنبر في اليوم الذي بويع فيه، وكان حييّاً، فارتجَّ عليه، فأقام مليّاً لايتكلّم، فصعد داود بن عليّ، فقام دونه بمرقاة، فحمد اللّه وأثنى عليه وصلّى على محمد، وقال: أيّها الناس! الآن تقشّعت حنادس الفتنة، وانكشف غطاء الدنيا، وأشرقت أرضها وسماؤها، وطلعت الشمس من مطلعها، وعاد السهم إلى النزعة، وأخذ القوس باريها، ورجع الحقّ إلى نصابه في أهل بيت نبيّكم، أهل الرأفة بكم، والرحمة لكم، والتعطّف عليكم.

ألا وإن ذمّة اللّه وذمّة رسوله وذمّة العباس لكم أن نسير، فنحكم في الخاصّة والعامّة منكم بكتاب اللّه وسنّة رسوله.

وإنّه واللّه أيّها الناس! ما وقف هذا الموقف بعد رسول اللّه أحدٌ أولى به من عليّ بن أبي طالب، وهذا القائم خلفي!! فاقبلوا ـ عباد اللّه ـ ما آتاكم بشكر، واحمدوه على مافتح لكم... الى آخر كلامه.

ثم نزل فتكلّم أبو العباس، فحمد اللّه وأثنى عليه، وصلّى على محمد، ووعد من نفسه خيراً ثم نزل.

وولّى أبو العبّاس الكوفة داود بن عليّ، فكان أول من ولاّه أبو العباس، ووجّه بأخيه أبي جعفر [المنصور] إلى خراسان لأخذ البيعة على أبي مسلم، فصار إلى مرو في ثلاثين فارساً، فلم يحتفل به أبو مسلم، ولم يلتقه، واستخفّ به، فانصرف واجداً عليه، وشكاه إلى أبي العبّاس، وأعلمه ما نال منه، وكثّر عليه في بابه.

فقال أبو العبّاس: فما الحيلة فيه، وقد عرفت موضعه من الإمام ومن إبراهيم، وهو صاحب الدولة والقائم بأمرها؟

. . . وقدم عبداللّه بن عليّ دمشق في شهر رمضان سنة ١٣٢، فحاصرها، واستغاث الناس، ووجّهوا إليه بيحيى بن بحر يطلب لهم الأمان، فخرج إليه، فسأله الأمان، فأجابه إلى ذلك، فدخل فنادى في الناس الأمان، فخرج خلق من الخلق. . . .

وصار عبداللّه بن عليّ إلى المسجد الجامع، فخطبهم خطبة مشهورة يذكر فيها بني أميّة وجورهم وعداوتهم، وأنّهم اتّخذوا دين اللّه هزواً ولعباً، ويَصف ما استحلّوا من المحارم والمظالم والمآثم، وما ساروا به في أمّة محمَّد من تعطيل الأحكام وازدراء الحدود والاستئثار بالفيء، وارتكاب القبيح، وانتقام اللّه منهم، وتسليط سيف الحقّ عليهم، ثم نزل.

ويقال إنّ أبا العباس كتب إليه: خذ بثأرك من بني أميّة، ففَعل بهم ما فعل، ووَجَّه فنَبش قبور بني أميّة، فأخرجهم وأحرقهم بالنّار، فما ترك منهم أحداً، ولمّا صار إلى رصافة أخرج هشام بن عبدالملك، ووجَده في مغارة على سريره، قد طُلي بماء يُبقيه، فأخرجه، فضرب وجهه بالعمود، وأقامه بين العقابين فضربه مائة وعشرين سوطاً، وهو يتناثر، ثم جمعه فحرّقه بالنار. وقال عبداللّه عند ذلك: إن أبي ـ يعني عليّ بن عبداللّه ـ كان يصلّي يوماً، وعليه إزار ورداء، فسقط الرداء عنه، فرأيت في ظهره آثار السياط، فلمّا فرغ من صلاته قلتُ: يا أبَه! جعلني اللّه فداءك، ما هذا؟ فقال: إن الأحول، يعني هشاماً، أخذني ظلماً، فضربني ستّين سوطاً، فعاهدتُ اللّه إن ظفرتُ به أن أضربه بكلّ سوط سوطين. . . .

. . . وقدِم عبداللّه بن الحسن بن الحسن على أبي العبّاس، ومعه

أخوه الحسن بن الحسن بن الحسن، فأكرمه أبو العباس، وبرّه، وآثره ووصله الصلات الكثيرة، ثم بلغه عن محمد بن عبداللّه أمر كرهه فذكر ذلك لعبداللّه بن الحسن، فقال: يا أمير المؤمنين! ما عليك من محمد شيء تكرهه، وقال له الحسن بن الحسن أخو عبداللّه بن الحسن: يا أمير المؤمنين! أتتكلّم بلسان الثقة والقرابة أم على جهة الرهبة للملك، والهيبة للخلافة؟ فقال: بل بلسان القرابة. فقال: أرأيت، يا أمير المؤمنين، إن كان اللّه قضى لمحمد أن يلي هذا الأمر، ثم أجلبت، وأهلُ السموات والأرض معك، أكنت دافعاً عنه؟ قال: لا! قال: فإن كان لم يقض ذلك لمحمّد، ثم اجلب محمد، وأهل السموات والأرض معه، أيضرّك محمد؟ قال: لا واللّه! ولا القول إلاّ ما قلت. قال: فلمَ تنغص هذا الشيخ نعمتك عليه، ومعروفك عنده؟ قال: لاتسمعني ذاكراً له بعد اليوم.

. . . واعتلّ أبو العباس، وتوفّي يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خَلَتْ من ذي الحجّة سنة ١٣٦هـ، وهو ابن ستّ وثلاثين سنة، وصلّى عليه اسماعيل بن عليّ ـ وقيل عيسى بن عليّ ـ ودفن في الأنبار في قصره، وكانت ولايته أربع سنين وتسعة أشهر[١].

أيها القارئ الكريم: قد ذكرنا ـ في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) ـ بعض التفاصيل عن أبي العباس السفّاح وما قام به بعد الثورة، وقد اختصرنا الكلام هنا، لعدم الحاجة الى التفصيل.

١ـ تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٣٤٩.

الامام الصادق (عليه السّلام) في العراق

لقد قام السفّاح والمنصور الدوانيقي ـ من حيث لايشعران ـ بخدمة كبيرة للامام الصادق (عليه السّلام) والإمامة والتشيع، وذلك بسبب جلب الامام من المدينة المنوّرة الى العراق (الحيرة والكوفة) مرّات عديدة.

ولقد كانت للامام الصادق (عليه السّلام) شعبيّة عظيمة عند أهل العراق، وبالاخصّ مدينة الكوفة ذات التاريخ الطويل العريض، ولولا جلب الإمام الى هاتين البلدتين لما كان الامام يتجشّم وعثاء الطريق، وصعوبة السفر إليهما بصورة مكرّرة.

فلقد كانت الكوفة مقرّ خلافة الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) وكان أكثر جيوشه في حروبه: في البصرة وصفّين والنهروان من أهل الكوفة.

ولقد ربّى الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) عدداً غير قليل من أجلاّء أصحابه تربيةً أهّلتهم لتلقّي العلوم الخاصّة منه (عليه السّلام)

بالإضافة الى علومهم الدينية كالفقه والتفسير وغيرهما.

ولهذا إمتازوا على غيرهم من الناس على مرّ القرون.

فصارت الكوفة عاصمة الشيعة والتشيع، ومركز إنطلاقهم.

ولقد ركَّز معاوية بن أبي سفيان جهوده للقضاء على الشيعة وآثارهم في الكوفة، فارسل إليهم دَعيّاً من الأدعياء، وهو زياد بن أبيه ـ بعد أن استلحقه معاوية بأبيه أبي سفيان، في قضية يخجل القلم عن سردها، من اعتراف أبي مريم السلولي ـ القوّاد، صاحب حانة الخمارين ـ بمجيىء أبي سفيان الى الحانة، وطلبه من القَوّاد إحضار بَغِيَّة ليقضي معها ليلته فجوراً، فجاء إليه بـ (سُمَيَّة) أم زياد وهي ذات بعل، وحملت بزياد من أبي سفيان، وبعد سنوات صار زياد، الشبل الاعزّ لأبي سفيان، وأخاً لمعاوية، فسبحان من يجمع الأشباه ـ!!

ومن الطبيعي: أن يفرح زياد بذلك الاستلحاق، لأنه عرف الرجل الذي وضعه في رحم أُمّه، بعد أن كان مجهول الأب، واستراح من عقدة الحقارة التي كانت لاتفارقه.

وجزاء لإحسان معاوية! صار زياد عميلاً من عملائه، ينفّذ أوامره، ويطبّق تعاليمه ضدّ الشيعة والتشيع، ولهذا أقام المجازر والمذابح في الشيعة، وقام بأعمال وحشية شوَّه بها سمعة تاريخ الإسلام، وسوَّد وجهه في الدنيا والآخرة، وتجرّد عن الإنسانية، وتعرّى عن العاطفة البشريّة، حتى صار محسوباً على الحيوانات المفترسة، والوحوش الكاسرة، وسجَّل إسمه في طليعة الجناة المجرمين، والسفّاكين، واكتسب أوفى نصيب من دناءة النفس وخساسة الطبع، وقساوة القلب.

ولاعجَب!! فكلُّ إناء بالذي فيه ينضح.

إن الذي يتولّد من أبوين ـ كأبي سفيان وسميّة ـ ينبغي أن يكون هكذا، والعجب اذا لم يكن هكذا.

أتعجبين من سقَمي؟ صَحَّتي هي العَجَبُ

ومات زياد، ومات معاوية، وجاء يزيد الى الحكم، فكان عبيدالله بن زياد (الدعي بن الدعي) من عملائه، وأرسله يزيد من البصرة الى الكوفة، وارتكب ابن زياد أفجع حادثة، وأعظم فاجعة لامثيل لها في تاريخ الاسلام، بأن قَتَل سيد شباب أهل الجنّة، وريحانة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسبطه: الامام الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السّلام).

وسبى عقائل النبوّة، ومخدّرات الرسالة بكيفية بَلَغتْ الذروة في القساوة والخشونة والفظاظة والإهانة.

.. وهكذا بين كلّ فترة وأُخرى كان يقفز رجل على منصّة الحكم في الكوفة فكانت تتغيَّر الظروف والأجواء، فمثلاً: لقد حكم المختار بن عبيدة الثقفي الكوفة سنة ونصفاً، يطلب بدم الامام الحسين (عليه السّلام) ويتتبّع قَتَلَته، ويقتلهم، حتى قتل منهم ثمانية عشر الفاً، كما هو المشهور، فصار جوّ الكوفة جوّاً شيعيّاً.

ثم حَكم مصعب بن الزبير الكوفة، فقَتل المختار، وتبدّل الجوّ.

ثم حارب عبدالملك بن مروان مصعبَ بن الزبير فقتله.

وهكذا وهلم جرّاً... كان التشيّع بين صعود ونزول، وقوّة وضَعف، يظهر ويخفى بين كلّ آونة وأُخرى، ولكنَّ أُصول التشيّع وجذوره كانت موجودة، تتقوى تارة وتضعف أُخرى.

وفي عصر الامام الباقر والامام الصادق (عليهما السّلام) أخذ العلم والثقافة الدينية في الإزدهار والإنتشار.

ومن الصحيح أن نقول: ان نهضة علمية، أو ثورة عقائدية قامت في ذلك المجتمع بسبب الوعي واليقظة بين الناس، ومن الطبيعي: ان مجتمعاً كهذا يشعر بالتعطّش الى المعرفة، ويزعجه الفراغ في معلوماته، فتكثر فيه الرغبة المُلحَّة الى الإرتواء من منابع العلوم، والتزوّد من أساطين العلم.

وكان علم الحديث في طليعة العلوم التي يكثر الطلب عليها.

والامام الصادق (عليه السّلام) أكبر شخصية علميَّة، وأعظم المحدّثين، وأصدقُهم وأطهرُهم، لأنه يروي عن آبائه الطاهرين، وأجداده المعصومين (عليهم السّلام) وربما بلغ سند الحديث الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) أو إلى اللّه تعالى.

ولهذا ازدحمت الجماهير على الإمام الصادق (عليه السّلام) تستضيىء بنور علمه.

وفي هذا المجال يحدّثنا محمد بن معروف الهلالي، فيقول:

(مضيتُ الى الحيرة، الى جعفر بن محمد (عليه السّلام) فما كان لي فيه حيلة من كثرة الناس، فلمّا كان اليوم الرابع رآني، فأدناني...) الى آخر كلامه[١].

وفي رواية أُخرى له يقول: (مضيتُ الى الحيرة الى أبي عبداللّه (عليه السّلام) في وقت السفّاح، فوجدتُه قد تداكَّ الناس عليه، ثلاثة أيام متواليات، فما كان لي فيه حيلة، ولاقدرتُ عليه من كثرة الناس،

١ـ فرحة الغرّي: ص٥٩.

وتكاثفهم عليه. . .) إلى آخر كلامه الذي يشبه الحديث المتقدِّم مع إضافات وزيادات[١] .

والمقصود من ذكر هذا الكلام هو بيان تهافت الناس على الإمام واجتماعهم عنده لكسب المعارف الدينية، والأحكام الإلهيّة.

فلاعَجب اذا كان أهل الكوفة ـ يومذاك ـ يلتفّون حول الإمام الصادق (عليه السّلام) ليأخذوا العلم الصحيح من ينبوعه، والحقائق من معادنها.

وكان الامام ينتهز تلك الفرصة الذهبيَّة ليُفيض عليهم شيئاً من علومه ومعارفه في شتّى المواضيع، ومختلف العلوم.

فتخرّج منهم عدد كبير، وطائفة عظيمة من المحدِّثين والفقهاء والمتكلِّمين والمفسّرين الذين قدَّموا للاسلام والمسلمين خَدَمات يُذكَرون ويُشكرون عليها، وبقيت تلك الآثار القيّمة إلى يومنا هذا، مصادر موثوقة، ومنابع صافية، وأُصول معتمدة.

وقد ذكرنا ـ في الموسوعة في تراجم أصحابه ـ عدداً هائلاً من أهل الكوفة، ممّا يدل على كثرة تلاميذه وأصحابه من رُوّاد المعرفة، وهواة الحقيقة.

كما يدلّ على مدى نشر الإمام علومه في تلك الأرجاء، ومدى اهتمامه بتثقيف أصحابه ثقافة دينية، عقائدية، أخلاقيّة، إنسانيّة، إسلاميّة، فأشرق تاريخهم بتلألؤ حياتهم المليئة بالفضائل والقيم.

وقد ذكرنا ـ في غضون تلك التراجم ـ بعض النقاط الضروريّة ذات الأهميّة القصوى، والتي تجلب إنتباه القارىء إلى أسرار وحِكَم

١ـ الاصول الستة عشر: ص١٣١. منهما بحار الأنوار: ج٤٧ ص٩٣.

في تصرّفات الامام، وشؤون حياته في الكوفة بصورة خاصّة، بحيث يظهر لنا ما أسَّسه الإمام وبَناه، سواءً في الحقل العقائدي الشيعي، أم الحقول الأُخرى التي لها كلّ الصلة بالدين.

حتى صارت الكوفة المركز الثاني من مراكز الإشعاع الشيعي، بسبب كثرة العلماء والمحدِّثين، واستمرَّت الى فترات طويلة.

وقد اشتهر عن الحسن بن علي بن زياد الوشّاء ـ الذي كان من أصحاب الامام الرضا والامام الهادي (عليهما السّلام)ـ قوله. . . . «فاني أدركت في هذا المسجد [مسجد الكوفة] تسعمائة شيخ، كُلٌّ يقول: حدَّثني جعفر بن محمد. . . . »[1].

هذا. . وفي فترة من تواجد الامام الصادق (عليه السّلام) في الحيرة، فرضت الحكومة العباسية رقابة مشدّدة على الامام ومنعت الناس من الدخول عليه والسؤال منه، وذلك في محاولة يائسة منها الى تفريق الناس عن الامام (عليه السّلام) الاّ أن بعض الناس كانوا يتشبَّثون بمختلف الوسائل في سبيل الوصول الى دار الامام والسؤال منه.

والحديث التالي شاهد على ما نقول:

عن هارون بن خارجة قال: كان رجلٌ من أصحابنا طلَّق إمرأته ثلاثاً، فسأل أصحابَنا، فقالوا: ليس بشيء[2].

فقالت إمرأته: لاأرضى حتى تسأل أبا عبداللّه (عليه السّلام) وكان بالحيرة إذ ذاك أيام أبي العباس.

١ـ رجال النجاشي: ص٢٨.

٢ـ أي هذا الطلاق غير صحيح.

قال: فذهبتُ الى الحيرة ولم أقدر على كلامه، إذ منع الخليفة الناس من الدخول على أبي عبداللّه (عليه السّلام) وأنا أنظر كيف ألتمس لقاءه، فاذا سواديّ[١] عليه جُبّة صوف يبيع خياراً، فقلت له: بِكَم خيارك هذا كلُّه؟

قال: بدرهم. فأعطيته درهماً، وقلت له: أعطني جُبّتك هذه. فأخذتها ولبستُها، وناديتُ: من يشتري خياراً؟.

ودنوتُ منه[٢] فاذا غلام من ناحية ينادي: ياصاحب الخيار!

فقال (عليه السّلام) لي ـ لمّا دنوت منه ـ: ما أجوَدَ ما احتلتَ! أيّ شيء حاجتك؟

قلت: إني إبتُليتُ، فطلّقتُ أهلي في دفعة ثلاثاً، فسألت أصحابنا فقالوا: ليس بشيء، وإن المرأة قالت: لاأرضى حتى تسأل أبا عبداللّه (عليه السّلام).

فقال: إرجع إلى أهلك، فليس عليك شيء[٣و٤].

وفي مجال الاشارة الى الضغط والكبت الذي كان يتعرّض له الامام الصادق (عليه السّلام) من طواغيت عصره.. روى هشام بن سالم، عن الامام الصادق (عليه السّلام) انه قال: «لوددتُ انّي

١ـ منسوب الى السواد ومعناه: احد الفلاّحين والمزارعين.

٢ـ أي دنوت من الامام أو بيت الامام.

٣ـ أقول: من الثابت عند الشيعة الاماميّة ـ تبعاً للأئمة الطّاهرين (عليهم السّلام) ـ عدم وقوع الطلاق ثلاثاً في طلقة واحدة، بل لابدّأن تكون بينها رجعتان.

أمّا المذاهب الاخرى فبعضها تقول برأي الشيعة وبعضها تجوّز ذلك، والتفصيل موكول الى الكتب الفقهية.

٤ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦٤٢ ح٤٩. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٧١. وقوله (عليه السّلام): «فليس عليك شيء» أي يحق لك الرجوع إليها.

واصحابي في فلاة من الأرض حتى نموت، أو يأتي اللّه بالفَرَج»[1].

ولكنْ: ﴿فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً * إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً﴾[2] فقد ارتفع الضغط عن الامام (عليه السّلام) بعد فترة، وتحسَّنت الظروف، وعاد الناس المتعطِّشون الى الحق والعِلم ليلتفُّوا حول الامام الصادق (عليه السّلام) وينهلوا من منهله العذب الصافي..

وهكذا.. يأبى اللّه إلاّ أنْ يُتمَّ نورَه..

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٦٠.

٢ـ سورة الانشراح آية ٥ و٦.

الإمام الصادق (عليه السّلام) والمنصور الدوانيقي

اسمه: عبداللّه بن محمد بن علي بن عبداللّه بن العباس، يكنى أبا جعفر، ويُلقَّب بالدوانيقي، ولُد سنة خمس وتسعين، وبويع له سنة ست وثلاثين ومائة، ومات سنة ثمان وخمسين ومائة.

كان المنصور طاغوتاً من طواغيت عصره، وفرعوناً من فراعنة زمانه وكان أشدَّ الناس حقداً وعداءً لآل الرسول (عليهم السّلام).

ولقد طالت أيّام حكومته، واشترى ضمائر الناس بالأموال، في مقابل تنفيذ خططه الجهنَّمية، وأقام المذابح والمجازر الرهيبة، فكأنه حيوان مفترس شرس، مجنون في صورة البشر، لايفهم معنى العاطفة، ولايدرك مفهوم الرأفة والرحمة.

كان الامام الصادق (عليه السّلام) مبتلى بهذا الوحش الكاسر طيلة إثنَي عشرة سنة.

يقال: ان ابن سينا الحكيم الفيلسوف كان يخاف من الجاموس ويهرب منه، ولمّا سألوه عن السبب قال: عقلُه أقل منّي، وقوَّته أكثر مني، فلماذا لاأخاف منه؟!

وهكذا كان المنصور!

لقد صار رجلاً مقتدراً يحكم على العباد والبلاد، وحياة الناس ومماتهم بين شفتيه، ولايخاف من اللّه تعالى، ولايهمّه إلا المحافظة على كرسيّ الحكم فقط، فلامانع عنده ان يقتل بالظنّة والتهمة، وإراقةُ الدماء عنده كإراقة الماء على الأرض، وقد ماتت الإنسانية في نفسه.

وطالما أمر بإحضار الامام الصادق (عليه السّلام) في مجلسه كراراً ومراراً، في المدينة المنورة وفي الربذة، وفي الحيرة وفي الكوفة، وفي بغداد.

وفي كلّ مرَّة كان عازماً على قتل الامام ولكنّ اللّه تعالى كان يحفظ الامام من شرّ ذلك الطاغية لأنه (عليه السّلام) كان يقرأ بعض الأدعية ويستعين باللّه ويسأله دفع شرّ ذلك الشرِّير، فكان اللّه يحفظه من شرّ ذلك الرجس.

وتارة كان الامام يقابل المنصور بكلمات حكيمة تخفّف فيه سورة الغضب وشعلة الحقد، كقوله:

«ان أيّوب ابتُلي فصَبر، وان يوسف ظُلم فغفر، وان سليمان أُعطي فشَكَر».

فكان المنصور يهدأ غضبُه وينزل عن جبروته وكبريائه، ويغيّر منطقه مع الامام، فيتبدَّل أسلوبه، ويحترم الامام، ويمدحه، وربما اعتذر من إحضاره، أو سأله عن حوائجه أو قدّم له هديّة مالية، وأمثال ذلك.

وتارةً كان بعض الحسّاد أو المناوئين يكتبون التقارير الكاذبة المليئة بالتُهم والافتراءات ضدّ الامام الصادق (عليه السّلام) ـ مثل أنه يجمع

الأسلحة والأموال ويأخذ البيعة من الناس للقيام ضدّ المنصور ـ ويرفعون تلك التقارير الى المنصور فيجنُّ جنونه ويتفجّر غيضاً وحقداً على الامام (عليه السّلام) ويستدعيه ويواجهه بكلمات حادَّة وقاسية.

وبعد ذلك يتَّضح له كذب تلك التقارير وبراءة الامام منها.. فيعتذر من الامام.

والأحاديث في هذا المجال كثيرة، وقد ذكرناها ـ بالتفصيل ـ في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) ونقتطف منها مايلي:

عن صفوان بن مهران الجمّال قال: قد رفع رجلٌ من قريش المدينة من بني مخزوم إلى أبي جعفر المنصور ـ وذلك بعد قتله لمحمّد وإبراهيم ابني عبداللّه بن الحسن ـ أن جعفر بن محمد بعث مولاه المعلى بن خُنيس لجباية الأموال من شيعته، وأنه كان يمدّ بها محمد بن عبداللّه.

فكاد المنصور أن يأكل كفّه على جعفر غيظاً، وكتب إلى عمِّه داود بن علي ـ وداود إذ ذاك أمير المدينة ـ أن يسيِّر إليه جعفر بن محمد، ولايرخّص له في التلوُّم[1] والمقام.

فبعث إليه داود بكتاب المنصور وقال له: إعمد في المسير إلى أمير المؤمنين في غد ولاتتأخّر.

قال صفوان: وكنت بالمدينة يومئذ، فأنفذ إليَّ جعفر (عليه السّلام) فصرت إليه فقال لي: تعهّد راحلتنا فإنّا غادون في غد إن شاء اللّه [إلى] العراق.

ونهض من وقته، وأنا معه إلى مسجد النبي (صلّى اللّه عليه وآله) وكان ذلك بين الأُولى والعصر، فركع فيه ركعات، ثمَّ رفع يديه

١ـ تلوّم في الأمر: تمكّث وانتظر (لسان العرب).

فحفظت يومئذ من دعآئه:

«يا من ليس له ابتداء ولا انقضاء، يامن ليس له أمدٌ ولانهاية، ولاميقات ولاغاية، ياذا العرش المجيد، والبطش الشديد، يامن هو فعّال لما يريد، يامن لايخفى عليه اللّغات، ولاتشتبه عليه الأصوات، يامن قامت بجبروته الأرض والسماوات، ياحَسَن الصُّحبة، ياواسع المغفرة، ياكريمَ العفو، صلِّ على محمّد وآل محمّد، واحرسني ـ في سفري ومقامي، وفي حركتي وانتقالي ـ بعينك التي لاتنام واكنفني بركنك الذي لايُضام.

اللهمّ إنّي اتوجّه في سَفري هذا بلاثقة منّي لغيرك، ولارجاء يأوي بي إلاّ إليك، ولاقوّة لي اتّكل عليها، ولاحيلة ألجأُ إليها إلاّ ابتغاء فضلك، والتماس عافيتك، وطلب فضلك، وإجراؤك لي على أفضل عوائدك عندي.

اللهمَّ وأنت أعلم بما سَبَق لي في سفري هذا ممّا أُحبّ واكره، فمهما أوقعتَ عليه قدَرك فمحمود فيه بلاؤك، مُنتصَحٌ فيه قضاؤك وأنت تمحو ما تشاء وتُثبت وعندك أُمُّ الكتاب.

اللهمّ فاصرف عنّي فيه مقادير كلِّ بلاء، ومقضيَّ كلِّ لأواء، وابسط عليَّ كنفاً من رحمتك ولُطفاً من عفوك، وتماماً من نعمتك حتى تحفظني فيه بأحسن ما حفظت به غائباً من المؤمنين وخلفته، في ستر كلِّ عورة، وكفاية كلِّ مَضرَّة وصَرف كلِّ محذور، وهبْ لي فيه أمناً وايماناً وعافيةً ويُسراً وصبراً وشكراً، وأرجعني فيه سالماً إلى سالمين يا أرحم الراحمين».

قال صفوان: سألت أبا عبدالله الصادق (عليه السّلام) بأن يعيد

الدعاء عليَّ فأعاده وكتبته.

فلمّا أصبح أبو عبدالله (عليه السّلام) رحَّلتُ له الناقة، وسار متوجّهاً إلى العراق حتى قَدِم مدينة أبي جعفر، وأقبل حتى استأذن فأذن له.

قال صفوان: فأخبرني بعضُ مَن شَهده عند أبي جعفر، قال: فلمّا رآه أبو جعفر قرَّبه وأدناه، ثم استدعا قصّة الرافع على أبي عبدالله (عليه السّلام) يقول في قصّته: إن معلّى بن خنيس ـ مولى جعفر بن محمّد ـ يجبي له الأموال من جميع الآفاق وأنّه مدّ بها محمدبن عبدالله.

فدفع إليه القصّة فقرأها أبو عبدالله (عليه السّلام) فأقبل إليه المنصور فقال: ياجعفر بن محمد ما هذه الأموال التي يجبيها لك معلّى ابن خنيس؟

فقال أبو عبدالله (عليه السّلام): معاذ الله من ذلك يا أمير المؤمنين!!

قال له: تحلف على براءتك من ذلك؟

قال: نعم أحلف بالله أنه ما كان من ذلك شيء.

قال أبو جعفر [المنصور]: لا بل تحلف بالطلاق والعتاق.

فقال أبو عبدالله: أما ترضى يميني بالله الذي لا إله إلاّ هو؟!

قال أبو جعفر: فلاتتفقّه عليَّ!

فقال أبو عبدالله (عليه السّلام): فأين تذهب بالفقه منّي يا أمير المؤمنين!؟

قال له: دَع عنك هذا، فإنّي أجمع الساعة بينك وبين الرجل

الذي رفع عنك حتى يواجهك، فأتوا بالرجل وسألوه بحضرة جعفر.

فقال: نعم هذا صحيح، هذا جعفر بن محمد، والذي قلت فيه كما قلت.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): تحلف أيّها الرجل أنّ هذا الذي رفعته صحيح؟

قال: نعم.

ثمَّ ابتدأ الرجل باليمين فقال: واللّه الذي لا إله إلاّ هو الطالب الغالب، الحيُّ القيّوم.

فقال له جعفر (عليه السّلام): لاتعجل في يمينك، فانّي أنا أستحلف.

قال المنصور: وما أنكرت من هذه اليمين؟

قال: إن اللّه تعالى حييٌّ كريم يستحيي من عبده ـ إذا أثنى عليه ـ أن يعاجله بالعقوبة، لمدحه له، ولكن قل يا أيّها الرجل: أبرأ إلى اللّه من حوله وقوّته، وألجأ إلى حولي وقوّتي إني لصادق برٌّ فيما أقول[1].

فقال المنصور للقرشي: إحلف بما استحلفك به أبو عبداللّه (عليه السّلام)، فحلف الرجل بهذه اليمين، فلم يستتمّ الكلام، حتى أجذم وخرَّ ميّتاً.

١ـ هذه اليمين تُسمّى بـ : يمين البراءة، وقد ذكر الفقهاء أنها لاتجوز إلاّ في مقام دفع التُّهمة والأمن من شرّ الحاكم الظالم، أمّا في الخلافات الاخرى ـ كالخلافات الزوجيّة والعائلية وغيرها ـ فلاتجوز.

والامام الصادق (عليه السّلام) فَرضَ هذه اليمين على ذلك الرجل لكي يدفع (عليه السّلام) عن نفسه القتل الذي كان يواجهه بسبب تهمة التخطيط لقلب نظام الحكم.

فراع أبا جعفر [المنصور] ذلك، وارتعدت فرائصه فقال: يا أبا عبداللّه سِر من غد إلى حرم جدِّك إن اخترت ذلك، وإن اخترت المقام عندنا لم نَأل في إكرامك وبرِّك، فواللّه لاقبلتُ عليك قول أحد بعدها أبداً[١].

وروي عن الرضا، عن أبيه (عليهما السّلام) قال: جاء رجل الى جعفر بن محمد (عليهما السّلام) فقال [له]: أُنجُ بنفسك، فهذا فلان بن فلان قد وشى بك الى المنصور، وذكر أنّك تأخذ البيعة لنفسك على الناس، لتخرج عليهم.

فتبسّم وقال: يا عبداللّه! لاترع [لاتخف] فإنّ اللّه إذا أراد إظهار فضيلة كُتمت، أو جُحدَت، أثار عليها حاسداً باغياً يحرّكها حتى يبينها، أُقعد معي حتى يأتي الطلب، فتمضي معي الى هناك، حتى تشاهد ما يجري من قدرة اللّه التي لامعدل لها عن مؤمن.

فجاء الرسول، وقال: أجب أمير المؤمنين!! فخرج الصادق (عليه السّلام) ودخل، وقد امتلأ المنصور غيظاً وغضباً، فقال له:

أنت الذي تأخذ البيعة لنفسك على المسلمين، تريد أن تُفرِّق جماعتهم، وتسعى في هلكتهم، وتُفسد ذات بينهم؟.

فقال الصادق (عليه السّلام): ما فعلتُ شيئاً من هذا.

قال المنصور: فهذا فلان، يذكر أنك فعلتَ كذا، وأنه أحد مَن دعَوته إليك.

فقال: إنه لكاذبٌ.

قال المنصور: إنّي أُحلِّفه، فإن حَلَف كفيتُ نفسي مؤنتك.

١ـ مهج الدعوات: ص١٩٨ ـ ٢٠١ . منه بحار الأنوار: ج٩٤ ص٢٩٤ .

فقال الصادق (عليه السّلام): إنه اذا حَلَفَ كاذباً باءَ بإثمٍ.

فقال المنصور ـ لحاجبه ـ: حَلِّف هذا الرجل على ما حكاه عن هذا ـ يعني الصادق (عليه السّلام) ـ.

فقال له الحاجب: قل: واللّه الذي لاإله إلاّ هو. وجعل يُغلِّظ عليه اليمين.

فقال الصادق (عليه السّلام): لاتُحلِّفه هكذا، فإنّي سمعتُ أبي، يذكر عن جدّي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) أنه قال: «إنّ من الناس مَن يحلف كاذباً فيُعظّم اللّهَ في يمينه، ويصفه بصفاته الحسنى فيأتي تعظيمه للّه على إثم كذبه ويمينه، فيؤخّر عنه البلاء».

ولكن دعني أُحلّفه باليمين التي حدَّثني بها أبي، عن جدّي، عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) أنّه لايحلف بها حالف إلاّ باءَ بإثمه.

فقال المنصور: فحلِّفه ـ إذن ـ يا جعفر.

فقال الصادق (عليه السّلام) للرجل: قل: إن كنتُ كاذباً عليك فقد برئت من حول اللّه وقوّته ولجأت إلى حولي وقوّتي.

فقالها الرجل. فقال الصادق (عليه السّلام): اللهم إن كان كاذباً فأمته.

فما استتمَّ كلامه حتى سقط الرجل ميِّتاً، واحتُمل، ومُضي به، وسُري عن المنصور[1]، وسأله عن حوائجه، فقال (عليه السّلام): ليس لي حاجة إلاّ إلى اللّه، والإسراع إلى أهلي، فإنّ قلوبهم بي متعلّقة.

فقال المنصور: ذلك إليك، فافعل منه ما بدا لك.

فخرج من عنده مكرَّماً، قد تحيَّر فيه المنصور ومن يليه، فقال

١ـ سُري عنه: كُشِف عنه ما كان يجده من الغضب (أقرب الموارد).

قوم: ماذا؟ رجل فاجأه الموت، ما أكثر ما يكون هذا! وجعل الناس يصيرون الى ذلك الميّت[1] ينظرون إليه، فلما استوى [وُضع] على سريره، جعل الناس يخوضون في أمره، فَمن ذامٍّ له وحامد، إذ قعد [الميت] على سريره، وكشف عن وجهه وقال: يا أيّها الناس! إني لقيت ربّي بعدكم، فلقّاني السخط واللعنة، واشتدَّ غضب زبانيّته عَلَيَّ للّذي كان منّي الى جعفر بن محمد الصادق، فاتقوا اللّه، ولاتهلكوا فيه كما هلكت.

ثم أعاد كفنه على وجهه، وعاد في موته، فرأوه لاحراك به، وهو ميِّت، فدفنوه، وبقوا حائرين في ذلك[2].

وعن الربيع صاحب أبي جعفر المنصور، قال:

حججتُ مع أبي جعفر المنصور، فلما صِرتُ في بعض الطريق قال لي المنصور:

«ياربيع! إذا نزلتُ المدينة فاذكُر لي جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي (عليهم السّلام)! فواللّه العظيم لايقتله أحدٌ غيري، إحذر أن تَدَع أن تُذكِّرني به!».

قال: فلما صرنا الى المدينة أنساني اللّه (عزّوجلّ) ذِكره، قال: فلمّا صرنا إلى مكّة قال لي: «ياربيع! ألم آمرك أن تذكِّرني بجعفر بن محمد إذا دخلنا المدينة؟».

قال: فقلت: نسيتُ ذلك يامولاي يا أمير المؤمنين!!

قال: فقال لي: «إذا رجعتُ الى المدينة فاذكرني به، فلابُدَّ من

١ـ في بحار الأنوار: وجعل الناس يخوضون في أمر ذلك الميت.

٢ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٧٦٢ ح٨٤. منه بحار الانوار: ج٤٧ ص١٧٢.

قتله، فان لم تفعل لأضربنّ عُنقك!».

فقلت: نعم، يا أمير المؤمنين!

ثم قلت لِغلماني وأصحابي: اذكروني بجعفر بن محمد إذا دخلنا المدينة ان شاء اللّه تعالى.

قال: فلم يزل غِلماني وأصحابي يُذكّروني به في كل وقت ومنزلٍ ندخله وننزل فيه، حتى قدمنا المدينة، فلما نزلنا بها دخلت الى المنصور فوقفت بين يديه وقلت له: يا أمير المؤمنين!! جعفر بن محمد!!

قال: فضحك، وقال لي: نعم، إذهب ـ ياربيع ـ فائتني به، ولاتأتني به إلاّ مسحوباً!!

قال: فقلت له: يا مولاي! يا أمير المؤمنين! حُبّاً وكرامة، وأناأفعل ذلك طاعة لأمرك!!

قال: ثم نهضتُ، وأنا في حال عظيم من ارتكابي ذلك!

قال: فأتيتُ الامام الصادق جعفر بن محمد (عليه السّلام) وهو جالس في وسط داره، فقلت له: جُعلتُ فداك إنّ أمير المؤمنين!يدعوك إليه.

فقال لي: السمع والطاعة!!

ثم نهض وهو معي يمشي، قال: فقلت له: يابن رسول اللّه إنه أمرني أن لا آتيه بك إلاّ مسحوباً!!

قال: فقال الصادق: إمتثِل ـ ياربيع ـ ما أمرك به!!

فأخذت بِطرف كُمِّه أسوق إليه، فلما أدخلته إليه رأيته وهو جالس على سريره وفي يده عمود حديد يريد أن يقتله به، ونظرتُ الى

جعفر (عليه السّلام) وهو يحرّك شفتيه [فلم أشك أنه قاتلُه، ولم أفهم الكلام الذي كان جعفر يحرّك شفتيه به][1] فوقفت أنظر إليهما.

قال الربيع: فلما قرب منه جعفر بن محمد قال له المنصور: أُدنُ منّي! يابن عمّي.

وتهلّل وجهه، وقرَّبه منه، حتى أجلَسه معه على السرير، ثم قال: ياغلام! إئتني بالحقّة[2] فأتاه بالحقَّة، فإذا فيها قدح الغالية[3] فغلَّفه منها بيده، ثم حمله على بغلةوأمرله ببَدرة[4]وخلعة، ثم أمره بالإنصراف.

قال: فلمّا نهض من عنده، خرجتُ بين يديه حتى وصل إلى منزله، فقلت له: بأبي أنت وأُمّي يابن رسول اللّه!! إني لم أشُكّ فيه أنه ساعة تدخل عليه يقتلك، ورأيتك تحرّك شفتيك في وقت دخولك عليه؟فما قلت؟

قال لي: نعم، ياربيع! إعلم أنّي قلت: «حسبي الربُّ من المربوبين، حسبي الخالق من المخلوقين، حسبي من لم يزل حسبي، حسبي اللّه، لا إله إلاّ هو عليه توكّلت وهو ربُّ العرش العظيم، حسبي الذي لم يزل حسبي، حسبي، حسبي، حسبي اللّه ونعم الوكيل.

اللّهم احرُسني بعينك التي لاتنام، واكنفني بِركُنك الذي لايُرام،

١ـ ما بين المعقوفتين من بحار الأنوار.

٢ـ وعاء من خشب، وقد تصنع من العاج (أقرب الموارد).

٣ـ الغالية: ضرب من الطيب مركَّب من مسك وعنبر وكافور ودهن البان وعود (مجمع البحرين).

٤ـ البَدْرة: عشرة آلاف درهم (مجمع البحرين).

واحفظني بِعِزِّك واكفني شرَّه بِقُدرتك، ومُنَّ عَلَيَّ بِنَصرك، وإلاّ هلكتُ وأنت ربّي.

اللهم إنك أجلُّ وأجبر مما أخاف وأحذر، اللّهم إنّي أدرَؤك[١] في نحره، وأعوذ بك من شرّه، واستعينك عليه واستكفيك إيّاه.

ياكافي موسى فرعون، ومحمد (صلّى اللّه عليه وآله) الأحزاب، الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبُنا اللّه ونعم الوكيل.

واولئك الذين طبع اللّه على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، واولئك هم الغافلون.

لاجَرَمَ أنهم في الآخرة هم الأخسرون.

وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لايُبصرون»[٢].

وروي ان المنصور استدعى الامام الصادق (عليه السّلام) للمرَّة الخامسة الى بغداد. كما وَرد ذلك عن محمد بن الربيع الحاجب قال: قَعد المنصور أمير المؤمنين يوماً في قصره القبّة الخضراء ـ وكانت قبل قتل محمد وإبراهيم تدعى الحمراء ـ وكان له يومٌ يقعد فيه يسمّي ذلك اليوم: يوم الذبح، وقد كان أشخص جعفر بن محمّد (عليه السّلام) من المدينة، فلم يزل في الحمراء نهاره كلّه، حتى جاء الليل، ومضى أكثره، قال: ثمَّ دعا أبي: الربيع، فقال: ياربيع إنّك تعرف موضعك منّي، وإنّه يكون إليَّ الخبر ولاتظهر عليه أُمّهات الأولاد، وتكون أنت

١ـ لعل الأصح: أدرؤ بك.

٢ـ مُهج الدعوات ص١٨٤.

المعالج له.

فقال: قلت له: يا أمير المؤمنين ذلك من فضل اللّه عليّ وفضل أمير المؤمنين، وما فوقي في النصح غاية.

قال: كذلك أنت، صِر الساعة الى جعفر بن محمد بن فاطمة!! فائتني على الحال الذي تجده عليه، لاتغيِّر[١] شيئاً ممّا [هو][٢] عليه.

فقلت: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، هذا واللّه هو العَطَب[٣]، إنْ أتيت به على ما أراه من غَضبه قَتله، وذهبت الآخرة، وإن لم آت به واذهبت[٤] في أمره قتلني، وقتل نسلي، وأخذ أموالي، فميّزت[٥] بين الدنيا والآخرة، فمالت نفسي إلى الدُّنيا.

قال محمد بن الربيع: فدعاني أبي وكنت أفظ[٦] ولده وأغلظهم قلباً، فقال لي: امض إلى جعفر بن محمد فتسلّق على حائطه، ولاتستفتح عليه باباً[٧]، فيغيّر بعض ما هو عليه، ولكن انزل عليه نزولاً، فأت به على الحال الّتي هو فيها.

قال: فأتيته وقد ذهب اللّيل إلاّ أقلّه، فأمرتُ بنصب السَّلاليم[٨] وتسلّقت عليه الحائط فنزلتُ عليه داره، فوجدته قائماً يصلّي، وعليه

١ـ لعلّ الأصح: لايغيِّر.

٢ـ ما بين المعقوفتين من البحار.

٣ـ العَطَب: الهلاك (لسان العرب).

٤ـ في بحار الأنوار: وادّهنت.

٥ـ في بحار الأنوار: فخيّرت.

٦ـ الفظّ: الغليظ الجانب، السيّء الخُلقُ، القاسي، الخشن الكلام. (اقرب الموارد).

٧ـ أي لاتطرق عليه الباب ليفتحه.

٨ـ السُلّم ـ بالضم ـ: المرقاة، وهو ما يرتقى عليه، سواء كان من خشب أو حجر أو مدر، جمعه سلالم وسلاليم. (أقرب الموارد).

قميص، ومنديل قد ائتزر به، فلمّا سلّم من صلاته.

قلت له: أجب أمير المؤمنين.

فقال: دعني، أدعو وألبس ثيابي.

فقلت له: ليس إلى تركك وذلك سبيل.

قال: فأدخُل المغتسل فأطَّهَّر[1].

قال: قلت: وليس إلى ذلك سبيل فلاتشغل نفسك، فإنّي لاأَدَعك تغيِّر شيئاً.

قال: فأخرجته حافياً حاسراً في قميصه ومنديله، وكان قد جاوز (عليه السّلام) السبعين[2].

فلمّا مضى بعض الطريق، ضعف الشيخ فرحمته فقلت له: اركب. فركب بغل شاكري[3] كان معنا، ثمّ صرنا الى الربيع فسمعته [المنصور] وهو يقول له: ويلك يا ربيع قد أبطأ الرجل، وجعل يستحثّه استحثاثاً شديداً، فلمّا أن وقعت عين الرَّبيع على جعفر بن محمّد وهو بتلك الحال بكى.

وكان الرَّبيع يتشيَّع فقال له جعفر (عليه السّلام): ياربيع أنا أعلم مَيلك إلينا، فدعني أُصلّي ركعتين وأدعو، قال: شأنك وما تشاء. فصلّى ركعتين خفّفهما ثم دعا بعدهما بدعاء لم أفهمه، إلاّ أنّه دعاء طويل، والمنصور في ذلك كلّه يستحثّ الربيع، فلمّا فرغ من دعائه

١ـ أي أغتسل إستعداداً للقتل، لأنّ المحكوم عليه بالقتل يغتسل قبل تنفيذ الحكم، ويسقط تغسيله بعد القتل.

٢ـ هذا رأي محمد بن الرَّبيع، والصحيح أن الإمام الصادق (عليه السّلام) فارق الحياة قبل السبعين.

٣ـ الشاكري: معرّب چاكر بالفارسية ومعناه الأجير والمستخدم. (أقرب الموارد).

على طوله، أخذ الربيع بذراعيه فأدخله على المنصور، فلمّا صار في صحن الايوان، وقف ثمّ حرّك شفتيه بشيء، ما أدري ما هو، ثم أدخلته فوقف بين يديه، فلمّا نظر إليه قال: وأنت ياجعفر ما تدع حَسَدك وبغيك، وإفسادك على أهل هذا البيت من بني العبّاس!! وما يزيدك اللّه بذلك إلاّ شدّة حَسد ونكد، ما تبلغ به ما تقدره!!.

فقال له: واللّه يا أمير المؤمنين ما فعلتُ شيئاً من هذا، ولقد كنت في ولاية بني أُميّة، وأنت تعلم أنّهم أعدى الخلق لنا ولكم، وأنّهم لاحقّ لهم في هذا الأمر فواللّه مابغيت عليهم، ولابلغهم عنّي سوء، مع جفائهم الّذي كان بي، فكيف ياأمير المؤمنين أصنع الآن هذا؟وأنت ابن عمّي وأمسّ الخلق بي رحماً وأكثرهم عطاء وبرّاً، فكيف أفعل هذا؟!

فأطرق المنصور ساعة، وكان على لبد[1] وعن يساره مرفقة جرمقانية[2]، وتحت لبده سيف ذوفقار، كان لايفارقه إذا قعد في القبّة قال: أبطلتَ وأثمت[3]، ثمَّ رفع ثَني الوسادة فأخرج منها إضبارة[4] كتب، فرمى بها إليه وقال: هذه كتبك إلى أهل خراسان تدعوهم إلى نقض بيعتي، وأن يبايعوك دوني.

فقال: واللّه يا أمير المؤمنين ما فعلت، ولاأستحلُّ ذلك، ولاهو

١ـ اللّبد: الصوف. (اقرب الموارد).

٢ـ المرفق والمرفقة: المتكأ والمخدّة، والجرامقة: قوم في الموصل والشام تنسب إليهم المرافق. (أقرب الموارد).

٣ـ أبطلت: جئت بالباطل، وأثمت: وقعت في الإثم أي الذنب.

٤ـ الإضبارة: الحزمة من الصحف. (اقرب الموارد).

من مذهبي، وإنّي لمن يعتقد طاعتك على كلّ حال[1]، وقد بلغتُ من السنّ ما قد أضعفني عن ذلك لو أردته، فصيّرني في بعض جيوشك[2]، حتّى يأتيني الموت فهو منّي قريب.

فقال: لا ولاكرامة... ثم أطرق وضرب يده إلى السيف، فسلّ منه مقدار شبر، وأخذ بمقبضه، فقلت: إنّا للّه، ذهب ـ واللّه ـ الرجل.

ثمّ ردّ السيف، ثم قال: ياجعفر أما تستحي مع هذه الشيبة ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل، وتشقّ عصا المسلمين؟ تريد أن تريق الدماء، وتطرح الفتنة بين الرعيّة والأوليآء.

فقال: لا واللّه يا أمير المؤمنين ما فعلت، ولاهذه كتبي ولاخطّي، ولاخاتمي.

فانتضى من السيف ذراعاً فقلت: إنّا للّه، مضى الرجل، وجعلت في نفسي إن أمرني فيه بأمر أن أعصيه، لأنّني ظننت أنّه يأمرني أن آخذ السيف فأضرب به جعفراً، فقلت: إن أمرني ضربت المنصور، وإن أتى ذلك عليَّ وعلى وُلدي، وتبت إلى اللّه (عزّوجلّ) ممّا كنت نويت فيه أوّلاً.

فأقبل يعاتبه وجعفر يعتذر، ثمّ انتضى السيف كلّه إلاّ شيئاً يسيراً منه فقلت: إنا للّه، مضى واللّه الرجل، ثم أغمد السيف وأطرق ساعة ثم رفع رأسه.

وقال: أظنّك صادقاً! ياربيع هات العيبة[3] من موضع كانت فيه

١ـ هذا الكلام منه صدر على وجه التقية من ذلك الطاغوت الدوانيقي.

٢ـ في نسخة: حبوسك.

٣ـ العيبة: وعاء من أدَم يكون فيها المتاع (لسان العرب).

في القبّة، فأتيته بها فقال: أدخل يدك فيها ـ فكانت مملوّة غالية ـ وضعها في لحيته. وكانت بيضاء فاسودّت.

وقال: إحمله على فاره[1] من دوابّي التي أركبها، وأعطه عشرة آلاف درهم، وشيّعه إلى منزله مكرّماً، وخيّره ـ إذا أتيت به إلى المنزل ـ بين المقام عندنا فنكرمه والانصراف إلى مدينة جدّه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله).

فخرجنا من عنده وأنا مسرور فرحٌ بسلامة جعفر (عليه السّلام) ومتعجّب ممّا أراد المنصور، وماصارإليه من أمره.

فلما صرنا في الصحن قلت له: يابن رسول اللّه إني لأعجب مما عمد إليه هذا في بابك، وما أصارك اللّه إليه من كفايته ودفاعه، ولاعجب من أمر اللّه (عزّوجلّ)، وقد سمعتك تدعو عقيب الركعتين بدعاء لم أدر ما هو، إلاّ أنه طويل، ورأيتك قد حرّكت شفتيك هاهنا ـ أعني الصحن ـ بشيء لم أدر ماهو.

فقال لي: أمّا الأوّل فدعاء الكرب والشدائد لم أدع به على أحد قبل يومئذ، جعلته عوضاً من دعاء كثير أدعو به إذا قضيت صلاتي، لأني لم أُترك أن أدعو ما كنت أدعو به[2].

وأمّا الذي حرّكت به شفتي فهو دعآء رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) يوم الأحزاب حدّثني به أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال:

١ـ دابّة فارهة أي نشيطة قويّة. (مجمع البحرين).

٢ـ أي ما أمهلني إبنك أن أدعو به.

لمّا كان يوم الأحزاب كانت المدينة كالإكليل[1] من جنود المشركين، وكانوا كما قال اللّه (عزّوجلّ): ﴿إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنّون باللّه الظّنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾[2]، فدعا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بهذا الدعاء، وكان أمير المؤمنين (صلوات اللّه عليه) يدعو به إذا أحزنه أمر، والدعاء:

«اللهمّ احرسني بعينك التي لاتنام. . . الى آخر الدعاء.

قال: فقلت: يابن رسول اللّه، لقد كثُر استحثاث[3] المنصور لي واستعجاله إيّاي وأنت تدعو بهذا الدعآء الطويل متمهّلاً كأنّك لم تخشه!؟.

قال: فقال لي: نعم، قد كنت أدعو به بعد صلاة الفجر، بدعآء لابدَّ منه، فأمّا الرَّكعتان فهما صلاة الغداة خفّفتهما ودعوت بذلك الدُّعاء بعدهما.

فقلت له: أما خفتَ أبا جعفر وقد أعدَّ لك ما أعدَّ؟!

قال: خيفةُ اللّه دون خيفته، وكان اللّه (عزّوجلّ) في صدري أعظم منه.

قال الربيع: كان في قلبي ما رأيت من المنصور ومن غضبه وحنقه[4] على جعفر ومن الجلالة له في ساعة ما لم أظنّه يكون في

١ـ الإكليل: شبه عصابة مُزيَّنة بالجوهر (أقرب الموارد) والمقصود أنّ المدينة كانت مطوّقة بالأعداء المحاربين مع خيولهم ورماحهم وسيوفهم.

٢ـ سورة الاحزاب آية ١٠ و١١.

٣ـ الإستحثاث: الطّلب السريع المتعاقب.

٤ـ في بحار الأنوار: وخيفته.

بشر، فلمّا وجدت منه خلوة، وطيب نفس، قلت: يا أمير المؤمنين رأيتُ منك عجباً.

قال: ما هو؟

قلت: يا أمير المؤمنين رأيت غضَبك على جعفر غضباً لم أرك غضبته على أحد قطّ، ولا على عبداللّه بن الحسن ولا على غيره من كلِّ الناس، حتّى بلغ بك الأمر أن تقتله بالسيف، وحتى أنك أخرجت من سيفك شبراً ثم أغمدته، ثمَّ عاتبته، ثمّ أخرجت منه ذراعاً، ثمّ عاتبته ثم أخرجته كلّه إلاّ شيئاً يسيراً، فلم أشكّ في قتلك له، ثم انحلّ[1] ذلك كلّه، فعاد رضى، حتى أمرتني فسوّدتُ لحيته بالغالية الّتي لايتغلّف[2] منها إلاّ أنت، ولايغلّف منها ولدك المهدي، ولامَن ولّيته عهدك، ولاعمومتك، وأجزته وحَملته وأمرتني بتشييعه مُكرَّماً!

فقال: ويحك ياربيع، ليس هو ممّا ينبغي أن يحدَّث به، وستره أولى، ولاأُحبُّ أن يبلغ ولد فاطمة (عليها السّلام) فيفخرون ويتيهون[3] بذلك علينا، حَسْبنا ما نحن فيه، ولكن لا أكتمك شيئاً، انظر من في الدار فنحّهم.

قال: فنحّيت كلَّ من في الدار.

ثمّ قال لي: ارجع ولاتُبق أحداً، ففعلت، ثمّ قال لي: ليس إلاّ أنا وأنت، واللّه لئن سمعتُ ما ألقيتهُ إليك من أحد لأقتلنّك وولدك وأهلك أجمعين، ولآخذنَّ مالك.

١ـ في بحار الأنوار: ثم انجلى.

٢ـ تغلّف بالطيب: إذا لطّخ لحيته به وأكثر منه (مجمع البحرين).

٣ـ تاه: أي تكبَّر (مجمع البحرين) ويتيهون: يتكبّرون.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين أُعيذك باللّه.

قال: ياربيع قد كنتُ مصراً على قتل جعفر، ولاأسمع له قولاً، ولا أقبل له عذراً، وكان أمره ـ وإن كان ممّن لايخرج بسيف ـ أغلظ عندي وأهمَّ عليَّ من أمر عبداللّه بن الحسن[1]، وقد كنتُ أعلم هذا منه ومن آبائه على عهد بني أُميّة، فلمّا هممت به في المرّة الأُولى تمثَّل لي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) فإذا هو حائل بيني وبينه، باسط كفّيه، حاسر عن ذراعيه قد عبّس وقطَّب في وجهي، فصرفت وجهي عنه، ثمَّ هممتُ به في المرَّة الثانية وانتضيت من السيّف أكثر ممّا انتضيت منه في المرَّة الأُولى فإذا أنا برسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) قد قرب منّي ودنا شديداً وهمَّ بي أن لو فعلتُ لفعل، فأمسكت ثمَّ تجاسرت وقلت: هذا بعض أفعال الرئي[2]، ثمّ انتضيتُ السيف في الثالثة فتمثَّل لي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) باسطاً ذراعيه، قد تشمَّر واحمرَّ وعبّس وقطّب حتّى كاد أن يضع يده عليَّ فخفت واللّه لوفعلت لفعل، وكان منّي ما رأيت، وهؤلاء من بني فاطمة (صلوات اللّه عليهم) ولايجهل حقّهم إلاّ جاهل لاحظّ له في الشريعة، فإيّاك أن يسمع هذا منك أحد.

قال محمد بن الربيع: فما حدَّثني به أبي حتّى مات المنصور، وما حدَّثت أنا به حتّى مات المهدي، وموسى، وهارون وقُتل محمّد [الامين][3].

١ـ أي بالرغم من إعتزال الإمام عن السياسة وسكوته فهو أعظم خطراً من عبداللّه بن الحسن ونهضته.

٢ـ الرّئي: الجنّي يراه الانسان (لسان العرب).

٣ـ مهج الدعوات: ص١٩٢. منه بحار الأنوار: ج٩٤ ص٢٨٨.

أيّها القارئ الكريم: هذه المعجزات والقضايا الغيبيّة كان يراها المنصور بعينيه، فلايهتدي الى الحق ولايؤوب الى رُشده ولايتوب من ذنبه. . ولئن هَدَأ قليلاً فانما كان خوفاً على نفسه وحياته وكرسيِّه. . ثم يعود الى نواياه السيّئة. .

وقد روي أنه استدعى الامام الصادق (عليه السّلام) للمرَّة السابعة أيضاً، كما تقرأ ذلك في الحديث الآتي:

رُوي عن محمد بن عبدالله الإسكندري أنه قال: كنتُ من جُملة نُدَماء أمير المؤمنين!! المنصور أبي جعفر، وخواصّه، وكنتُ صاحب سِرِّه من بين الجميع.

فدخلتُ عليه يوماً فرأيته مُغتمّاً، وهو يتنفَّس نَفَساً بارداً، فقلت: ما هذه الفكرة يا أمير المؤمنين!!؟

فقال لي: يامحمد! لقد هَلَكَ من أولاد فاطمة مقدار مائة أو يزيدون، وقد بقي سيِّدهم وإمامُهم.

فقلت له: مَن ذلك؟

قال: جعفر بن محمد الصادق.

فقلت له: يا أمير المؤمنين! إنه رجُل أنحلَته العبادة، واشتغل بالله عن طلب الملك والخلافة.

فقال: يامحمد! وقد علمتُ أنك تقول به وبإمامته، ولكنّ المُلك عقيم، وقد آليتُ على نفسي أن لاأُمسي عشيَّتي هذه أو أفرغ منه!!

قال محمد: والله لقد ضاقت عَلَيَّ الأرض بِرُحبِها.

ثم دعا سيّافاً وقال له:

إذا أنا أحضرتُ أبا عبدالله الصادق، وشغلتُه بالحديث،

ووضعتُ قلنسوتي عن رأسي فهو العلامة بيني وبينك، فاضرب عُنقه!!.

ثم أحضَرَ أبا عبدالله (عليه السّلام) في تلك الساعة، ولحقتُه في الدار، وهو يُحرِّك شفتيه فلم أدرِ ما هو الذي قرأ؟

فرأيتُ القصر يموج كأنه سفينة في لجج البحار، فرأيت أبا جعفر المنصور، وهو يمشي بين يديه (عليه السّلام) حافي القَدَمين، مكشوف الرأس، قد اصطُكَّت أسنانه، وارتعدت فرائصه، يحمرُّ ساعة ويصفرُّ أُخرى، وأخذ بِعَضُد أبي عبدالله الصادق (عليه السّلام) وأجلسه على سرير مُلكه، وجثا[1] بين يديه، كما يجثو العبد بين يدي مولاه، ثم قال له: يابن رسول الله! ما الذي جاء بك في هذه الساعة؟...

ما دعوتُك! والغَلَط من الرسول!

ثم قال: سَل حاجتك.

فقال: أسألك أن لاتدعُوَني لغير شغل.

قال: لك ذلك، وغير ذلك!

ثم انصرف أبو عبدالله (عليه السّلام) سريعاً، وحمدتُ الله (عزّوجلّ) كثيراً.

ودعا أبو جعفر المنصور بالروايح[2] ونام، ولم ينتبه إلاّ في نصف الليل، فلما انتبه كنت عند رأسه جالساً، فسرَّه ذلك، وقال لي: لاتخرج حتى أقضي ما فاتني من صلاتي!! فأُحدِّثك بحديث.

١ـ جَثَا الرجل: جلس على ركبته أو قام على أطراف أصابعه. (اقرب الموارد).

٢ـ في بحار الأنوار: الدواويج: جمع دُوّاج على وزن رمّان وهو اللحاف الذي يلبس (أقرب الموارد).

فلمّا قضى صلاته أقبل عَلَيَّ وقال لي :

لمّا أحضرتُ أبا عبدالله الصادق، وهممتُ به ما هممتُ من السوء، رأيتُ تِنّيناً[1] قد حوى بِذَنبه جميع داري وقصري، وقد وضع شفتيه : العُليا في أعلاها، والسُفلى في أسفلها، وهو يكلّمني بِلسان طَلَقٍ ذَلَقٍ، عربيٍّ مبين : يا منصور! إن الله (تعالى جدّه)[2] قد بعثني إليكَ، وأمرني إن أنت أحدثت في أبي عبدالله الصادق حَدَثاً فأنا أبتلعك ومَن في دارك جميعاً.

فطاشَ عقلي، وارتعدت فرائصي، واصطكّت أسناني.

قال محمد بن الإسكندري : قلتُ له : ليس هذا بعجيب يا أمير المؤمنين!! فإنّ أبا عبدالله وارث علم النبي (عليه السّلام) وجدّه أمير المؤمنين (عليه السّلام) وعنده من الأسماء، وسائر الدعوات التي لو قرأها على الليل لأنارَ، ولو قرأها على النهار لأظلَمَ، ولو قرأها على الأمواج في البحور لَسَكَنَت.

قال محمد : فقلت له ـ بعد أيام ـ : أتأذن لي يا أمير المؤمنين!! أن أخرج إلى زيارة أبي عبدالله الصادق(عليه السّلام)! فأجابَ، ولم يأبَ.

فدخلتُ على أبي عبدالله (عليه السّلام) وسلّمتُ وقلتُ له : أسألك ـ يامولاي ـ بحق جدّك محمد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أن تُعلِّمني الدعاء الذي كنتَ تقرؤه عند دخولك على أبي جعفر المنصور.

١ـ التِّنين : الحيّة العظيمة (أقرب الموارد).

٢ـ الجَدُّ ـ هنا ـ : العظمة، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي عظمته (أقرب الموارد).

قال: لك ذلك.

ثم قال لي: يامحمد! هذا الدعاء حِرز جليل، ودعاء عظيم، حفظته عن آبائي الكرام (عليهم السّلام) وهو حرز مستخرج من كتاب اللّه العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد. . .» إلى آخر الحديث[١].

وعن رزام بن مسلم مولى خالد بن عبداللّه القسري قال: إن المنصور قال لحاجبه: إذا دخل عليّ جعفر بن محمد فاقتله، قبل أن يصل إليّ، فدخل أبو عبداللّه (عليه السّلام) فجلس، فأرسل إلى الحاجب فدعاه، فنظر إليه وجعفر (عليه السّلام) قاعد [عنده] قال: ثمّ قال له: عُد إلى مكانك، قال: وأقبل يضرب يده على يده، فلما قام أبو عبداللّه(عليه السّلام) وخرج دعا حاجبه، فقال: بأيّ شيء أمرتك؟

قال: لاواللّه ما رأيته حين دخل، ولاحين خرج، ولارأيته إلاّ وهو قاعد عندك[٢].

وعن علي بن ميسر قال: لمّا قدمَ أبو عبداللّه (عليه السّلام) على أبي جعفر [المنصور] أقام أبو جعفر مولىً له على رأسه وقال له: إذا دخل عَلَيّ فاضرب عنقه.

فلما دخل أبو عبداللّه (عليه السّلام) نظر إلى أبي جعفر، وأسرَّ شيئاً فيما بينه وبين نفسه، لايُدرى ماهو ثم أظهر: «يامن يكفي خلقه كلّهم، ولايكفيه أحد، إكفني شرَّ عبداللّه بن علي».

قال: فصار أبو جعفر لايُبصر مولاه، وصار مولاه لايبصره، فقال

١ـ مُهج الدعوات: ص٢٠١ . منه بحار الأنوار: ج٩٤ ص٢٩٨ .

٢ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٩١ . منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٨٣ .

أبو جعفر: ياجعفر بن محمّد! لقد عَيَّيتُك![1] في هذا الحَرّ، فانصرِف.

فخرج أبو عبداللّه (عليه السّلام) من عنده.

فقال أبو جعفر ـ لمولاه ـ: ما منعك أن تفعل ما أمرتك به؟

فقال: لا واللّه ما أبصرتُه، ولقد جاء شيء فَحالَ بيني وبينه.

فقال له أبو جعفر: «واللّه! لئن حدَّثت بهذا الحديث أحداً لأقتلنّك»[2].

وعن الامام علي بن موسى بن جعفر بن محمد عن أبيه (عليهم السّلام) قال: أرسل أبو جعفر الدوانيقي إلى جعفر بن محمد (عليهما السّلام) ليقتله وطرح له سيفاً ونطعاً وقال للربيع: إذا أنا كلّمته ثمَّ ضربت بإحدى يديّ على الأخرى، فاضرب عنقه.

فلمّا دخل جعفر بن محمد (عليهما السّلام) ونظر إليه من بعيد (فحرّك ـ خ ل) يحرّك شفتيه وأبو جعفر على فراشه، قال: مرحباً وأهلاً بك يا أبا عبداللّه، ما أرسلنا إليك إلاّ رجاء أن نقضي دينك، ونقضي ذمامك[3].

ثمَّ ساءَله مساءلة لطيفة عن أهل بيته، وقال: قد قضى اللّه دَينك، وأخرج جائزتك.

ياربيع! لاتمضينَّ ثالثة حتى يرجع جعفر إلى أهله.

فلما خرج قال له الربيع: يا أبا عبداللّه أرأيت السيف؟ إنّما كان وُضع لك، والنطع، فأيُّ شيء رأيتك تحرِّك به شفتيك؟

١ـ أي أتعبتك.

٢ـ الكافي: ج٢ ص٥٥٩ ح١٢.

٣ـ الذمام: الحق والحرمة، لأنّ نقضه يوجب الذم. (أقرب الموارد).

قال جعفر (عليه السّلام): نعم يا ربيع، لمّا رأيتُ الشرَّ في وجهه، قلت: «حسبي الرَّبُّ من المربوبين، وحسبي الخالق من المخلوقين، وحسبي الرازقُ من المرزوقين، وحسبي اللّه ربُّ العالمين حسبي من هو حسبي، حسبي من لم يزل حسبي، حسبي اللّه لا إله إلاّ هو، عليه توكّلت، وهو ربُّ العرش العظيم»[1].

وعن عنبسة بن مصعب قال: سمعت أبا عبداللّه (عليه السّلام) يقول: أشكو إلى اللّه (عزّوجلّ) وحدتي وتقلقلي[2] بين أهل المدينة حتى تَقْدموا وأراكم وآنس بكم، فليت هذه الطاغية أذن لي فأتّخذ قصراً في الطائف فسكنتُه وأسكنتكم معي وأُضمن له أن لايجيىء من ناحيتنا مكروه أبداً[3].

وقال الامام الصادق (عليه السّلام): قال لي رجلٌ: أيَّ شيءٍ قلتَ حين دخلتَ على أبي جعفر[4] بالرّبذة.

قال: قُلتُ: «اللّهم إنّك تكفي من كل شيء ولايكفي منك شيء فاكفني بما شئت وكيف شئت ومن حيث شئت وأنّى شئت»[5].

وروي عن جعفر بن محمد (عليه السّلام) قال: لمّا دُفعت إلى أبي جعفر المنصور، انتهرني وكلّمني بكلام غليظ ثمّ قال لي: يا جعفر

١ـ عيون أخبار الرضا: ج١ ص٣٠٤ ح٦٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٦٢ مع اختلاف يسير.

٢ـ التقلقل: الحركة والإضطراب (لسان العرب) وفي بعض النسخ: تقلقي، والقلق: الإنزعاج (لسان العرب).

٣ـ الكافي: ج٨ ص٢١٥ ح٢٦١.

٤ـ المقصود بأبي جعفر: المنصور الدوانيقي.

٥ـ الكافي: ج٢ ص٥٥٩ ح١١.

قد علمتُ بفعل محمّد بن عبدالله الذي تسمونه[١] النفس الزكيّة وما نزل به، وإنّما أنتظر الآن أن يتحرّك منكم أحد فأُلحق الكبير بالصغير.

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين حدَّثني محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن الحسين بن عليّ، عن عليّ بن أبي طالب (عليهم السّلام) أن النبي (صلّى الله عليه وآله) قال: إنّ الرجل ليصل رحمه وقد بقى من عمره ثلاث سنين فيمدّها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيبترها الله تعالى إلى ثلاث سنين.

قال: فقال لي: والله لقد سمعت هذا من أبيك؟

قلت: نعم. حتّى ردّدها عليَّ ثلاثاً، ثمّ قال: انصرف[٢].

وروي عن الأعمش أن المنصور حيث طلبه، فتطهّر وتكفّن وتحنّط، قال له: حدّثني بحديث سمعته أنا وأنت من جعفر بن محمد في بني حمان.

قال: قلت له: أي الأحاديث؟

قال: حديث أركان جهنّم.

قال: قلت: أو تعفيني؟

قال: ليس إلى ذلك سبيل.

قال: قلت: حدّثنا جعفر بن محمد عن آبائه (عليهم السّلام) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: لجهنّم سبعة أبواب، وهي الأركان، لسبعة فراعنة.

١ـ في بحار الأنوار: يسمّونه.

٢ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٠٦.

ثمّ ذكر الأعمش: نمرود بن كنعان ـ فرعون الخليل ـ ومصعب بن الوليد ـ فرعون موسى ـ وأبا جهل بن هشام، والأوّل، والثاني، والسادس يزيد قاتل ولدي، ثمّ سكت.

فقال لي: الفرعون السابع؟

قلت: رجل من وُلد العباس يلي الخلافة، يُلقَّب بالدوانيقي اسمه المنصور!!

قال: فقال لي: صدقتَ، هكذا حدّثنا جعفر بن محمد.

قال: فرفع رأسه، وإذا على رأسه غلام أمرد، ما رأيت أحسن وجهاً منه، فقال: إن كنتُ أحد أبواب جهنّم، فَلِمَ استبقي هذا؟ وكان الغلام عَلويّاً حُسينيّاً، فقال له الغلام: سألتك يا أمير المؤمنين بحقِّ آبائي إلاّ عفوت عنّي، فأبى ذلك.

وأمر المرزبان به، فلمّا مدّ يده، حرّك شفتيه بكلام لم أعلمه، فإذا هو كأنّه طير قد طار منه.

قال الأعمش: فمرّ عليّ بعد أيّام فقلت: أقسمتُ عليك بحقِّ أمير المؤمنين لمّا علّمتني الكلام.

فقال: ذاك دعاء المحنة لنا أهل البيت، وهو الّذي دعا به أمير المؤمنين (عليه السّلام) لمّا نام على فراش رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله)، ثمّ ذكر الدعآء.

قال الأعمش: وأمر المنصور في رجل بأمر غليظ فجلس في بيت لينفّذ فيه أمره، ثمّ فتح عنه فلم يوجد، فقال المنصور: أسمعتموه يقول شيئاً؟

فقال الموكّل: سمعته يقول: «يا من لا إله غيرهُ فأدعوه، ولا ربّ

سواه فأرجوه نجّني الساعة».

فقال: واللّه لقد استغاث بكريم فنجّاه[1].

وعن عبداللّه بن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: حجّ المنصور سنة سبع وأربعين ومائة، فقدم المدينة وقال للربيع: ابعث إلى جعفر ابن محمد من يأتينا به مُتْعَباً، قَتَلَني اللّه إن لم أقتله.

فتغافل الربيع عنه لينساه، ثمّ أعاد ذكره للربيع، وقال: ابعث من يأتينا به متعباً، فتغافل عنه.

ثمّ أرسل إلى الربيع رسالة قبيحة أغلظ [عليه][2] فيها، وأمره أن يبعث من يحضر جعفراً، ففعل.

فلمّا أتاه قال له الربيع: يا أبا عبداللّه أُذكر اللّه فإنّه قد أرسل إليك بما لا دافع له غير اللّه.

فقال جعفر: لاحول ولاقوّة إلاّ باللّه.

ثمّ إنّ الربيع أعلم المنصور بحضوره، فلمّا دخل جعفر عليه أوعده وأغلظ له، وقال: أي عدوّ اللّه!! اتّخذك أهل العراق إماماً يَجْبون[3] إليك زكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني، وتبغيه الغوائل! قتلني اللّه إن لم أقتلك.

فقال له: يا أمير المؤمنين إنّ سليمان أُعطي فَشَكر، وإنّ أيّوب ابتُلي فصبر، وإن يوسف ظُلم فغَفر، وأنت من ذلك السِنْخ[4].

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٠٩ ح٢٩.

٢ـ هذه الزيادة وردت في بحار الأنوار.

٣ـ في بحار الأنوار: يبعثون.

٤ـ **أقول:** هذه الجملة ليست مدحاً للمنصور الدوانيقي ابداً، بل معناها ان الحاكم المقتدر عليه ان يتحلّى بالصبر والعفو عن مخالفيه.

فلمّا سمع ذلك المنصور منه قال له: إليّ وعندي يا أبا عبدالله، أنت البريء السّاحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جزى ذوي الأرحام عن أرحامهم، ثمّ تناول يده فأجلسه معه على فراشه، ثمّ قال: عليّ بالطيب فأتي بالغالية فجعل يغلّف لحية جعفر (عليه السّلام) بيده[1] حتّى تركها تقطر.

ثمّ قال: قم في حفظ الله وكلاءته.

ثمّ قال: ياربيع ألحق أبا عبدالله جائزته وكِسْوته. انصرف أبا عبدالله في حِفظه وكَنَفه فانصرف.

قال الربيع: ولحَقته فقلت له: إني قد رأيت قبلك ما لم تره، ورأيتُ بعدك ما لارأيته، فما قلتَ يا أبا عبدالله حين دخلت؟

قال: قلت: «اللّهم احرسني بعينك الّتي لاتنام، واكنفني بركنك الّذي لايرام، واغفر لي بقدرتك عليّ ولاأهلك وأنت رجائي، اللّهم أنت أكبر وأجلُّ ممّا أخاف وأحذر، اللّهم بك أدفع في نَحره وأستعيذ بك من شرّه» ففعل الله بي ما رأيت[2].

وعن كتاب كنز الفوائد للكراجكي قال: جاء في الحديث أنّ أبا جعفر المنصور خرج في يوم جمعة متوكّئاً على يد الصادق جعفر بن محمد (عليه السّلام) فقال رجل يقال له رزّام مولى خالد بن عبدالله: مَن هذا الّذي بلغ من خَطره ما يعتمد أمير المؤمنين على يده؟

١ـ الغالية: نوع من الطِّيب مركّب من مِسْك وعنبر وعود ودهن. والتغلّف بها: التلطّخ (النهاية).

٢ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٥٨و١٥٩. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٨٢. وذكره الأندلسي في «العقد الفريد» والاصفهاني في« الترغيب والترهيب».

فقيل له: هذا جعفر بن محمّد الصادق (صلّى اللّه عليه).

فقال: إنّي واللّه ما علمتُ، لوددتُ أنّ خدّ أبي جعفر نعل لجعفر.

ثمّ قام فوقف بين يدي المنصور، فقال له: أسأل يا أمير المؤمنين؟

فقال المنصور: سل هذا.

فقال: إني أُريدك بالسؤال.

فقال له المنصور: سل هذا.

فالتفت رزّام إلى الإمام جعفر بن محمّد (عليه السّلام) فقال: أخبرني عن الصّلاة وحدودها.

فقال له الصّادق (عليه السّلام): للصّلاة أربعة آلاف حدّ لستَ تؤاخذ بها.

فقال: أخبرني بما لايحلُّ تركه، ولاتتمُّ الصلاة إلاّ به؟

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): «لاتتمُّ الصّلاة إلاّ لذي طُهر سابغ، وتمامٍ بالغ، غير نازع، ولازائغ[1]، عَرفَ فَوقَف، وأخبتَ فثَبت، فهو واقف بين اليأس والطمع والصّبر والجزع، كأنّ الوعد لهُ صنُع، والوعيدَ به وَقع، بَذلَ غَرضَه، تمثّل عرضه[2]، وبَذلَ في اللّه المهجة، وتَنكَّب إليه المَحجّة، غير مُرتعمٍ بارتعام[3]، يقطع علائق الاهتمام بعين من له قصَد، وإليه وَفَد، ومنه اُسترفَد.

فإذا أتى بذلك كانت هي الصلاة التي بها أمر، وعنها أُخبر، فإنّها

١ـ الزيغ: الميل (أقرب الموارد).

٢ـ في بحار الأنوار: غرضه.

٣ـ الرَعام: حِدّة النظر. رَعَم الشيء: رقبه ورعاه (أقرب الموارد).

هي الصّلاة الّتي تنهى عن الفحشاء والمنكر».

فالتفت المنصور إلى أبي عبدالله (عليه السّلام) فقال: يا أبا عبدالله لانزال من بَحرك نَغترف وإليك نَزدلف[1]، تُبصِّر من العَمى، وتجلو بنورك الطخياء[2]، فنحن نعوم في سبحات قدسك وطامي[3] بَحرك[4].

وكتب المنصور إلى جعفر بن محمد (عليهما السّلام):

لِمَ لاتغشانا كما يغشانا سائر الناس؟.

فأجابه: «ليس لنا ما نخافك من أجله، ولاعندك من أمر الآخرة مانرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنئك، ولاتراها نقمةً فَنُعزِّيك بها، فما نصنع عندك؟».

قال: فكتب [المنصور] إليه: تَصحبنا لتنصحنا.

فأجابه (عليه السّلام): «من أراد الدنيا لاينصحك، ومن أراد الآخرة لايصحبك».

فقال المنصور: والله لقد ميَّز عندي منازل الناس، مَن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة وإنّه ممن يريد الآخرة، لا الدنيا[5].

أقول: الظاهر أن هذه المراسلة والمكاتبة بين الامام الصادق (عليه السّلام) والطاغية كانت في بداية حكم المنصور وقبل أن يستفحل امره

١ـ ازدلف: تقدَّم وتقرّب (أقرب الموارد).

٢ـ الطخياء: الليلة المظلمة (أقرب الموارد).

٣ـ طما البحر: امتلأ (أقرب الموارد).

٤ـ فلاح السائل: ص٢٣. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٨٥.

٥ـ كشف الغمّة: ج٢ ص٢٠٨. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٨٤.

ويُغويه جبروتُه ويُسكره طغيانه، حيث كان للامام (عليه السّلام) بعض الحريّة في عدم التقيّة منه.

وعن الربيع صاحب المنصور قال:

قال المنصور يوماً لأبي عبداللّه (عليه السّلام) ـ وقد وقع على المنصور ذبابٌ فَذَبَّه عنه، ثمَّ وقع عليه فذبَّه عنه، ثم وقع عليه فذبّه عنه ـ فقال: يا أبا عبداللّه! لأيّ شيء خَلق اللّه (عزّوجلّ) الذباب؟

قال [الامام]: لِيُذلَّ به الجبّارين!![1].

وقال له أبو جعفر المنصور: إني قد عزمتُ على أن أخرّب المدينة، ولاأدَع بها نافخ ضرمة[2].

فقال [الامام]: يا أمير المؤمنين!! لاأجِد بُدّاً من النصاحة لك، فاقبلها إن شئتَ أولا.

قال: قل.

قال: إنّه قد مضى لك ثلاثة أسلاف: أيوب إبتُلي فصبر، وسليمان أُعطي فشكر، ويوسف قَدَرَ فغفر، فاقتدِ بأيِّهم شئت.

قال: قد عفوت!!

وقيل له (عليه السّلام): إن أبا جعفر المنصور لايلبس ـ منذ صارت الخلافة إليه ـ إلا الخشن، ولا يأكل إلاّ الجشب[3].

فقال: ياويحَه! مع ما قد مكَّن اللّه له من السلطان، وجُبيَ إليه من الأموال؟!

١ـ علل الشرايع: ص٤٩٦ ح١. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٦٦.

٢ـ الضرمة: النار (أقرب الموارد) أي لا أدَعُ بها أحداً.

٣ـ الجشب من الطعام: الغليظ الخشن (مجمع البحرين).

فقيل له: إنّما يفعل ذلك بُخلاً، وجمعاً للأموال.

فقال: الحمد للّه الذي حَرَمه من دنياه ما لَه ترك دينه[1].

وعن عبداللّه بن أبي ليلى قال: كنت بالرّبذة مع المنصور، وكان قد وجَّه إلى أبي عبداللّه (عليه السّلام) فأُتي به، وبعث إليَّ المنصور فدعاني، فلما انتهيت الى الباب سمعته [المنصور] يقول:

«عَجِّلوا عَلَيَّ به، قتلني اللّه إن لم أقتله!! سقى اللّه الأرض من دمي إن لم أسقِ الأرض من دمه» فسألت الحاجب: مَن يعني؟

قال: جعفر بن محمد.

فإذا هو قد أُتي به مع عدَّة جلاوزة، فلما انتهى الى الباب ـ قبل أن يُرفَع الستر ـ رأيته قد تململتْ شفتاه عند رفع الستر، فدخل.

فلما نظر إليه المنصور قال: مرحباً يابن عمّ! مرحباً يابن رسول اللّه!!

فما زال يرفعه حتى أجلسه على وسادته، ثم دعا بالطعام، فرفعت رأسي، وأقبلت أنظر اليه ويُلقمه جَدياً[2] بارداً، وقضى حوائجه، وأمره بالإنصراف.

فلمّا خرج قلت له: «قد عرفتَ موالاتي لك، وما قد إبتليتُ به في دخولي عليهم، وقد سمعتُ كلام الرجل [المنصور] وما كان يقول، فلما صِرتَ إلى الباب رأيتك قد تململت شفتاك، وما أشكُّ أنه

١ـ كشف الغمة: ج٢ ص٢٠٣. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٨٤. ومعنى كلام الامام (عليه السّلام): ان المنصور ترك دينه من أجل الاستمتاع بملذّات الدنيا ـ ومنها في المأكل والملبس ـ ولكنه حرم نفسه من هذه اللذّة بدافع البخل والحرص على المال.

٢ـ الجدي: هو الذكر من أولاد المعز (مجمع البحرين). أي لحم الجدي.

شيء قلتَه، ورأيت ما صنع بك، فإن رأيت أن تُعلِّمني ذلك فأقوله إذا دخلتُ عليه».

قال: نعم، قلتُ: «ما شاء اللّه، ما شاء اللّه، لايأتي بالخير إلاّ اللّه، ما شاء اللّه، ما شاء اللّه، لايصرف السوءَ إلاّ اللّه، ما شاء اللّه، ما شاء اللّه، كلُّ نعمةٍ فمن اللّه، ما شاء اللّه، ما شاء اللّه لاحول ولاقوّة إلاّ باللّه»[1].

مناقب آل أبي طالب: قال الربيع الحاجب: أخبرت الصادق بقول المنصور: «لأقتلنّك، ولأقتلنّ أهلك حتى لاأُبقي على الأرض مَنكم قامة سوط[2] ولأُخربنّ المدينة حتى لاأترك فيها جداراً قائماً».

فقال [الامام]: لاترع من كلامه، ودَعه من طغيانه، فلمّا صار بين السترَين سمعتُ المنصور يقول: أدخلوه إليَّ سريعاً، فأدخلته عليه فقال [المنصور]:

«مرحباً بابن العمّ النسيب، وبالسيّد القريب» ثم أخذ بيده، وأجلسه على سريره، وأقبل عليه، ثم قال: أتدري لِمَ بعثتُ إليك؟

فقال: وأنّى لي علم الغيب؟

قال: أرسلت إليك لتفرّق هذه الدنانير في أهلك، وهي عشرة آلاف دينار.

فقال [الامام]: وَلِّها غيري.

فقال: أقسمتُ عليك يا أبا عبداللّه. لتفرِّقها على فقراء أهلك.

ثم عانقه بيده، وأجازه وخلع عليه، وقال: ياربيع أصحِبه قوماً يردّونه الى المدينة.

١ـ كشف الغمّة: ج٢ ص١٩٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٨٣.

٢ـ اي مَن طولُه طول السوط.

قال [الربيع]: فلمّا خرج أبو عبدالله قلت له (أي للمنصور): يا أمير المؤمنين! لقد كنتَ من أشدِّ الناس عليه غيظاً، فما الذي أرضاك عنه؟.

قال: ياربيع! لما حضرت الباب رأيت تنِّيناً عظيماً يقرض أنيابه، وهو يقول ـ بألسنَة الآدميين ـ: إن أنت أشَكتَ[1] إبن رسول الله لأفصلنَّ لحمك من عظمك، فأفزعني ذلك، وفعلتُ به ما رأيت[2].

وعن بشير النبّال قال: كنتُ على الصَّفا وأبو عبدالله (عليه السّلام) قائم عليها، إذ انحدر وانحدرتُ في أثره.

قال: وأقبل أبو الدوانيق على جمازته[3] ومعه جُنده على خيل وعلى إبل، فزحموا أبا عبدالله (عليه السّلام) حتى خِفتُ عليه (عليه السّلام) مِن خيلهم، فأقبلتُ اقيه بنفسي واكون بينهم وبينه بيدي.

قال: فقلت في نفسي: يارب عبدُك وخير خَلقك في أرضك، وهؤلاء شرٌّ من الكلاب، قد كانوا يعتنونه.

قال: فالتفت اليَّ وقال: يابشير.

قلت: لبيك.

قال: إرفع طرفك لتنظر.

قال: فاذا ـ والله ـ واقية من الله أعظم ممّا عسيتُ أنْ اَصفه.

قال: فقال: يابشير إنّا أُعطينا ما ترى، ولكنّا أُمرنا أنْ نصبرَ فصبرنا[4].

١ـ أشكتَ: أي أدخلت الشَوك في جسده. مبالغة في ايصال الأذى.

٢ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٣١. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٧٨.

٣ـ الجمّاز: البعير الذي يركبه المجمِّز (أقرب الموارد).

٤ـ مستدرك الوسائل: ج٩ ص٤٥٢.

المنصور الدوانيقي
يقتل ذريَّة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله)

لقد بَذلَ المنصور السفّاك قُصارى جُهده من أجل القضاء على ذريَّة رسول اللّه وأولاد الامامين الحسن والحسين (عليهما الصلاة والسلام).

وقد ادّى ذلك الى تشرُّد العلويِّين وانتشارهم في البلاد واختفائهم في البراري والجبال. . عدا الذين ظفر بهم وقضى عليهم.

وإليك بعض التفصيل:

عن أبي منصور المطرِّز قال: سمعتُ الحاكم أبا أحمد محمد بن محمد بن اسحاق الأنماطي النيسابوري يقول ـ باسناد متّصل ذكره محمد ـ: أنه لّما بنى المنصور الأبنية ببغداد جعل يطلب العَلويَّة طلباً شديداً ويجعل مَن ظَفر به منهم في الاسطوانات المجوَّفة المبنيَّة من الجصّ والآجر.

فظفر ذات يوم بغلام منهم حَسَن الوجه، عليه شَعر أسود، من

وُلد الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السّلام) فسلّمه الى البنّاء الذي كان يبني له، وأَمَره أن يجعله في جوف اسطوانة ويبني عليه، ووكّل به من ثقاته من يراعي ذلك، حتى يجعله في جوف اسطوانة بمشهده.

فجعله البنّاء في جوف أسطوانة، فدخلتْه رقّة عليه ورحمة له، فترك في الاسطوانة فُرجة يدخل منها الرَّوح[1] وقال للغلام: لابأس عليك، فاصبر فاني سأُخرجك من جوف هذه الاسطوانة اذا جنّ الليل.

ولمّا جنّ الليل جاء البنّاء في ظلمته وأخرج ذلك العَلوي من جوف تلك الأسطوانة وقال له: إتّق اللّه في دمي ودم الفَعَلة الذين معي، وغيّب شخصك، فانّي إنّما اخرجتُك في ظلمة هذه الليلة من جوف هذه الأسطوانة لأنّي خفتُ ـ إنْ تركتك في جوفها ـ أن يكون جدُّك رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يوم القيامة خَصمي بين يدَي اللّه عزّوجلّ.

ثم أخذ شَعره بآلات الجصّاصين كلّما امكن وقال له: غيِّبْ شخصك وانْجُ بنفسك ولاترجع الى أُمّك.

قال الغلام: فانْ كان هذا هكذا فعرِّف أُمّي أنّي قد نجوتُ وهربتُ، لتطيبَ نفسُها ويقِلَّ جَزعها وبكاؤها، انْلم يكن لعَودي اليها وجه.

فهَرب الغلام، ولايُدرى أين قصَد من أرض اللّه، ولا الى أيِّ بلد وقع.

١ـ الرَّوح: نسيم الرّيح (أقرب الموارد).

قـال ذلك البنّاء: وقـد كـان الغـلام عـرَّفني مكان أُمِّه وأعطاني العَلامة، فانتهيتُ اليها في الموضع الذي كان دلَّني عليه، فسمعتُ دَويّاً كدويِّ النَحل من البكاء، فعلمتُ أنها أُمُّه، فدنوتُ منها وعرَّفتُها خبر إبنها واعطيتُها شَعره، وانصرفت[1].

أيُّها القارئ الكريم: إنَّ قضيَّة هذا العَلويّ هي واحدة من مئات أو من آلاف القضايا المؤلمة التي تعرَّض لها ذريَّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على يد المنصور الطاغية وغيره من الطغاة والجبابرة الظالمين.

فهل هذا جزاء رسول الله في أهل بيته؟!!

وهل هذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودَّة في القُربى﴾؟!!

١ـ بحار الانوار: ج٤٧ ص٣٠٦.

المنصور يأمر باحراق دار الامام الصادق (عليه السّلام)

عن المفضَّل بن عمر، قال: وَجَّهَ أبو جعفر المنصور الى الحسن بن زيد ـ وهو واليهِ على الحرمين ـ أن احرِق على جعفر بن محمد داره.

فألقى النارَ في دار أبي عبداللّه فأخذَت النار في الباب والدهليز، فخرج أبو عبداللّه (عليه السّلام) يتخطّى النار، ويمشي فيها ويقول: «انا ابن أعراق الثرى، أنا ابن إبراهيم خليل اللّه»[1].

أيّها القارئ الكريم: كان الامام الصادق (عليه السّلام) يقتحم اَلسنة النار الملتهبة، ويمشي فيها ويُخمدها برجليه الكريمتين.. ويقول: أنا اَبن أعراق الثرى، أنا ابن ابراهيم خليل اللّه.

وكأنّه يقول لأولئك الطغاة: أنا من نسل تلك الأمجاد الشامخة والبطولات القاهرة والأنوار الزاهرة.. التي أراد الظالمون القضاء عليها.. فأبى اللّه عليهم ذلك.

أنا من نسل النبي ابراهيم الذي اراد طاغية زمانه إحراقه بالنّار

١ـ الكافي: ج١ ص٤٧٣ ح٢.

والقضـاء عليه، فقذَفه في النار لكي لايبقى منه أثر. . فجعل اللّه النارَ عليه بَرداً وسلاماً. . وبقي ابراهيم شامخ الرأس، يتحدّى الطغاة. .

أنا من ذريَّة ابراهيم. .

أنا ابن الجذور المتأصِّلة في التاريخ. .

أنا ابن الاصول الثابتة في الأرض.

أنا ابن الأمجاد المرتفعة في عُمق سماء العظمة.

وهيهات. . هيهات. . أن يستطيع المنصور ـ وغيره من الفراعنة ـ القضاء على حُجج اللّه على الخَلق.

هَيهات . . هيهات . . أن يُطفؤُا نورَ اللّه الذي أبى إلاّ أن يُتمَّه.

بل . . يبقى العظماء . . ويخسأ الظالمون.

يبقى الأبرار. . ويندحر الأشرار.

جاسوس المنصور في المدينة

عن صفوان بن يحيى، عن جعفر بن محمد بن الأشعث، قال: قال لي: أتدري ما كان سبب دخولنا في هذا الأمر، ومعرفتنا به ـ وما كان عندنا منه ذكر، ولامعرفة شيء ممّا عند الناس ـ ؟[1].

قال: قلت له: وما ذاك؟

قال: إن أبا جعفر ـ يعني أبا الدوانيق ـ قال لأبي ـ محمد بن الأشعث ـ: يا محمد! إبغ لي رجلاً له عقلٌ يؤدّي عنّي.

فقال له أبي: قد أصبتُه لك، هذا فلان بن مهاجر: خالي [أخو أُمّي].

قال: فأتني به، قال: فأتيته بِخالي.

فقال له أبو جعفر:

يابن مهاجر! خُذ هذا المال، وأت المدينة، وأت عبدالله بن الحسن بن الحسن، وعدَّة من أهل بيته، فيهم: جعفر بن محمد، فقل

١ـ أي سبب تشيّعنا، واعتناقنا مذهب أهل البيت بعد أن كنّا في غفلةٍ عنه.

لهم: إني رجل غريب من أهل خراسان، وبِها شيعة من شيعتكم وجّهوا إليكم بهذا المال.

وادفع إلى كل واحد منهم على شرط كذا وكذا، فإذا قبضوا المال، فقل: إني رسول، وأُحِبُّ أن يكون معي خطوطكم بِقبضكم ما قبضتم.

فأخذ المال، وأتى المدينة، فرجع إلى أبي الدوانيق ـ ومحمد بن الأشعث عنده ـ فقال له أبو الدوانيق: ماوراءك؟

قال: أتيت القوم، وهذه خطوطهم بِقبضهم المال، خلا جعفر بن محمد، فإنّي أتيته وهو يصلّي في مسجد الرسول (صلّى اللّه عليه وآله) فجلست خلفه، وقلت حتى ينصرف، فأذكر له ماذكرتُ لأصحابه، فعجَّل وانصرف، ثم التفت إليَّ فقال: ياهذا! إتَّق اللّه، ولاتَغُرَّ أهل بيت محمد، فإنّهم قريبوا العهد بِدولة بني مروان، وكلُّهم محتاج.

فقلت: وما ذاك؟ أصلحك اللّه.

قال: فأدنى رأسه منّي، وأخبَرني بجميع ما جرى بيني وبينك، حتى كأنّه كان ثالثنا.

قال: فقال له أبو جعفر [الدوانيقي]: يابن مهاجر! إعلم أنّه ليس من أهل بيت نبوَّة إلاّ وفيه مُحَدَّث، وإنّ جعفر بن محمد: مُحَدَّثنا اليوم وكانت هذه الدلالة سبب قولنا بهذه المقالة[1].

هذا.. وقد رُويت هذه الرواية بصورة اخرى وهي: عن مهاجر ابن عمّار الخزاعي، قال: بَعَثني أبو الدوانيق الى المدينة، وبَعَثَ معي

١ـ الكافي: ج١ ص٤٧٥ ح٦.

بمال كثير، وأمرني أن أتضرّع لأهل هذا البيت، وأتحفظ مقالتهم.

قال: فلزمتُ الزاوية التي مما يلي القبلة[1] فلم أكن أتنحّى منها في وقت الصلاة، لافي ليلٍ ولافي نهار.

قال: وأقبلت أطرح ـ الى السؤّال[2] الذين حول القبر ـ الدراهم، ومَن هو فوقهم، الشيء بعد الشيء، حتى ناولت شباباً من بني الحسن ومشيخةً، حتى ألِفوني وألِفتُهُم في السرِّ.

قال: وكنتَ كلّما دَنوتُ من أبي عبدالله [الصادق] يُلاطفني ويكرمني، حتى اذا كان يوماً من الأيام ـ بعدما نلت حاجتي ممن كنت أُريد من بني الحسن وغيرهم ـ دنوتُ من أبي عبدالله (عليه السّلام) وهو يصلّي، فلمّا قضى صلاته إلتفت إليَّ وقال: تعال يامهاجر! ـ ولم أكن أتسمّى باسمي، ولا أُكنّى بِكنيتي ـ فقال:

قُل لصاحبك: يقول لكَ جعفر: كان أهل بيتك إلى غير هذا منك أحوج منهم الى هذا!!

تجيء الى قوم شباب محتاجين، فتدسّ إليهم، فلعلّ أحدهم يتكلّم بكلمة تستحلّ بها سفكَ دمه، فلو بررتَهم ووَصَلْتَهم، وأنلتَهم وأغنيتهم كانوا إلى هذا أحوج ممّا تريد منهم.

قال: فلمّا أتيت أبا الدوانيق قلت له: جئتك من عند ساحرٍ كان من أمره كذا وكذا.

فقال: صَدَقَ، والله لقد كانوا إلى غير هذا أحوج، وإيّاك أن يسمع هذا الكلام منك إنسان[3].

١ـ في بحار الأنوار: مما يلي القبر، ولعلّه الأصح.

٢ـ السؤّال ـ على وزن رُمّان ـ : جمع سائل.

٣ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦٤٦ ح٥٥. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٧٢.

محاولة إغتيال الامام الصادق (عليه السّلام)

عن قيس بن الربيع، قال: حدّثني أبي الربيع قال: دعاني المنصور يوماً قال: أما ترى ما هو هذا يبلغني عن هذا الحبشي؟

قلت: ومَن هو ياسيدي؟

قال: جعفر بن محمد، واللّه لأستأصلنَّ شأفته[1]، ثمّ دعا بقائد من قوَّاده، فقال: انطلق إلى المدينة في ألف رجل، فاهجم على جعفر بن محمد، وخذ رأسه ورأس ابنه موسى بن جعفر، في مسيرك، فخرج القائد من ساعته حتى قَدِم المدينة، وأُخبر جعفر بن محمد فأمر فأُتي بناقتين، فأوثقهما على باب البيت ودعا بأولاده موسى، وإسماعيل، ومحمّد وعبداللّه، فجمَعهم وقعد في المحراب، وجعل يُهمْهِمُ.

قال أبو نصر[2]: فحدَّثني سيّدي موسى بن جعفر أنّ القائد هَجَم عليه، فرأيت أبي وقد همهم بالدُّعاء، فأقبل القائد وكلُّ من كان معه قال: خُذوا رأسَي هذين القائمَين، فاجتزّوا رأسهما، ففعلوا وانطلقوا

١ـ الشأفة: الأصل، وقولهم استأصل اللّه شأفته، أي أذهبه، ومعناه: أزاله من أصله. (أقرب الموارد).

٢ـ في بحار الأنوار: قال أبو بصير.

إلى المنصور، فلمّا دخلوا عليه اطّلع المنصور في المخلاة[1] الّتي كان فيها الرَّأسان، فإذا هما رأسا ناقتين.

فقال المنصور: وأيُّ شيء هذا؟

قال: ياسيّدي ما كان بأسرع من أن دخلت البيت الّذي فيه جعفر ابن محمد، فدار رأسي ولم أنظر ما بين يدي، فرأيت شخصين قائمين خُيِّل إليَّ أنّهما جعفر وموسى ابنه فأخذت رأسيهما.

فقال المنصور: اكتم عليَّ.

فما حدَّثتُ به أحداً حتّى مات.

قال الربيع: فسألت موسى بن جعفر (عليه السّلام) عن الدّعاء؟

فقال: سألت أبي عن الدعاء فقال: هو دعاء الحجاب:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم، وإذا قرأتَ القرآنَ جعلنا بينك وبين الّذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مَستوراً، وجَعلنا على قلوبهم أكنّةً أن يفقهوه وفي آذانهم وَقْراً، وإذا ذكرتَ ربّكَ في القرآن وَحْده ولَّوا على أدبارهم نُفُوراً، اللهمَّ انّي اسألك بالإسم الذي به تُحيي وتُميت وترزق وتُعطي وتمنع، ياذا الجلال والاكرام، اللّهمّ مَن أرادنا بسوء من جميع خَلَقك فاَعْمِ عنّا عينه، واصْمُم عنّا سَمْعَه، واشْغلْ عنّا قلبه، واغلُلْ عنّا يده، واصرِفْ عنّا كيده، وخُذه مِن بين يديه ومِن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومِن تحته ومِن فوقه، ياذا الجلال والإكرامَ».

قال موسى (عليه السّلام): قال أبي (عليه السّلام): إنّه دعاء الحجاب مِن جميع الأعداء[2].

١ـ المِخلاة: ما يوضع فيه العَلَف ويعلّق في عنق الدابة لتعتلفه. (اقرب الموارد).

٢ـ مهج الدعوات: ص٢١٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٠٤.

وروي أن أبا خديجة رَوى عن رجل من كندة ـ وكان سيّاف بني العباس ـ قال: لمّا جاء أبو الدوانيق بأبي عبدالله (عليه السّلام) وإسماعيل، أمَر بقتلهما وهما محبوسان في بيت فأتى ـ عليه اللعنة ـ الى أبي عبدالله (عليه السّلام) ليلاً فأخرجَه وضَربه بسيفه حتى قتله.

ثم أخذ إسماعيل ليقتله فقاتله ساعة ثم قتله، ثم جاء إليه فقال: ماصنعت؟

قال: لقد قتلتُهما وأرحتُك منهما.

فلمّا أصبح إذا أبو عبدالله (عليه السّلام) وإسماعيل جالسان.

فاستأذنا.

فقال أبو الدوانيق للرجل: ألستَ زعمت أنّك قتلتَهما؟

قال: بلى، لقد عرفتُهما كما أعرفك، قال: فاذهب الى الموضع الذي قتلتهما فيه فانظر، فجاء، فإذا بجزورين منحورين، قال: فبُهتَ ورجع فأخبره فنكس رأسه [وعرّفه ما رأى][1] فقال: لايسمعنّ هذا منك أحد.

فكان كقوله تعالى في عيسى [بن مريم] ﴿وما قَتَلوه وما صَلَبوه ولكنْ شُبِّه لهم﴾[2].

أقول: وروي قريب منه، عن عبدالأعلى بن أعين عن رزّام بن مسلم[3].

١ـ ما بين المعقوفتين غير موجود في بحار الأنوار.

٢ـ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦٢٦ ح٢٧، والآية في سورة النساء آية ١٥٧. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٠٢.

٣ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٠٤.

الامام الصادق (عليه السّلام) يُفحم المنصور

روي أنّ أبا عبداللّه جعفر بن محمد الصادق (عليه الصلاة والسّلام) استحضره المنصور في مجلس غاصٍّ[1] بأهله، فأمره بالجلوس، فأطرق [المنصور] مليّاً، ثم رفع رأسه وقال له: ياجعفر! إنّ النبي (صلّى اللّه عليه وآله) قال - لأبيك علي بن أبي طالب (عليه السّلام) يوماً - :

«لولا أن تقول فيك طوائف من أُمَّتي ما قالت النصارى في المسيح لَقُلتُ فيك قولاً ، لاتَمرُّ بِمَلأٍ إلاّ أخذوا من تراب قدميك ، يستشفون به».

وقال علي (عليه السّلام): «يَهلك فيَّ إثنان: مُحِبٌّ مُفرِط، ومُبغض مُفرِّط».

فالاعتذار منه أن لايرضى بما يقول فيه المفرط، ولَعَمري: إنّ عيسى بن مريم (عليه السّلام) لو سكَتَ عمّا قالت فيه النصارى لَعَذَّبه اللّه.

١ـ غاصٌّ: ممتلىء.

وقـد نعلم[1] ما يقال فيك من الزور والبهتان، وإمساكُكَ عمَّن يقول ذلك فيك ورضاك به سخط الدَّيّان.

زَعَمَ أوغاد الشام[2] وأوباش العراق[3] أنك حَبر الدهر وناموسه[4] وحُجَّة المعبود وترجمانه، وعيبة[5] علمه وميزانُ قِسْطه ومصباحه، الذي يقطع به الطالب عَرض الظُلمة الى فضاء النور، وأن اللّه (تبارك وتعالى) لايقبل ـ من عاملٍ جَهلَ حقَّك في الدنيا ـ عملاً، ولايرفع له ـ يوم القيامة ـ وزناً.

فَنَسبوك الى غير حَدِّك وقالوا فيك ما ليس فيك.

فَقُل، فانّ أوّل من قال الحق: لَجَدُّك، وأوّل مَن صدَّقه عليه: أبوك (عليه السّلام) فأنت حَرِيٌّ بأن تقتصّ[6] آثارهما، وتسلك سبيلهما!

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): «أنا فرعٌ من فروع الزيتونة[7] وقنديلٌ من قناديل بيت النبوّة، وسليل الرسالة وأديب السَّفَرة[8]،

١ـ لعل الأصح: تعلم.

٢ـ الوَغْد: الضعيف العقل، الأحمق، الرذل الدنيء (لسان العرب).

٣ـ الأوباش: الاخلاط والسفلة (أقرب الموارد).

٤ـ الحِبْر: العالم، وقيل: الصالح من العلماء. والناموس: صاحب السرّ، المطَّلع على باطن أمرك (أقرب الموارد).

٥ـ العيبة: كالصندوق.

٦ـ تقصَّص أثره: تتبَّعه (أقرب الموارد).

٧ـ اشارة الى قوله تعالى: ﴿يوقَد من شجرة مباركة زيتونة﴾.

٨ـ اديب ـ اسم مفعول ـ بمعنى المؤدَّب ومَن تعلَّم الأدب، والأدب: محاسن الأخلاق والسُنن والآداب، والسَّفرة بمعنى السفير وهو المبعوث والرسول، فقوله (عليه السّلام): «اديب السَّفرة» معناه من تأدَّب بآداب رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) واخلاقه، وقد روي عن النبي الأكرم أنه قال: «أنا أديب اللّه، وعليٌّ اديبي».

وربيب الكرام البَرَرَة، ومصباحٌ من مصابيح المشكاة التي فيها نور النور، وصفوة الكلمة الباقية في عقب المصطفَين الى يوم الحشر».

فالتفت المنصور الى جُلَسائه فقال: قد أحالني على بحرٍ مَوّاج لايُدرَك طرفُه، ولايُبلغ عُمقه، تَغرق فيه السُبَحاء ويَحار فيه العلماء، ويَضيق بالسامع عَرض الفضاء.

هذا الشجا[١] المعترض في حلوق الخلفاء، الذي لايحلّ قتلُه، ولايجوز نَفيُه.

ولولا ما تجمعني وإيّاه من شجرة مباركة ـ طاب أصلها، وبَسَقَ فرعها[٢]، وعذبَ ثمرها، بوركَت في الذرِّ، وتقدَّسَت في الزُّبُر ـ لكان منّي إليه مالايُحمَد في العواقب، لما يبلغني من شدّة عيبه لنا، وسوء القول فينا!!

فقال أبو عبدالله (عليه السّلام): لاتقبل ـ في ذي رَحمك، وأهل الدعة من أهلك ـ قولَ مَن حرَّم الله عليه الجنّة، وجعل مأواه النار، فإنّ النمّام شاهد زور، وشريك إبليس في الإغراء بين الناس.

وقد قال الله (تبارك وتعالى): ﴿يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بِنَبأ...﴾ الآية[٣].

ونحن لك أنصار وأعوان، ولملكك دعائم وأركان، ما أمرت بالمعروف والإحسان وأمضيتَ في الرعيَّة أحكام القرآن،

١ـ الشّجا: ما اعترض في الحلق من عَظْمٍ ونحوه ثم استعير للهمّ والحزن لان الانسان يغصُّ بهما (أقرب الموارد).

٢ـ أي ارتفعت أغصانها.

٣ـ سورة الحجرات آية ٦.

وأرغمتَ ـ بطاعتك ـ أنفَ الشيطان.

وإن كان يجب عليك ـ في سعة فهمك، وكرم حلمك، ومعرفتك بآداب اللّه ـ أن تصل مَن قَطَعَك، وتعطي مَن حَرَمَك، وتعفو عمّن ظَلَمَك.

فإنّ المكافىء ليس بالواصل، إنما الواصل مَن اذا قُطِعَت رحمُه وَصَلَها.

فَصِل، يزد اللّه في عُمرك، ويخفّف عنك الحساب يوم حشرك.

فقال أبو جعفر المنصور: قد قبلتُ عذرك لصدقك، وصفحتُ عنك لِقَدرك، فحدِّثني عن نفسك بحديث أتَّعِظُ به، ويكون لي زاجر صِدقٍ عن الموبقات.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): «عليك بالحلم فإنّه ركن العلم، واملك نفسك عند أسباب القدرة، فإنّك إن تفعَل كلَّ ما تقدر عليه كنتَ كمن شفى غيظاً، أو أبدى حقداً أو يُحبّ أن يُذكر بالصَولة.

واعلم أنك إن عاقبتَ مستحقّاً لم يكن غاية ما توصَف به إلاّ العدل، ولاأعلم حالاً أفضل من حال العدل، والحال التي توجب الشكر أفضل من الحال التي توجب الصبر».

فقال أبوجعفر المنصور: وعظتَ فأحسَنتَ، وقلتَ فأوجزتَ، فحدِّثني عن فضل جدّك علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسّلام) حديثاً لم تَروِه العامّة.

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام):

حدَّثني أبي، عن جدّي: أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) قال:

«ليلة أُسرِيَ بي الى السماء فُتِحَ لي في بَصَرِي غلوة[1] كمثال مايرى الراكب، خرق الابرة مسيرة يوم، وعَهِد إليَّ ربّي في عليٍّ ثلاث كلمات، فقال: يامحمد.

فقلت: لبّيك ربّي!

فقال: إن عليّاً إمام المتّقين، وقائد الغُرِّ المُحجَّلين، ويعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظَلَمة، وهو الكلمة التي ألزمتُها المتقين، وكانوا أحقَّ بها وأهلها، فبشِّره بذلك».

قال: فبشَّره النبي (صلّى اللّه عليه وآله) بذلك.

فقال: يارسول اللّه! وإنّي أُذكَرُ هناك؟.

فقال: نعم، إنك لَتُذكَر في الرفيع الأعلى.

فقال المنصور: ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء[2].

١ـ الغَلْوة: رمية سهم، أبعَد ما يُقدَر عليه، ويقال: هي قدر ثلاثمائة ذراع الى أربعمائة (أقرب الموارد).

٢ـ بحار الأنوار: ج١٠ ص٢١٦ ح١٨.

موقف المنصور من آل الحسن (عليه السّلام)

قد ذكرنا ـ في فصل: مؤتمر الأبواء ـ ان رجالاً من بني العباس وبني الامام الحسن (عليه السّلام) اجتمعوا هناك وبايعوا محمد بن عبدالله بن الحسن بن الامام الحسن المجتبى (عليه السّلام) ـ المعروف بالنفس الزكيَّة ـ على أن يكون الخليفة بعد انتصار الثورة.

ولكنّ الامور انقلبت بعد ذلك، وحَدث ما اخبر عنه الامام الصادق (عليه السّلام) من أن الحكم سيكون لبني العباس لا لبني الحسن (عليه السّلام).

ولمّا تسلّم بنو العباس الحكم، وقفز أبو العباس السفّاح الى منصّة الرئاسة، اختفى محمد وابراهيم ابنا عبدالله بن الحسن، عن أعين الناس، واخفى والدهما مكانهما.

يقول البعض: ان هذه الغيبة كانت خوفاً من السفّاح ان يغدر بهم.

ويقول آخرون: إن عبدالله بن الحسن كان يرى بأن الوقت المناسب لم

يحن بعدُ للثورة، وأن على ولديه أن ينتظرا حتى ذلك الحين.

ويُحتمل أن تكون الغيبة ـ بالاضافة الى ما ذُكر ـ تأكيداً منهم على ان هذا هو المهدي الموعود الذي اخبرت الأحاديث ان له غيبة، وسوف يظهر بعدها.

وعلى أيّ حال.. فقد حاول السفّاح أن يكتشف المخبأ الذي يختفي فيه النفس الزكيّة واخوه ابراهيم.. لكنه فشل في ذلك، وكان يخشى أن يقوما ضده ويثورا عليه.

حتى هلك السفّاح، وما حَكم الاّ قليلاً.. فقفز أخوه المنصور الدوانيقي الى الحكم، وبدأ بتصفية خصومه السياسيّين وكلّ من يخاف منه على حكمه.

وكان اختفاء محمد وابراهيم يُشغل فكره ويقوّض مضجعه ويسلبه راحته.

وقد جنَّد المنصور طاقاته وعبّأ رجالَه وبذل الأموال الطائلة لهذا وذاك.. على ان يظفر بمحمد وابراهيم أو يعرف المكان الذي يختبئان فيه.. ولكن محاولاته باءت بالفشل.

وفي هذا المجال ذكر المؤرّخون الكثير الكثير، وقد ذكرنا تفاصيل ذلك في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام).

وكان المنصور يُلحّ على عبداللّه بن الحسن ـ والد محمد وابراهيم ـ على أن يُخبره بمكان ولديه، فكان يُبدي عدم معرفته بذلك.

ثم ان المنصور استدعى ـ في بغداد ـ عقبة بن سلم الأزدي وسلَّم اليه كتاباً واموالاً وهدايا وأمَره بالمسير الى المدينة المنوّرة والتقرُّب الى عبداللّه بن الحسن وملاطفته وتقديم الكتاب والهدايا اليه، على أنها من شيعته

بخراسان، وهم يسألونه عن يوم قيام ولده وخروجه على المنصور.

واستطاع هذا الشيطان ان يدخل الى قلب عبداللّه بن الحسن وأن يطّلع منه على بعض الأسرار..

ثم عاد الى المنصور وأخبره بالحقائق..

وحجَّ المنصور تلك السنة واصدر أوامره الى واليه على المدينة: رياح بن عثمان بن حيان المرّي بالقاء القبض على آل الامام الحسن (عليه السّلام).

والآن نذكر مختصراً ممّا ذكره المؤرِّخون في هذا المجال:

جاء في تاريخ الكامل لابن الأثير:

قال عليّ بن عبداللّه بن محمّد بن عمر بن عليّ: حضرنا باب رياح في المقصورة، فقال الآذن: مَن كان هاهنا من بني الحسين فليدخل. فدخلوا من باب المقصورة وخرجوا من باب مروان. ثمّ قال: مَن هاهنا من بني الحسن فليدخل. فدخلوا من باب المقصورة ودخل الحدّادون من باب مروان، فدعا بالقيود فقيّدهم وحبسهم، وكانوا: عبداللّه بن الحسن بن الحسن بن عليّ، والحسن وإبراهيم ابنَي الحسن بن الحسن، وجعفر بن الحسن بن الحسن، وسليمان وعبداللّه، ابنَي داود بن الحسن بن الحسن، ومحمّد وإسماعيل وإسحاق بني إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وعبّاس بن الحسن بن الحسن بن عليّ، وموسى بن عبداللّه بن الحسن بن الحسن.

فلمّا حَبَسهم لم يكن فيهم عليّ بن الحسن بن الحسن بن عليّ العابد.

فلمّا كان الغد بعد الصّبح إذ قد أقبل رجل متلفّف، فقال له رياح: مرحباً بك، ما حاجتك؟

قال: جئتُك لتحبسني مع قومي، فإذا هو عليّ بن الحسن بن الحسن، فحبسه معهم.

وكتب المنصورُ إلى رياح أن يحبس معهم محمّد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان المعروف بالدِّيباج، وكان أخا عبدالله بن الحسن بن الحسن، لأنّ أمّهما جميعاً فاطمة بنت الحسين بن عليّ [عليهما السلام] فأخذه معهم.

ثمّ سار المنصور لوجهه، فلمّا حجّ ورجع لم يدخل المدينة ومضى إلى الرّبَذة، فخرج إليه رياح إلى الرّبَذة فردّه إلى المدينة وأمره بإشخاص بني الحسن إليه ومعهم محمّد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان أخو بني الحسن لأمّهم، فرجع رياح فأخذهم وسار بهم إلى الرَّبَذة، وجُعلت القيود والسلاسل في أرجلهم وأعناقهم، وجعلهم في محامل بغير وطاء.

ولمّا خرج بهم رياح من المدينة وقف جعفر بن محمد [عليه السّلام] من وراء ستر، يراهم ولايرونه وهو يبكي ودموعه تجري على لحيته وهو يدعو الله، ثمّ قال: والله لا يحفظ الله حَرَميه بعد هؤلاء.

ولمّا ساروا كان محمّد وإبراهيم ابنا عبدالله يأتيان كهيئة الأعراب فيسايران أباهما ويستأذنانه بالخروج، فيقول: لاتعجلا حتّى يمكنكما ذلك. وقال لهما: إن منعكما أبو جعفر ـ يعني المنصور ـ أن تعيشا كريمَين فلايمنعكما أن تموتا كريمَين.

فلمّا وصلوا إلى الرَّبَذة أُدخل محمّد بن عبدالله العثماني على المنصور

وعليه قميص[1] وإزار رقيق، فلمّا وقف بين يديه قال: إيهاً يا ديّوث!

قال محمّد: سبحان اللّه! لقد عرفتني بغير ذلك صغيراً وكبيراً!

قال: فممّن حملت ابنتك رُقيّة؟ ـ وكانت تحت إبراهيم بن عبداللّه ابن الحسن ـ وقد أعطيتَني الأيمان أن لاتغشّني ولاتمالىء عليَّ عدوّاً، أنت ترى ابنتك حاملاً وزوجها غائب وأنت بين أن تكون حانثاً أو ديّوثاً! وايم اللّه إنّي لأهمّ برجمها!

قال محمّد: أمّا أيماني فهي عليّ إن كنتُ دخلت لك في أمر غشّ علمته، وأمّا ما رميتَ به هذه الجارية فإنّ اللّه قد أكرمها بولادة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) إيّاها، ولكنّي ظننتُ حين ظهر حملها أنّ زوجها ألمّ بها على حين غفلة.

فاغتاظ المنصورُ من كلامه وأمر بشقّ ثيابه عن إزاره، فحُكي أنّ عورته قد كُشفت، ثمّ أمر به فضُرب خمسين ومائة سوط، فبلغت منه كلّ مبلغٍ والمنصور يفتري عليه لايكنّي، فأصاب سوط منها وجهه، فقال: ويحك اكفف عن وجهي! فإن له حُرمة برسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله)، فأغرى المنصور فقال للجلاّد: الرأسَ الرأسَ! فضرب على رأسه نحواً من ثلاثين سوطاً وأصاب إحدى عينَيه سوط فسالت، ثُمّ أُخرج وكأنّه زنجيّ من الضرب، وكان من أحسن الناس، وكان يسمّى الديباج لحُسنه.

فلمّا أُخرج وثب إليه مولى له فقال: ألا أطرح ردائي عليك؟

قال: بلى جُزيت خيراً! واللّه إنّ لشقوق إزاري أشدّ عليّ من الضرب.

١ـ في تاريخ الطبري: قميص وساجٌ، أي طيلسان أخضر.

وكان سبب أخذه أنّ رياحاً قال للمنصور: يا أمير المؤمنين أمّا أهل خُراسان فشيعتك، وأمّا أهل العراق فشيعة آل أبي طالب، وأمّا أهل الشام فواللّه ما عَليٌّ عندهم إلاّ كافر، ولكنّ محمّد بن عبداللّه العثماني لو دعا أهل الشام ما تخلّف عنه منهم أحد. فوقعتْ في نفس المنصور، فأمر به فأُخذ معهم، وكان حَسَن الرأي فيه قبل ذلك.

ثمّ إنّ أبا عَون كتب إلى المنصور: إنّ أهل خراسان قد تغاشوا[1] عنّي وطال عليهم أمر محمّد بن عبداللّه. فأمر المنصورُ بمحمّد بن عبداللّه بن عمرو العثمانيّ فقُتل، وأرسل رأسه إلى خراسان، وأرسل معه من يحلف أنّه رأس محمّد بن عبداللّه وأنّ أمّه فاطمة بنت رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله) فلمّا قُتل قال أخوه عبداللّه بن الحسن: إنّا للّه وإناإليه راجعون! إن كنّا لنأمن به في سلطانهم ثمّ قدقتل منّا في سلطاننا!

ثمّ إنّ المنصور أخذهم وسار بهم من الربَذة فمرّ بهم على بغلة شقراء، فناداه عبداللّه بن الحسن: يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر! فأخسأه أبو جعفر وثقل عليه ومضى، فلمّا قدموا إلى الكوفة قال عبداللّه لَمن معه: أما ترون في هذه القرية مَن يمنعنا من هذا الطاغية؟ قال: فلقيه الحسن وعليّ ابنا أخيه مشتملَين على سيفَين فقالا له: قد جئناك يابن رسول اللّه فمرنا بالذي تريد.

قال: قد قضيتما ما عليكما ولن تغنيا في هؤلاء شيئاً فانصرفا.

ثمّ إنّ المنصور أودعهم بقصر ابن هُبَيرة شرقيّ الكوفة، وأحضر المنصورُ محمّد بن إبراهيم بن الحسن، وكان أحسن الناس صورةً، فقال له: أنت الدِّيباج الأصغر؟

١ـ في تاريخ الطبري: قد تقاعَسوا.

قال: نعم.

قال: لأقتلنّك قتلةً لم أقتلها أحداً! ثمّ أمر به فبُني عليه أُسطوانة وهو حيّ فمات فيها.

وكان إبراهيم بن الحسن أوّل مَن مات منهم، ثمّ عبداللّه بن الحسن فدُفن قريباً من حيث مات، فإن يكن في القبر الذي يزعم الناس أنّه قبره وإلاّ فهو قريب منه. ثم مات عليّ بن الحسن.

وقيل: إنّ المنصورَ أمر بهم فقُتلوا، وقيل: بل أمر بهم فسُقوا السمّ، وقيل: وضع المنصور على عبداللّه مَن قال له إنّ ابنه محمّداً قد خرج فقُتل فانصدع قلبه فمات، واللّه أعلم.

ولم ينجُ منهم إلاّ سليمان وعبداللّه ابنا داود بن الحسن بن الحسن بن عليّ، وإسحاق وإسماعيل ابنا إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وجعفر بن الحسن، وانقضى أمرهم[1].

١ـ الكامل لابن الأثير: ج٥ ص٥٢١.

الامام الصادق (عليه السّلام)
يبكي لما جرى على آل الحسن (عليه السّلام)

قال [الحسين بن زيد]: إني لَواقف بين القبر والمنبر، إذ رأيتُ بني الحسن يُخرج بهم من دار مروان مع أبي الأزهر يُراد بهم الرَّبذة، فأرسل إليَّ جعفر بن محمد فقال: ماوراءك؟

قلت: رأيتُ بني الحسن يُخرج بهم في مَحامل.

فقال: إجلس. فجلستُ. قال: فدعا غلاماً له، ثم دعا ربَّه كثيراً، ثم قال لغلامه: «إذهب، فاذا حُملوا فأتِ فاخبرني».

قال: فأتاه الرسول فقال: قد أُقبِلَ بهم. فقام جعفر (عليه السّلام) فوقف وراء ستر شَعَرٍ أبيض من ورائه، فطلع بِعَبدالله بن الحسن، وإبراهيم بن الحسن وجميع أهلهم، كُلٌّ واحدٍ منهم مُعادِلُهُ مُسَوَّد.

فلمّا نظر إليهم جعفر بن محمد (عليهما السّلام) هملتْ عيناه، حتى جرت دموعه على لحيته، ثمّ أقبَلَ عَلَيَّ فقال: يا أبا عبدالله!

واللّه لاتُحفَظ للّه حرمةٌ بعد هذا، واللّه ما وفَت الأنصار ولاأبناء الأنصار لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) بما أعطوه من البيعة على العَقَبة.

ثم قال جعفر (عليه السّلام): حدَّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن علي بن أبي طالب (عليه السّلام) أن النبي (صلّى اللّه عليه وآله) قال له: «خُذ عليهم البيعة بالعقبة» فقال: كيف آخذ عليهم؟ قال: «خُذ عليهم يبايعون اللّه ورسوله».

قال ابن الجعد [أحد رواة الخبر] ـ في حديثه ـ : «على أن يُطاعَ اللّه فلايُعصى».

وقال الآخَرون [من الرواة]: «على أن تمنعوا رسولَ اللّه وذرّيّته مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم».

قال [الامام]: «فواللّه ما وَفَوا له حتى خرج من بين أظهُرِهم، ثم لاأحد يمنع يدَ لامِسٍ، اللهم فاشدُد وطْأتك على الأنصار»[1].

١ـ مقاتل الطالبيين: ص١٤٨. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٠٤.

رسالة مواساة
من الامام الصادق الى عبداللّه بن الحسن

عن عطية بن نجيح بن المطهَّر الرازي، وإسحاق بن عمّار الصيرفي قالا ـ معاً ـ : إن أبا عبداللّه جعفر بن محمد (عليهما السّلام) كتب الى عبداللّه بن الحسن (رضي اللّه عنه) ـ حين حُمِل هو وأهل بيته ـ يُعزِّيه عمّا صار إليه:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم، الى الخَلَف الصالح والذّريّة الطيبة من وُلد أخيه وابن عمّه:

أمّا بعد: فلئن كنتَ [قد] تفرَّدتَ أنت وأهل بيتك ـ ممّن حُمل معك ـ بما أصابكم، ما انفردتَ ـ بالحزن والغيظ والكآبة، وأليمِ وَجَعِ القلب ـ دوني.

ولقد نالني من ذلك ـ من الجَزع والقَلق، وحَرِّ المصيبة ـ مثل ما نالَك، ولكن رجعتُ إلى ما أمر اللّه (جل جلاله) به المتَّقين، من الصبر وحُسن العزاء، حين يقول ـ لنبيّه (صلّى اللّه عليه وآله الطيبين):

﴿واْصبِر لحُكمِ ربِّك فانّكَ بأعيُننا﴾[١] .

وحين يقول: ﴿فاصبرْ لحكم ربّك ولاتكنْ كصاحب الحُوت﴾[٢] .

وحين يقول لنبيّه (صلّى اللّه عليه وآله) ـ حين مُثِّلَ بِحَمزة: ﴿وإنْ عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خيرٌ للصابرين﴾[٣] فَصَبر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ولم يعاقب.

وحين يقول: ﴿وأمُر أهلك بالصلاة واصطبِر عليها لانسألك رِزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾[٤] .

وحين يقول: ﴿الّذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا للّه وإنا اليه راجعون * اولئك عليهم صلوات من ربِّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾[٥] .

وحين يقول: ﴿إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[٦] .

وحين يقول لقمان لإبنه: ﴿واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عَزم الأمور﴾[٧] .

وحين يقول عن موسى: ﴿قال موسى لقومه أْستعينوا باللّه وأْصبروا إنَّ الأرضَ لِلّه يُورثها مَن يشاءُ مِن عبادهِ والعاقبة للمتقين﴾[٨] .

١ـ سورة الطور آية ٤٨ .

٢ـ سورة القلم آية ٤٨ .

٣ـ سورة النحل آية ١٢٦ .

٤ـ سورة طه آية ١٣٢ .

٥ـ سورة البقرة آية ١٥٦ و١٥٧ .

٦ـ سورة الزمر آية ١٠ .

٧ـ سورة لقمان آية ١٧ .

٨ـ سورة الأعراف آية ١٢٨ .

وحين يقول: ﴿الذينَ آمنوا وعملوا الصالحات وتَواصَوا بالحقِّ وَتَواصَوا بالصبر﴾[١].

وحين يقول: ﴿ثم كانَ من الذين آمنوا وتواصَوا بالصَّبر وتَواصَوا بالمرحَمة﴾[٢].

وحين يقول: ﴿ولَنبلونَّكم بشيء من الخَوف والجوع ونَقْص من الأموال والأنفس والثمرات وبشِّر الصابرين﴾[٣].

وحين يقول: ﴿وكأيِّن من نبيّ قاتَلَ معه رِبيُّون كثيرٌ فما وَهَنوا لما أصابهم في سبيل اللّه وماضَعُفوا وما استَكانوا واللّه يحبّ الصابرين﴾[٤].

وحين يقول: ﴿والصّابرينَ والصّابرات﴾[٥].

وحين يقول: ﴿واصبِرْ حتى يحكمَ اللّه وهو خيرُ الحاكمين﴾[٦] وأمثال ذلك من القرآن كثير.

واعلم ـ أي عمّ وابن عم ـ أن اللّه (جلّ جلاله) لم يُبال بضُرِّ الدُّنيا لوَلِّيه ساعةً قطّ ولاشيء أحبَّ إليه من الضرّ والجهد والأذى[٧] مع الصبر.

وأنّه ـ (تبارك وتعالى) ـ لم يُبالِ بنِعم الدُّنيا لِعَدوِّه ساعةً قطّ،

١ـ سورة العصر آية ٣.

٢ـ سورة البلد آية ١٧.

٣ـ سورة البقرة آية ١٥٥.

٤ـ سورة آل عمران آية ١٤٦.

٥ـ سورة الأحزاب آية ٣٥.

٦ـ سورة يونس آية ١٠٩.

٧ـ في بحار الأنوار: والبلاء.

ولولا ذلك ما كان أعداؤه يقتلون أولياءه ويُخوّفونهم، ويمنعونهم، وأعداؤه آمنون، مطمئنّون، عالون ظاهرون.

ولولا ذلك ما قُتِل زكريّا، واحتجب يحيى[1] ظلماً وعُدواناً، في بَغيٍّ من البغايا.

ولولا ذلك ما قُتلَ جدُّك: علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ـ لمّا قام بأمر اللّه (جلّ وعزّ) ـ ظُلماً، وعَمُّك الحسين بن فاطمة (صلى اللّه عليهما) إضطهاداً وعُدواناً.

ولولا ذلك ما قال اللّه (عزّوجلّ) في كتابه: ﴿وَلولا أنْ يكون الناسُ أُمَّةً واحدةً لَجَعَلنا لمن يكفُر بالرحمن لِبُيُوتهم سُقفاً من فضَّة ومَعارجَ عليها يظهرون﴾[2].

ولولا ذلك لما قال ـ في كتابه ـ: ﴿أيحسَبُون أنّما نُمدُّهم به من مالٍ وبنين * نُسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون﴾[3].

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «لولا أنْ يحزنَ المؤمن لجعلتُ للكافر عصابةً من حديد لايصدع رأسه أبداً».

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «إنّ الدنيا لاتُساوي عند اللّه (جلّ وعزّ) جَناح بعوضة».

ولولا ذلك ما سقى كافراً منها شربةً من ماء.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «لو أنّ مؤمناً على قُلَّة جبلٍ لابتعث اللّه له كافراً أو منافقاً يؤذيه».

١ـ في بحار الأنوار: ولولا ذلك لما قُتل زكريا، ويحيى بن زكريا.

٢ـ سورة الزخرف آية ٣٣.

٣ـ سورة المؤمنون آية ٥٥ و٥٦.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «إنّه إذا أحبَّ اللّه قوماً أو أحبَّ عبداً صَبَّ عليه البلاء صبّاً، فلايخرج من غمٍّ إلاّ وَقَعَ في غمٍّ».

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «ما من جُرعتين أحبَّ إلى اللّه (عزّوجلّ) أن يجرعهما عبده المؤمن في الدنيا، من جرعة غيظ كَظَمَ عليها، وجُرعة حُزن عند مصيبة صبر عليها بِحُسن عزاء واحتساب».

ولولا ذلك لما كان أصحاب رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) يَدعون على مَن ظَلَمَهم بِطُول العُمر، وصحّة البدن، وكثرة المال والولد.

ولولا ذلك ما بَلَغَنا أنّ رسولَ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) كان إذا خَصَّ رَجُلاً بالترحُّم عليه، والاستغفار، إستُشهد.

فَعَليكم ـ يا عمّ، وابن عمّ، وبني عمومتي وإخوتي ـ بالصبر والرضا والتسليم، والتفويض الى اللّه (جلَّ وعزَّ) والرضا والصبر على قضائه، والتمسُّك بطاعته، والنزول عند أمره.

أفرَغَ اللّه علينا وعليكم بالصبر، وختَم لنا ولكم بالأجر والسعادة، وأنقَذكم وإيّانا من كلّ هَلَكة، بِحوله وقوّته، إنّه سميع قريب، وصلّى اللّه على صفوته من خَلقه محمد النبي وأهل بيته»[1].

١ـ إقبال الاعمال: ص٥٧٨. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٩٨.

ثورة النفس الزكيَّة

هو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الامام الحسن السبط الزكي (صلوات الله عليه) ويُعرف بالنفس الزكيّة.

قام بالثورة ضد المنصور الدوانيقي في الثامن والعشرين من شهر جمادى الثانية عام مائة وخمسة وأربعين هجريّة، في المدينة المنوَّرة.

واستولى على المدينة بكلّ سهولة، ثم خرج الى المسجد النبويّ الشريف وصعد المنبر والقى خطبته الاولى، ودعا الناس الى بيعته بالخلافة.

وجاء أهل المدينة الى مالك بن أنس يستفتونه في بيعة محمد والخروج معه، وقالوا له: إن في اعناقنا بيعة لأبي جعفر [المنصور].

فقال: إنما بايعتم مُكرَهين، وليس على مُكرهٍ يمين.

فأسرع الناس الى بيعة محمد، وكانوا يخاطبونه: يا أمير المؤمنين(!!!) ولم يتخلّف عن بيعته من وجوه الناس الاّ نفر قليل، ومنهم مالك بن أنس الذي افتى بجواز بيعته!!

ووصل الخبر الى المنصور الدوانيقي. . فاستولى عليه الخوف والقلق، وقام باجراء اتّصالات مكثَّفة مع مختلف الشخصيّات، وجعل يستشير هذا وذاك فيما يجب القيام به لإجهاض تلك الثورة.

وأخيراً. . ارسل الدوانيقي جيشاً الى المدينة المنوَّرة بقيادة عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، واعطاه كافّة الصّلاحيات لمحاربة محمد بن عبدالله بن الحسن.

هذا. . واشتعلتْ نار الحرب بين العسكرين خارج المدينة، صباح اليوم الرابع عشر من شهر رمضان المبارك من نفس السنة.

ووضعت الحرب أوزارها بعد العصر من نفس ذلك اليوم، وانتهى الأمر بقتل محمد بن عبدالله وأصحابه الذين ثبتوا معه، عدا الذين تفرَّقوا عنه قبل نشوب الحرب.

وكانت حصيلة هذه الحرب مئات القتلى والجرحى من الفريقين. . وامسى المساء والارض محمرَّة بالدماء التي غطّت ساحة المعركة.

ولاتسأل عن الأرامل واليتامى التي تمخَّضت عنهم هذه الحرب. . فالله أعلم بهم.

هذه خلاصة الخلاصة لثورة النفس الزكيّة، وقد ذكرنا عنها تفاصيل كثيرة في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام).

موقف الإمام الصادق (عليه السّلام) من الثورة

سبق ان ذكرنا بأن الامام الصادق (عليه السّلام) حذَّر عبدالله بن الحسن ـ والد النفس الزكيّة ـ من أخذ البيعة لولده والتخطيط للثورة ضد العباسيّين، لادفاعاً عن العباسيّين ولا اعترافاً بحكومتهم، بل لأنه (عليه

السّلام) كان يعلم ـ بعلم الامامة ـ انّ اللّه تعالى لم يُقدِّر لبني الحسن (عليه السّلام) ان يتسلّموا الحُكم، فلماذا تراق الدماء دون نتيجة؟!

فالامام الصادق (عليه السّلام) إشفاقاً على بني عمّه ـ وعلى الناس الّذين سوف تطحنهم رحى الحرب ـ كان ينصحهم بعدم التورّط في هذه المحنة التي لاتُبقي ولاتذر.

إلاّ أنهم اصرّوا على موقفهم، واتّهموا الامام الصادق (عليه السّلام) بالحسد!!

ولمّا ثار محمد بن عبداللّه بن الحسن ترك الامامُ الصادق (عليه السّلام) المدينة المنوّرة وذهب الى أرض له بالفرع[1] فلم يزل هناك مقيماً حتى قُتل محمّد، واطمأنّ الناس وعاد الأمن والأمان، فعاد (عليه السّلام) الى المدينة[2].

أيها القارىء الكريم: إليك الآن بعض الأحاديث التي رويت عن الامام الصادق (عليه السّلام) حول النفس الزكيّة وثورته، وبعض ما جرى بينه وبين الامام (عليه السّلام) ـ مع رعاية الاختصار ـ :

عن فضيل بن سكّرة قال: دخلت على أبي عبداللّه (عليه السّلام) فقال: يا فضيل أتدري في أيّ شيءٍ كنتُ أنظر قُبيل؟

قال: قلت: لا.

قال: كنتُ أنظر في كتاب فاطمة (عليها السّلام) ليس من مَلكٍ يملك [الأرض] إلاّ وهو مكتوبٌ فيه باسمه واسم أبيه وما وجدت لوُلد الحسن فيه

١ـ الفُرْع: موضع بين مكة والمدينة (لسان العرب).

٢ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٦٢. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٥.

شيئاً[1] .

وعن فضيل بن يسار وبريد بن معاوية وزرارة أنّ عبدالملك بن أعين قال لأبي عبداللّه (عليه السّلام): إنّ الزّيديّة والمعتزلة قد أطافوا بمحمّد بن عبداللّه فهل له سلطان؟

فقال: واللّه إنّ عندي لكتابين فيهما تسمية كلّ نبيٍّ وكلّ ملكٍ يملك الأرض، لا واللّه ما محمّد بن عبداللّه في واحدٍ منهما[2] .

وعن معلّى بن خنيس قال: كنت عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) إذ أقبل محمّد بن عبداللّه فسلّم ثمّ ذهب فرقَّ له أبو عبداللّه (عليه السّلام) ودمعت عيناه فقلت له: لقد رأيتك صنعت به ما لم تكن تصنع؟

فقال: رققتُ له لأنّه ينسب إلى أمر ليس له، لم أجده في كتاب عليّ (عليه السّلام) من خلفاء هذه الأُمّة ولا من ملوكها[3] .

وعن عليٍّ الصائغ، قال: لقي أبا عبداللّه (عليه السّلام) محمّد بن عبداللّه بن الحسن، فدعاه محمد إلى منزله فأبى أن يذهب معه، وأرسل معه إسماعيل وأومأ إليه أنْ كُفَّ ـ ووضع يده على فيه وأمره بالكفِّ ـ فلمّا انتهى إلى منزله أعاد إليه الرسول يسأله اتيانه[4]، فأبى أبو عبداللّه (عليه السّلام) وأتى الرسول محمّداً فأخبره بامتناعه، فضحك محمّد ثمّ قال: ما مَنَعه من إتياني إلاّ أنّه ينظر في الصُّحف، قال: فرجع إسماعيل فحكى لأبي عبداللّه (عليه السّلام) الكلام فأرسل أبو عبداللّه (عليه السّلام) رسولاً

١ـ الكافي: ج١ ص٢٤٢ ح٨.

٢ـ الكافي: ج١ ص٢٤٢ ح٧.

٣ـ الكافي: ج٨ ص٣٩٥ ح٥٩٤.

٤ـ في بحار الأنوار: ليأتيه.

من قِبَله إليه، وقال: إنّ إسماعيل أخبرني بما كان منك وقد صدقتَ، إنّي أنظر في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى، فسل نفسك وأباك هل ذلك عندكما؟

قال: فلمّا أن بلّغه الرسول سكت فلم يجب بشيء، فأخبر الرسول أبا عبدالله (عليه السّلام) بسكوته، فقال أبو عبدالله (عليه السّلام): إذا أصاب وجه الجواب قلَّ الكلام[1].

وعن ابن جمهور القمي في كتاب الواحدة أنَّ محمّد بن عبدالله بن الحسن قال لأبي عبدالله (عليه السّلام): والله إنّي لأعلم منك، وأسخى وأشجع، فقال له: أمّا ما قلت: إنّك أعلم منّي، فقد أعتق جدِّي وجدُّك ألف نسمة من كدِّ يده فسمّهم لي! وإن أحببت أن أُسمّيهم لك إلى آدم فعلتُ.

وأمّا ما قلت: إنّك أسخى منّي فوالله ما بتُّ ليلة ولله عليَّ حقٌّ يطالبني به.

وأمّا ما قلت: إنّك أشجع منّي فكأنّي أرى رأسك وقد جيء به ووُضع على حجر الزنابير، يسيل منه الدَّم إلى موضع كذا وكذا.

قال: فحكى ذلك لأبيه فقال: يابنيَّ آجرني الله فيك، إنَّ جعفراً أخبرني أنّك صاحب حجر الزنابير[2].

١ـ بصائر الدرجات: ص١٥٨ ح١٢. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٧٠.

٢ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٢٨. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص١٣١.

خاتمة:

قرأتُ كتاباً لأحد المؤلّفين يتحدَّث فيه عن محمد بن عبدالله ـ المعروف بالنفس الزكيَّة ـ وثورته، ويصِفه بالرجولة والبطولة ويُثني عليه أحسن الثناء، ثم يقيس ثورته بنهضة سيد الشهداء الامام الحسين (عليه السّلام).

وفي الحقيقة يجب أن أقول: ان المؤلّف ارتكب خطأً كبيراً في هذه المقايسة والمقارنة.. وذلك من جوانب عديدة نشير الى بعضها فيما يلي:

١ـ ان الامام الحسين (عليه السّلام) كان إماماً معصوماً متّصلاً بالعالَم الأعلى.. وكان يسير وفق مخطَّط إلهي أمره اللّه به ـ عَبْر رسوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ.

بينما محمد بن عبداللّه هذا، لم يكن اماماً ولم يكن معصوماً... ولهذا فالفرق بينه وبين الامام الحسين (عليه السّلام) كبير جداً.

٢ـ إن الامام الحسين(عليه السّلام) اطاع جدّه المصطفى (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في كلّ ما قام به ـ كما صرَّحت بذلك الأحاديث الشريفة ـ بينما محمد النفس الزكية لم يُؤمَر ـ من قِبَل احد المعصومين ـ بالخروج، بل ذكرنا أن الامام الصادق (عليه السّلام) نهاه عن الخروج ونَصَحه ووعظه.. فلم ينفعه ذلك.

٣ـ ان الحق الشرعي كان يتمثَّل ويتجسّد ـ يومذاك ـ في الامام الصادق (عليه السّلام) فاذا كان محمد بن عبداللّه يريد النهضة للّه سبحانه، كان عليه ان لايتحرَّك خطوة واحدة الاّ بأمر الامام المعصوم..

ولكنه ـ ومع كلّ الأسف ـ دعى الى نفسه، وعرَّف نفسه انه المهدي الموعود الذي بشّرت به الأحاديث الشريفة. وأن على الناس أن يبايعوه.

بل جعلوا يخاطبونه قائلين: يا أمير المؤمنين!!!

فسكت ولم ينه عن ذلك.. مع العِلم أن هذا الاسم خاصٌ بالامام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ـ كما في صحيح الأحاديث ـ. وقد ذكرنا كلمة موجزة عنه.

وقد قرأتَ أن الامام الصادق (عليه السّلام) ترك المدينة المنوّرة وخرج الى الفرع، ليكون بعيداً عن الأحداث..

وهذا العمل بنفسه يدلّ على أن الامام الصادق (عليه السّلام) لم يؤيّد الثورة ولم يقف الى جانبها..

والخلاصة.. ان علينا ان ننظر الى الحوادث التاريخية نظرة تأمّل وتدبّر، لانظرة عاطفية سطحيّة.. ويجب أن نعتبر الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) المقياس الأول والأخير لمعرفة الحقّ وأهله..

الامام الصادق (عليه السّلام) ينعى نفسه

روي عن شهاب بن عبد ربّه قال: قال لي أبو عبداللّه (عليه السّلام): «كيف أنت إذا نعاني إليك محمّد بن سليمان؟».

قال: فلا واللّه ما عرفت محمّد بن سليمان، ولا علمت من هو؟ قال: ثمّ كثر مالي وعرضت تجارتي بالكوفة والبصرة، فإنّي يوماً بالبصرة عند محمّد بن سليمان ـ وهو والي البصرة ـ إذ ألقى إليّ كتاباً وقال لي: يا شهاب، أعظم اللّه أجرك وأجرنا في إمامك جعفر بن محمد.

قال: فذكرتُ الكلام فخنقتني العبرة، فخرجت فأتيت منزلي وجعلت أبكي على أبي عبداللّه (عليه السّلام)[1].

وروي أن الامام الصادق (عليه السّلام) دخل ـ ذات يوم ـ على المنصور الدوانيقي فتكلّم، فلمّا خرج من عنده أرسل الى جعفر بن محمد فردّه، فلمّا رجع حرّك شفتيه بشيءٍ فقيل له: ما قلت؟ قال: قلت: «اللهمّ إنّك تكفي من كلّ شيء ولايكفي منك شيء فاكفنيه».

١ـ أعلام الورى: ج١ ص٥٢٢.

فقال له: ما يقرّك[1] عندي؟

فقال له أبو عبدالله: قد بلغتُ أشياء لم يبلغها أحد من آبائي في الإسلام[2]، وما أراني أصحبك إلاّ قليلاً، ما أرى هذه السنة تتمّ لي.

قال: فإن بقيتَ؟

قال: ما أراني أبقى.

قال: فقال أبو جعفر: إحسبوا له. فحسبوا فمات في شوّال[3].

١ـ وفي نسخة: مايبرُّك.

٢ـ قوله (عليه السّلام): «قد بلغتُ اشياء» الظاهر أنه تصحيف، والصحيح: «قد بلغتُ سنّاً لم يبلغها أحد من آبائي» لأن الامام عاش ٦٥ أو ٦٧ سنة، ولم يعمَّر أحدٌ من آبائه الكرامِ هذا العُمر.

٣ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٦٥.

الامام الصادق (عليه السّلام) طريح الفراش

عن هشام بن سالم قال: مرض أبو عبدالله (عليه السّلام) مرضاً شديداً حتّى خفنا عليه، فقال: ما عليَّ من مَرضي هذا بأس.

قال: ثمّ سكت ما شاء الله، ثمّ اعتلّ علّة خفيفة فأقبل يوصينا، ثمّ قال[1]: أدخِل عليَّ نفراً من أهل المدينة حتّى أُشهدهم.

فقلت: يا أبت ليس عليك بأس.

فقال: يا بُنيّ إنّ الّذي جاءني فأخبرني أنّي لست بميّت في مرضي ذلك، هو الّذي أخبرني أنّي ميّت في مرضي هذا[2].

وفي السنوات الأخيرة من حياته (عليه السّلام) لم يبق منه الاّ الهيكل العظمي فقط.. فكان قد ذبُل وضعُف ونَحُل جسمه.

لقد ذوّبته الأحزان والمحن، وما لاقاه من الأذى والاضطهاد، والتشريد والتخويف.

١ـ هكذا وجدنا في المصدر والظاهر أن هنا سقطاً والصحيح: «ثم قال لابنه موسى...» بدليل قوله (عليه السّلام): «يابُنيّ» وقول ولَده: يا أبَتِ.

٢ـ اثبات الهداة: ج٥ ص٣٩٤ ح١١٤.

روى محمد بن الحسن بن زياد العطّار عن أبيه قال ـ في كلامٍ له ـ: . . . فدخلتُ على أبي عبداللّه (عليه السّلام) وهو مريض فوجدتُه على سرير مُستلقياً عليه، وما بين جلده وعَظمه شيء. . .) الى آخر الخبر[1].

ولما دُسَّ اليه السُّمّ ازداد ضَعفاً ونُحولاً، وصار طريح الفراش على اعتاب الآخرة، وجَعل يوصي وصاياه.

وروي أنه دخل عليه بعض أصحابه في مرضه الّذي توفّى فيه وقد ذبل فلم يبق إلاّ رأسه، فبكى فقال (عليه السّلام): لأي شيء تبكي؟

فقال: كيف لا أبكي وأنا أراك على هذه الحال؟!!

قال (عليه السّلام): لاتفعل فإنّ المؤمن تَعرُّضُ كلّ خير[2] إن قُطع أعضاؤه كان خيراً له، وإن ملك مابين الشرق والغرب كان خيراً له[3].

وبهذه الكلمات الذهبيّة عبَّر الامام الصادق (عليه السّلام) عن رضاه بقضاء اللّه وقَدَره، في السرّاء والضرّاء، والشدَّة والرخاء.

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٤٨.

٢ـ هكذا في المصدر، ولعلّ الصحيح: فان المؤمن يتعرَّض لكلّ خير.

٣ـ منتهى الآمال للقمي: ج٢ ص٢٤٣ عن مشكاة الانوار.

الامام الصادق (عليه السّلام) يُوصي وصاياه

١ـ وصيَّته في النياحة عليه

عن محمد بن مهران بن محمّد قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السّلام) أوصى أن يناح عليه سبعة مواسم فأوقف لكلّ موسم مالاً يُنفَق[1].

أيّها القارئ الكريم: يُعتبر البكاء والعزاء على الميّت من الامور المستحبة في الاسلام، كما أنه تعبير عاطفي يدلّ على رقّة القلب ورهفة الإحساس وسلامة النفس من الغلظة والفضاضة.

ولايتنافى البكاء مع الصبر، بأيّ وجه، ذلك لأن الصبر دليل الرضا بقضاء الله وقَدَره، والبكاء ـ كما قلنا ـ دليل الرحمة والعاطفة، ولاتنافيَ بين الأمرين.

ولذلك حينما مات ابراهيم بن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ـ وله من العمر سنة ونصف ـ بكى عليه رسول الله بكاءً شديداً،

١ـ التهذيب: ج٩ ص١٤٤ ح٦٠٢.

وكانت الدموع تنهمر على خدَّيه كالمطر، فظنَّ بعض الصحابة ـ ممّن لازالت فيه رواسب الجاهلية الخشناء ـ أن هذا البكاء يتنافى مع الصبر.

وحينما سُئل (صلّى اللّه عليه وآله) عن ذلك قال: (... تدمع العين ويحزن القلب ولانقول مايُسخط الربّ وإنّا بك ـ يا ابراهيم ـ لمحزونون)[1].

وروي عن الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) أنه قال: بكى رسولُ اللّه عند موت بعض وُلده، فقيل له: يا رسول اللّه تبكي وأنت تنهانا عن البكاء؟!

فقال: لم انهكم عن البكاء، ... وانّما هي رِقّة ورحمة يجعلها اللّه في قلب مَن شاء مِن خَلقه، ويرحم اللّه من يشاء، وانّما يرحم من عباده الرُّحماء[2].

وعنه (عليه السّلام) قال: رخَّص رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في البكاء عند المصيبة وقال: «النَفْسُ مُصابة والعين دامعة والعهد قريب، فقولوا ما ارضى اللّه، ولاتقولوا الهجر»[3].

وقد ذكر المؤرّخون أنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم):

١ـ بكى على جدِّه عبدالمطلب[4].

٢ـ وبكى على عمّه أبي طالب[5].

٣ـ وبكى على أُمّه آمنة بنت وهب[6].

١ـ الاستيعاب: ج١ ص٥٧.

٢ و٣ـ بحار الأنوار: ج٨٢ باب التعزية والمأتم ص١٠١.

٤ـ الطبقات الكبرى: ج١ ص٩٥.

٥ـ الطبقات الكبرى: ج١ ص٩٩.

٦ـ الطبقات الكبرى: ج١ ص٩٤.

٤ـ وبكى على فاطمة بنت أسد[١] .

٥ـ وبكى على خديجة بنت خويلد[٢] .

٦ـ وبكى على عثمان بن مظعون[٣] .

٧ـ وبكى على جعفر بن أبي طالب[٤] وقال: «على مثل جعفر فلتبك البواكي»[٥] .

٨ـ وبكى على زيد بن حارثة وعبداللّه بن رواحة[٦] .

٩ـ وبكى على سعد بن الربيع ـ وقد قُتل يوم أُحُد ـ وسمع النسوة يبكين، فدمعتْ عيناه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وما نهاهنَّ عن شيء من البكاء[٧] .

١٠ـ وبكى على عمِّه حمزة بن عبدالمطّلب، بل شجَّع على البكاء عليه حينما سمع النساء يبكين على قتلاهن، فذرفتْ عيناه وبكى وقال: «لكنَّ حمزة لابواكي له» فجاءت نساء بني عبدالأشهل فبكين على عمّ رسول اللّه، فلمّا سمعهنّ خرج اليهن فقال: «إرجعن يرحمكنَّ اللّه، فقد آسيتنَّ بأنفسكنّ»[٨] .

هذا قليل من كثير.. من بكاء رسول اللّه وعزائه على الشهداء

١ـ ذخائر العقبى: ص٥٦ .

٢ـ المناقب للخوارزمي: ص٢٥٣ .

٣ـ الاستيعاب: ج٣ ص١٠٥٥ .

٤ـ ذخائر العقبى: ص٢١٨ .

٥ـ أنساب الأشراف للبلاذري: ج٢ ص٤٣ .

٦ـ الاستيعاب: ج٢ ص٥٤٦ .

٧ـ المغازي: ج١ ص٣٣٠ .

٨ـ السيرة النبويّة: ج٢ ص٩٩ .

والصالحين، والمؤمنين والمؤمنات.

ومن هذا المنطلق.. تجد الامام الصادق ـ حفيد رسول اللّه وخليفته الشرعي السادس ـ يأمر باقامة العزاء والنياحة عليه ـ سبع سنوات ـ في موسم الحج، حيث يجتمع الناس من كلّ فجٍّ عميق، ويُخصّص (عليه السّلام) مالاً يُنفَق على إقامة العزاء عليه.

فتراه (عليه السّلام) يأمرهم بالبكاء عليه، لأنه فارق الحياة مسموماً مظلوماً صابراً محتسباً.

وقد سبَقه الى هذه الوصيّة والده العظيم الامام محمد الباقر (عليه السّلام) حيث اوصى بالنياحة عليه عشر سنوات في موسم الحج أيضاً في منى، وخصَّص مالاً يُنفَق على إقامة العزاء عليه.

ومن هذا المنطلق أيضاً.. تجد الشيعة ـ وهم أتباع ائمَّة أهل البيت (عليهم السّلام) ـ يقيمون مجالس العزاء والنياحة على ائمة أهل البيت (عليهم السّلام) في ايام وفياتهم وأحزانهم واستشهادهم، في كلّ عام، ويُنفقون أموالاً طائلة في سبيل اقامة العزاء واطعام الطعام.. وبناء الحسينيّات والمآتم، وغير ذلك.

وما ذاك كلُّه إلاّ اقتداءً بالائمَّة الطيّبين الطاهرين من أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) وإحياءً لأمرهم، وتعظيماً لهم ولشعائرهم التي هي من شعائر اللّه تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللّه فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى القُلُوب﴾[1].

هذا.. ولئن وَردتْ بعض الأحاديث التي تنهى عن النياحة على الميت، فهي إمّا ضعيفة السَّند ولايصحُّ الاستناد اليها والاستدلال بها، وإمّا

١ـ سورة الحج آية ٣٢.

محمولة على التقيّة لأنها موافقة للمذاهب الباطلة المنحرفة عن الحق. .

وإمّا بمعنى النهي عن الجَزع الذي قد يتنافى مع الصبر، وليس بمعنى النهي عن البكاء.

وإنّما ذكرنا هذه الكلمة الموجزة حول البكاء والنياحة على الميت. . ردّاً على ماتنشره الفرقة الضالَّة من السُّموم والشبهات المضلِّلة، ومنها حرمة البكاء على الميّت. . فانتبه جيّداً ـ أيُّها القارئ الكريم ـ واحذر شياطين الانس أن يخدعوك أو يُضلّوك. . واللّه العاصم.

٢ـ وصيَّتُه في تغسيله

قال الامام موسى بن جعفر (عليهما السّلام): فيما أوصاني به أبي أن قال: «يابُنيّ إذا أنا مِتُّ فلايغسّلني أحدٌ غيرك، فإنّ الإمام لايغسِّله إلاّ الامام، وأعلم أنّ عبداللّه أخاك سيدعو النّاس الى نفسه فَدعْه فإنّ عُمْره قصير».

فلمّا [ان] مضى غسّلته كما أمرني، وادّعى عبداللّه الإمامة مكانه، فكان كما قال أبي وما لبث عبداللّه يسيراً حتّى مات[1].

وقد روي أن الملائكة تحضر عند تغسيل الامام المعصوم وتُعين الامام ـ الذي بعده ـ على تغسيل جثمان ذلك الامام وتجهيزه ودفْنه[2].

وبناءً على هذا. . فلاشكَّ أن الملائكة أعانت الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام) على تغسيل جثمان والده الامام الصادق (عليه السّلام).

١ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٢٤.

٢ـ بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢٨٩ باب: أن الامام لايُغسّله الاّ الامام.

٣ـ وصيَّتُه على الامام من بعده

كان الامام الصادق (عليه السّلام) ينتهز كلَّ فرصة مناسبة للنَّص على إمامة الامام من بعده وأنه ولَده الامام موسى الكاظم (عليه السّلام).

فقد روى علي بن جعفر قال: سمعتُ أبي جعفر بن محمد (عليهما السّلام) يقول ـ لجماعة من خاصَّته وأصحابه ـ:

«إستوصوا بموسى ابني خيراً، فانَّه أفضلُ وُلدي ومَن أُخلِّف من بعدي، وهو القائم مقامي والحجَّة للّه عزّوجلّ على كافَّة خَلقه من بعدي»[1].

هذا.. وقد جرت العادة على أن يؤكّد الامام المعصوم على الامام من بعده، قُبيل وفاته أيضاً، كما صَدر ذلك من الامام علي أمير المؤمنين والامام الحسن والامام الحسين وسائر الأئمّة الطاهرين (صلوات اللّه عليهم أجمعين).

والامام الصادق (عليه السّلام) قام بنفس الدَّور.. على الصعيد الخاص والعام.

أمّا على الصعيد الخاص فقد كان يؤكّد على إمامة ولده الامام موسى الكاظم (عليه السّلام) للزائرين والداخلين عليه:

فقد روى يزيد بن اسباط قال: دخلتُ على أبي عبداللّه (عليه السّلام) ـ في مَرْضته التي مات فيها ـ فقال لي: يايزيد اترى هذا الصَّبي؟

اذا رأيتَ الناس قد اختلفوا فيه فاشهد عليَّ بأني اخبرتُك.

إنَّ يوسف انّما كان ذنبه عند اخوته ـ حتى طرحوه في الجُبّ ـ الحسد له، حين أخبرهم انه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر وهم له ساجدون.

١ـ بحار الأنوار: ج٤٨ ص٢٠.

وكذلك لابدَّ لهذا الغلام من أن يُحسَد.

ثم دعا (عليه السّلام) ـ موسى وعبدالله واسحاق ومحمداً والعباس وقال لهم ـ [مشيراً الى وَلده موسى]:

«هذا وصيُّ الأوصياء، وعالِمُ عِلم العلماء، وشهيدٌ على الأموات والأحياء».

ثم قال: يايزيد ﴿ستُكْتبُ شهادتُهم ويُسألون﴾[1].

هذا على الصعيد الخاص.

وأمّا على الصعيد العام فقد فرضت الظروف الصعبة على الامام أن يستخدم طريقة معيَّنة للإعلان عن وصيِّه وخليفته من بعده.

وهذه الطريقة تُرشد الأذكياء من شيعته الى الامام من بعده.

فماذا فَعَل الامام؟

الجواب: انه أوصى الى خمسة أشخاص.. هم:

١ـ المنصور الدوانيقي.

٢ـ محمد بن سليمان ـ والي المدينة ـ.

٣ـ عبدالله بن الامام الصادق.

٤ـ الامام موسى الكاظم (عليه السّلام).

٥ـ حميدة المصفّاة ـ زوجة الامام الصادق ـ.

أمّا الأول والثاني فمن الواضح لدى أهل البصيرة والمعرفة إنَّ ذكرهما انما هو من باب التقيَّة.. لا غير.

وأمّا السيدة حميدة فهي إمرأة، ومقام الامامة خاصٌ بالرجال.

يبقى وَلده عبدالله وولده موسى (عليه السّلام) والأول كانت فيه عاهة والامامة لاتُعهد الى ذي عاهة.

١ـ بحار الأنوار: ج٤٨ ص٢٠، والآية في سورة الزخرف آية ١٩.

فيتعيَّن أن يكون الوصي هو ولده الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام).

لذلك روي أن أبا حمزة الثمالي ـ حينما سمع نبأ استشهاد الامام الصادق (عليه السّلام) ـ سأل عن وصيِّه؟

فأخبروه.

فقال: الحمد للّه الذي لم يُضلَّنا: دَلَّ على الصغير، ومَنَّ على الكبير، وستَر الأمر العظيم.

واليك الرواية بالتفصيل:

روي عن داود بن كثير الرقيّ قال: وَفَد من خراسان وافد يكنّى أبا جعفر (واجتمع إليه جماعة من أهل خراسان، فسألوه أن يحمل لهم أموالاً ومتاعاً ومسائلهم في الفتاوى والمشاورة)، فوردَ الكوفة [فنزل] وزار [قبر] أمير المؤمنين (عليه السّلام) ورأى في ناحية رجلاً وحولَه جماعة، فلمّا فرغ من زيارته قَصَدهم فوجَدَهم شيعة فقهاء ويسمعون من الشّيخ فسألهم عنه، فقالوا: هو أبو حمزة الثّمالي.

قال: فبينما نحن جلوس إذ أقبل أعرابي، فقال: جئتُ من المدينة وقد مات جعفر بن محمّد (عليهما السّلام) فشهق أبو حمزة وضرب بيده الأرض، ثمّ سأل الأعرابي، هل سمعتَ له بوصيّة؟

قال: أوصى إلى ابنه عبداللّه، وإلى ابنه موسى، وإلى المنصور.

فقال أبو حمزة: الحمد للّه الّذي لم يُضلَّنا: دَلَّ على الصّغير، ومَنَّ على الكبير، وستَر الأمر العظيم.

ووَثبَ الى قبر أمير المؤمنين فصلّى وصلّينا.

ثمّ أقبلتُ عليه وقلت له: فَسِّر لي ما قلتَه؟

فقال: بيّن أنّ الكبير ذو عاهة ودلّ على الصّغير بأن أدخل يده مع الكبير، وستَر الأمرَ بالمنصور حتى إذا سأل المنصور: مَن وصيُّه؟ قيل أنت.

قال الخراساني: فلم أفهم جواب ما قاله، ووردتُ المدينة، ومعي المال والثّياب والمسائل، وكان فيما معي درهم ـ دفعته إليّ إمرأة تسمّى شطيطة ـ ومنديل، فقلت لها: أنا أحمل عنك درهم؟!! فقالت: إنّ اللّه لايستحيى من الحقّ، فعوّجت الدّرهم وطرحته في بعض الأكياس.

فلمّا حصلتُ بالمدينة سألتُ عن الوصيّ فقيل [لي] عبداللّه ابنه، فقصدتُه فوجدتُ باباً مرشوشاً مكنوساً عليه بوّاب، فأنكرتُ ذلك في نفسي واستأذنتُ ودخلتُ بعد الإذن، فإذا هو جالس في منصبه، فأنكرتُ ذلك أيضاً.

فقلت: أنت وصيّ الصادق (عليه السّلام) الإمام المفترض الطّاعة؟ قال: نعم.

قلت: كم في المائتين من الدّراهم زكاة؟

قال: خمسة دراهم.

قلت: فكم في المائة؟

قال: درهمان ونصف.

قلت: ورجل قال لإمرأته: أنت طالق بعدد نجوم السّماء [هل] تطلّق بغير شهود؟

قال: نعم، ويكفي من النّجوم رأس الجوزاء ثلاثاً.

فعجبتُ من جواباته ومجلسه.

وقال: إحمل إليّ ما معك؟

قلت: ما معي شيء [و]جئت إلى قبر النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله)

فلمّا رجعتُ الى بيتي إذا أنا بغلام أسود واقف، فقال: سلام عليك. فرددتُ عليه السّلام.

قال: أجِب من تريده، فنهضتُ معه، فجاء بي إلى باب دار مهجورة، ودخل وأدخلني فرأيت موسى بن جعفر (عليهما السّلام) على حصير الصّلاة، فقال لي:

ياأبا جعفر [إجلس] وأجلسني قريباً، فرأيتُ دلائله، أدباً وعلماً ومنطقاً.

وقال لي: إحمل ما معك، فحملتُه الى حضرته فأومى بيده الى الكيس [الّذي فيه درهم المرأة]، فقال لي: إفتحه، ففتحته، وقال لي: أقلبه فقلبته فظهر درهم شطيطة المعْوَج، فأخذه بيده وقال: إفتح تلك الرّزمة[1]. ففتحتها، فأخذ المنديل منه بيده وقال: ـ وهو مقبل عليّ ـ: إنّ اللّه لايستحيي من الحقّ، يا أبا جعفر إقرأ على شطيطة السّلام منّي وادفع إليها هذه الصرّة.

وقال لي: أُردُد ما معك إلى مَن حمله وادفعه إلى أهله، وقل: قد قبله ووصلكم به.

وأقمتُ عنده وحادثني وعلّمني، وقال لي: ألم يقل لك أبو حمزة الثّمالي بظهر الكوفة ـ وأنتم زوّار أمير المؤمنين ـ كذا وكذا؟

قلت: نعم.

قال: كذلك يكون المؤمن إذا نوّر اللّه قلبه كان عِلْمه بالوجه.

ثمّ قال لي: قم إلى ثقاة أصحاب الماضي[2] فسلهم عن نصّه.

١ـ الرِزْمة: ماشُدَّ في ثوب واحد (أقرب الموارد).

٢ـ المراد بالماضي هنا: الامام الصادق (عليه السّلام).

قال أبو جعفر الخراساني: فلقيت جماعة كثيرة منهم شهدوا بالنّص على موسى (عليه السّلام).

ثمّ مضى أبو جعفر الى خراسان.

قال داود الرقّي: فكاتَبني من خراسان، أنّه وَجد جماعة ـ ممّن حملوا المال ـ قد صاروا فَطَحيّة، وأنّه وجد شطيطة على أمرها تتوقّعه يعود.

قال: فلمّا رأيتها عرّفتها سلام مولانا عليها، وقبوله منها دون غيرها وسلّمتُ إليها الصرّة، ففرحتْ وقالت لي: أمسك الدّراهم معك، فإنّها لكفني.

فأقامتْ ثلاثة أيّام وتوفّيت [إلى رحمة اللّه تعالى][1].

٤ـ وصيّته الاخلاقية لابنه موسى (عليه السّلام)

روي عن بعض أصحاب الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السّلام) قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصّيه بهذه الوصيّة، فكان ممّا حفظتُ منها أن قال: يابنيّ أقبل وصيّتي واحفظ مقالتي فإنّك إن حفظتها تعيش سعيداً، وتموت حميداً:

يابنيّ مَن رضى بما قُسِم له استغنى، ومَن مَدَّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومَن لم يرضَ بما قسَمه اللّهُ له إتّهم اللّهَ في قضائه، ومَن استصغر زلَّة نفسه إستعظم زلّة غيره، ومن استصغر زلّة غيره إستعظم زلّة نفسه.

يابنيّ مَن كَشف حجاب غيره إنكشفتْ عورات بيته، ومَن سَلَّ سيفَ البغي قُتل به، ومَن احتفر لأخيه بئراً سَقَط فيها، ومن داخل السّفهاء حُقِّر،

١ـ الخرائج والجرائح: ج١ ص٣٢٨ ح٢٢. إثبات الهداة: ج٥ ص٤٨٧ ح٤٦.

ومَن خَالطَ العلماء وُقِّر، ومَن دخَل مداخل السّوء إتُّهم.

يابنيّ إيّاك إن تزري بالرّجال فيُزرى بك، وإيّاك والدّخول فيما لايعنيك فتذلّ لذلك.

يابنيّ قل الحقّ لك أو عليك تستشان من بين أقرانك[1].

يابنيّ كن لكتاب اللّه تالياً، وللسَّلام فاشياً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولمن قَطَعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدئاً، ولمن سألك معطياً.

وإيّاك والنّميمة فإنّها تزرع الشّحناء في قلوب الرّجال.

وإيّاك والتعرّض لعيوب الناس فمنزلة التعرّض لعيوب النّاس بمنزلة الهدف.

يابنيّ إذا طلبت الجود فعليك بمعَادنه فإنّ للجود معادن، وللمعادن أصولاً وللأصول فروعاً، وللفروع ثَمراً، ولايطيب ثمر إلاّ بأصول، ولا أصل ثابت إلاّ بمعدن طيِّب.

يابنيّ إن زرتَ فزُر الأخيار ولاتزر الفجّار، فإنّهم صخرة لايتفجّر ماؤها، وأرض لايظهر عُشْبها.

قال عليّ بن موسى: فما ترك هذه الوصيّة إلى أن تُوفّي[2].

١ـ قوله (عليه السّلام): «تُستشان» أي يكون لك شأن ووجاهة.

٢ـ حلية الأولياء: ج٣ ص١٩٥.

الامام الصادق (عليه السّلام) ساعة الاحتضار

عن سالمة مولاة أبي عبداللّه (عليه السّلام) قالت: كنت عند أبي عبداللّه (عليه السّلام) حين حضرته الوفاة، فأغمي عليه فلمّا أفاق قال: أعطوا الحسن بن عليّ بن الحسين ـ وهو الأفطس ـ سبعين ديناراً، وأعطوا فلاناً كذا وكذا، وفلاناً كذا وكذا، فقلت: أتعطي رجلاً حَمَل عليك بالشّفرة [يريد أن يقتلك][1]؟

فقال: ويحكِ أما تقرأين القرآن؟

قلت: بلى.

قال: أما سمعت قول اللّه عزّوجلّ: ﴿والّذينَ يصلُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[2].

فقال: أتريدين على أن لا أكون من الّذين قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿والَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ

١ـ هذه الزيادة وردت في رواية بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢.

٢ـ سورة الرعد آية ٢١.

سُوءَ الْحِسَابِ﴾؟

نعم يا سالمة إنّ اللّه خلق الجنّة وطيّبها وطيّب ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة ألفي عام ولايجد ريحها عاقّ ولا قاطع رحم[١] .

وعن أبي بصير قال: دخلتُ على أُمّ حميدة أُعزّيها بأبي عبداللّه (عليه السّلام) فبكت وبكيت لبكائها ثمّ قالت: يا أبا محمّد لو رأيت أبا عبداللّه (عليه السّلام) عند الموت لرأيت عَجَباً، فتح عينيه، ثمّ قال: أجمعوا لي كلّ مَن بيني وبينه قرابة، قالت: فلم نترك أحداً إلاّ جمعناه. قالت: فنظر إليهم ثمّ قال:

«إنّ شفاعتنا لاتنال مستخفّاً بالصّلاة»[٢] .

وقال الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام): انّه لمّا حضر أبي الوفاة قال لي:

«يابنيّ إنّه لاينال شفاعتنا من استخفّ بالصلاة»[٣] .

١ـ الكافي: ج٧ ص٥٥ .

٢ـ المحاسن: ج١ ص١٥٩ ح٢٢٥ .

٣ـ الكافي: ج٣ ص٢٧٠ ح١٥ .

الامام الصادق (عليه السّلام) يفارق الحياة

أيُّها المؤمنون: عظَّم اللّه اجوركم في مصيبة إمامكم.. هذه المصيبة الأليمة التي ابكت ملائكة السماوات.

إنّ الملائكة تبكي على المؤمن إذا مات، فكيف لاتبكي على إمام المؤمنين وحجة اللّه على العالَمين؟!!

كيف لاتبكي على خليفة رسول اللّه وحفيده وناشر علومه ومُحيي دينه المبين؟!!

كيف لاتبكي على هذه المصيبة العظمى التي حَلَّتْ بالاسلام والمسلمين؟!!

وعلى هذه الخسارة الكبرى التي مُني بها الناس أجمعون؟!!

كيف لاتبكي على هذا الامام الذي عاش مظلوماً ومضى مسموماً؟!!

لقد قضى الامام الصادق (عليه السّلام) حياته بالخوف والشدَّة، والتشريد والتهديد.

فيوماً استُدعي الى بغداد، وخاطبه المنصور الطاغية بكلمات لاتليق بمقامه (عليه السّلام)!!

ويوماً أُبعد الى الحيرة والكوفة!!

ويوماً احرقوا داره!!

ويوماً تسلَّقوا عليه بيته واخذوه سَحباً الى المنصور، بلا عمامة ولارداء!!

ويوماً شاهَد بني عمومته يُقادون الى السجن وقد اثقلتْهُم السلاسل والقيود!!

وكم مرَّة تآمر عليه الطاغية واراد قتله؟!!

وكم مرَّة جرَّد السيف ليضرب عُنقه؟!!

وكم..؟

وكم..؟

ولم يهدأ له بال حتّى دَسَّ اليه السُّم، وتَركَ احشاءه تتقطَّع.

والآن..

والآن.. قد اشرفتْ شمس وجوده على الغروب

واقتربت حياته المباركة من النهاية.

ها هو طريح الفراش، وقد احاط به أهله وأولاده.. ينظرون الى الوالد الرحيم والأب الكريم والامام العظيم.. وهو على اعتاب الآخرة..

وحانَ الفراق..

ودقّتْ ساعة الصّفر..

وكأنّي بالامام (عليه السّلام) يفتح عينه ويديرها في وجوههم، مودِّعاً ايّاهم بنظرة مِلؤها المحبّة والحنان..

إنّها النظرة الأخيرة..

إنه الوداع الأخير..

وداعاً ياأهلي وأولادي . .

وداعاً ياشيعتي وأصحابي . .

فهذا الفراق واللّقاء عند الصراط للشفاعة .

وكأنّي به (عليه السّلام) يستقبل القبلة بجسمه المُتعَب النحيف . . مُسْبلاً يديه . . مادّاً رِجليه .

ولحيتُه البيضاء الشريفة تستقبل السماء .

وشفتاه الكريمتان تُتَمتمان . .

ولسانه يَلهج بذكر اللّه :

أشهد أن لا إله الاّ اللّه ، وأشهد أن محمداً رسول اللّه .

ويُغمِّض عينيه الغائرتين . . بكلّ هدوء .

ودقّات قلبه الكبير . . تتوقّف شيئاً فشيئاً .

وكأنّي بالنداء الالهي يهتف به :

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[1] .

فتستسلم الرّوحُ لبارئها .

ويفارق الامامُ الحياة ، ليلتحق بآبائه الطاهرين وأجداده المعصومين . . في مقعد صدق عند مليك مُقتدر .

وإنّا للّه وإنّا إليه راجعون .

١ـ سورة الفجر الآيات ٢٧ ـ ٣٠ .

كيفيّة شهادته (عليه السّلام)

أيّها القارئ الكريم: الشهادة في سبيل اللّه ظاهرة مألوفة في حياة الأنبياء والأوصياء والأولياء.

فالذي يحمل رسالة الارشاد والاصلاح لابدَّ وأن يتعرَّض للأذى والاضطهاد من السفهاء أو أصحاب المطامع والمصالح والأهواء.. وبالتالي قد تنتهي حياته بالقتل.. إمّا بالسيف أو السُّم أو غيرهما.

هذا.. وقد ثبت عن ائمة أهل البيت (عليهم الصّلاة والسلام) أنهم لايموتون ميتة طبيعية، بل بالشهادة.. بالسيف أو السُّم..

فقد روي عن الامام الحسن المجتبى (عليه السّلام) أنه قال ـ في خطبته بعد شهادة أبيه الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) ـ:

«لقد حدَّثني حبيبي جدّي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أن الأمر يملكه إثنا عشر إماماً من أهل بيته وصفوته، ما منّا إلاّ مقتول أو مسموم»[1].

١ـ بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢١٧.

وقال الامام الصادق (عليه السّلام): «واللّهِ ما منّا إلاّ مقتول شهيد»[١].

وقال الامام الرضا (عليه السّلام): «ما منّا الاّ مقتول»[٢].

والدليل على أن الامام الصادق (عليه السّلام) فارق الحياة مسموماً هو:

١ـ الأحاديث العامَّة التي تصرّح وتؤكِّد على أن أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) ما منهم الاّ مسموم أومقتول.

٢ـ ما ذكره العلماء والمؤرّخون من أن الامام الصادق (عليه السّلام) مضى مسموماً.

واليك بعض ما ذكروه في هذا المجال:

قال الشيخ الصدوق: (... والصادق جعفر بن محمّد (عليه السّلام) سمَّه أبو جعفر المنصور فقتله...)[٣].

وروى ابن شهرآشوب: عن أبي جعفر القميّ قال: سمَّه المنصور، ودُفن في البقيع[٤].

وقال الطبريّ الإمامي: سمَّه المنصور فقَتله ومضى[٥].

وقال الكفعميّ:

وتُوفّي (عليه السّلام)... مسموماً في عنبٍ[٦].

١ـ بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢٠٩.

٢ـ بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢١٤.

٣ـ الاعتقادات للصدوق: ص١٠٩.

٤ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٨٠.

٥ـ دلائل الامامة: ص١١٠.

٦ـ المصباح: ص٦٩١.

وقال ابن الصبّاغ المالكي :

يقال إنّه مات بالسّمّ في أيّام المنصور[١] .

وقال المحدّث المتبحّر الشيخ عبّاس القمّي :

« . . توفّي الامام الصادق (عليه السّلام) في شهر شوال سنة ١٤٨ هـ بالعنب المسموم الذي اطعمه المنصور . . . »[٢] .

١ـ الفصول المهمة : ص٢١٩ .

٢ـ منتهى الآمال : ج٢ ص٢٤٣ .

ما بعد الشهادة

ارتفعت أصوات البكاء من دار الامام الصادق (عليه السّلام) فعلم الناس أن الامام قد فارق الحياة، فأقبلوا مسرعين أفواجاً افواجاً، الى دار الامام (عليه السّلام) يُقدّمون التعازي الى اولاده (عليه السّلام) ويشاركونهم في البكاء والعزاء ويواسونهم في هذه المصيبة الأليمة.

وهكذا النساء اقبلن الى دار الامام (عليه السّلام) ليشاركن عائلة الامام الصادق (عليه السّلام) في الحزن والبكاء.

وما مضى من الوقت إلاّ قليل حتى امتلأت دار الامام الصادق (عليه السّلام) بالناس، فما كنتَ تسمع الاّ صرخات الرجال وعويل النساء.

وهذا امرٌ طبيعي.. لأن الامام الصادق (عليه السّلام) كان محبوباً عند الناس وله مكانة واسعة في القلوب، ويعترف بفضله الصديق والعدوّ، والقريب والبعيد، والمؤالف والمخالف..

فلاعَجب اذا انفجر الناس بالبكاء في مصيبة استشهاد هذا الامام العظيم.

لقد فقدوا بحراً من العِلم، وطَوداً من الحلم، وكتلةً من الفضائل

والمواهب.

لقد فقدوا شيخَ الأئمة، واستاذ الفقهاء، وقدوة العلماء.

فَقَدوا خليفة رسول اللّه بالحق... الذي كان يمثّل رسول اللّه في اقواله وأفعاله، وأخلاقه وسيرته، وحركاته وسَكناته.

هذا.. والذي اقرح قلوبهم وهيَّج احزانهم اكثر فأكثر هو أن الامام لم يمت ميتة طبيعية، لم يمت حتْف انفه.. بل مات على أثر السُّم الذي دسَّه اليه المنصور السفّاك اللعين.. فقضى (عليه السّلام) نحبه مسموماً مظلوماً صابراً محتسباً..

فانا للّه وإنا إليه راجعون، وسيعلم الذين ظَلموا أيَّ مُنقلَب ينقلبون.

مراسم التغسيل والتكفين

قام الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام) بتنفيذ وصايا أبيه المسموم المظلوم وتجهيزه.

وأوّل ما قام به هو تغسيل جثمانه (عليه السّلام).

وهناك رواية تقول: ان الامام الصادق (عليه السّلام) كان قد اوصى معاوية بن عمّار بتغسيله.

وهذه الرواية غير صحيحة.. لأنها ضعيفة السَّند ـ اولاً ـ.

ولأنها مُخالِفة لما ثبت أن الامام لايُغسّله إلاّ الامام ـ ثانياً ـ.

ولأنها مُنافية للحديث الذي ذكرناه قبل قليل، أن الامام الصادق (عليه السّلام) أوصى ولده الامام الكاظم (عليه السّلام) بتغسيله، دون غيره ـ ثالثاً ـ.

والصحيح هو أن الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام) غسل جثمان والده الكريم، ـ حَسَبَ وصيّته (عليه السّلام) ـ.

ثم قام بتكفينه.

قال (عليه السّلام): «أنا كفّنتُ أبي في ثوبين شطويّين[1] كان يُحْرم فيهما وفي قُميص من قمصه وفي عمامة كانت لعليّ بن الحسين (عليهما السّلام) وفي بُرد إشتراه بأربعين ديناراً»[2].

وبعد ذلك تقدَّم الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام) وصلّى على جثمان أبيه، لأن «الامام لايُصلّي عليه الاّ الامام» واصطفَّ خلفه اولاد الامام الصادق (عليه السّلام) ومَن حَضَرَ هناك من بني هاشم وغيرهم.

١ـ شطا اسم قرية بناحية مصر تنسب اليها الثياب الشطويَّة (مجمع البحرين).

٢ـ الكافي: ج١ ص٤٧٥ ح٨.

موكب التشييع

انتشر خبر وفاة الامام الصادق (عليه السّلام) فعُطِّلت الأسواق وأُغلقت المحلاّت واجتمعت الجماهير الغفيرة ـ من المدينة المنوَّرة وضواحيها ـ للمشاركة في تشييع جثمان الامام (عليه السّلام).

جميع الطوائف، ومختلف الطبقات والمستويات حَضروا للتشييع.

الصَديق والعدوّ، المؤالف والمخالف، القريب والبعيد.. . كلُّهم جاؤا للتشييع، وذلك لأن الامام الصادق (عليه السّلام) كان يتمتَّع بمكانة اجتماعية سامية ـ كما ذكرنا في فصل الوفاة ـ وكان الجميع ينظرون الى الامام بنظرة الاكبار والتجليل:

فالشيعي يعتقد فيه أنه الامام المعصوم الطاهر الذي فَرضَ اللّه طاعته على الناس وقَرنَ طاعته بطاعة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

وغير الشيعي يعتقد فيه أنه العالم الزاهد العابد المتَّصف بمكارم الأخلاق وجميل السّجايا والصفات.

ولهذا. . فالجميع اشتركوا في التشييع، فكان موكباً مهيباً مُحاطاً بهالةٍ من القداسة والعظمة والهيبة.

. . وأُخرج الجثمان الشريف من دار الامام، وَسَط صَرخات الناس وبكائهم . .

واشترك اولاد الامام الصادق (عليه السّلام) في موكب التشييع، وكانوا ينظرون الى جثمان والدهم العظيم محمولاً على الأكتاف، فكانت تهيج أحزانهم وتنهمر دموعهم.

وكان الناس قد احاطوا بأولاد الامام، يشاركونهم في الحزن والبكاء.

ونظر أبو هريرة الأبّار العجلي ـ وهو من أصحاب الامام ـ الى جثمان الامام محمولاً على سريره. . فهاج به الحزن وارسل دموعه على خدَّيه. . وأنشد يقول:

أقول وقد راحُوا به يحملونه ... على كاهلٍ مِن حامليه وعاتقِ
أتدرون ماذا تحملون إلى الثَرى ... ثبيراً ثوى من رأس عَلياء شاهقِ
غَداةَ حثى الحاثونَ فوق ضريحه ... تُراباً وأولى كان فوقَ المفارقِ
أيا صادقَ ابن الصّادقين أليَّةً ... بآبائك الأطهار حِلفةَ صادقِ
لَحقّاً بكم ذو العرش قسَّم في الورى ... فقال تعالى اللّه ربُّ المشارقِ
نجوم هي اثنا عشرة كنّ سبّقاً ... إلى اللّه في عِلم من اللّه سابقٍ[1]

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٣٣٢ ح٢٤.

المثْوى الأخير

.. ووصل موكب التشييع الى البقيع الغرقد.. فاشتدَّ بكاء الناس ـ وخاصّة أولاد الامام ـ وهم يعيشون اللحظات الأخيرة مع الامام الذي عاشوا معه وأنِسُوا به واستمعوا الى حديثه وسعدوا بالنظر اليه.

وها هو الجثمان المقدَّس.. سيُوارى الثرى بعد قليل.. ويغيب الامام الصادق (عليه السّلام) غيبةً ابديَّة!!

.. وتوجَّهوا بالجثمان الشريف نحو بقعة أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) وكانوا قد حفروا القبر للامام في تلك البقعة المقدَّسة.

يالها من بقعةٍ طاهرة .. ما أعظمَها وأشرفَها!

ويالها من تُربةٍ زاكية .. ما أطهرها وأقدسها!!

ويالها من روضةٍ كريمة .. ما اعلاها واسماها!

روضة تضمُّ أربعةً من حُجج اللّه على الخَلق أجمعين.

وتربة تحتضن أربعة من الائمة الطيِّبين الطاهرين.

وبقعة يرقد فيها أربعة من أبناء رسول اللّه المعصومين:

١ـ الامام الحسن المجتبى سيد شباب أهل الجنّة.

٢ـ الامام علي بن الحسين زين العابدين.

٣ـ الامام محمد بن علي باقر علوم الأوّلين والآخرين.

وها هو الامام جعفر الصادق.. يلتحق بأبيه وجدّه وعمّ جدّه، ويرقد بجوارهم. (صلوات اللّه عليهم أجمعين).

قال شيخنا الكليني: «ودُفن بالبقيع في القبر الذي دُفن فيه أبوه وجدُّه والحسن بن علي (عليهم السّلام)»[1].

وقال ابن الصبّاغ المالكي: «وقبره بالبقيع، دُفن في القبر الذي فيه أبوه وجدُّه وعمُّ جدِّه، فللّه درُّه من قبرٍ ما اكرمه وأشرفَه»[2].

وقال المسعودي: «وكانت على القبر رُخامة قد كُتبت عليها اسماؤهم الشريفة على الترتيب»[3].

وفي نفس هذه البقعة الشريفة مرقد السيدة الطاهرة: فاطمة بنت أسد، زوجة شيخ البطحاء ومؤمن قريش وحامي الرسول: سيدنا أبي طالب (سلام اللّه عليه) ووالدة بطل الاسلام وخليفة الرسالة وعميد الامامة وسيد العترة: الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات اللّه عليه).

ويزعم بعض المخالفين أن هذا قبر السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (عليها الصلاة والسلام).

وهذا القول غير صحيح، بل الصحيح أنها (سلام اللّه عليها) اوصتْ أنْ تُدفن سِراً ويُخفى موضع قبرها، لأنها كانت ناقمة على رجال السلطة الغاصبة الحاكمة يومذاك، ولهذا اوصتْ زوجها الامام علياً أمير المؤمنين

١ـ الكافي: ج١ ص٤٧٢.

٢ـ الفصول المهمة: ص٢١٩.

٣ـ مُروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص٢٩٧.

(عليه السّلام) بأن لايَشهدا جنازتها ولا الصلاة عليها ولاتشييعها . .

ونفّذ الامام علي (عليه السّلام) جميع وصاياها بلا استثناء .

ولهذا فقبرها الشريف كان ولايزال مجهولاً وسوف يبقى مجهولاً الى الأبَدَ . . ليكون وثيقة خالدة على سَخطها ومَظلوميّتها (سلام اللّه عليها) .

وما ادَّعاه المخالفون ـ من تعيين موضع قبرها بالبقيع ـ ليس إلاّ محاولة يائسة منهم على مَحو هذه المظلوميّة وغسْل هذا الظلم والجفاء والغدر الذي صدر من رجال السلطة تجاه بنت رسول اللّه وسيدة نساء العالمين .

وهيهات . . هيهات . . أن يتحقق ذلك .

ما بعد الدفن

يعلم اللّه تعالى مدى الحزن والألم الذي كان يعتصر قلوب اولاد الامام الصادق (عليه السّلام) وخاصة حينما استقرّ الجثمان الشريف في القبر واسرجوا عليه اللِّبن واهالوا عليه التراب.

حقّاً إنها ساعة أليمة.. وموقف حزين جداً.

لقد غاب عنهم والدهم العزيز، العطوف الرحيم، الذي كان يغمرهم بَعطفه وحَنانه ويشملهم برعايته وعنايته.

لقد غاب الامام الذي مَلأ الدنيا بعلومه ومعارفه!

لقد غاب المعلِّم الكبير الذي تخرَّج على يديه أُلوف العلماء والفقهاء والمفسِّرون والمحدِّثون وغيرهم.

لقد غاب المربِّي الذي ربّى أُلوف الناس على الايمان والاخلاق والكمالات.

لقد غاب الطَّود العظيم الذي كان كتلةً من المواهب والفضائل.

لقد غاب الامام الذي كان قمَّةً في النزاهة والتقوى والعصمة والطهارة.

لقد غاب الكريم الذي كان يُغدق على الفقراء ويُحسن الى المساكين ويأخذ بيد الضعفاء ويُساعد المحتاجين.

لقد غاب المجاهد الذي عاش حياة العقيدة والجهاد، وتحمَّل انواع الأذى والاضطهاد في سبيل اللّه تعالى، وفي سبيل الرسالة الدينيّة التي كان يحملها.

لقد غاب الصابر المحتسب الذي صَبَر على البلايا والمحن.. بكلّ صمود ورباطة جأش..

والآن..

والآن.. عليهم أن يعودوا الى الدار..

ولكنْ: كيف؟!

كيف وقد فَقَدوا الوالد الكريم. والدار بعده موحشة!!

وكلّ شبر من الدار يذكِّرهم بذلك الأب العزيز الذي فقدوه.

هنا حجرتُه.. هنا مُصلاّه.. هنا كان يلتقي بأصحابه ويُفيض عليهم من علومه.. هُنا.. هُنا... وهكذا..

وهنا حديث يرويه الشيخ الكليني.. فيقول:

لمّا قُبض أبو جعفر [الباقر] (عليه السّلام) أمَر أبو عبداللّه (عليه السّلام) بالسّراج في البيت الّذي كان يسكنه، حتّى قُبض أبو عبداللّه (عليه السّلام) ثمّ أمر أبو الحسن (عليه السّلام) بمثل ذلك في بيت أبي عبداللّه (عليه السّلام) حتّى أُخرج به إلى العراق ثمّ لا أدري ما كان[1].

١ـ الكافي: ج٣ ص٢٥١ ح٥ وكلمة[الباقر] زيادة توضيحيَّة منّا.

أصداء الشهادة

انتشر خبر استشهاد الامام الصادق (عليه السّلام) في البلاد، ووَصل الخبر الى المُدن التي يتواجد فيها الشيعة بكثرة، كالكوفة والبصرة وغيرهما.. فاحترقت القلوب وجرتِ الدموع، وساد الحزن والحداد على تلك البلاد.

روي عن داود بن كثير الرقّي قال: اتى اعرابي الى ابي حمزةٍ الثمالي [في الكوفة] فسأله [أبو حمزة] خبراً؟

فقال [الأعرابي]: توفي جعفر الصادق (عليه السّلام).

فَشَهِق [أبو حمزة] شهقةً وأُغمي عليه، فلمّا افاق قال: هل اوصى الى أحد...» الى آخر الخبر وقد تقدم[1].

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٤، ومابين المعقوفتين زيادات توضيحيَّة منّا. وقد ورد الحديث في الخرائج والجرائح: ج١ ص٣٢٨ ح٢٢ مع اختلاف يسير.

موقف الدوانيقي من استشهاد الامام

أمّا المنصور الدوانيقي فقد استخدم الألعاب الشيطانيّة التي يستخدمها الرؤساء في موت خصومهم، فهو من جهة يُدرك مدى الخسارة التي لحقتْ بالأُمَّة الاسلامية بوفاة سيدنا ومولانا الامام الصادق (عليه السّلام).

ومن جهة اخرى يَشعر بالراحة النفسية ويتنفَّس من اعماقه.. لوفاة الامام، لأنه كانٍ يخشى منه على حكومته الفانية.

لذلك تراه يذرف دموع التماسيح، في وفاة الامام الصادق (عليه السّلام) محاولةً منه لتغطية الجريمة النكراء التي قام بها حينما أَمر بدسّ السُّمّ الى الامام (عليه السّلام).

وهذه ألعاب معروفة في عالم السياسة والسياسيّين.

وفي نفس الوقت تراه يكتب الى واليه على المدينة المنوَّرة بأن يضرب عُنق خليفة الامام الصادق (عليه السّلام) والامام الذي نَصَّ عليه من بعده.

فانظر الى التناقض في تصرُّفات هذا الطاغوت!!

عن أبي أيّوب النّحوي قال: بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف اللّيل فدخلت عليه وهو جالس على كرسيّ، وبين يديه شمعة وفي يده كتاب، فلمّا سلّمت عليه رمى الكتاب إليّ وهو يبكي وقال: هذا كتاب محمّد بن سليمان يُخبرنا أنّ جعفر بن محمد قد مات. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ـ ثلاثاًـ وأين مثل جعفر؟!

ثمّ قال لي: أكتب فكتبت صدر الكتاب، ثمّ قال: أكتب: إنْ كان أوصى إلى رجلٍ بعَينه فقدِّمه واضرب عنقه.

قال: فرجَع الجواب إليه: إنّه قد أوصى إلى خمسة نفر وأحدهم أبو

جعفر المنصور ومحمّد بن سليمان وعبداللّه وموسى [بن جعفر] وحميدة.

فقال المنصور: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل[1].

قال العلاّمة المجلسي (طيَّب اللّهُ ثراه): كان الامام (عليه السّلام) يعلم ـ بعلم الامامة ـ أن المنصور سيقتل وصيَّه، فأشركَ هؤلاء النَّفر ظاهراً فكتب اسم المنصور اوَّلاً. لكنَّ الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام) هو الذي كان مخصوصاً بالوصيَّة دونهم، وكان أهل العلم يعرفون ذلك. كما مضى في رواية أبي حمزة الثمالي[2].

١ـ الكافي: ج١ ص٣١٠ ح١٣.

٢ـ جلاء العيون: ص٥٢٣.

تاريخ شهادته (عليه السّلام)

قال الشيخ الكليني: مضى (عليه السّلام) في شوّال من سنة ثمان وأربعين ومائة وله خمس وستّون سنة[1].

وقال الشيخ الطبرسي: مضى (عليه السّلام) في النّصف من رجب، ويقال في شوّال سنة ثمان وأربعين ومائة[2].

وجاء في كتاب جنّات الخلود: كان وفاته يوم الأحد وفي قولٍ آخر يوم الإثنين في ٢٥ من شهر شوّال[3].

أقـــول: المشهور بين الشيعة الاماميَّة أنّه (عليه السّلام) توفّي في الخامس والعشرين من شهر شوّال سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة.

وفي هذا اليوم ـ من كلّ عام ـ تقام عشرات الآلاف من المجالس والمآتم في المساجد والحسينيّات والبيوت والجامع، في البلاد الشيعيَّة وغيرها، ويرقى السادة الخطباء المنابر ويتحدَّثون عن الامام الصادق (عليه السّلام)

١ـ الكافي: ج١ ص٤٧٢.

٢ـ اعلام الورى: ص١٥٩.

٣ـ جنات الخلود: ص٢٩.

وفضائله الزاهرة ومناقبه الباهرة ومواقفه الشريفة وحياته الزاخرة بالعطاء والخيرات والكرامات.

ويختمون حديثهم بذكر جانب ممّا جرى عليه (عليه السّلام) من المصائب والمحن والتي خُتمت بشهادته مسموماً مظلوماً، بأمر المنصور الدوانيقي اللعين.

كما تَخرج مواكب العزاء الى الشوارع العامَّة، ويشترك فيها مختلَف الطبقات من الناس وهم يرتدون الملابس السوداء ويرفعون الأعلام السوداء ويلطمون على صدورهم ويُردِّدون الأشعار الحزينة المنظومة في هذه المناسبة الأليمة.

زيارة الامام الصادق (عليه السّلام)

تُعتبر زيارة القبور من المستحبّات المؤكَّدة في الاسلام، وقد وردتْ في شأنها أحاديث كثيرة مذكورة في كتب المسلمين، من الصحاح وغيرها.

كما قد وردت أحاديث صحيحة كثيرة تؤكِّد على استحباب زيارة مراقد أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيراً، سواء في المدينة المنوَّرة أم في العراق أم في ايران.

فقد روي عن الامام الصادق (عليه السّلام) أنه قال: «اذا حجَّ أحدُكم فليختم حجَّهُ بزيارتنا، لأن ذلك من تمام الحج»[1].

وقال الامام الرضا (عليه السّلام): «إنَّ لكلّ امام عهداً في عُنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحُسْن الاداء: زيارة قبورهم، فمَن زارهم ـ رغبةً في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه ـ كان أئمَّتُهم شفعاءَهم يوم القيامة»[2].

وعن أبي عبدالله الحراني قال: قلتُ لأبي عبدالله [الصادق] (عليه

١ـ عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٦٢ ح٢٨.

٢ـ الكافي: ج٤ ص٥٦٧ ح٢.

السّلام): ما لمن زار قبرَ الحسين (عليه السّلام)؟

قال: مَن أتاه وزاره وصلّى عنده ركعتين كُتبتْ له حجّة مبرورة، فانْ صلّى عنده أربع ركعات كُتبتْ له حجَّة وعُمرة.

قلت: جُعلت فداك، وكذلك لكلّ من زار إماماً مفترضةً طاعتُه؟

قال: وكذلك كلّ من زار إماماً مفترضةً طاعتُه[1].

وعن زيد الشحّام قال: قلت لأبي عبدالله [الصادق] (عليه السّلام): ما لمن زار أحداً منكم؟

قال: كمن زار رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[2].

وبخصوص زيارة الامام الصادق (عليه السّلام) وردت أحاديث شريفة... منها:

عن الامام الصادق (عليه السّلام) قال: «مَن زارني غُفرتْ له ذنوبُه ولم يمُت فقيراً»[3].

وقال الامام الحسن العسكري (عليه السّلام): «مَن زار جعفراً وأباه لم يَشْتكِ عينه ولم يُصبْه سقم ولم يَمُت مُبتلى»[4].

من هنا.. فقد دأبَ المؤمنون على زيارة مرقده الشريف، منذ وفاته وشهادته وحتى هذا اليوم.

وهناك زيارة جامعة للأئمة الطاهرين المدفونين في البقيع.. وهي:

«السلام عليكم أئمةَ الهدى، السلام عليكم أهلَ التقوى، السلام عليكم أيُّها الحُجَج على أهل الدنيا، السلام عليكم أيها القُوّام في البريَّة

١ـ التهذيب: ج٦ ص٧٩ ح١٥٦.

٢ـ التهذيب: ج٦ ص٧٩ ح١٥٧.

٣ و٤ـ التهذيب: ج٦ ص٧٨ ح١٥٣ و١٥٤.

بالقِسط، السلام عليكم أهلَ الصَّفوة، السلام عليكم آلَ رسول الله، السلام عليكم أهلَ النجوى.

أشهد أنكم قد بلَّغتم ونَصحتم وصبرتم في ذات الله، وكُذِّبتم وأُسيئ إليكم فغفرتم، وأشهد أنّكم الأئمّة الراشدون المهتدون وأنَّ طاعتكم مفروضة، وأن قولكم الصدق، وأنّكم دعوتم فلم تُجابوا وأمرتم فلم تُطاعوا، وأنكم دعائم الدين وأركان الأرض، لم تزالوا بعين الله ينسَخكم مِن أصلاب كلِّ مطهَّر وينقلكم من أرحام المطهَّرات.

لم تُدنّسْكم الجاهلية الجهلاء، ولم تَشْرَكْ فيكم فِتَن الأهواء، طبتم وطاب مَنْبتُكم.

مَنَّ بكم علينا ديّانُ الدِّين، فجعلكم في بيوت اَذنَ اللهُ أنْ تُرفع ويُذكر فيها اسمُه، وجعل صَلَواتنا عليكم رحمةً لنا وكفّارةً لذنوبنا، إذ اختاركم الله لنا وطيَّب خَلْقنا بما مَنَّ علينا من ولايتكم، وكنّا عنده مُسمِّين بعِلمكم، مُعترفين بتصديقنا ايّاكم.

وهذا مقام من أسرفَ وأخطأ واستكان وأقرَّ بما جَنى ورجى بمقامه الخلاص، وأن يَسْتنقذه بكم مُستنقذُ الهلكى من الرَّدى.

فكونوا لي شفعاء، فقد وفدتُ اليكم إذ رغبَ عنكم أهلُ الدنيا، واتَّخذوا آياتِ الله هزُوا...» الى آخر الزيارة[1].

١ـ مفاتيح الجنان للقمي.

القبرُ المهدوم

لقد كانت ـ ولاتزال ـ روضة أهل البيت المقدَّسة في البقيع مَهوى أفئدة المؤمنين يتوافدون إليها افواجاً أفواجاً من شرق الأرض وغربها ـ وخاصة في موسم الحج ـ ويتشرَّفون بزيارة الائمَّة الطاهرين (عليهم السّلام) المدفونين في البقيع . . تقرُّباً الى الله ورسوله، واداءً لبعض الواجب الذي فرضَه الله تعالى عليهم بقوله :

﴿قُل لا أَسئَلُكُم عَلَيْهِ أَجْراً إلاّ المَوَدَّةَ في القُرْبى﴾[1] .

فكانت زيارة أبناء رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تعبيراً عن الولاء والمحبَّة، ومن مَصاديق «المودَّة» التي جعلها الله أجراً لرسالة نبيِّه المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) .

وبمرور الأيّام . . تمَّ بناء تلك البقعة الطاهرة . . فصارت عليها قُبَّة شامخة وبناءرائع وحَرم شريف وهيبة وجلالة تتجلّى فيها العظمة الالهيَّة والقُدْسيَّة الربّانيّة . .

١ـ سورة الشورى آية ٢٣ .

وكيف لاتكون كذلك وهي روضة من رياض الجنة ومن البيوت التي اَذِنَ اللهُ أنْ تُرفع ويُذكر فيها اسمه. ؟!!

وكان البناء على قبور الأنبياء والأولياء ظاهرة مألوفة عند جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، ويعتبرونه نوعاً من تعظيم الشعائر الالهيّة.. التي قال الله عنها:

﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فانّها مِن تَقْوَى القُلُوب﴾[1].

وكانت مراقد الأنبياء والأولياء كثيرة في بلاد المسلمين ـ من العراق والحجاز والاردن ومصر وسوريا وفلسطين وايران والمغرب الأقصى وغيرها ـ وعليها القُباب العالية والمآذن الشامخة والأبنية الرفيعة.

ولم ينكرها أحد من أئمّة المذاهب الأربعة ولا من علماء المسلمين وفقهاء الشريعة.

فقد كان أحمد بن حنبل ـ إمام المذهب الحنبلي ـ يعيش في بغداد ونَصْب عينيه قبر أبي حنيفة وعليه بناء مشيَّد، ولم ينه عن ذلك.

بل كان الشافعي يزور قبر أبي حنيفة.

كما أنه لم ينكر أحد من أئمَّة أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) البناء على القبور.

فقد كان البناء على مرقد سيد الشهداء الامام الحسين (عليه السّلام) منذ عصر الامام الصادق (عليه السّلام) أو قبله، ولم يُنكره الامام ولم ينْه عنه، ولم ينكره غيره من الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام).

وكلّما انهدم البناء.. أسرع المؤمنون الأبرار الى تشييده من جديد.. على أحسن مايُرام.

١ـ سورة الحج آية ٣٢.

وفي عصر هارون العباسي بُنيتْ قُبَّة مُشيَّدة على مرقد خليفة رسول الله الامام علي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

وعلى كل حال.. فان سيرة المسلمين كانت ولاتزال جارية على البناء على مراقد أولياء الله الصالحين.

ولكنْ.. ومع الأسف الشديد.. حينما استولى الوهّابيّون على الحرمَين الشريفين في الحجاز، أسرعوا الى هدم القُباب المشيَّدة على قبور أولياء الله الصالحين.. زاعمين أن البناء على القبور حرام..

ولنا أن نتساءل: هل جهل ائمة المذاهب الأربعة هذا الحكم.. وعَلمه هؤلاء؟

إنهم يدَّعون أنهم على مذهب أحمد بن حنبل.. فلماذا لم يُحرّم إمام الحنابلة البناء على القبور؟؟

وكيف خفي هذا الحكم على المسلمين طوال هذه القرون المتمادية؟؟

وهل خصَّ الله تعالى الوهّابيّين بمعرفة حرمة البناء على القبور.. دون غيرهم؟؟!!

أم نُسخ حلال محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على أيديهم؟؟!!

اذن: ما معنى: «حلال محمد حلال الى يوم القيامة»؟؟!!

أيُّها القارئ الكريم:

وفي اليوم الثامن من شهر شوال لعام ١٣٤٢ هـ امتدَّت الأيدي الأثيمة فهدمت القبة النوراء والبناء المشيَّد على مرقد الائمة المعصومين الأربعة: الامام الحسن المجتبى والامام زين العابدين و الامام الباقر والامام الصادق (صلوات الله عليهم أجمعين) وسوَّوا تلك القبور المقدَّسة مع الأرض، وهتكوا حُرمتها، ولم يحفظوا لها قُدسيَّة ولا كرامة.. وتركوا

تلك البقعة الطاهرة بلا ظِلال ولا ضياء ولا فراش ولا بناء ولا حُرمة ولا احترام!!!..

فلا سقفٌ يُظلّل على رؤوس الزوّار، ولا شيء يقيهم الحرَّ والبرد والمطر!

فهل هذا جزاءرسول الله في عترته وأهل بيته؟!!

وهل هذا أجرُ الرسالة؟؟!

ألم يكفِ ما لاقاه آلُ رسول الله ـ في حياتهم ـ من الأذى والظلم والاضطهاد والتشريد والتخويف والسَّبْي والقتل.. حتى جاء هؤلاء ليُكملوا المشوار؟!!

ولقد أجاد السيد محسن الأمين.. حيث قال:

لم يكْفِ ما صنعتْ بهم أعداؤهم ... زمنَ الحياة وما اعتداه المعتدي
حتى غدتْ بعد الممات خوارج ... في الظلم بالماضين منهم تقتدي
هَدمتْ ضرائحَ فوقهم قد شُيِّدتْ ... معقودةً مِن فوق أشرف مَرقدِ

وقال الآخر:

لمن القبور الدّارسات بطيبةٍ ... عَفّتْ بها أيدي الشِّقا آثارا
قبرٌ تعالى شأنه بالمجتبى الـ ... حسنِ الزكي فصار فيه مَنارا
وعليٌ السجّادُ وُرِي عنده ... مَن كان زينَ العابدين فَخارا
والباقر البحرُ الخِضَمُّ بجنبه ... بدرٌ يشُعُّ على الورى أنوارا
والصادقُ العَلَم المعظَّمُ قد ثوى ... طَوداً بدا للمؤمنين شعارا
قل للذي افتى بهدم قبورهم ... أنْ سوفَ تَصلى في القيامة نارا
اعلمتَ أيَّ مقابرٍ هدَّمتَها ... هي للملائك لاتزال مَزارا

هذا.. ولازال الأمر على ما كان عليه.. حتى الآن!!

فالقبور مَهدومة، وكرامة الأئمَّة الطاهرين مهدورة، وحُرمة آل رسول الله مهتوكة، ووصيَّة رسول الله في أهلِ بيته متروكة.. ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

وإننا ـ وعبْر هذه السطور ـ نوجّه النداء الى العالَم الاسلامي وندعوا المسلمين الأحرار في كلّ مكان الى أن يَهُبُّوا يداً واحدة وبصوت واحد ويطالبوا السلطات المسؤولة للسماح ببناء هذه الروضة المقدَّسة والقبور الطاهرة والمراقد المقدَّسة، وإعادة الكرامة المسلوبة منها عشرات السنين.

ومن الله التوفيق.. وهو المستعان.

بعض ما قيل في رثائه (عليه السّلام)

للسيد محسن الأمين:

يا بُدوراً قد غالَها الخسفُ لكنْ ... لم تزلْ في الهدى بُدوراً تماماً
حاولتْ نقصَها العِدى فأبى الرحمـ ... ـنُ إلاّ لنورها الإتماما
حرَّ قلبي لسادةٍ أزكياء ... في الطوامير خُلِّدوا أعواما
أرهقوا الطفل والمراهق منهم ... بالملمّات يقظة ومناما
أرضعوا طفلَهم لُبانَ الرزايا ... وأَعدُّوا له الحسام فِطاما
قتلوهم وما رَعَوا لرسول اللـ ... ـه إلاّ في آله وذماما
يا جبالاً حلماً تفوق الرواسي ... وسجالاً نُعمى تَعُمُّ الأناما
ولُيوثاً غُلْباً إذا طاشت الأحـ ... ـلامِ في الرَّوعِ لم تطشْ أحلاما
لم يمتْ حتْفَ أنفهِ من امامٍ ... منكُمُ عاش بينهم مُستضاما
ما كفاها قتلُ الوصيِّ وشبليـ ... ـه وأبنائهم إماماً إماما
والتعدِّي على الميامين حتّى ... لم تُغادر من تابعيهم هُماما
ورمتْ جَعفراً رزايا أرتنا ... بأبيه تلك الرزايا الجِساما
بأبي مِن بَني النّبيّ إماماً ... جرَّعتْه بنو الطليق الحِماما
بأبي مَن أقامَه اللّه للعِلـ ... ـم وللحِلم غاربا وسناما

بأبي مَن بكى عليه المُعادي والمُوالي له بكاءَ الأيامى
بأبي مَن أقام حيّاً وميْتاً عَمَد الدّين والهدى فاستقاما
بأبي مَن عليه جبريلُ حُزناً في السماوات مأتماً قد اقاما
يا حِمى الدين إنَّ فقدك أورى في حَشى الدّين جذوةً وضراما
ومن المؤمنين أسهر طَرْفاً ومن الكاشحين طَرْفاً أناما
كنتَ للدّين مَظهراً ومَناراً ولأهليه جُنَّة وعِصاما
كان بيتُ الهدى بهدْيكَ مَعمُو راً وقد سامَه الضلالُ انهداما
لا مُقام لأهل يثرب فيها يوم أبكيت يثرباً والمَقاما
أيّها البدءُ والختام لهذا الـ ـكون طبتم بدايةً وختاما
إنْ تساموا ضَيماً فعمّا قليلٍ يُدرك الثأر ثائر لن يُضاما
مَلِكٌ تخضع الملوكُ لديه وإليه يُلقي الزّمانُ الزِّماما
عَلَمٌ للهدى به اللّه يمحو كلَّ غيٍّ ويمحق الآثاما
وبه اللّه يملأ الأرض عَدلاً وبه يكشف الكروبَ العِظاما
مُحيِياً دينَ جدِّه مُحكِماً بالـ ـبيض والسُّمرِ شَرعه إحكاما
حَيِّ مولىً جبريلُ جهراً ينادي في السّماواتِ باسمه إعظاما
بكَ يا كافي المهمات لُذنا فَرَقاً فاكفنا الطّغاةَ الطُغاما
نَشتكيهم إليك في كلِّ يوم فالى ما نشكو إليك الى ما[1]

وله أيضاً:

تبكي العيونُ بدمعها المتوردِّ حُزناً لثاوٍ في بقيع الغَرقدِ

١ـ المجالس السَّنيَّة: ج٥ ص٥١٤.

تبكي العيون دَماً لفقد مُبرَّزٍ من آل أحمد مثلُه لم يُفقَدِ

أيُّ النواظر لاتفيضُ دموعها حُزناً لمأتم جعفر بن محمد

للصادق الصّدّيق بَحرِ العِلم مصـ ـباح الهدى والعابد المتهجِّد

رزءٌ له أركانُ دينِ محمّد هُدَّتْ وناب الحزنُ قلبَ محمّد

رزءٌ أصاب المسلمين بذلَّةٍ وهَوى له بيتُ العلى والسؤدد

رزءٌ له تبكي شريعة أحمد وتنوحُ مُعولةً بقلبٍ مكمد

عمَّ الضّلال لفقْدِ هاديها وقد فُقدَ الرشادُ بها لفَقْدِ المُرشِدِ

رزءٌ تَهونُ له المصائبُ كلُّها رزءٌ له غاضَ الندى وخَلا الندي

رزءٌ بقلب الدين اثبَت سهمَه ورمى حشاشة قلب كلِّ موحّد

ثَلُم الهُدى والدّين منه ثُلمةً حتى القيامة ثَلمُها لم يُسْدَد

ماذا جنتْ آل الطّليق وما الّذي جرَّت على الاسلام من صنعٍ رَدي

كم انزلتْ مُرَّ البلاء بجعفرٍ نجمِ الهدى مأمونِ شرعةِ أحمد

كم شرَّدتْه عن مدينة جدِّهِ ظُلماً تجشّمه السُّرى في فَدْفَدِ

كم قد رأى المنصورُ منه عجائباً ورأى الهدى لكنّه لم يهتدِ

هيهات ما المنصورُ منصورٌ بما يأتي ولا هو للهدى بمسدَّدِ

لم يحفظوا المختارَ في أولاده وسِواهُمُ من أحمدٍ لم يُولَد

لم يكفِ ما صنعتْ بهم أعداؤهم زَمن الحياة وما اعتداه المعتدي

حتّى غدتْ بعد الممات خوارجٌ في الظّلم بالماضين منهم تَقتدي

هَدَمتْ ضرائحَ فوقهم قد شُيِّدتْ معقودةً من فوق أشرفِ مَرقدِ[1]

١ـ المجالس السنيَّة: ج٥ ص٥١٦.

زوجات الامام الصادق (عليه السّلام)

تزوّج الامام الصادق (عليه السّلام) بعدد من الحرائر، واشترى بعض الجواري، وإليك بعض التفصيل:

١ـ السيدة فاطمة بنت الحسين بن الامام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السّلام) فهي بنت عمّ الامام.

وقيل: فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الامام الحسن بن الامام علي بن ابي طالب (عليه السّلام)[1].

٢ـ أُمّ حميدة، أو حميدة المصفّاة البربريّة.

٣ـ أُم وهب بن وهب ابي البختري.

٤ـ أُم سالمة.

وغيرهن.

١ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٦١.

حُميدة المصفّاة البربريّة:

هي حُميدة المصفّاة، إبنة صاعد البربري، ويقال: إنها أندلسيّة، أُمّ ولد، تكنّى لؤلؤة. . .[١].

وروي أن الامام الصادق (عليه السّلام) قال: «حُميدة مُصفّاة من الأدناس كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتى أُدِّيت إليَّ، كرامةً من اللّه لي والحجَّة من بعدي»[٢].

وعن عيسى بن عبدالرحمن، عن أبيه قال: دخل ابن عكاشه بن محصن الأسدي على أبي جعفر [الباقر]ـ وكان أبو عبداللّه (عليه السّلام) قائماً عنده ـ فقدَّم إليه عنباً فقال: حبّةً حبّةً، يأكله الشيخ الكبير والصبيّ الصغير، وثلاثةً وأربعةً يأكله من يظن أنّه لايشبع، وكُلْه حبّتين حبّتين، فانه يستحبّ.

فقال لأبي جعفر (عليه السّلام): لأي شيء لاتُزوّج أبا عبداللّه فقد أدرك التزويج؟.

قال: ـ وبين يديه صُرَّة مختومة ـ فقال: أما إنه سيجيء نخّاس[٣] من أهل بربر فينزل دار ميمون، فنشتري له ـ بهذه الصّرّة ـ جاريةً.

قال: فأتى لذلك ما أتى.

فدخلنا يوماً على أبي جعفر (عليه السّلام) فقال: ألا أُخبركم عن

١ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٢٣.

٢ـ الكافي: ج١ ص٤٧٧ ح٢، هكذا وجدنا في المصدر ولعلَّ الأصح: «من الله لي وللحجّة من بعدي».

٣ـ النخّاس: بيّاع الدّواب والرقيق (القاموس)

النخّاس الذي ذكرته لكم؟ قد قَدِم، فاذهبوا فاشتروا بهذه الصرّة منه جارية.

قال: فأتينا النخّاس فقال: قد بعتُ ما كان عندي الاّ جاريتين مريضتين إحديهما أمثل من الأخرى[1].

قلنا: فأخرجهما حتّى ننظر إليهما. فأخرجهما فقُلنا: بكم تبيعُنا هذه المتماثلة؟

قال: بسبعين ديناراً.

قُلنا: أَحسِنْ.

قال: لاأنقص من سبعين ديناراً؟

قلنا له: نشتريها منك بهذه الصرّة ما بلغتْ ولاندري ما فيها.

وكان عنده رجل أبيض الرّأس واللّحية، قال: فُكّوُا وزِنوا.

فقال النّخّاس: لاتفكّوا فإنّها إن نقصت حبّة من سبعين ديناراً لم ابايعكم.

فقال الشّيخ: ادنوا، فَدَنونا وفككنا الخاتم ووزَنّا الدّنانير فاذا هي سبعون ديناراً لاتزيد ولاتنقُصُ. فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفر (عليه السّلام) وجعفر قائم عنده فأخبرْنا أبا جعفر بما كان، فحَمِد اللّه وأثنى عليه ثمَّ قال لها: ما اسمُك؟

قالت: حميدة.

فقال: حميدة في الدُّنيا محمودة في الآخرة، أخبريني عنك أَبِكْر أنتِ أم ثيّب؟

١ـ قوله: «أمثل من الاخرى»، أي: أقرب الى البُرء وافضل وأحسن، وكذا المتماثلة، قال في القاموس: تماثل العليل: قارب البُرء، والأمثل: الافضل (مرآة العقول).

قالت: بِكْر. . . .

فقال: يا جعفر خذها إليك. فولدتْ خيرَ أهل الأرض موسى بن جعفر (عليهما السّلام)[١] .

١ـ الكافي: ج١ ص٤٧٦ ح١ .

أولاده وبناته

كان للإمام الصادق (عليه السّلام) سبعة أولاد، وهم:

١ـ اسماعيل الأمين[1].

٢ـ عبدالله الأفطح.

٣ـ الامام موسى الكاظم (عليه السّلام).

٤ـ إسحاق.

٥ـ محمد، الديباج.

٦ـ العباس.

٧ـ علي العُريضي[2].

وفي (كشف الغمة):

٨ـ ويحيى[3].

١ـ في كشف الغمة ج٢ ص١٦١: اسماعيل الأعرج.

٢ـ مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٨٠.

٣ـ كشف الغمة: ج٢ ص١٦١.

وثلاث بنات، وهُنَّ:

١ـ أُمُّ فروة وهي التي زوّجها من ابن عمّه، الخارج مع زيد بن علي بن الحسين.

٢ـ أسماء.

٣ـ فاطمة الصغرى.

والآن نتحدَّث عن بعض أولاده (عليه السّلام) وبعض القضايا المرتبطة به:

١ـ إسماعيل بن الامام الصادق (عليه السّلام)

كان اسماعيل اكبر أولاد الامام الصادق (عليه السّلام) وكان رجلاً كريماً شجاعاً جليلاً، يحبُّه الامام الصادق (عليه السّلام) لفضائله وفواضله، ويرشده ويوجّهه.

وكان بعض الشيعة يظن أن اسماعيل هو الامام بعد أبيه ـ لما اشتُهر بينهم أن الامامة في الولد الأكبر اذا لم تكن فيه عاهة ـ ولميل أبيه اليه وإكرامه له.. فكان الامام الصادق (عليه السّلام) ينفي ذلك.

وقد روي ان اسماعيل بن عمّار عَرضَ دينه على الامام الصادق (عليه السّلام) فقال: أشهد أن لا إله الاّ اللّه وأن محمداً رسول اللّه وأنكم... ـ وجعل يذكر الأئمة واحداً بعد واحد حتى انتهى الى الامام الصادق.. ثم قال ـ : واسماعيل من بعدك.

فقال الامام: «أمّا اسماعيل فلا»[1].

وعن عمرو بن ابان قال: ذكر أبو عبداللّه (عليه السّلام) الأوصياء،

١ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٦١.

وذكرتُ اسماعيل، فقال: «لا والله ـ يا أبا محمد ـ ماذاك الينا، ما هو إلاّ الى اللّه، يُنزل واحداً بعد واحد.»[1].

وكان الامام الصادق (عليه السّلام) قد نصَّ على إمامة ولده الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام) من بعده عند بعض شيعته في حياة اسماعيل، ولهذا كان الفضلاء من أصحاب الامام الصادق (عليه السّلام) لايعتقدون بامامة اسماعيل ولا بامامة أخيه عبداللّه الأفطح ـ الذي كان أكبر أولاد الامام الصادق حين وفاة الامام ـ بسبب آفة العضو الموجودة فيه.

وهناك قضيَّة حدثتْ لاسماعيل بن الامام الصادق (عليه السّلام) ورجل آخر نذكرها للعبرة والموعظة:

عن حمّاد بن عيسى، عن حريز قال: كانت لإسماعيل بن أبي عبداللّه (عليه السّلام) دنانير وأراد رجل من قريش أن يخرج إلى اليمن فقال إسماعيل: يا أبت إنّ فلاناً يريد الخروج إلى اليمن وعندي كذا وكذا ديناراً فترى أن أدفعها إليه يبتاع لي بها بضاعة من اليمن؟

فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): «يابُني أما بلغك أنه يشرب الخمر؟!» فقال إسماعيل: هكذا يقول النّاس.

فقال: «يابُني لاتفعل»، فعصى إسماعيل أباه ودفع إليه [الى شارب الخمر] دنانيره فاستهلكها [أتلفها] ولم يأته بشيء منها.

فخرج إسماعيل وقضى أن أبا عبداللّه (عليه السّلام) حجَّ، وحج إسماعيل تلك السنة فجعل يطوف بالبيت ويقول: اللهم أجرني وأخلف علي.

فلحقه أبو عبداللّه (عليه السّلام) فهَمَزه [دفعه أو عَصَره] بيده من

١ـ بصائر الدرجات: ص٤٩١ ح٤.

خلفه فقال له: «مَه يابُني فلاوالله مالَكَ على الله حُجَّة، ولالك أن يأجرك ولايخلف عليك وقد بلغك أنه يشرب الخمر فائتمنته».

فقال إسماعيل: يا أبت إنّي لم أره يشرب الخمر إنّما سمعت الناس يقولون.

فقال: «يابُني إنَّ الله (عزّوجلّ) يقول في كتابه: ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾[1] يقول: يُصدّق الله ويُصدّق للمؤمنين، فإذا شهِد عندك المؤمنون فصدّقهم ولاتأتمن شارب الخمر فإن الله (عزّوجلّ) يقول في كتابه: ﴿ولاتؤتوا السّفهاء أموالكم﴾[2]، فأيُّ سفيه أسْفَه من شارب الخمر؟!! إن شارب الخمر لايُزوَّج إذا خطب، ولايُشفَّع إذا شفع، ولايؤتمن على أمانة، فمن ائتمنه على أمانة فاستهلكها [أتلفها] لم يكن للّذي ائتمنه على الله أن يأجره ولايخلف عليه»[3].

وفاة اسماعيل

ومات اسماعيل في حياة الامام الصادق (عليه السّلام) فكان موته فتنة عقائدية عند ضعفاء العقيدة.

وكان الامام الصادق (عليه السّلام) يعلم ـ بِعلم الامامة ـ ان ذوي القلوب المريضة سيقومون بأعمال شيطانيّة مُضلّلة، ولهذا قام الإمام بأعمال لعلَّها كانت غير مألوفة في ذلك الزمان:

فقد كشف الإمام الصادق عن وجه ولده اسماعيل بمرأى من الناس،

١ـ سورة التوبة آية ٦١.

٢ـ سورة النساء آية ٥.

٣ـ الكافي: ج٥ ص٢٩٩ ح١.

مرّات عديدة، وأراهم ان اسماعيل ميّت، ودَفنه في البقيع.

كلّ ذلك إتماماً للحُجّة، ودفعاً للشبُهة، وقد شهد ذلك المشيّعون الذين حضروا تشييع جنازة اسماعيل. . واليك بعض التفصيل:

روي عن زرارة بن أعين أنه قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السّلام) وعن يمينه سيّد ولده موسى (عليه السّلام) وقدّامه مرقد مغطّى فقال لي: يازرارة جئني بداود بن كثير الرقي، وحمران، وأبي بصير، ودخل عليه المفضّل بن عمر، فخرجتُ فأحضرتُ مَن أمرني باحضاره، ولم يزل الناس يدخلون واحداً إثر واحد، حتّى صرنا في البيت ثلاثين رجلاً.

فلمّا حشد المجلس[1] قال: ياداود اكشف لي عن وجه إسماعيل، فكشفتُ عن وجهه فقال أبو عبدالله (عليه السّلام): ياداود أحيٌ هو أم ميّت؟ قال داود: يامولاي هو ميّت، فجعل يعرض ذلك على رجل رجل حتى أتى على آخر من في المجلس وانتهى عليهم بأسْرهم، كلٌّ يقول: هو ميت يامولاي، فقال: اللهم اشهد. ثم أمر بغَسله وحنوطه، وإدراجه في أثوابه.

فلمّا فرغ منه قال للمفضّل: يامفضّل احسرْ عن وجهه. فحَسَرَ عن وجهه فقال: أحيٌ هو أو ميت؟ فقال: ميّت. قال: اللّهم اشهد عليهم، ثم حُمل إلى قبره، فلمّا وُضع في لَحده قال: يامفضّل إكشف عن وجهه وقال للجماعة: أحيٌ هو أم ميّت؟ قلنا له: ميّت، فقال: اللهمّ اشهد، واشهدوا فإنّه سَيرتاب المبطلون، يريدون إطفاء نور الله بأفواههم.

ـ ثم أومأ إلى موسى (عليه السّلام) ـ والله مُتمٌّ نورِهِ ولو كره المشركون.

١ـ أي اجتمع فيه الناس.

ثم حثونا عليه التراب، ثم أعاد علينا القول فقال: الميّت المحنّط المكفّن المدفون في هذا اللّحد من هو؟ قلنا: إسماعيل، قال: اللّهمّ اشهد، ثم أخذ بيد موسى (عليه السّلام) وقال: هو حق، والحقُّ معه ومنه، إلى أن يرثَ اللّه الأرض ومَن عليها[1].

وروي عن سعيد بن عبداللّه الأعرج قال: قال أبو عبداللّه (عليه السّلام): لمّا مات إسماعيل أمرتُ به وهو مسجّى أن يُكشف عن وجهه فقبَّلتُ جبهته وذَقنه ونَحره، ثم أمرتُ به فغُطِّي، ثم قلت: اكشفوا عنه، فقبّلتُ أيضاً جبهته وذقنه ونَحره، ثم أمرتُهم فغطّوه، ثم أمرتُ به فَغُسِّل، ثم دخلتُ عليه وقد كُفِّن فقلت: اكشفوا عن وجهه، فقبَّلتُ جبهته وذقنه ونحره، وعَوّذتُه، ثم قلت: ادْرِجوه[2].

فقلت: بأيّ شيء عوّذتَه؟

قال: بالقرآن[3].

وعن اسماعيل بن جابر قال: دخلتُ على أبي عبداللّه (عليه السّلام) حين مات ابنه اسماعيل الاكبر فجعل يقبّله وهو ميّت فقلت: جُعلت فداك أليس لاينبغي أن يُمسّ الميّت بعدما يموت ومَن مَسّه فعليه الغسل؟

فقال: أمّا بحرارته فلابأس، إنّما ذاك إذا بَرد[4].

وخرج الامام الصادق(عليه السّلام) فتقدّم السرير بلاحذاء ولارداء[5].

١ـ بحار الأنوار: ج٤٨ ص٢١.

٢ـ أدرجوه ـ أي لفّوه.

٣ـ إكمال الدين: ص٧١. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٤٧.

٤ـ التهذيب: ج١ ص٤٢٩ ح١٣٦٦.

٥ـ الكافي: ج٣ ص٢٠٤ ح٥.

ولمّا انزلوه في القبر جاء (عليه السّلام) فقعد ثم قال: «رحمك اللّه وصلّى عليك» ولم ينزل في قبره وقال: هكذا فعل النبي (صلى اللّه عليه وآله) بإبراهيم (عليه السّلام)[1].

وفي كتاب الغيبة للنعماني: من مشهور كلام أبي عبداللّه (عليه السّلام) عند وقوفه على قبر إسماعيل: «غَلبَني الحزنُ لك على الحزن عليك، اللّهم إنّي وهبتُ لإسماعيل جميعَ ما قَصّر عنه، ممّا افترضتَ عليه من حَقّي، فهبْ لي جميعَ ما قَصَّر عنه فيما افترضتَ عليه من حقّك»[2].

وعن عنبسة بن بجّاد العابد، قال: لمّا مات إسماعيل بن جعفر بن محمد (عليهما السّلام) وفرغنا من جنازته، جلس الصادق جعفر بن محمّد (عليهما السّلام) وجلسنا حوله وهو مُطرِق، ثم رَفع رأسَه فقال: أيُّها الناس إنّ هذه الدُّنيا دار فراق، ودار إلتواء لادار استواء، على أن لفراق المألوف حُرقة لاتُدفَع، ولَوعة لاتُرَدّ، وانّما يتفاضل الناسُ بحُسن العزاء، وصحّة الفكرة، فمَن لم يثكل أخاه ثَكَله أخوه، ومن لم يُقدِّم ولداً كان هو المقدَّم دون الوَلد، ثم تمثَّل (عليه السّلام) بقول أبي خراش الهذلي يرثي أخاه:

ولاتحسبي أنّي تناسيتُ عَهدَهُ ولكنَّ صبري ياأُميمُ جَميل[3]

هذا. . وقد وردتْ أحاديث في شأن اسماعيل ذكرناها في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام).

١ـ الكافي: ج٣ ص١٩٣ ح٣.

٢ـ كتاب الغيبة للنعماني: ص٣٢٧ ح٧. منه بحار الأنوار: ج٤٨ ص٢٣.

٣ـ بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٤٥.

الفتنة العقائديّة :

أيُّها القارئ الكريم : بالرغم من كلّ التدابير اللاّزمة التي قام بها الامام الصادق (عليه السّلام) في وفاة ولده اسماعيل، وبالرغم من كلّ الشواهد الواضحة على وفاته . . قام بعض الناس بالتشكيك في موت اسماعيل، محاولين اثبات امامته بعد أبيه، وبذلك احدثوا فتنةً عقائديَّة ومزيداً من الانشقاق في صفوف المؤمنين والمسلمين .

فكانت النتيجة تكوين مذهب جديد، منشَعب عن مذهب الشيعة ومنفصل عنه، وهو مذهب الاسماعيلية، وقد انقسم الى قسمين :

١ـ ظاهريّة، وهم المعروفون بالبُهرة .

٢ـ وباطنيّة، وهم المعروفون بالآغاخانيَّة .

وهم منتشرون في بلاد الهند وباكستان وشرق افريقيا وبلاد أُخرى .

وهم يعترفون بامامة ستة من ائمة أهل البيت، ولايعترفون بامامة الستة الآخرين (صلوات اللّه عليهم أجمعين) .

ولهم أحكام ما انزل اللّه بها من سلطان، وأحكامهم الفقهيَّة تختلف عن فقه الشيعة الاماميّة اختلافاً كثيراً .

هذا ولو أردنا أن نتحدَّث عنهم بالتفصيل لطال بنا الكلام .

٢ـ عبداللّه بن الامام الصادق (عليه السّلام)

ويلقَّب بالأفطح وإنما لُقِّب به لأنه كان أفطح الرأس أو الرِّجلين، أي عريض الرأس أو عريض الرّجلين ـ أي القَدَمين ـ .

كان الامام الصادق (عليه السّلام) يعلم ـ بِعلم الإمامة ـ ان المنصور

الدوانيقي سَيُحاول قتل الإمام الذي يقوم بعده (عليه السّلام) ولهذا لم تسمح له الظروف أن يُعلن لكلِّ الناس انّ الامام بعده هو إبنه: موسى بن جعفر (عليه السّلام) تحفّظاً على حياة ولده من كيد الظالمين.

ولكنّه إتخذ التدابير اللازمة بهذا الشأن، حتى لايلتبس الأمر على شيعته فقد نصَّ على إمامة ولده: موسى بن جعفر (عليه السّلام) لخواصّ شيعته ممن يثق بهم، وسوف نذكر تلك النصوص في الفصل القادم في ترجمة الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام).

وكان قد اشتُهر بين الشيعة حديث الامام الصادق (عليه السّلام): «ان الأمر [الامامة] في الكبير، ما لم تكن فيه عاهة»[1].

وكان عبداللّه الأفطح ـ يوم توفّي ابوه الامام الصادق (عليه السّلام) ـ أكبر أولاد أبيه فاشتبه الأمر على بعض الشيعة فظنّوا أنه الإمام بعد أبيه، لأنه أكبر أولاده، وجهلوا ان الإمامة إنما تكون في الولد الأكبر اذا لم تكن به عاهة (أي كان مستوي الخِلقة من غير تشويه) وعبداللّه كان ذا عاهة لأنه كان أفطح الرأس أو الرِّجلين ـ كما تقدّم الكلام عن ذلك ـ.

وتُنسب إليه إنحرافات عقائدية كما ذكر الشيخ المفيد في (الإرشاد) حيث قال: (وكان عبداللّه بن جعفر أكبر إخوته بعد إسماعيل، ولم تكن منزلته عند أبيه كمنزلة غيره من وُلده في الإكرام، وكان مُتَّهماً بالخلاف على أبيه في الأعتقاد، ويقال: انه كان يخالط الحَشْوية، ويميل الى مذهب المرجئة.

وإدّعى ـ بعد أبيه ـ الإمامة، واحتجَّ بأنه أكبر إخوته الباقين، فاتّبعه على قوله جماعة من أصحاب أبي عبداللّه [الصادق] (عليه السّلام) ثم

١ـ الكافي: ج١ ص٢٨٥ ح٦.

رجع أكثرهم بعد ذلك الى القول بامامة أخيه موسى [الكاظم] (عليه السّلام)، لمّا تبيّنوا ضعف دعواه، وقوّة أمر أبي الحسن [الكاظم] ودلالة حقِّه، وبراهين إمامته.

وأقام [ثَبَتَ] نفرٌ يسير منهم على أمرهم ودانوا بإمامة عبداللّه بن جعفر، وهم الطائفة المُلقَّبة بـ (الفَطَحيّة).

وإنما لزمَهُم هذا اللقب لِقولهم بامامة عبداللّه، وكان أفطح الرِّجلين...) إلى آخره[1].

وقال الكشّي: الفَطَحيّة: هم القائلون بامامة عبداللّه بن جعفر بن محمد (عليه السّلام).... والذين قالوا بامامته عامّة مشائخ العصابة وفقهائها، مالوا الى هذه المقالة، فدخلت عليهم الشبهة لِما روي عنهم (عليهم السّلام) انهم قالوا: «الامامة في الأكبر من وُلد الامام اذا مضى».

ثمّ منهم من رجع عن القول بإمامته لِما امتحنه بمسائل من الحلال والحرام لم يكن عنده فيها جواب، ولما ظهر منه من الأشياء التي لاينبغي أن تظهر من الإمام.

ثم إن عبداللّه مات بعد أبيه بسبعين يوماً، فرجع الباقون ـ إلاّ شذاذ منهم ـ عن القول بامامته الى القول بامامة أبي الحسن موسى [الكاظم] (عليه السّلام)، ورجعوا الى الخبر الذي رُويَ أن الإمامة لاتكون في الأخوين بعد الحسن والحسين (عليهما السّلام).

وبقي شذاذ منهم على القول بإمامته، وبعد أن مات قالوا بإمامة أبي الحسن موسى [الكاظم] (عليه السّلام)[2].

١ـ الأرشاد: ص٢٨٥.

٢ـ إختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٥٢٤ ح٤٧٢.

٣ـ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

هو الامام السابع من ائمة أهل البيت (عليهم السّلام) الذين نصَّ عليهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

ولادته:

عن أبي بصير قال: حججنا مع أبي عبداللّه (عليه السّلام) في السنة الّتي وُلد فيها ابنه موسى (عليه السّلام)، فلمّا نزلنا الأبواء[1] وضع لنا الغداء، وكان إذا وضع الطعام لأصحابه أكثر وأطاب، قال: فبينا نحن نأكل إذا أتاه رسول حميدة فقال له: إنّ حميدة تقول: قد أنكرتُ نفسي وقد وجدتُ ما كنتُ أجد إذا حضرتْ ولادتي، وقد أمرتَني أن لا أستبقك بابنك هذا.

فقام أبو عبداللّه (عليه السّلام) فانطلق مع الرسول، فلمّا انصرف قال له أصحابه: سرّك اللّه وجعلنا فداك فما أنت صنعت من حميدة؟

قال: سلّمها اللّه، وقد وهب لي غلاماً وهو خير مَن بَرَأ اللّه في خَلقه، ولقد أخبرتني حميدة عنه بأمرٍ ظنّت أنّي لا أعرفه، ولقد كنت أعلم به منها.

فقلت: جُعلت فداك وما الّذي أخبرتك به حميدة عنه؟

قال: ذكرتْ أنّه سَقط من بطنها حين سقط واضعاً يديه على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء، فأخبرتُها أن ذلك أمارة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وأمارة الوصيّ من بعده.

١ـ الأبواء: جبل بين مكة والمدينة، وعنده بلد ينسب اليه (لسان العرب).

فقلت: جعلت فداك وما هذا من أمارة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وأمارة الوصيّ من بعده؟

فقال لي: إنّه لمّا كانت اللّيلة الّتي علق فيها بجدّي أتى آتٍ جدّ أبي بكأسٍ فيه شربة أرقّ من الماء وألين من الزبد وأحلى من الشهد وأبرد من الثلج وأبيض من اللّبن، فسقاه إيّاه وأمره بالجماع، فقام فجامع، فعلق بجدّي ولمّا أن كانت اللّيلة الّتي علق فيها بأبي أتى آتٍ جدّي فسقاه كما سقى جدّ أبي وأمره بمثل الّذي أمره فقام فجامع، فعلق بأبي، ولمّا أن كانت اللّيلة الّتي علق فيها بي أتى آت أبي فسقاه بما سقاهم وأمره بالّذي أمرهم به فقام فجامع فعلق بي، ولمّا أن كانت اللّيلة الّتي علق فيها بابني أتاني آتٍ كما أتاهم، ففعل بي كما فعل بهم فقمت بعلم اللّه وإنّي مسرورٌ بما يهب اللّه لي، فجامعت فعلق بابني هذا المولود، فدونكم فهو واللّه صاحبكم من بعدي.

إنّ نطفة الامام ممّا أخبرتُك، وإذا سكنت النطفة في الرحم أربعة أشهر وأُنشىء فيها الروح بعث اللّه (تبارك وتعالى) مَلَكاً يقال له: حَيَوان، فكتب على عضده الأيمن ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1] وإذا وقع من بطن أُمّه وقع واضعاً يديه على الأرض رافعاً رأسه الى السماء فأمّا وضعه يديه على الأرض فانّه يقبض كلّ علمٍ للّه أنزله من السماء إلى الأرض وأمّا رفعه رأسه إلى السَّماء فانّ منادياً ينادي به من بطنان العرش من قبل ربّ العزّة من الأُفق الأعلى باسمه واسم أبيه يقول: يا فلان بن فلان اثبت تثبت، فلعظيم ما خلقتك، أنت صفوتي من خلقي، وموضع سرّي، وعيبة علمي، وأميني على وحيي، وخليفتي

١ـ سورة الانعام آية ١١٥.

في أرضي، لك ولمن تولاّك أوجبتُ رحمتي، ومنحتُ جناني، وأحللتُ جواري، ثمّ وعزّتي وجلالي لأصْلينّ من عاداك أشدّ عذابي، وإن وسّعتُ عليه في دنياي من سعة رزقي.

فإذا انقضى الصوت ـ صوت المنادي ـ أجابه هو واضعاً يديه رافعاً رأسه إلى السماء يقول: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إلاّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُو العِلْمِ قَائماً بِالقِسْطِ لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[١] قال: فاذا قال ذلك أعطاه اللّه العلم الأوّل والعلم الآخر واستحقّ زيارة الرُّوح في ليلة القدر.

قلت: جعلت فداك الرُّوح ليس هو جبرئيل؟

قال: الرُّوح هو أعظم من جبرئيل، إنّ جبرئيل من الملائكة وإنّ الرُّوح هو خلق أعظم من الملائكة (عليهم السّلام)، أليس يقول اللّه (تبارك وتعالى): ﴿تَنَزَّلُ المَلائكَةُ وَالرُّوحُ﴾[٢و٣].

وفي رواية أُخرى عن أبي بصير قال: كنت مع أبي عبداللّه (عليه السّلام) في السنة الّتي وُلد فيها ابنه موسى (عليه السّلام) فلمّا نزلنا الأبواء وضع لنا أبو عبداللّه (عليه السّلام) الغداء ولأصحابه وأكثره وأطابه، فبينا نحن نتغدّى إذ أتاه رسول حميدة أنّ الطلق قد ضربني، وقد أمرتني أن لا أسبقك بابنك هذا.

فقام أبو عبداللّه فرحاً مسروراً، فلم يلبث أن عاد إلينا، حاسراً عن ذراعيه ضاحكاً سنّه فقلنا: أضحك اللّه سنّك، وأقرَّ عينك، ما صنعت حميدة؟

١ـ سورة آل عمران آية ١٨.

٢ـ سورة القدر آية ٤.

٣ـ الكافي: ج١ ص٣٨٥ ح١.

فقال: وهب الله لي غلاماً، وهو خير من برأ الله. . . » إلى آخر الخبر المتقدّم مع اختلاف يسير[١].

وعن منهال القصّاب قال: خرجت من مكّة و[أنا] أُريد المدينة، فمررت بالأبواء وقد ولد لأبي عبدالله، موسى (عليهما السّلام) فسبقته إلى المدينة، ودخل بعدي بيوم فأطعم الناس ثلاثاً، فكنت آكل في من يأكل، فما آكلُ شيئاً إلى الغد حتّى أعود فآكل، فمكثت بذلك ثلاثاً أطعم حتّى أرتفق[٢] ثمّ لا أطعم شيئاً إلى الغد[٣].

وروي عن يعقوب السرّاج قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السّلام) وهو واقفٌ على رأس أبي الحسن موسى وهو في المهد، فجعل يساره طويلاً، فجلست حتى فرغ، فقمت إليه فقال لي: أُدن من مولاك فسلّم [عليه]، فدنوت فسلّمت عليه فردّ عليّ [السلام] بلسان فصيح، ثمّ قال لي: اذهب فغيّر اسم ابنتك التي سمّيتها أمس، فانّه اسم يبغضه الله، ـ وكان وُلدت لي ابنةٌ سمّيتها بالحميراء ـ فقال أبو عبدالله (عليه السّلام): «انتهِ إلى أمره تَرشُدْ»، فغيّرت اسمها[٤].

والدته:

عن هشام بن أحمر، قال: أرسل إليَّ أبو عبدالله (عليه السّلام) في يوم شديد الحرّ فقال لي: اذهب إلى فلان الافريقي فاعترض جاريةً عنده

١ـ بصائر الدرجات: ص٤٦٠ ح٤. منه بحار الأنوار: ج٤٨ ص٢.

٢ـ المرتفق: الممتليء. ارتفق الاناء: امتلأ (أقرب الموارد).

٣ـ المحاسن: ج٢ ص١٩٢ ح١٥٥٦ الطبعة الحديثة. منه بحار الأنوار: ج٤٨ ص٤.

٤ـ الكافي: ج١ ص٣١٠ ح١١.

من حالها كذا وكذا ومن صفتها كذا [وكذا].

واتيت الرجل فاعترضت ما عنده فلم أر ما وصف لي فرجعت إليه فأخبرته، فقال: عدُ إليه فانّها عنده.

فرجعت إلى الإفريقيِّ، فحلف لي: ما عنده شيء إلاّ وقد عرضه عليّ. ثمّ قال: عندي وصيفة مريضة محلوقة الرأس، ليس ممّا تعرض.

فقلت له: اعرضها عليَّ، فجاء بها متوكّئة على جاريتين تخطُّ برجليها الأرض، فأرانيها فعرفت الصفة.

فقلت: بكم هي؟

فقال لي: اذهب بها إليه فيحكم فيها، لأنّها واللّه قد أردتُها منذ ملكتُها فما قدرتُ عليها. ولقد أخبَرني الّذي اشتريتها منه أيضاً أنّه لم يصل إليها. وحلفت الجارية أنّها نظرت إلى القمر وَقعَ في حِجْرها.

فأخبرتُ أبا عبداللّه (عليه السّلام) بمقالته، فأعطاني مائتي دينار، فذهبتُ بها إليه فقال الرجل: هي حُرَّة لوجه اللّه إن لم يكن بعث إليَّ بشرائها من المغرب، فأخبرتُ أبا عبداللّه (عليه السّلام) بمقالته، فقال أبو عبداللّه (عليه السّلام): يابن أحمر [أمّا] إنّها تلد مولوداً ليس بينه وبين اللّه حجاب[1].

هذا.. وقد تقدم الكلام حولها مختصراً في فصل زوجات الامام الصادق (عليه السّلام).

١ـ إعلام الورى: ص٣٠٩.

النَّصُّ على امامته (عليه السّلام)

روي عن الفيض بن المختار قال: قلت لأبي عبداللّه (عليه السّلام): خذ بيدي من النار، مَن لنا بعدك؟

فدخل عليه أبو إبراهيم (عليه السّلام) ـ وهو يومئذٍ غلام ـ فقال: هذا صاحبكم، فتمسّك به[1].

وعن معاذ بن كثير، عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) قال: قلت له: أسأل اللّه الّذي رزق أباك منك هذه المنزلة أن يرزقك مِن عَقِبك قبل الممات مثلها.

فقال: قد فَعل اللّه ذلك.

قال: قلت: من هو ـ جعلت فداك ـ؟

فأشار إلى العبد الصالح[2] وهو راقدٌ فقال: هذا الرّاقد ـ وهو غلامٌ ـ[3].

وعن عبدالرحمن بن الحجّاج ـ في حديث ـ قال: دخلت على جعفر ابن محمّد في منزله فاذا هو في بيت كذا ـ في داره، في مسجد له ـ وهو يدعو وعلى يمينه موسى بن جعفر يؤمّن على دعائه.

فقلت له: جعلني اللّه فداك قد عرفتَ انقطاعي إليك وخدمتي لك، فمن وليُّ الناس بعدك؟

فقال: إنّ موسى قد لبس الدرع وساوى عليه.

فقلت له: لا أحتاج بعد هذا إلى شيء[4].

١ـ الكافي: ج١ ص٣٠٧ ح١.

٢ـ مِن ألقاب الإمام الكاظم (عليه السّلام).

٣ـ الكافي: ج١ ص٣٠٨ ح٢.

٤ـ الكافي: ج١ ص٣٠٨ ح٣.

وعن المفضّل بن عمر قال: ذكر أبو عبدالله (عليه السّلام) أبا الحسن (عليه السّلام) ـ وهو يومئذ غلامٌ ـ فقال: هذا المولود الّذي لم يولد فينا مولودٌ أعظم بركةً على شيعتنا منه.

ثمّ قال لي: لاتجفوا إسماعيل[١و٢].

أقول: قوله (عليه السّلام): «... لم يولد فينا مولود أعظم بركة...» لعلّه باعتبار كثرة نسله بالنسبة الى غيره من ائمة أهل البيت (عليهم السّلام)، فقد جاء في بعض التواريخ ان أولاده وبناته تجاوزوا الستين، وقد انتشروا في البلاد الاسلامية وكانوا سبباً لنشر الاسلام الصحيح المتمثل في مذهب أهل البيت (عليهم السّلام) بشكل واسع في أرجاء المعمورة.

والظاهر انّ هذا الأمر لم يحدث لغيره (عليه السّلام).

ولعلّ هناك بعض البركات التي كانت لوجوده (عليه السّلام) وقد خفيت علينا أو أخفاها الظالمون والله العالم.

وعن إبراهيم الكرخي قال: دخلت على أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق (عليهما السّلام) وانّي لجالس عنده، إذ دخل أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السّلام) وهو غلام، فقمت إليه فقبّلته وجلستُ فقال أبو عبدالله (عليه السّلام): يا إبراهيم أما إنّه صاحبك من بعدي، أما ليهلكنّ فيه أقوام، ويسعد فيه آخرون، فلعن الله قاتله وضاعف على روحه العذاب، أما ليخرجنّ الله من صلبه خير أهل الأرض في زمانه سميَّ

١ـ «لاتجفوا اسماعيل» بالتخفيف من الجفاء نقيض الصلة، إي أنه وإن لم يكن إماماً لكنّه ابن إمامكم، ولابدّ من إكرامه واحترامه ورعايته.... (مرآة العقول).

٢ـ الكافي: ج١ص٣٠٩ ح٨.

جدّه، ووارث علمه، وأحكامه وفضائله، [و] معدن الامامة، ورأس الحكمة يقتله جبّار بني فلان، بعد عجائب طريفة، حسداً له، ولكنّ اللّه (عزّوجلّ) بالغ أمره، ولو كره المشركون، يُخرج اللّه من صُلبه تكملةَ اثني عشر إماماً مهدياً، اختصّهم اللّه بكرامته وأحلّهم دار قدسه، المنتظر للثاني عشر منهم كالشاهر سيفه بين يدي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) يذبُّ عنه.

قال: فدخل رجل من موالي بني أُميّة فانقطع الكلام، فعدت إلى أبي عبداللّه (عليه السّلام) احدى عشر مرّة أُريد منه أن يستتمّ الكلام، فما قدرت على ذلك، فلمّا كان قابل السنة الثانية دخلت عليه وهو جالس فقال: يا إبراهيم هو المفرّج للكرب عن شيعته، بعد ضنك شديد، وبلاء طويل وجزع وخوف، فطوبى لمن أدرك ذلك الزمان، حسبك يا إبراهيم.

قال ابراهيم: فما رجعت بشيء أسرَّ من هذا لقلبي، ولا أقرَّ لعيني[1].

وروي أن الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام) تكلّم يوماً بين يدي أبيه (عليه السّلام) فأحسن، فقال له: يابنيّ الحمد للّه الّذي جعلك خلفاً من الآباء، وسروراً من الأبناء، وعوضاً عن الأصدقاء[2].

أقــول: النُّصوص المرويَّة حول إمامة الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام) كثيرة، وقد ذكرناها في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام).

فتنة الواقفيَّة

الواقفية: هم الذين وقفوا على إمامة الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام) ولم يعتقدوا بالامام الذي بعده، وقد تكوَّنت فكرة الوقف بعد

١ـ اكمال الدين: ص٣٣٤ ح٥. منه بحار الأنوار: ج٤٨ ص١٥.

٢ـ عيون أخبار الرضا: ج٢ ص١٢٧ ح٤. منه بحار الأنوار: ج٤٨ ص٢٤.

استشهاد الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام) في السجن وكان وراء تكوّنها اسباب مادّية دنيوية.

وقد انقرضتْ هذه الفرقة وسقطت في مزبلة التاريخ، والحمد لله تعالى.

وكان الامام الصادق (عليه السّلام) قد أخبر بعض أصحابه عن هذه الفرقة وأنها سوف تتكوّن في المستقبل، وتبرّأ منها واكّد على انحرافها وضلالها.

وقد ذكرنا بعض الأحاديث المرتبطة بها في موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) كما تحدّثنا عنها ـ بشيء من التفصيل ـ في كتابنا: (الامام الجواد (عليه السّلام) من المهد الى اللّحد).

٤ـ اسحاق بن الامام الصادق (عليه السّلام)

قال الشيخ المفيد: كان اسحاق بن جعفر من أهل الفضل والصلاح والورع والإجتهاد، وروى عنه الناس الحديث والآثار، وكان ابن كاسب ـ اذا حدّث عنه ـ يقول: حدّثني الثقة الرضي: اسحاق بن جعفر.

وكان اسحاق يقول بإمامة أخيه موسى (عليه السّلام)[١].

وروى عن أبيه النص بالإمامة على أخيه موسى (عليه السّلام) وكان من شهود وصيّة موسى بن جعفر لإبنه علي بن موسى (عليهما السّلام).

وعدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الامام الصادق (عليه السّلام) وعدّه البرقي من أصحاب الامام الباقر والامام الصادق والامام الكاظم (عليهم السّلام).

١ـ الارشاد: ص٢٨٦.

وهو زوج السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الامام الحسن المجتبى (عليه السّلام) المدفونة في مدينة القاهرة في مصر.

وقد اخبر الامام الرضا (عليه السّلام) ان اسحق هذا يموت قبل محمد ابن جعفر الصادق (عليه السّلام) كما روي ذلك عن الحسن بن عليّ الحذاء قال: حدَّثني يحيى بن محمد بن جعفر قال: مرض أبي مرضاً شديداً فأتاه أبو الحسن الرِّضا (عليه السّلام) يعوده وعمّي إسحاق جالس يبكي، قد جزع عليه جزعاً شديداً.

قال يحيى: فالتفت إليَّ أبو الحسن (عليه السّلام) فقال: مما يبكي عمّك؟

قلت: يخاف عليه ما ترى.

قال: فالتفت إليَّ أبو الحسن (عليه السّلام) قال: لاتغتمنَّ فانّ إسحاق سيموت قبله.

قال يحيى: فبرأ أبي محمّد ومات إسحاق[1].

٥ـ محمد الديباج بن الامام الصادق (عليه السّلام)

قال الشيخ المفيد: وكان محمد بن جعفر سخيّاً شجاعاً، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويرى رأي الزيدية في الخروج بالسيف.

ورُوي عن زوجته خديجة بنت عبدالله بن الحسين أنها قالت: ما خرج من عندنا محمد يوماً قطّ في ثوب فرجع حتّى يكسوه، وكان يذبح كلَّ يوم كبشاً لأضيافه.

وخرج على المأمون في سنة تسع وتسعين ومائة بمكة واتبعته الزيدية

١ـ عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٠٦ ح٧.

والجارودية، فخرج لقتاله عيسى الجلودي، ففرَّق جمعه، وأخذه وانفذه الى المأمون.

فلمّا وصل إليه اكرمه وادنى مجلسه منه ووَصَلَه، وأحسن جائزته، فكان مقيماً معه بخراسان يركب اليه في موكب من بني عمّه وكان المأمون يحتمل منه ما لا يحتمل السلطان من رعيَّته.

وروي ان المأمون أنكر ركوبه إليه في جماعة من الطالبيِّين الذين خرجوا على المأمون في سنة مائتين، فآمنهم، فخرج التوقيع اليهم: «لاتركبوا مع محمد بن جعفر، واركبوا مع عبداللّه بن الحسين» فأبوا أن يركبوا، ولزموا منازلهم، فخرج التوقيع: «اركبوا مع من احببتم» فكانوا يركبون مع محمد بن جعفر اذا ركب الى المأمون، وينصرفون بإنصرافه.

وذكر عن موسى بن سلمة انه قال:

«أُتي الى محمد بن جعفر فقيل له: إن غلمان ذي الرياستين قد ضربوا غلمانك على حطب اشتروه».

فخرج مُتَّزراً بِبُردَين، معه هراوة وهو يرتجز ويقول:

«الموت خير لك من عيش بِذلّ».

وتبعه الناس حتى ضرب غلمان ذي الرياستين، وأخذ الحطب منهم، فرُفع الخبر الى المأمون، فبعث الى ذي الرياستين فقال له: إئت محمد بن جعفر، فاعتذِر اليه، وحكِّمهُ في غلمانك.

قال: فخرج ذوالرياستين الى محمدبن جعفر ـ قال موسى بن سلمة ـ:

فكنت عند محمد بن جعفر جالساً حتى (حين) أتى، فقيل له: هذا ذو الرياستين. فقال: لايجلس إلاّ على الأرض. وتناولَ بساطاً كان في البيت فرمى به هو ومن معه ناحية ولم يبق في البيت إلاّ وسادة جلس عليها

محمد بن جعفر، فلمّا دخل عليه ذو الرياستين وسَّع له محمد على الوسادة، فأبى أن يجلس عليها، وجلس على الأرض، فاعتذر إليه وحكَّمه [جعله حَكَماً] في غلمانه.

وتوفي محمد بن جعفر بخراسان مع المأمون، فركب المأمون ليشهده، فلقيهم وقد خرجوا به، فلمّا نظر الى السرير نزل فترجَّل ومشى حتى دخل بين العمودين [عمودي السرير] فلم يزل بينهما حتى وُضع، فتقدّم وصلّى عليه، ثم حمله حتى بلغ به القبر، ثم دخل قبره فلم يزل فيه حتى بُنيَ عليه، ثم خرج فقام على القبر حتى دُفن...[١].

وروي عن إسحاق بن موسى قال: لمّا خرج عمّي محمد بن جعفر بمكّة، ودعا إلى نفسه، ودعي بأمير المؤمنين، وبويع له بالخلافة دخل عليه الرضا (عليه السّلام) وأنا معه فقال له: يا عمَّ لاتكذب أباك، ولاأخاك، فانَّ هذا أمر لايتمّ.

ثم خرج وخرجت معه إلى المدينة، فلم يلبث إلاّ قليلاً حتى أتى الجلودي فلقيه فهزمه، ثمّ استأمن إليه، فلبس السواد وصعد المنبر فخلع نفسه وقال: إن هذا الأمر للمأمون. وليس لي فيه حقٌّ، ثم أُخرج إلى خراسان فمات بجرجان[٢].

أقـــول: ولمحمد بن جعفر تاريخ مفصَّل مذكور في كتاب مقاتل الطالبيِّين وغيره من كتب التراجم.

١ـ الأرشاد: ص٢٨٦.

٢ـ عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٠٧ ح٨.

٦ـ العباس بن الامام الصادق (عليه السّلام)

قال الشيخ المفيد: كان فاضلاً نبيلاً[1].

٧ـ علي العُريضي بن الامام الصادق (عليه السّلام)

قال الشيخ المفيد: وكان علي بن جعفر (رضي اللّه عنه) راوية للحديث، سديد الطُرُق شديد الورع، كثير الفضل، ولزم أخاه موسى (عليه السّلام) وروى عنه شيئاً كثيراً من الأخبار[2].

وذكره الشيخ الطوسي في أصحاب الامام الباقر والامام الصادق والامام الكاظم والامام الرضا (عليهم السّلام) وقال: . . . جليل القدر، ثقة، وله كتاب المناسك، ومسائل لأخيه موسى الكاظم ابن جعفر (عليه السّلام) سأله عنها.

وقال النجاشي: علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، أبو الحسن، سكن العُريض ـ من نواحي المدينة ـ فنُسب إليها، له كتاب في الحلال والحرام يُروى تارة غير مبوَّب وتارة مبوّباً. . .) الى آخر كلامه.

أقــول: لقد ذكرنا شيئاً من ترجمة علي بن جعفر في كتاب (الامام الجواد (عليه السّلام) من المهد الى اللحد) وذكرنا بعض الأحاديث الدالّة على جلالة قدره، ومخالفته لهواه، وخضوعه للحق.

وقد اتَّفقت كلمات المحدّثين والرجاليِّين على مدحه وتوثيقه والإشادة

١ـ الارشاد: ص٢٨٧.

٢ـ الارشاد: ص٢٨٧.

بفضله وجلالة قَدره[1] .

والحديث الآتي يكشف عن جانب من ايمان هذا الرجل وتقواه وتواضعه :

عن أبي عبدالله الحسن بن موسى بن جعفر ، قال : كنت عند أبي جعفر [الإمام الجواد] (عليه السّلام) بالمدينة وعنده علي بن جعفر وأعرابي من أهل المدينة جالس ، فقال لي الأعرابي : من هذا الفتى؟ ـ وأشار بيده إلى أبي جعفر (عليه السّلام) ـ .

قلت : هذا وصيّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

فقال : يا سبحان الله ، رسول الله قد مات منذ مأتي سنة وكذا وكذا سنة ، وهذا حدث كيف يكون هذا [وصيّ رسول الله]؟!!

قلت : هذا وصيُّ عليِّ بن موسى ، وعليٌّ وصيّ موسى بن جعفر ، وموسى وصيّ جعفر بن محمد ، وجعفر وصيُّ محمد بن علي ، ومحمد وصيُّ عليّ بن الحسين ، وعليٌّ وصيُّ الحسين ، والحسين وصيّ الحسن ، والحسن وصيّ عليّ بن أبي طالب ، وعلي بن أبي طالب وصيُّ رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين) .

قال : ودنا الطبيب ليقطع له العِرْق ، فقام عليُّ بن جعفر فقال : ياسيّدي يبدأني ليكون حدَّة الحديد بي قبلك .

قال : قلت : يهنئك هذا عم أبيه .

قال : فقطع له العِرْق .

ثمَّ أراد أبو جعفر (عليه السّلام) النهوض فقام عليّ بن جعفر (عليهما

---

١ ـ وذكره الخزرجي في (خلاصة تذهيب التهذيب) : ج٢ ص٢٤٤ ، وابن حجر في (تهذيب التهذيب) : ج٧ ص٢٥٨ ، والذهبي في (ميزان الاعتدال) : ج٣ ص١١٧ .

السّلام) فسوّى له نعليه حتى يلبسهما[1].

وعن علي بن اسباط وغيره، عن علي بن جعفر بن محمد قال: قال لي رجل أحسبه من الواقفة: ما فعل أخوك أبو الحسن؟

قلت: قد مات.

قال: وما يدريك بذلك؟

قلت: اقتسمتْ أمواله وأُنكحت نساؤه ونطق الناطق من بعده.

قال: ومن الناطق من بعده؟

قلت: ابنه عليّ.

قال: فما فعل؟

قلت له: مات.

قال: وما يدريك أنّه مات؟

قلت: قُسِّمت أمواله ونكحت نساؤه ونطق الناطق من بعده.

قال: ومن الناطق من بعده؟

قلت: أبو جعفر ابنه.

قال: فقال له: أنت في سِنّك وقَدرك وابن جعفر بن محمد[2] تقول هذا القول في هذا الغلام؟

قال: قلت: ما أراك إلاّ شيطاناً، قال: ثمّ أخذ بلحيته فرفعها إلى السماء، ثمّ قال: فما حيلتي إن كان اللّه رآه أهلا لهذا، ولم ير هذه الشيبة لهذا أهلا؟!![3].

١ـ إختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٧٢٨ ح٨٠٤. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٦٤.

٢ـ في بحار الأنوار: وأبوك جعفر بن محمّد.

٣ـ إختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٧٢٨ ح٨٠٣. منه بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٦٣.

كلمة الختام

أيُّها القارىء الكريم: لقد قضينا معك رحلة ممتعة في رحاب سادس أئمّة أهل البيت ومحيي سُنن جدِّه المصطفى وناشر علوم جدّه المرتضى ومُربِّي الرجال الأبطال ومعلّم الأجيال. . البحر الزاخر والبدر الباهر والعَلَم الناطق. . الامام جعفر الصادق (صلوات الله عليه). .

واستطعنا ـ من خلال هذا الكتاب ـ أن نُقدِّم لك ـ أيها القارئ الكريم ـ صورة مُصغَّرة عن هذه الشخصيَّة الالهيّة العظيمة. .

ولا نشكُّ أبداً في أن شخصية الامام الصادق (عليه السّلام) أعلى وأعلى من أن تعرِّفها الأقلام ويحوم حولها الكُتّاب. .

وكيف لاتكون كذلك والامام الصادق حُجَّة الله على خَلقه. . وخليفة الله وخليفة رسوله. . ؟!!

وأنَّى للانسان الضعيف الناقص أنْ يبلغ تلك القمّة الشاهقة؟!!

أنّى له. . ؟!!

وعلى كل حال. . فكلُّ الذي أرجوه أنْ يكون هذا الكتاب خطوة نافعة في مجال التعرُّف على الامام الصادق (عليه السّلام). .

واذا أردتَ المزيد من التعرُّف على هذه الشخصيَّة الالهيَّة. .

فراجع موسوعة الامام الصادق (عليه السّلام) التي يُقدَّر أنْ تبلغ ستّين مجلَّداً ان شاء الله تعالى . .

وما هذا الكتاب إلاّ لمحة خاطفة وخلاصة مُنتخَبة ممّا ورد في تلك الموسوعة عن حياة الامام (عليه السّلام) .

واسأل الله تعالى أنْ يتفضَّل عليَّ بالقبول بفضله وكرمه . . ويجعل هذه الصفحات ذخيرتي ليوم الجزاء . . إنَّه اكرم الأكرمين وذو الفضل العظيم .

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين .

فهرس الكتاب